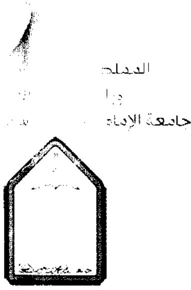


مجلة العلوم العربية

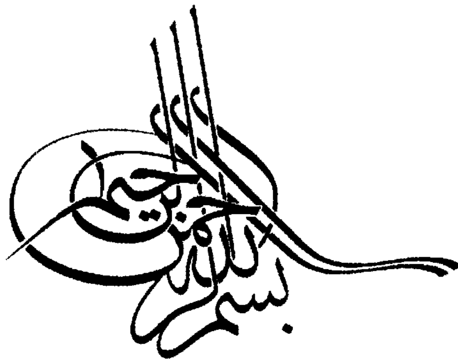
مجلة علمية فصلية محكمة

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa



رقم الإيداع: ٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ - ١٦٥٨



أعضاء هيئة التحرير

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .

٣- أن يكون بنط المتن (١٧ Traditional Arabic)، والهوامش بنط (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً: يُعطى الباحث عشر نسخ من المجلة، وثلاثون مستلات من بحثه .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: journal@imamu.edu.sa

المحتويات

تعقب ابن مالك النحويين
فيما فهموه من نصوص سيبويه

د. سعد بن سويف المضياني
قسم اللغة العربية – الكلية الجامعية برفحاء
جامعة الحدود الشمالية

تعقب ابن مالك النحويين
فيما فهموه من نصوص سيبويه

د. سعد بن سويف المضياني
قسم اللغة العربية
الكلية الجامعية برفحاء – جامعة الحدود الشمالية

ملخص البحث:

يتعرض ابن مالك لسيبويه وكتابه كثيراً، فالناظر في تراثه يلاحظ كما كثيرا من النصوص والآراء السيبويهية التي ضمنها ابن مالك كتبه وبخاصة شرح التسهيل، فتارة تجده موافقاً لسيبويه أو معارضا له، وتارة تجده شارحا لنصوصه، وتارة تجده متعقبا النحويين في نسبة رأي له أو فهم نص من نصوصه. وقد خص هذا البحث تعقب ابن مالك النحويين في فهم نصوص سيبويه، بالجمع والدراسة، وعماده في ذلك توثيق الآراء المتعقبة من مصادرها إن أمكن، ودراستها للوصول إلى الفهم الصحيح لمراد سيبويه، والوقوف على مدى صحة ما يزعمه ابن مالك – رحمه الله – في ذلك.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بلسان عربي مبين، نحمدك -اللهم- على ما علمتنا ونسألك أن تنفعنا به، ونعوذ بك من فتنة القول والعمل، اللهم، هب لنا قلوبا تتقلب مع الحق، وألسنة لا تلهج إلا بالصدق، وبيانا مؤيدا بالحجة، إذا تاهت البصائر بالدلجة.

وبعد، فإن مما استرعى انتباهي – وأنا أرجع إلى كتب ابن مالك وبخاصة شرح التسهيل خلال بحثي في الماجستير والدكتوراه- عبارات لا بن مالك عن سيبويه وكتابه مثل قوله:"هذا مفهوم كلامه في باب الابتداء ولا معارض له في غيره، ومن زعم أن سيبويه...فقد قَوَّلَه ما لم يقل"[1]، وقوله:"هو مذهب سيبويه والمحققين ممن تدبر كلامه"[2]، وقوله:"وقد خفي كون هذا مذهب سيبويه على جمهور الشراح لكتابه"[3]، وقوله: "ومن نسب إليه خلاف هذا فقد تَقَوَّل أو غلط فيما تأول"[4]، وقوله:"وإنما ذكرنا نص سيبويه لئلا يظن من لا يعرف كلامه أن مذهبه مخالف لما ذهبت إليه"[5]، وغيرها من العبارات التي تدل على عناية ابن مالك بالكتاب، واهتمامه بآراء سيبويه وتوثيقها من نصوصه فيه، وعلى أنه يفهم نصوصه فهما يصحح به أفهام غيره من النحويين من شراح الكتاب وغيرهم.

ولما لسيبويه وابن مالك في الدرس النحوي من أثر بارز ومؤثر غني عن الذكر، ونظرا لأن ابن مالك في ذلك كان يزعم أنه يصحح أفهاما لكبار شراح الكتاب كالسيرافي والرماني وابن خروف، وهو القائل في التسهيل: "وإذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين"[6]، ونظرا لأني لم أقف على من درس ذلك عزمت على جمع آراء ابن مالك تلك ودراستها للوقوف على فهمه ومعرفة مدى صحة ما يزعمه، رحمه الله.

---

(1) شرح التسهيل١/٢٧٣.

(٢) السابق٢/٧٤.

(٣) السابق٢/٢٧١.

(٤) السابق٢/٢٧٣.

(٥) السابق٢/٣٤٥.

(٦) التسهيل: ٢.

ولقد بحثت قبل أن أبدأ بدراسة الموضوع عن دراسات سابقة له، فلم أجد سوى دراسة ماجستير لطالبة اسمها عزة بنت علي القرني بعنوان: (تفسير ابن مالك لنصوص سيبويه في شرح التسيهل)، فحاولت الوصول إلى الرسالة، ولكن دون جدوى، ثم بعد ذلك اتصلت بالمشرف على الرسالة، الدكتور بهاء الدين عبدالرحمن، أخبره بعزمي على دراسة الموضوع، وأطلب منه نسخة من الرسالة، فلم يلب طلبي مشيرا علي بالمضي في دراسة الموضوع. ثم بعد أن بدأت بالموضوع وشارفت على الانتهاء سمعت عن رسالة دكتواره في كلية اللغة العربية في الرياض بعنوان: (اختلاف الشراح في تفسير كتاب سيبويه وأثره في الدرس النحوي والتصريفي)، إعداد: عبدالعزيز الدباسي، فلما اطلعت على الرسالة وجدت الباحث قد تطرق إلى شيء من الموضوع، ولكن بحثه لم يكن منصبا على تعقب ابن مالك، ولذلك كانت مسائل الدراسة في موضوعي مختلفة عن المسائل في موضوعه، ولم يتشابها إلا في أربع مسائل.

وقد رغبت في البداية أن يكون عنوان البحث كالتالي: "تعقب ابن مالك النحويين فيما نسبوه لسيبويه أو فهموه من نصوصه". وبذلك تكون التعقبات قسمين: الأول التعقب فيما نسب لسيبويه وفي الكتاب ما يخالفه، والثاني التعقب فيما فهم من نصوص سيبويه على غير وجهه.

ولكن لأن المسائل في ذلك كانت أكثر من أن تنشر في بحث علمي محكم، خصصت هذا البحث في القسم الثاني، فكان عنوان البحث كما سبق. ولعلي بإذن الله أخص ذلك ببحث آخر.

وقد أسست هذا البحث على هذه المقدمة، وكونته من قسمين:

القسم الأول: مسائل التعقب. وقد رتبتها حسب ورودها في شرح التسهيل؛ لأن كل تلك المسائل وردت فيه، ومعظمها لم يرد في غيره، ولأن كتبه الأخرى لم تنفرد عن شرح التسهيل بشيء.

والقسم الثاني: منهج ابن مالك في التعقب.

ثم ختمته بخاتمة بينت فيها النتائج.

أولا: مسائل التعقب.

١- زمن المضارع المنفي بـ(لا).

يرى ابن مالك أن الفعل المضارع إذا نفي بـ(لا) لم يتعين الحكم باستقباله، فـ(يكتب) في قوله: لا يكتب زيد -مثلا- يصلح أن يدل على نفي الكتابة عن زيد في الحاضر أو المستقبل، ويرى أن كلام سيبويه(ت ١٨٠هـ) في الكتاب يحتمل هذا؛ ولذلك اعترض ابن مالك الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وغيره من المتأخرين -كما عبر- لاعتمادهم على نص لسيبويه فيما ذهبوا إليه من أنه متعين الدلالة على الاستقبال.

قال ابن مالك: "والذي غر الزمخشري[١] وغيره من المتأخرين قول سيبويه في باب نفي الفعل: (وإذا قال: هو يفعل، أي: هو في حال فعل فإن نفيه ما يفعل. وإذا قال: هو يفعل ولم يكن الفعل واقعا فإن نفيه لا يفعل)."[٢].

وسأورد باب نفي الفعل في كتاب سيبويه كاملا لعدم طوله، وهو:"إذا قال: فعل فإن نفيه لم يفعل، وإذا قال: قد فعل فإن نفيه لما يفعل. وإذا قال: لقد فعل فإن نفيه ما فعل؛ لأنه كأنه قال: والله لقد فعل، فقال: والله ما فعل. وإذا قال...[٣] وإذا قال: ليفعلن فنفيه لا يفعل، كأنه قال: والله ليفعلن، فقلت: والله لا يفعل. وإذا قال: سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل"[٤].

فابن مالك يرى أن هذا النص ليس فيه دلالة قاطعة على أن سيبويه يرى فيه تعين المضارع المنفي بـ(لا) للاستقبال دون غيره. وقد استدل لرأيه بما يلي[٥]:

١. أنه ليس في نص سيبويه نص على منع إيقاع غير (ما) موقع (ما)، ولا من إيقاع غير (لا) موقع (لا).
٢. أن سيبويه بين في موضع آخر أن (إن) النافية مساوية لـ(ما) النافية[٦]، فيلزم من ذلك أن تستعمل لنفي الحال كما تستعمل (ما)، كما بين في موضع آخر -أيضا- أن (لن) لنفي

---

(١) لم أقف إلا على قول الزمخشري في المفصل عن حروف الاستقبال: "وهي (سوف) و(السين) و(أن) و(لا) و(لن). قال الخليل: أن سيفعل جواب لن يفعل، كما أن يفعل جواب لا يفعل لما في (لا) من اقتضاء القسم". المفصل: ٤٣٥.

(٢) شرح التسهيل١/٢٠.

(٣) وضعت علامة الفراغ؛ لأن نص سيبويه المشار إليه بها قد سبق ضمن نص ابن مالك السابق.

(٤) الكتاب٣/١١٧.

(٥) انظر: شرح التسهيل١/٢٠.

(٦) حين قال عن (إن): "وتكون في معنى (ما)". الكتاب ٣/١٥٢.

(سيفعل)[1]، فيلزم من ذلك موافقتها (لا) النافية، ولم يتعرض سيبويه لهذا في باب نفي الفعل[2]، فلا يوجب ذلك عدم جوازه. فكذا لا يجب من تخصيص ما يقع على الحال امتناع نفيه بغير (ما).

٣. أن سيبويه قال في باب عدة ما يكون عليه الكلم: "وتكون (لا) ضدا لـ(نعم)"[3]، وهذا إشعار بعدم تقييدها في النفي بزمان دون زمان كما لا يتقيد (نعم)؛ لأن (نعم) تصديق لما قبلها ماضيا كان أو حاضرا أو مستقبلا.

٤. أن كون النفي بـ(لا) غير متعين الحكم بالاستقبال لازم لسيبويه وغيره من القدماء لاجتماعهم على صحة قول القائل: قاموا لا يكون زيدا، بمعنى: إلا زيدا، ومعلوم أن المستثني منشئ للاستثناء، والاستثناء لا بد من مقارنة معناه للفظه، و(لا يكون) هنا استثناء فمعناه مقارن للفظه، فلو كان النفي بـ(لا) مخلصا للاستقبال لم تستعمل العرب (لا يكون) في الاستثناء لمباينته الاستقبال.

ثم خلص ابن مالك إلى تحقيق مراد سيبويه في نصه السابق، حيث قال: "ولكنه قصد في باب نفي الفعل التنبيه على الأولى في رأيه والأكثر في الاستعمال، وذلك أن استعمال (ما) في النفي أكثر من استعمال (إن)، ونفي الحال بها أكثر من نفيه بـ(لا)، وكذلك (لا) في المثال المذكور راجحة على (لن) من قبل مشاركة اللفظ، لأن الفعل المتقدم مرفوع، فإذا نفي الثاني بـ(لا) قوبل مرفوع بمرفوع، فيكون الفعلان متشاكلين، وإذا نفي بـ(لن) قوبل مرفوع بمنصوب فتفوت المشاكلة وهي مهمة في كلامهم، حتى حملهم الاهتمام بها على إخراج الشيء عن أصله نحو: قولهم: أخذه ما قَدُمَ وما حَدُثَ، فضموا دال (حَدُث) لتشاكل دال (قَدُم)، ولو أفرد (حَدَث) تعين فتح داله" [4].

وقد ألمح إلى هذا الفهم الذي فهمه ابن مالك ابن خروف (ت:٦٠٩هـ) حين قال في شرحه - بإيجاز - معلقا على كلام سيبويه: " وباب نفي الفعل بَيِّن، ويجوز أن يجاب فيه على غير ما ذكر، والأصل ما ذكر" [5].

---

(١) حين قال: "و(لن) وهي نفي لقوله: سيفعل". الكتاب ٤/٢٢٠. وانظر أيضا: ٤/٢١٧.

(٢) سبق ذكر نص سيبويه كاملا.

(٣) الكتاب ٤/٢٢٢.

(٤) انظر: شرح التسهيل ١/٢٠.

(٥) تنقيح الألباب: ٧٦.

وكون المضارع المنفي بـ(لا) غير متعين الحكم باستقباله، وأن دلالته على الحال باقية معها هو مذهب جماعة من النحويين غير ابن خروف وابن مالك، منهم ابن الشجري[1] (ت ٥٤٢هـ)، والرضي[2] (ت ٦٨٦هـ)، وابن أبي الربيع[3] (ت ٦٨٨هـ). ونسبه ابن مالك للأخفش[4] (ت ٢١٥هـ)، ونسبه أبوحيان (ت ٧٤٥هـ) له وللمبرد[5] (ت ٢٨٥هـ).

أما السيرافي[6] (ت ٣٦٨هـ)، والرماني[7] (ت ٣٨٤هـ)، والأعلم[8] (ت ٤٧٦هـ) فقد فهموا من نص سيبويه أنه يرى أن (لا) تخلص المضارع المنفي بها للاستقبال. وذكر جماعة من النحويين منهم المرادي[9] (ت ٧٤٩هـ)، وأبوحيان[10]، وناظر الجيش[11] (ت ٧٧٨هـ) أن هذا هو ظاهر كلام سيبويه.

وكون (لا) تخلص المضارع المنفي بها للاستقبال هو -أيضا- رأي جماعة أخرى من النحويين منهم: المبرد[12]، والفارسي[13] (ت ٣٧٧)، والهروي[14] (ت ٤١٥هـ)، والشلوبين[15] (ت ٦٤٥هـ)، والإربيلي[16] (ت ٦٤٧هـ)، والإسفراييني[17] (ت ٦٨٤هـ)، والمالقي[18] (ت ٧٠٢).

---

(١) انظر: أمالي ابن الشجري ٢/٥٢٤.

(٢) انظر: شرحه القسم الثاني ٢/٨٢٧.

(٣) انظر: البسيط ١/٢٤٢.

(٤) انظر: شرح التسهيل ١/١٨.

(٥) انظر: التذييل ١/٨٧. وفي المقتضب ما يخالفه كما سيأتي.

(٦) انظر: شرحه ٥/١٨٨ب، و٤/١٠أ، ١٦ب.

(٧) انظر: شرحه: ٢١٠. رسالة د. آل موسى.

(٨) انظر: النكت ٢/١٣٨١.

(٩) انظر: الجنى الداني: ٢٩٦.

(١٠) انظر: التذييل ١/٨٧.

(١١) انظر: تمهيد القواعد ١/١٩٢.

(١٢) انظر: المقتضب ١/٤٧.

(١٣) انظر: التعليقة ٣/٢٣٥، ١/٤٧.

(١٤) انظر: الأزهية: ١٥٠.

(١٥) انظر: التوطئة: ١٣٧.

(١٦) انظر: شرح الأنموذج: ٢٢٣.

(١٧) انظر: لباب الإعراب: ٤٦٠.

(١٨) انظر: رصف المباني: ٣٢٠.

والذي يظهر لي أن الفهم الذي ألمح إليه ابن خروف وبسطه ابن مالك هو أقرب ما يمكن أن يحمل عليه مراد سيبويه في نصه في باب نفي الفعل؛ وذلك لأن سيبويه صرح بكون المنفي بـ(لا) يدل على الحال، حيث قال في موضع آخر: "وكذلك مرض زيد حتى لا يرجونه، أي: حتى إنه الآن لا يرجونه"[1]. فبالجمع بين نص سيبويه هذا ونصه في باب نفي الفعل يكون هذا الفهم متجها. والذي يؤيد هذا أن من عادة سيبويه عدم إكمال الحديث عن موضوع ما في مكان واحد في كتابه، وإنما كان ينثر الحديث نثرا ويفرقه تفريقا كما قال الشيخ عضيمه[2].

أما كون المضارع المنفي بـ(لا) صالحا للدلالة على الحال فهذا مما لا شك فيه لكثرة شواهده؛ فقد استدل ابن مالك على ذلك بإجماعهم على إيقاع المضارع المنفي بـ(لا) في مواضع تنافي الاستقبال نحو قوله: أتظن ذلك كائنا أم لا تظنه؟ وما شأنك لا توافق؟ وغير ذلك.كما استدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم بعد أن قال: "ومثل ذلك في القرآن كثير"، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[يس: ٢٢]. كما ذكر ابن مالك أن ذلك كثير في غير القرآن، ومنه قول الشاعر:

إذا حاجةٌ وَلَّتْكَ لا تستطيعها ... فخذ طرفا من غيرها حين تَسْبِقُ[3]

وقول الآخر:

كأنْ لم يكن بَيْنٌ إذا كان بعده ... تلاقٍ ولكن لا إخَالُ تلاقيا[4]

---

(١) الكتاب٣ /٢٠.

(٢) انظر: فهارس كتاب سيبويه: ١١.

(٣) بيت من الطويل، قائله: الأعشى. انظر: ديوانه: (٢٤٧)، وانظر: شرح التسهيل١ /١٩، واللسان: (ولي)، والتذييل والتكميل١ /٨٨، وتمهيد القواعد١ /١٩٠.

(٤) بيت من الطويل، قائله: المجنون كما في سمط اللآلي١ /٢٤١، وجميل ابن معمر كما في كتاب الحماسة لأبي القاسم الفارسي٣ /١٣٠، وشرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء٢ /٨٧٢. ونسب لعبدالله بن الدمينة كما في الحماسة البصرية٣ /١١٧٨. وانظر أيضا في: ديوان جميل المجموع: ٢٢٤، وصلة ديوان ابن الدمينة: ٢٠٦، وديوان المجنون المجموع: ٢٩٣. وانظر دون نسبة في: الحماسة٢ /٩٩، وشرح التسهيل١ /١٩، والتذييل ١ /٨٩، وتمهيد القواعد١ /١٩٠.

وقد جمع الشيخ عضيمة إضافة إلى ما ذكره ابن مالك آيات كثيرة من القرآن الكريم ليست متعينة لنفي المستقبل وإنما هي لنفي الحال أو بمعنى (لم) قائلا: "ونذكر طرفا منها"، ثم ذكر خمسا وسبعين آية.

وهذا مما يؤيد أن ذلك لا يخفى على سيبويه، ولعل هذا ما جعل ابن مالك يقول في ختام حديثه: "على أن كلام سيبويه لو كان صريحا في أن المضارع المنفي بـ(لا) لا يكون إلا مستقبلا لم يجز الأخذ به بعد وجود الأدلة القاطعة بخلاف ذلك"[1].

وأما ما استدل به ابن مالك من أن سيبويه بين في موضع آخر -أيضا- أن (لن) لنفي (سيفعل)[2]، فيلزم من ذلك موافقتها لـ(لا) النافية، ولم يتعرض سيبويه لهذا في باب نفي الفعل= ففيه نظر؛ لأنه يمكن أن يقال: إن سيبويه لا يرى موافقة (لن) لـ(لا) بل يفرق بينهما، لأنه ذكر أن (لا) لنفي المستقبل غير المتصل بـ(السين) أو (سوف)، و(لن) لنفي المستقبل المتصل بهما، أو بمعنى آخر إنه يرى أن (لن) فيها تأكيد للنفي؛ لأنها نفت الفعل المؤكد أو المنصوص على استقباله بالسين. وبهذا يكون هناك مشاكلة بالتأكيد لا بالإعراب بين (سيفعل) أو (سوف يفعل) وبين نفيهما: (لن يفعل)، وإلا فلا يرد ما ذكره ابن مالك -كما سبق- من أن نفي (يفعل) الدال على المستقبل بـ(لا) راجح على نفيه بـ(لن) بحجة المشاكلة في الإعراب بالرفع بين (يفعل) ونفيه (لا يفعل)؛ لأن نفي (سيفعل) أو (سوف يفعل) بـ(لن) يفوت المشاكلة بالرفع -أيضا- إلا إذا قلنا: إن بينهما مشاكلة بالتأكيد لا بالإعراب كما ذكرت.

وكون (لن) لتأكيد النفي هو ما ذهب إليه الزمخشري[3] وجمهور من النحويين[4]، فلا يرد هذا دليلا على الزمخشري ومن يرى رأيه في نص سيبويه.

---

(١) شرح التتسهيل١/٢١.

(٢) حين قال: "و(لن) وهي نفي لقوله: سيفعل". الكتاب ٤ /٢٢٠. وانظر أيضا: ٤ /٢١٧.

(٣) انظر: الكشاف٢/٤٠٤د. والأنموذج ضمن شرحه للأردبيلي: ٢٣٣.

(٤) انظر: شرح الجمل للجرجاني: ١٤٠. وترشيح العلل: (١٧٧). وشرح المقدمة الكافية٣/٨٦٨. ولباب الإعراب للإسفراييني: ٤٤٧. وشرح كافية ابن الحاجب لابن جمعة الموصلي٢/٥٠٧د. وشرح الرضي القسم الثاني٢/٨٤٠. وقال الصبان في حاشيته٣/٢٧٨: "والذين وافقوا الزمخشري كثيرون".

٢- وجه الاستشهاد في قول الشاعر:

كأنـــا يـــوم قُـــرَّى إنْـــ	ـــنَما نقتـــل إيانـــا[1]

ذهب ابن مالك إلى أن هذا البيت شاهد على تعين انفصال الضمير لحصره بـ(إنما)، ثم ذكر أن الزمخشري[2] وهم وذهب إلى أن الشاهد فيه هو وضع الضمير المنفصل ضرورة موضع المتصل، ورد ذلك بأنه لو أوقع المتصل لقال: نقتلنا، فيعمل بذلك الفعل في ضميرين متصلين لمسمى واحد، وهذا لا يجوز إلا في أفعال القلوب، وقد بين ابن مالك أن سبب رأي الزمخشري هذا هو فهمه لنص سيبويه على غير وجهه.

قال ابن مالك: "وغر الزمخشري ذكر سيبويه هذا البيت في باب: (ما يجوز في الشعر من (إيا) و لا يجوز في الكلام)، ثم قال[3]: (فمن ذلك قول حميد الأرقط[4]:

إليـــك حتـــى بلغـــت إياكـــا)[5]

فهذا ونحوه مخصوص بالشعر؛ لأنه لولا انكسار الوزن لقال: حتى بلغتك، ثم ذكر البيت الذي أوله: كأنا، لا لأن ما فيه لا يجوز إلا في الشعر، بل لأن (إيانا) مُوقَعٌ فيه مَوقِع (أنفسنا)، فبينه وبين الأول مناسبة من قبل أن (إيا) في الموضعين واقع موقعا غيره به

---

(١) بيت من الهزج قائله: ذو الإصبع العدواني. انظر: ديوانه: (٧٨)، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت١/٢١٠، وأمالي الشجري١/٥٦، وشرح شواهد سيبويه لابن السيرافي٢/١٢٩، والتخمير ٢/١٤٩، وشرح المفصل لابن يعيش٣/١٠٢. ونسبه سيبويه في الكتاب٢/٣٦٢ لبعض اللصوص، ونسبه ابن جني في الخصائص٢/١٩٦ لأبي بجيلة.

(٢) انظر: المفصل:١٦٧.

(٣) أي: سيبويه.

(٤) بيت من الرجز. انظر: الكتاب٢/٣٦٢، والأصول٢/١٢٠، والخصائص١/٣٠٧، وأمالي ابن الشجري١/٥٨، والإنصاف: (٥٥٩).

(٥) الكتاب٢/٣٦٢. ونصه كاملا: "هذا باب ما يجوز في الشعر من (إيا) ولا يجوز في الكلام. فمن ذلك قول حميد الأرقط...وقال الآخر، لبعض اللصوص:

كأنـــا يـــوم قُـــرَّى إنـــ	ـــنما نقتـــل إيانـــا
قتلنـــا مـــنهمُ كـــل	فتـــى أبـــيض حُـــسَّانا".

أولى. لكن في الثاني من معنى الحصر المستفاد بـ(إنما) ما جعله مساويا للمقرون بـ(إلا)، فحسن وقوع (إيا) فيه كما يحسن بعد (إلا). وهذا مطرد فمن اعتقد شذوذه فقد وهم"[١].

فابن مالك يرى أن سيبويه أورد هذا البيت مستشهدا به على إيقاع (إيا) فيه موقع (أنفسنا) كما وقعت (إيا) في بيت حميد الأرقط السابق موقع الضمير المتصل، لا أن في البيت إيقاعا للمنفصل موقع المتصل كما فهم الزمخشري.

وقد فهم من هذا الشاهد كما فهم الزمخشري جمهور من النحويين كالسيرافي[٢]، وابن السيرافي[٣] (ت ٣٨٥هـ)، وأبي البركات الأنباري[٤] (ت ٥٧٧هـ)، والأعلم[٥]، وابن يعيش[٦] (ت ٦٤٣هـ)، وابن عصفور[٧] (ت ٦٦٩هـ)، وأبي حيان[٨]، ذاكرا بعضهم[٩] أن الذي حسن هذه الضرورة هو عدم إمكان استعمال المتصل لأن الفعل (نقتل) ليس من أفعال القلوب.

وقد سبق الجرجاني[١٠] (ت ٤٧١هـ) ابنَ مالك إلى هذا الرأي، ولكن دون الإشارة إلى نص سيبويه.

وتابع ابنَ مالك في رأيه بعضُ شراح التسهيل[١١]، والرضي[١٢]، والبغدادي[١٣] (ت ١٠٩٣هـ).

---

(١) شرح التسهيل ١/١٤٨-١٤٩.

(٢) انظر: شرحه له ٣/١٤٣ب.

(٣) انظر: شرح أبيات سيبويه ٢/١٠٣.

(٤) انظر: الإنصاف: ٥٥٩.

(٥) انظر: تحصيل عين الذهب: ٢٨٢.

(٦) انظر: شرح المفصل له ٣/١٠٢-١٠٣.

(٧) انظر: شرح الجمل ٢/١٢.

(٨) انظر: التذييل والتكميل ٢/٢١٥-٢١٧.

(٩) انظر: شرح السيرافي ٣/١٤٣ب. وشرح المفصل لابن يعيش ٣/١٠٣.

(١٠) انظر: دلائل الإعجاز: ٣٤٢.

(١١) انظر: شفاء العليل ١/١٩٢، وتمهيد القواعد ٥/٥٢١-٥٢٣، وتعليق الفرائد ٢/٨٣-٨٤.

(١٢) انظر: شرحه القسم الثاني ١/١٤٢ و٢/١٠١٠. وقد وهم البغدادي في الخزانة ٥/٢٨٠ إذ نسب للرضي القول بوصف فصل الضمير بعد (إنما) في بيت ذي الإصبع بالشذوذ، وتابعه في هذا الوهم محقق شرح الرضي عند التعليق على الشاهد وفي طريق كتابة النص في الموضع الأول المشار إليه في هذه الحاشية، مع أن الرضي صرح بجواز ذلك في الموضع الثاني المشار إليه أيضا في هذه الحاشية.

(١٣) انظر: شرح أبيات المغني ٥/٢٥٢.

أما ابن جني وابن الشجري فقد ذهبا إلى أن البيت وارد على الضرورة من باب إيقاع المنفصل موقع المتصل في موضع[1]، وفي موضع آخر[2] ذهبا إلى إجازة فصل الضمير بعد إنما لدلالتها على الحصر، وهذا يناقض ذاك إلا إذا قلنا: إن رأيهما استقر على هذا.

وكون البيت ضرورة لوقوع (إيا) موقع (النفس) لا موقع المتصل هو ما نص عليه بعض شراح الكتاب كالرماني[3]، وابن خروف[4]، والصفار[5] (ت٦٣٠هـ)،كما نص عليه ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ)، لكنه اعتذر للزمخشري قائلا: "أورده على أنه وضع المنفصل موضع المتصل، والقياس أن يقال في مثله: نقتل أنفسنا، فإذن لم يضع (إيا) إلا موضع (النفس)، ولكنه نظر إلى القياس الأصلي المطرح، وهو أن القياس أن يقال: نقتلنا، فكأنه وضع (إيانا) موضع ذلك الضمير"[6].

والذي يظهر لي أن الخلاف في توجيه هذا الشاهد راجع إلى الخلاف في أنه هل يجوز فصل الضمير بعد (إنما)؟ وهذا مبني على الخلاف في أنه هل تفيد (إنما) الحصر أو لا؟

وللإجابة على هذين السؤالين، أقول: فيهما قولان:

الأول: أنه (إنما) يمكن أن تفيد الحصر، وعلى هذا يجب انفصال الضمير بعدها في هذه الحالة، وهذا مذهب الزجاج[7] (ت٣١١هـ)، ووافقه جماعة من النحويين كالفارسي[8] (ت٣٧٧)، وابن جني[9] (ت٣٩٢هـ)، وعبد القاهر الجرجاني[10]، وابن الشجري[11]، وابن مالك كما سبق. ونسب هذا الرأي إلى الكوفيين[12].

---

(١) انظر: الخصائص٢/١٩٦، وأمالي ابن الشجري١/٥٦.

(٢) انظر: المحتسب٢/١٩٥، وأمالي ابن الشجري٢/٥٦٤.

(٣) انظر: شرحه: ٦١٣. رسالة د. سيف العريفي.

(٤) كما نقل عنه أبو حيان في التذييل ٢/٢١٩.

(٥) كما نقل عنه أبوحيان في التذييل٢/٢١٦.

(٦) الإيضاح في شرح المفصل١/٤٦٤.

(٧) انظر: المعاني١/٢٤٣. وانظره منسوبا إليه في: شرح السيرافي٣/١٤٣أ، وشرح الجمل لابن عصفور٢/١١، والتذييل٢/٢١٥.

(٨) انظر: الشيرازيات١/٤٨، ٢٥٣.

(٩) انظر: المحتسب٢/١٩٥.

(١٠) انظر: دلائل الإعجاز: ٣٤٢.

(١١) انظر: أمالي ابن الشجري٢/٥٦٤.

(١٢) انظر: التذييل ٢/٢٢٠، والموفي في النحو الكوفي: ٩٤.

والثاني: أنه لا يمكن أن تفيد الحصر، وعلى هذا فهذه المسألة ليست من مواضع فصل الضمير، وهذا ما جعل النحويين -كما سبق- يصفون البيت بالضرورة فاهمين نص سيبويه بناء على ذلك، وقد نسب إلى سيبويه[1] القول بعدم إفادة (إنما) الحصر، وهو ظاهر نصه السابق. أما الزمخشري فيبدو أنه وهم كما قال ابن مالك؛ لأنه نص على إفادة (إنما) الحصر في الكشاف[2].

وقد استدل[3] أصحاب القول الأول بشاهد سيبويه السابق، وبقول الشاعر:

أنا الفارس الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي[4]

وبأن وجوب الفصل بعد (إنما) بسبب أن العرب عاملت (إنما) معاملة النفي و(إلا)، فكما وجب الفصل هناك، وجب -أيضا- هنا؛ لأن هذا المعنى هو ذاك.

أما أصحاب القول الثاني فقد استدلوا[5] بأنه لو كان الفصل واجبا لم يرد الضمير بعد (إنما) إلا مفصولا كما كان بعد (إلا)، وقد تعددت المواضع في القرآن والشعر وكلام العرب التي لم يرد فيها الضمير بعد (إنما) منفصلا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف:٨٦]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ:٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ [النمل:٩١]، وقوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فعلم بذلك عدم وجوب الفصل. وهذا ما دعا أبا حيان إلى أن يقول: "وما ذهب إليه المصنف من تعيين انفصال الضمير بعد (إنما) خطأ فاحش وجهل بلسان العرب"[6].

والذي يترجح لدي أن (إنما) تفيد الحصر والمحصور بها هو المتأخر لفظا، فإذا حصر بـ(إنما) وجب انفصال الضمير المحصور فيه، لأنك لو وصلت لما فهم والتبس، فقولك: إنما

---

(١) انظر: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/١١، والتذييل والتكميل ٢/٢٢٠، وتعليق الفرائد ٢/٨٤، والتصريح ١/١٠٦.

(٢) انظر: ٤/١٧٠.

(٣) انظر: المعاني للزجاج ١/٢٤٣، وشرح التسهيل ١/١٤٨، والمغني ٤/٨٢، والتصريح ١/١٠٦.

(٤) بيت من الطويل للفرزدق. انظر: ديوانه ٢/٢٠٧، والمعاني للزجاج ١/٢٤٣، والشيرازيات ١/٤٨، ٢٥٣، والمحتسب ٢/١٩٥، والاقتضاب ١/٥٤، وشرح الجمل لابن عصفور ١/١١، وشرح التسهيل ١/١٤٨.

(٥) انظر: شرح الجمل لابن عصفور ٢/١١، والتذييل ٢/٢١٦.

(٦) التذييل ٢/٢٢١.

قمت، موضوعه: لم يقع مني إلا القيام، فلو أردت به على: ما قام إلا أنا، لم يفهم إلا بأن تقول: إنما قام أنا. وقد نص الدماميني[1] (ت ٨٢٧هـ) على أن البيانيين[2] أجمعوا على الحصر بـ(إنما)؛ وقال البغدادي: "والحصر لا يبحث عنه النحاة، فإنه وظيفة علم البيان"[3].

وأما ما استدل به من الآيات السابقة فالرد[4] على الاستدلال بها بأنه لم يقصد بها حصر الفاعل وإنما حصر متعلقات الفعل. ثم إن ابن مالك لم يقل إن (إنما) لا يقع بعدها الضمير إلا منفصلا حتى يرد عليه بوقوعه متصلا، وإنما قال: إن الضمير المحصور بـ(إنما) يجب انفصاله. وهذا ما جعل ناظر الجيش يقول عن أبي حيان: "ويالله العجب من الشيخ، جهل المصنف وخطأه وقوله ما لم يقل"[5].

أما بالنسبة لفهم ابن مالك لنص سيبويه فهو -كما يظهر لي- صحيح من جانب وفيه نظر من جانب آخر. أما كون سيبويه أورد الشاهد على إيقاع (إيا) موقع (أنفسنا) لا موقع المتصل فهذا كلام صحيح وهو رأي الرماني وابن خروف والصفار كما سبق، وأما كونه أورده لمناسبة وقوع (إيا) في البيتين موقعا غيره به أولى وليس لأن ما فيه لا يجوز إلا في الشعر، ففي هذا نظر؛ لأنها دعوى تحتاج إلى دليل لأن نص سيبويه صريح في أن (إيا) واقعة في البيت الذي أورده موقعا لا يقع مثله في السعة، إذ يقال في السعة: نقتل أنفسنا، إلا إذا كان هناك نص آخر لسيبويه يرى فيه أن (إنما) تفيد الحصر وينفصل بعدها الضمير، وهذا ما لم أقف عليه.

ولكن يظهر أن ابن مالك، بالنظر إلى ذكره تعين انفصال الضمير لحصره بـ(إنما) وأنه مطرد ومن اعتقد شذوذه فقد وهم، وبالنظر إلى نص بعض النحويين[6] على أن سيبويه يرى أن انفصال الضمير بعد (إنما) ضرورة= يريد أن يقول: إنه ليس في نص سيبويه ما ينص على أن انفصال الضمير بعد (إنما) ضرورة؛ لأن البيت الذي في نصه له وجه غير هذا.

---

(١) انظر: تعليق الفرائد ٢/ ٨٤.

(٢) انظر: دلائل الإعجاز: ٣٤٢، ومفتاح العلوم: ٤١١، والتلخيص: ٥٠، والإيضاح ٣/ ٢٦، والمطول: ٣٩٢.

(٣) شرح أبيات مغني اللبيب ٥/ ٢٥٢.

(٤) انظر: المغني ٤/ ٨٣-٨٤، وتمهيد القواعد ١/ ٥٢٣، وتعليق الفرائد ٢/ ٨٣-٨٤.

(٥) تمهيد القواعد ١/ ٥٢٣.

(٦) كالسيرافي، والصفار، وابن عصفور، وأبي حيان. انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٣/ ١٤٣ب، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/ ١١، والتذييل ٢/ ٢١٥-٢١٦.

وقد فهم قريبا من هذا الفهم من نص ابن مالك ناظر الجيش[1]، والدماميني[2]، والبغدادي[3] ناصرين رأي ابن مالك بناء على هذا.

وفي هذا تظهر دقة رأي ابن مالك في فهم وتوجيه نص سيبويه وعدم تحميله أكثر مما يحتمل، ولكن عبارته -كما يظهر لي- قصرت دون الوفاء بهذا المعنى. والله أعلم.

٣-عمل المبتدأ النصب في خبره الظرف.

أورد ابن مالك أربعة آراء في ناصب الخبر الظرف في نحو: زيد خلفك، منها رأي ابن خروف الذي ذهب فيه - معتمدا على نص لسيبويه- إلى أن عامل النصب في الخبر الظرف المبتدأ نفسه، ثم اعترض ابن مالك ابن خروف مستعملا أسلوب السبر والتقسيم وذلك بأن يذكر نص سيبويه المختلف فيه، ثم يذكر الأوجه التي يحتملها النص؛ ليخلص -بعد استبعاد ما يثبت استبعاده عنده- إلى ما يرتضيه ويرى أنه أليق بفكر سيبويه النحوي.

قال ابن مالك: "وذهب ابن خروف[4] إلى أن عامل النصب في الظرف المذكور المبتدأ نفسه، وقال: هو مذهب سيبويه، وحمله على ذلك أن سيبويه قال..."[5].

ونص سيبويه الذي اعترض ابن مالك ابن خروف في فهمه هو: "هذا باب ما ينتصب من الأماكن والوقت، وذاك لأنها ظروف تقع فيها الأشياء، وتكون فيها، فانتصب لأنه موقوع فيها ومكون فيها، وعمل فيها ما قبلها. كما أن (العلم) إذا قلت: أنت الرجل علما، عمل فيه ما قبله، وكما عمل في (الدرهم) (عشرون) إذا قلت: عشرون درهما. وكذلك يعمل فيها ما بعدها وما قبلها. فالمكان قولك: هو خلفك وهو قدامك...فهذا كله انتصب على ما هو فيه وهو غيره، وصار بمنزلة المنون الذي يعمل فيما بعده، نحو: العشرين، ونحو قوله: هو خيرا منك عملا. فصار (هو خلفك) و(زيد خلفك) بمنزلة ذلك. والعامل في (خلف) الذي هو [موضع له][6] والذي هو في موضع خبره، كما أنك إذا قلت: عبد الله أخوك، فالآخر قد رفعه الأول وعمل فيه، وبه استغنى الكلام وهو منفصل منه"[7].

---

(١) انظر: تمهيد القواعد١/٥٢١-٥٢٣.

(٢) انظر: تعليق الفرائد٢/٨٣-٨٤.

(٣) انظر: شرح أبيات المغني ٢/٢٥٢.

(٤) انظر: شرح الجمل ١/٣٩٤.

(٥) شرح التسهيل١/٣١٤.

(٦) ورد مكانها في شرح التسهيل: "في موضعه". وسيأتي الحديث عن الفرق بين العبارتين في المعنى.

(٧) الكتاب١/٤٠٣-٤٠٦.

وبعد إيراد نص سيبويه السابق ذكر ابن مالك الأوجه التي يحتملها النص، وهي أربعة[١]:

الوجه الأول: كون الظرف منصوبا بعامل معنوي، وهو حصول المبتدأ فيه، وهذا يؤخذ من قول سيبويه: "فانتصب لأنه موقوع فيها ومكون فيها"، مع كون الظرف -أيضا- مرفوع المحل بالمبتدأ، وهذا مأخوذ من قول سيبويه: "عمل فيها ما قبلها"، وعلى هذا فللظرف عاملان: عامل نصب معنوي وهو الحصول، وعامل رفع بالمحل هو المبتدأ. وقد أبطل ابن مالك هذا الوجه معللا ذلك بأنه لا قائل به، ولأن (الحصول) لو عمل في الظرف العرفي وهو (الخلف) وشبهه لعمل في الظرف اللغوي كالكيس والكوز، فكان يقال: المال الكيس، والماء الكوز، بالنصب، بل الحصول المنسوب إلى الكيس والكوز ونحوهما أولى بالعمل؛ لأنه حصول إحاطة وإحراز، وإذا لم يصلح للعمل وهو أقوى، فغيره بعدم العمل أولى.

الوجه الثاني: كون الظرف منصوبا بالمخالفة، وهو القول المشهور عن الكوفيين[٢]، فإنه يوهمه -كما قال ابن مالك- سيبويه بقوله في الباب المذكور: "فهذا كله انتصب على ما هو فيه وهو غيره". وقد رد ابن مالك هذا الرأي بأربعة أوجه[٣]، ثم رد إمكانية إفهام نص سيبويه هذا -وهذا ما يهمنا- معتمدا على نص سيبويه. قال ابن مالك: "فسيبويه بريء مما عُوِّل عليه وجُنِحَ إليه، لأنه قال حين مثل بظروف بعد مبتدآت: (وعمل فيها ما قبلها)، وهذه عبارة لا تصلح أن يراد بها إلا شيء متقدم على الظرف، والمخالفة بخلاف ذلك، فتيقن أن مراده غير مراد الكوفيين"[٤].

الوجه الثالث: رأي ابن خروف، وهو كون عامل النصب المبتدأ نفسه، وهو رأي جعل ابن مالك احتماله أظهر من الوجهين السابقين، ولعل مرد هذا أن إشارات سيبويه إليه في نصه السابق أكثر وضوحا. ومن تلك الإشارات قول سيبويه في نصه السابق: "عمل فيها ما قبلها"، وقوله: "فهذا كله انتصب على ما هو فيه وهو غيره"، وقوله: "فالعامل في (خلف)

---

(١) انظر: شرح التسهيل١/٣١٤-٣١٦.

(٢) انظر: شرح السيرافي٢/١٣٢أ، والإنصاف: ٢٠٢، وشرح التسهيل١/٣١٣، والتذييل ٤/٥٣.

(٣) انظر هذه الأوجه في: شرح التسهيل١/٣١٣-٣١٤. ولم أشأ تطويل البحث بذكرها؛ لأنها ليست محل نزاع في فهم النص.

(٤) شرح التسهيل١/٣١٥.

الذي هو موضع له والذي هو في موضع خبره". ولكن ابن مالك على الرغم من هذا قال: "وهو أيضا مخالف لمراد لسيبويه...ولو قصد ذلك سيبويه نصا لم يعول عليه، لأنه يبطل من سبعة أوجه..."[1]. ثم ذكر هذه الأوجه السبعة التي تبطل القول بهذا الرأي سواء قال به سيبويه أو لم يقل. ولكن دون أن يبين فيها مخالفة ذلك لمراد سيبويه من نصه، لأن هذا ما سيبينه في الاحتمال الرابع.

الوجه الرابع: كون الظرف المذكور منتصبا بـ(مستقر) أو (استقر). قال ابن مالك: "وكلام سيبويه قابل لاستنباط ذلك منه، لأنه قال قاصدا الظروف الواقعة بعد المبتدأ: (وعمل فيها ما قبلها)"[2]. ولما كان قول سيبويه هذا يحتمل رأي ابن خروف السابق، قارن ابن مالك بين الاحتمالين مبينا أن الاحتمال الأول وهو رأي ابن خروف يفضي إلى المحذورات التي أبطلت بالأوجه السبعة المشار إليها، وهذا الاحتمال لا يفضي فكان أولى بمراد سيبويه. ثم استدل على ما يؤيد هذا الرأي من نص سيبويه قائلا: "ويؤيد أولويته في إرادته أنه شبه ناصب الظرف بما نصب التمييز في قوله: خير عملا، وناصب التمييز خبر لا مبتدأ، فينبغي أن يكون ناصب الظرف خبرا لا مبتدأ، فإن ذلك أليق بالنظير"[3]. واستدل[4] على ذلك –أيضا– بقول سيبويه في نصه: "فهذا كله انتصب على ما هو فيه وهو غيره"، موجها هذا بأن معناه: ما هو في الظرف غير المبتدأ، وبذلك فالضمير (هو) يعود إلى هذا الذي قدره ابن مالك من الاستقرار المحذوف، والهاء في (فيه) تعود إلى الظرف، والضمير الثاني (هو) يعود إلى ما عاد إليه الأول، والهاء في غيره تعود إلى المبتدأ. ثم ذكر أنه لا يصح أن يعود الضمير (هو) إلى المبتدأ، والهاء في (غيره) إلى الظرف، لأن الإعلام بذلك إعلام بما لا يجهل، بخلاف الإعلام بأن ثم مقدرا هو غير المبتدأ وعامل في الظرف، فإن الحاجة إليه داعية[5].

ومما يجب التنبيه إليه قبل مناقشة ابن مالك في فهمه واعتراضه أن أذكر أنه مسبوق في اعتراض ابن خروف، فقد اعترضه قبله شيخه ابن عمرون[6] (ت ٦٤٩هـ)، وأن أذكر أن

---

(١) انظر هذه الأوجه في: شرح التسهيل١/٣١٥. وانظر رد أبي حيان عليها في: التذييل ١/٣٥ د-٤٤ د. ولم أشأ –أيضا– تطويل البحث بذكرها لأنها ليست محل نزاع في فهم النص.

(٢) شرح التسهيل١/٣١٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) كما نقل عنه ناظر الجيش في تمهيد القواعد٢/١٠٠٢-١٠٠٣.

ابن خروف مسبوق في هذا الرأي، فقد ذهب إليه وإلى نسبته إلى سيبويه قبله ابن أبي العافية[1] (ت ٥١٩هـ)، وابن الطراوة[2] (ت ٥٢٨). كما نص ابن خروف نفسه فيما نقل عنه أبوحيان[3] و الشاطبي[4] أن هذا مذهب متقدمي البصريين.

وقد تابع ابن خروف في رأيه الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)[5].

أما ما ذكره ابن مالك من احتمالات فقد سبقه السيرافي[6] إلى الثاني والثالث والقول بالرابع ولكن دون التكلف في الرد وتحميل نص سيبويه ما لا يحتمل كما سأذكر.

وأما بالنسبة لما ذكره ابن مالك في هذه الاحتمالات -كما سبق- فلي معه وقفات:

الوقفة الأولى: قوله في الوجه الأول أنه يفهم من قول سيبويه: "فانتصب لأنه موقوع فيها ومكون" أن الظرف منصوب بعامل معنوي، وهو حصول المبتدأ فيه= فيه نظر؛ لأن هذا تعليل للنصب وليس بيانا للعامل فيه، فسيبويه يريد أن يقول: نصب لأنه ظرف، كما تقول مثلا: هذا منصوب لأنه مفعول به، ولم يقل أحد أن عامل النصب في المفعول به هو وقوع الفعل به. ونص سيبويه هذا كنصه في المبتدأ حين قال: "فأما الذي يبنى عليه شيء هو هو فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولك: عبد الله منطلق، ارتفع (عبد الله) لأنه ذكر ليبنى عليه (المنطلق)، وارتفع (المنطلق) لأن المبني على المبتدأ بمنزلته"[7]. فسيبويه -كما هو ظاهر من نصه- بعد أن ذكر أن العامل في المبتدأ الابتداء وفي الخبر المبتدأ قال: "وارتفع (المنطلق)..."، فلو فهم من تعليله بيان العامل -أيضا- لقلنا: إن الخبر يرتفع بالابتداء. ولم يشر ابن مالك إلى هذا عند الحديث عن العامل في المبتدأ والخبر على الرغم من إيراده نص سيبويه هذا، بل الذي ذكره هناك أن نص سيبويه هذا صريح بأن المبتدأ مرفوع بالابتداء وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ[8].

---

(١) كما نسب إليه في: التذييل ٥٠/١، والمساعد ٢٣٦/١، والهمع ٢١/٢.

(٢) كما نسب إليه في: شرح الصفار ٣٦٤/١.

(٣) انظر: التذييل ٥٠/٤.

(٤) انظر: المقاصد الشافية ٨/٢-٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) انظر: شرحه ١٣١/٢أ و١٣٣أ و ب.

(٧) الكتاب ١٢٧/٢.

(٨) انظر: شرح التسهيل ٢٦٩/١-٢٧٠.

الوقفة الثانية: ترجيحه في الوجه الرابع أولوية أن الظرف منتصب بـ(مستقر) أو (استقر) لتشبيه سيبويه ناصب الظرف في (زيد خلفك) بناصب التمييز في قوله: "خير عملا". وناصب التمييز خبر فناسب -كما ذكر- أن يكون عامل الظرف خبرا ليكون التنظير أليق= فيه نظر؛ لأن ذلك غير لازم فقد شبهه سيبويه -أيضا- بنصب الدرهم بالعشرين. ولا يلزم أن يكون (الدرهم) خبرا.

الوقفة الثالثة: توجيهه في الوجه الرابع قول سيبويه: "فهذا كله انتصب على ما هو فيه وهو غيره" بأن يكون الضمير (هو) الأول والثاني عائد إلى المستقر المقدر. والهاء في (فيه) عائدة إلى الظرف. والهاء في (غيره) عائدة إلى المبتدأ. وأنه لا يجوز أن يعود الضمير (هو) إلى المبتدأ. والهاء في (غيره) إلى الظرف بحجة أن هذا إعلام بما لا يجهل، بخلاف الإعلام بأن هناك مقدرا هو غير المبتدأ وعامل في الظرف فإن الحاجة إليه داعية= فيه نظر؛ لأنه ظاهر التكلف، بل ما رده هو المتبادر للذهن والقريب منه عند قراءة نص سيبويه، وبه قال السيرافي[1]. فيكون المعنى: فهذا انتصب على الاسم الذي هو فيه، أي: في الظرف، وهو، أي: الاسم غيره أي: غير الظرف. وأما حجة أن هذا إعلام بما لا يجهل فيمكن أن يرد عليه بأن سيبويه ذكر هذا ليبين أن عمل المبتدأ في هذا القسم، وهو ما لم يكن المبتدأ هو الخبر في المعنى، النصب. كما بين في نص سابق أن عمل المبتدأ في الخبر الرفع إذا كان المبتدأ هو الخبر في المعنى، حين قال: "واعلم أن المبتدأ لا بد له من أي يكون المبني عليه شيئا هو هو. أو يكون في مكان أو زمان...فأما الذي يبنى عليه شيء هو هو فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولك: عبدالله منطلق"[2].

الوقفة الرابعة: قول ابن مالك: "وقال [أي سيبويه]: (والعامل في (خلف) الذي هو في موضعه)"[3] مخالف لنص سيبويه كما في طبعة هارون وبولاق وشرح السيرافي، وقد سبق ذكر النص فيهما وهو: "والعامل في (خلف) الذي هو موضع له"[4]. ولا شك أن الفرق واضح بين العبارتين، فعبارة سيبويه كما وردت في شرح التسهيل تخدم مراد ابن مالك؛ لأن فيها تصريحا بأن العامل في (خلف) مستقر أو نحوه؛ لأنه قال: "الذي (خلف) في موضعه".

---

(١) انظر: شرحه٢/١٣٣ب.

(٢) الكتاب٢/١٢٧.

(٣) شرح التسهيل١/٣٢٤.

(٤) الكتاب١/٤٠٦، و٢/٢٠٢ (بولاق)، وشرح السيرافي٢/١٣٣أ.

والذي (خلف) في موضعه هو الخبر وهو الاستقرار المحذوف. أما العبارة في طبعة هارون وبولاق وفي شرح السيرافي فليست كذلك؛ لأن قوله: "الذي هو موضع له" تعني الذي (خلف) موضع له، والذي (خلف) موضع له هو المبتدأ، وقد يراد به الاستقرار المحذوف إن دل على ذلك دليل يخرج النص عن ظاهره، وهذا ما لم يأت به ابن مالك.

والذي يدل على أن العبارة الصحيحة هي ما ورد في طبعة هارون وبولاق وشرح السيرافي هو أن العبارة التي أوردها ابن مالك لا تستقيم مع ما بعدها، وهي قول سيبويه: "الذي هو في موضع خبره"؛ لأنه بناء على توضيح ابن مالك لمراجع الضمير في قول سيبويه السابق: "على ما هو فيه وهو غيره" -كما سبق في الوقفة الثالثة- لا يمكن أن تعود الهاء في (خبره) من نص سيبويه هذا إلى المبتدأ؛ لأنه لا ذكر له سابق، فلم يبق إلا أن تعود إلى (العامل) أو (خلف) في النص، وهذا محال ظاهر.

ولا شك بعدما سبق أن كلام ابن مالك ظاهر التكلف والتحميل لنص سيبويه بما لا يحتمل. وليس التكلف -في نظري- عند ابن مالك في ترجيح كون الظرف يتعلق بمستقر محذوف، ولكن التكلف في إصراره على جعل هذا مقصد سيبويه مع تبرئة نصه مما سواه، مع أن النص ملبس. وقد نص على هذا السيرافي حين قال: "وفي كلام سيبويه ما ظاهره ملبس...فإن بعض هذه العبارة إيهام لمذهب الكوفيين، وفي بعضها ما يوهم أن المبتدأ هو الذي نصب الظرف"[1]. كما قال الشاطبي معلقا على رأي ابن خروف: "وكأنه استنبطه من كلام سيبويه بل هو كالنص...في باب ما ينتصب من الأماكن والوقت"[2]. ومما يؤيد أن هذا النص ملبس أن لسيبويه نصا آخر ظاهره موهم أن الابتداء هو عامل النصب في الخبر الظرف كما أنه يعمل الرفع في الخبر غير الظرف، وهو قوله: "واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء، وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ"[3]. فقد فهم بعض الشراح كالقرطبي[4] والأعلم[5] من نص سيبويه هذا أن الابتداء يعمل الرفع والنصب، في حين أن بعضهم كالسيرافي[6] والصفار[7] لم يفهما هذا من ذلك بل فهما أن قوله: "سوى الابتداء"، مستثنى من الرفع فقط؛ لأنه لا ابتداء ناصب. أما ابن

---

(١) شرح السيرافي ٢/١٣٢أ. و١٣٣أ.
(٢) المقاصد الشافية ٢/٨.
(٣) الكتاب ١/٢٣.
(٤) انظر: شرح عيون كتاب سيبويه: ٣٩.
(٥) انظر: النكت ١/١٩٩.
(٦) انظر: شرحه ١/٩٤ب.
(٧) انظر: شرحه ١/٣٦٤-٣٦٦.

الطراوة[1] فقد فهم من هذا النص أن المقصود بالابتداء المبتدأ، وهو يعمل النصب في نحو: زيد خلفك. وزعم أن هذا مذهب سيبويه، وبهذا سبق -كما أشرت- ابن خروف في هذا الرأي ونسبته إلى سيبويه.

والذي يظهر لي أن توجيه السيرافي لنص سيبويه هو الأقرب والأسهل والذي ليس فيه تحميل لنص سيبويه أكثر مما يحتمل، وذلك لأنه بعد أن نص على إجماع البصريين على أن (خلفك) في نحو: زيد خلفك، متعلق بمحذوف هو الخبر، وبعد أن اعترف - كما سبق - بأن نص سيبويه ملبس، قال: "ومراد سيبويه على ما ينتظم من مذهبه أن الذي ظهر دل على المحذوف، فناب عنه...وإنما مثله بقوله: أنت الرجل علما وعشرون درهما؛ لأن (الرجل) إنما ينصب (علما) إذا كان بتقدير: كامل ونحوه مما هو بمعنى الفعل، وكذلك عشرون درهما، يقدر نصبه على مذهب: ضاربين زيدا ونحوه من التقدير، وكذلك زيد خلفك بمعنى: استقر، فكأن اشتراكها في نصب ما بعدها لاشتراك جميعها في تقدير ناصب لما بعدها من طريق المعنى والتشبيه"[2].

وبهذا فالقول: إن سيبويه يرى أن الناصب لـ(خلفك) في المثال السابق الاستقرار المحذوف ليس مأخوذا من تأويل نصه السابق فقط، ولكن على ما ينتظم من مذهبه كما ذكر السيرافي، وذلك بالجمع بين نصوص سيبويه.

ومما يؤيد هذا أن سيبويه قال في موضع آخر: "وذلك أنك إذا قلت: فيها زيد، فكأنك قلت: استقر زيد فيها وإن لم تذكر فعلا، وانتصب بالذي هو فيه كانتصاب الدرهم بالعشرين"[3]. وقال -أيضا- عن (فيها) في نحو: إن فيها عبد الله قائما: "وليست (فيها) بنفس عبد الله كما كان هذا نفس عبد الله، وإنما هي ظرف لا تعمل فيها (إن)، بمنزلة (خلفك)، وإنما انتصب (خلفك) بالذي فيه"[4].

فبالجمع بين هذه النصوص المتفرقة السابقة نستطيع أن نصل إلى رأي سيبويه، ولعل هذا ما جعل ابن عمرون -فيما نقل عنه ناظر الجيش- يقول: "والذي يدفع عن سيبويه ما

---

(١) انظر نسبة ذلك له في المصدر السابق.

(٢) شرح السيرافي ٢/١٣٢أ.

(٣) الكتاب ٢/٨٧.

(٤) الكتاب ٢/١٣٢.

توهمه ابن خروف قول سيبويه في بعض أبواب الكتاب: (وإنما ينتصب خلفك بالذي هو فيه)...ومعلوم أن الذي هو فيه (استقر) أو (مستقر)"[1].

وهذا لا يدفع أن نص سيبويه السابق ملبس وأن من فهم منه أنه يرى أن الناصب للظرف المبتدأ غير مقول له بغير ما قال. وهذا ما جعلني أصف محاولة ابن مالك في توجيه نص سيبويه بالتكلف؛ لأنه اعتسف في التوجيه مقتصرا على نص سيبويه السابق وحده، ولو أنه توصل إلى ما توصل إليه بالجمع بين نصوص الكتاب كما فعل السيرافي وابن عمرون، وكما فعل هو في مواضع من توجيه نصوص سيبويه لما وصفناه بالتكلف.

ولكن يبدو أن ابن مالك تكلف في هذا؛ لرده هذا المذهب سواء قال به سيبويه أو لم يقل، كما نص على ذلك فيما سبق، فأراد أن يوجه نص سيبويه ما استطاع؛ لكيلا لا يكون مخالفا له.

٤-اسم (لا) النافية للجنس المفرد بين البناء والإعراب.

ذكر ابن مالك أن أبا إسحاق الزجاج والسيرافي ذهبا إلى أن فتحة (رجل) في نحو: لا رجل في الدار فتحة إعراب، وأن التنوين حذف للتخفيف، كما ذكر أنهما نصا على أن ذلك مذهب سيبويه اعتمادا على فهمها لنص له، ثم اعترضهما ذاهبا إلى أن اسم (لا) مبني، ومعتمدا على نص آخر لسيبويه في هذا لا يقبل الاحتمال كما عبر.

أما نص سيبويه الذي اعتمد عليه السيرافي والزجاج فهو قوله: "و (لا) تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين، ونصبها لما بعدها كنصب (إن) لما بعدها. وترك التنوين لما تعمل فيه لازم؛ لأنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد نحو: خمسة عشر"[2].

فقد فهم السيرافي من هذا النص كما نقل عنه ابن مالك، حيث قال في شرحه على الكتاب: "والذي عندي أن الفتحة في الاسم بعد (لا) إعراب، وهو مذهب سيبويه؛ لأنه قال: (ونصبها لما بعدها كنصب (إن) لما بعدها. وترك التنوين لما تعمل فيه لازم"[3].

ويبدو أن السيرافي ذهب إلى ذلك؛ لأنه رأى سيبويه قد شبه عمل (لا) بعمل (إن)، وعمل (إن) النصب وهو إعراب، كما رأى سيبويه عبر بالنصب، والنصب من المصطلحات التي تستعمل للمعربات عند البصريين[4].

---

(١) تمهيد القواعد ٢/١٠٠٢-١٠٠٣.

(٢) الكتاب ٢/٢٧٤.

(٣)٣/٨٣أ.

(٤) انظر: شرح الرضي القسم الثاني١/١١١.

وقد نقل السيرافي قول الزجاج الذي أشار إليه ابن مالك، مع اعتذار الزجاج لتشبيه سيبويه (لا) مع اسمها بـ(خمسة عشر). قال السيرافي: "قال أبو إسحاق الزجاج: ليست مبنية، وإنما شبهها بـ(خمسة عشر) -يعني سيبويه- لأنها لا تفارق ما تعمل فيه، كما أن (خمسة) لا تفارق (عشر)"[1].

وقد تابع الزجاج والسيرافي في هذا الفهم بعض النحويين كالباقولي[2] (ت ٥٤٣هـ)، وابن الخباز[3] (ت ٦٣٧هـ).

وأما نص سيبويه الآخر الذي اعتمده ابن مالك في الاعتراض فقد أورده ضمن قوله: "والعجب من الزجاج والسيرافي في زعمهما أن ما ذهبا إليه من أن فتحة (لا رجل) وشبهه فتحة إعراب، هو مذهب سيبويه؛ استنادا إلى قوله في الباب الأول من أبواب (لا)...وغفلا عن قوله في الباب الثاني: (واعلم أن المنفي الواحد إذا لم يل (لك) فإنما يذهب منه التنوين كما أذهب من (خمسة عشر)، لا[4] كما أذهب من المضاف)[5]. فهذا نص لا احتمال فيه"[6].

فمراد ابن مالك أنه إذا كان نص سيبويه السابق يحتمل إعراب اسم (لا) لتعبيره بالنصب وتشبيهه عمل (لا) بعمل (إن)، فإنه في هذا النص قد صرح بأن حذف التنوين من اسم (لا) كحذف التنوين من (خمسة عشر)، لا كحذفه من المضاف، وهذا نص - لا احتمال فيه- على أن حذف التنوين فيه إنما سببه البناء لا التخفيف[7].

وقد فهم الفارسي[8] والرماني[9] أن اسم (لا) مبني من نص سيبويه نفسه الذي اعتمد عليه الزجاج والسيرافي معتمدين على أن سيبويه شبه (لا رجل) بـ(خمسة عشر)، الأمر الذي اعتذر عنه الزجاج كما سبق. وبهذا يكونان قد سبقا ابن مالك إلى هذا الفهم.

---

(١) شرحه ٣/٨٢ب.

(٢) انظر: شرح اللمع ١/٤٠٠-٤٠١.

(٣) انظر: توجيه اللمع: ١٥٨.

(٤) سقطت (لا) من مطبوعة الكتاب، والصواب إثباتها؛ لأن المعنى يطلبها، وهي كذلك في طبعة بولاق ١/٣٤٨، وشرح السيرافي ٣/٨٥ب.

(٥) الكتاب ٢/٢٨٣.

(٦) شرح التسهيل ٢/٥٨.

(٧) انظر: التذييل ٥/٢٤٩.

(٨) انظر: التعليقة ٢/٢٢-٢٣.

(٩) انظر: شرحه: ٣٤٢، ٣٤٥ رسالة الدكتور سيف العريفي. وقد نسب أبو حيان للرماني في التذييل ٥/٢٤٩ القول بالإعراب.

وتابع ابن مالك ومن سبقه في هذا الفهم الرضي[1].

والذي يظهر لي أن ما ذهب إليه ابن مالك -تابعا الفارسي والرماني- هو الفهم الصحيح، وذلك لما يلي:

١. صراحة نص سيبويه الذي ساقه ابن مالك في أن حذف التنوين من اسم (لا) سببه البناء.
٢. أن لسيبويه نصا آخر نص فيه على أن اسم (لا) المفرد النكرة بمنزلة المنادى المفرد المعرفة[2].
٣. أن الأخفش[3] قصد بمصطلح النصب أو الفتح بغير تنوين البناء؛ لأنه ذكره في أول حديثه عن (لا)، ثم صرح بالبناء، وكذلك فعل المبرد[4]. وهذا يقوي أنه مراد سيبويه، أيضا.
٤. أن تعبير سيبويه بالنصب لا يعني الإعراب؛ لأنه كثيرا ما يخلط بين ألقاب الإعراب والبناء، وقد أشار إلى هذا الخلط عنده وعند المبرد الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة في هامش المقتضب[5].
٥. أن تشبيه سيبويه (لا) بـ(إن) لا يعني أن تعمل (لا) في الاسم فتنصبه، لأن التنوين ليس من عمل (إن)، وإنما هو شيء يستحقه الاسم في الأصل[6].
٦. أن القول بأنه معرب بلا تنوين مخالف للنظائر، فإن التنوين لا يحذف إلا لمنع الصرف، أو للإضافة، أو لدخول اللام، أو لكونه في علم موصوف بـ(ابن) مضاف إلى علم، أو لملاقاة ساكن، أو لوقف، أو لبناء. ولما انتفى عن اسم (لا) جميع ما سبق قبل البناء تعين كونه مبنيا[7].

٥- (زيد) في نحو: أزيد قام، بين ترجيح الفاعلية أو الابتدائية أو احتمالهما.

نقل ابن مالك عن السيرافي أنه فهم من كلام لسيبويه أن (زيدا) في نحو: أزيد قام يحتمل كونه مرفوعا على الابتدائية أو الفاعلية، فاعترضه قائلا: "وذكر السيرافي أن

---

(١) انظر: شرح الرضي القسم الأول٢/٨١٤-٨١٥.
(٢) انظر: الكتاب٢/٢٨٨.
(٣) انظر: المعاني١/٢٤-٢٥.
(٤) انظر: المقتضب٤/٣٥٧، ٣٦٠.
(٥) انظر: المقتضب١/٤-٥.
(٦) انظر: الإنصاف: ٣١٣.
(٧) انظر: شرح التسهيل٢/٥٨.

الفاعلية في نحو: أزيد قام؟ راجحة على الابتداء عند الأخفش. مرجوحة عند الجرمي (د د٢هـ). وفي قول سيبويه احتمال. كذا زعم السيرافي. وليس كما زعم. بل صرح برجحان[1] الفاعلية؛ فإنه قال: (وتقول أعبد الله ضرب أخوه زيدا. لا يكون إلا الرفع؛ لأن الذي من سبب (عبدالله) فاعل. والذي ليس من سببه مفعول. فيرفع إذا ارتفع الذي من سببه كما ينصب إذا انتصب. ويكون المضمر ما يرفع كما أضمرت في الأول ما ينصب. فإنما جعل هذا المضمر[2] بيان ما هو مثله)[3]. هذا نصه. فبان به خلاف ما زعم السيرافي"[4].

وقبل أن أناقش فهم ابن مالك لنص سيبويه لا بد من تحقيق نصه هو. فهل الأولى فيه كلمة (رجحان) كما وردت في النسختين الأخريين غير الأم التي اعتمد عليها المحققان. وكما ورد –أيضا– في شروح التسهيل: التذييل[5] والمساعد[6] وتمهيد القواعد[7]. أو أن الأولى (وجوب) كما أثبت محققا شرح التسهيل في المتن من النسخة الأم التي اعتمدا عليها؟

قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن كلمة (وجوب) هي الأولى؛ لأن نص سيبويه الذي نقله ابن مالك يحتمل ذلك. وسيأتي توضيح هذا. ولكن الذي يقطع بأن (رجحان) في نص ابن مالك أولى من (وجوب) أن ابن مالك نفسه قال بعد ذلك مباشرة: "ولم يجز سيبويه في نحو: أزيد ذهب به إلا الرفع بالابتداء أو بفعل مضمر"[8]. فلو كان الذي في نص ابن مالك (وجوب) لتناقض كلامه؛ لأنه لا فرق بين (أزيد قام) و(أزيد ذهب به). بدليل أن سيبويه نفسه لم يفرق بينهما. إذ قال: "فإن قلت: أزيد ذهب به أو أزيد انطلق به. لم يكن إلا رفعا؛ لأنك لو لم تقل (به) فكان كلاما لم يكن إلا رفعا. كما قلت: أزيد ذهب أخوه؛ لأنك لو

---

(١) في المطبوع اختار المحققان كلمة (وجوب) الواردة في النسخة الأم التي اعتمدوا عليها. وأشارا إلى أنه جاء في النسختين الأخريين: (رجحان). والصواب ما أثبت. وستأتي مناقشة ذلك.

(٢) في الكتاب طبعة هارون١/ ١٠٢–١٠٣. وطبعة بولاق١/د٢–د٣ وردت كلمة (المظهر) بدل (المضمر). ويستقيم المعنى بكليهما. وقد أشار السيرافي إلى هذا. انظر: شرحه١/ ٢١٠أ.

(٣) الكتاب١/ ١٠٢–١٠٣.

(٤) شرح التسهيل٢/ ١٤٦–١٤٧.

(د) انظر: ٦/ ٣د٠.

(٦) انظر: ١/ ٤٢٠.

(٧) انظر: ٤/ ١٧٠٤.

(٨) شرح التسهيل٢/ ١٤٧.

قلت: أزيد ذهب لم يكن إلا رفعا"[1]. ثم إن سيبويه لم ينص على جواز الرفع بالابتداء أو بفعل مضمر، وإنما عبر في هذا النص كما في النص الأول الذي اعتمد عليه ابن مالك، فكيف فهم ابن مالك من هذا جواز الوجهين، ومن ذاك وجوب الرفع على الفاعلية، لوكان يرى أن نص سيبويه يدل على وجوب الفاعلية؟

ومما يؤيد هذا أن شراح التسهيل[2] نقلوا نص ابن مالك هذا وفيه (رجحان) بدل (وجوب)، فلو كان فيه ما فيه لما تركوه، وبخاصة أبا حيان الذي تعقب ابن مالك ديدنه.

فإذا تقرر هذا قلنا: لم ينص ابن مالك على وجه الاستشهاد في نص سيبويه الذي أورده وذكر قبل إيراده أن سيبويه صرح فيه برجحان الفاعلية، ولكن يظهر أنه فهم أن سيبويه في نصه هذا فسر رفع (عبدالله) في المثال الوارد فيه على أنه فاعل مرفوع يفسره المذكور، وذلك لأن قوله: "فإنما جعل هذا المضمر بيان ما هو مثله" صريح في أن العامل في (عبدالله) في المثال المذكور فعل، لأن سيبويه يريد أن يقول: إن هذا الفعل المضمر مُبَيَّنٌ مما هو مثله، والذي مثله في مثال سيبويه فعل.

فلما رأى ابن مالك سيبويه قد فسر رفع (عبدالله) على أنه فاعل بفعل يفسره المذكور، ورآه في نصوص أخرى سبقت هذا النص قد أشار إلى جواز ابتداء الأسماء بعد همزة الاستفهام، وإلى أن الأرجح أن يليها الأفعال =فهم من ذلك رجحان الفاعلية، وخص هذا النص بالاستشهاد، لأن سيبويه صرح فيه بكون المرفوع فاعلا عند تفسير المثال، ففهم من هذا التصريح أنه رجحان.

أما بالنسبة للسيرافي فلم يكن هذا النص الذي أورده ابن مالك غائبا عنه، فلقد أورده ورأى أن كلام سيبويه ليس فيه نص على نوع رفع (عبدالله) فيه، لأن المضمر يحتمل أن يكون الابتداء ويحتمل أن يكون فعلا. قال: "وقول سيبويه...يحتمل هذين الوجهين، إن شئت قدرت الابتداء وإن شئت قدرت فعلا"[3].

وقد تابع السيرافي في احتمالية الوجهين في نحو: أزيد قام، ابن يعيش[4]، وابن الحاجب[5].

---

(١) الكتاب١/١٠٤.

(٢) انظر: التذييل ٦/٣٥٠، والمساعد١/٤٢٠، وتمهيد القواعد٤/١٧٠٤.

(٣) السابق.

(٤) انظر: شرح المفصل ٢/٣٥.

(٥) انظر: شرح المقدمة الكافية٢/٢٧٢.

أما الرماني[1] فمع إجازته لهما جعل رفع (عبدالله) على الفاعلية في المثال الذي في نص سيبويه هو المختار؛ لأن حرف الاستفهام بالفعل أولى.

وهذا ما اختاره الرضي[2] ناسبا إياه إلى سيبويه والجرمي، ووافقه في الاختيار الشاطبي[3].

والذي يظهر لي أن سيبويه يرى أن (زيدا) في نحو: أ زيد قام، راجح الرفع على الفاعلية مع جواز الابتداء، ليس فهما من النص الذي أورده ابن مالك معترضا السيرافي فيه فقط، وإنما منه مع غيره. وبيان ذلك أن سيبويه[4] أجاز مجيء الجملة الاسمية بعد حروف الاستفهام، ولكن ذكر أن الفعلية أرجح لأنها الأصل. وجعل تقديم الاسم على الفعل في نحو: هل زيد قام أو هل زيدا رأيته، قبيحا في حروف الاستفهام ما عدا الهمزة، فإن ذلك جائز فيها خاصة. وقال –أيضا–: "وأما الألف فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز...ويختار فيها النصب؛ لأنك تضمر الفعل فيها، لأن الفعل أولى إذا اجتمع هو والاسم...إلا أنك إن شئت رفعت فيها...والرفع فيها على الجواز"[5].

وأما قول السيرافي: إن نص سيبويه ليس فيه نص على نوع رفع (عبدالله)، وقول ابن مالك أن نصه صريح في رجحان الفاعلية= ففيهما نظر؛ لأن الذي يبعد قول السيرافي هو تعبير سيبويه بالإضمار فهو يمكن أن يكون نصا؛ لأن الابتداء ليس شيئا يمكن إظهاره حتى يضمر بخلاف الفعل، ولأن الذي يبعده ويبعد رأي ابن مالك هو أننا لو أردنا فهم نص سيبويه السابق بقطع النظر عما سواه، كما يدل عليه شرحهما، لما فهمنا منه –كما ذكرت فيما سبق– إلا إيجاب الرفع على الفاعلية. وأما إذا جمعنا هذا النص مع غيره من نصوص سيبويه في أبواب الاشتغال والتي ذكرنا أمثلة منها، فإن رجحان الفاعلية مع جواز الابتداء هو الذي نفهمه من هذا النص. فلعل هذا ما دعا ابن مالك إلى هذا الاعتراض، ولكنه لم يشر إلى ذلك.

---

(١) انظر: شرحه ٣١٣/١. تحقيق: شيبة.

(٢) انظر: شرح الرضي القسم الأول ٣٢/١د.

(٣) المقاصد الشافية ٧٦/٣–٧٧.

(٤) انظر: الكتاب ٩٨/١–٩٩.

(٥) انظر: الكتاب ٩٩/١–١٠٠.

٦- حكم إضمار عامل المنصوب في: انته أمرا قاصدا.

ذهب الزمخشري إلى أن (أمرا) في المثال السابق مفعول به لفعل لازم إضماره، مثله مثل قوله تعالى: ﴿انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء:١٧١]. قال: "ومن المنصوب باللازم إضماره...قولهم: انته أمرا قاصدا؛ لأنه لما قال: انته، علم أنه محمول على أمر يخالف المنهي عنه. قال الله تعالى: ﴿انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء:١٧١] "[١].

وقد بين ابن مالك أن هذا المثال ليس من المنصوب باللازم إضماره، بل من الجائز؛ لأنه ليس جاريا مجرى المثل في كثرة الاستعمال، نحو: هذا ولا زعماتك، وكليهما وتمرا، وحسبك خيرا لك،ونحو ذلك، ثم اعترض الزمخشري ووصف ما ذهب إليه بالغفلة عن كلام سيبويه؛ لأن سيبويه ذكر هذا المثال بعد أمثلة التزم إضمار ناصبها، لكنه بعد ذلك بقليل نص على أنه يجوز إظهاره. قال ابن مالك: " فإن كان الذي اقتصر فيه على المفعول مثلا أو جاريا مجرى المثل في كثرة الاستعمال امتنع الإظهار ولزم الاقتصار...وقد غفل الزمخشري عن كلام سيبويه فجعل (انتهوا خيرا لكم) و(انته أمرا قاصدا) سواء"[٢]. وقال في موضع آخر معترضا غير الزمخشري: "وقد حكم بعض المتأخرين بمنع النصب أخذا بظاهر قوله الأول، ولو قرأ ما بعده من كلام سيبويه لم يقع فيما وقع. ومثل هذا اتفق للزمخشري في: (انته أمرا قاصدا)، حين جعله من المنصوبات باللازم إضماره، لأن سيبويه ذكر بعده أمثلة التزم إضمار ناصبها، ثم بين بعد ذلك بقليل أن الذي نصب (أمرا قاصدا) يجوز إظهاره، وغفل الزمخشري عن ذلك فاعتقد ما ليس بصواب"[٣].

ونص سيبويه الذي يشير إليه ابن مالك هو في باب: (هذا باب يحذف من الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل)[٤]. وقد بدأ فيه سيبويه بسرد الأمثلة إذ قال: "وذلك قولك: هذا ولا زعماتك، أي: ولا أتوهم زعماتك..."[٥]، إلى أن قال: "ومما ينتصب في هذا الباب على إضمار الفعل المتروك إظهاره: "انتهوا خيرا لكم"، ووراءك أوسع لك، وحسبك خيرا لك"[٦]، ثم قال: "ونظير ذلك في الكلام قوله: انته أمرا قاصدا، فإنما قلت: انته وائت أمرا قاصدا، إلا أن هذا يجوز لك فيه إظهار الفعل"[٧].

---

(١) المفصل: ٧٣.
(٢) شرح التسهيل٢/١٥٨-١٥٩.
(٣) السابق٢/٢٥٨.
(٤) الكتاب١/٢٨٠.
(٥) السابق.
(٦) السابق١/٢٨٢.
(٧) السابق١/٢٨٤.

ولا شك أن الفارق بين لازم الإضمار وجائزه كثرة الاستعمال، وإلا فالأمثلة التي أوردها سيبويه في هذا الباب لا تختلف عن هذا المثال في المعنى، ولعل هذا ما جعل الرضي يقول عن سيبويه: "ولعله سمع (انته وائت أمرا قاصدا)، بإظهار ناصب (أمرا)، ولم يسمع إظهار ناصب (خيرا لكم)، و(خيرا لك)، وإلا فالثلاثة متقاربة المعنى"[1].

٧-(أمس) بين البناء على الفتح، والمنع من الصرف مطلقا عند بعض بني تميم في قول الراجز:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مُذْ أَمْسَا[2]

في (أمس) إذا قصد بها اليوم الذي يليه اليوم الذي أنت فيه ثلاث لغات[3]: الأولى: لغة أهل الحجاز وهي البناء على الكسر مطلقا، والثانية: لغة جمهور بني تميم، وهي إعرابها في حالة الرفع مع منع الصرف وبناؤها في النصب والجر على الكسر، والثالثة: هي ما خرج عليها هذا البيت واختلف في نص سيبويه فيها وسيأتي الحديث عنها، وهي لغة لبعض بني تميم. هذا ما أطبق عليه عامة النحويين فيما وقفت عليه.

وزعم أبو القاسم الزجاجي[4] (ت ٣٣٩هـ) أن من العرب من يبني (أمس) على الفتح مستشهدا على ذلك بالرجز السابق، فاعترضه ابن مالك مبينا عدم صحة كلامه، وذلك لأن مستنده -كما ذكر ابن مالك- الذي أورده - وهو بيت الرجز السابق- أخذه من سيبويه، وسيبويه لم يستشهد به على أن الفتحة في (أمس) فتحة بناء وإنما فتحة إعراب، فهو ممنوع من الصرف مجرور وعلامة جره الفتحة، وبهذا يكون البيت شاهدا

---

(١) شرح الرضي ق١م١/٣٩٩.

(٢) بيت من الرجز ينسب للعجاج، وليس في ديوانه، وقد ذكر البغدادي في الخزانة ٧/١٧٣ أن ابن المستوفي ذكر أن هذا الرجز بعيد عن نمط رجز العجاج، وانظره في: الكتاب ٣/٢٨٥، والنوادر لأبي زيد: ٢٥٧، وما ينصرف وما لا ينصرف: ١٢٢، والعضديات: ١٩٩، وأمالي ابن الشجري ٢/٥٩٦.

(٣) انظر: الكتاب ٣/٢٨٣، وما ينصرف وما لا ينصرف: ١٢٢، والعضديات: ١٩٨، وأمالي ابن الشجري ٢/٥٩٥، وشرح المفصل ٤/١٠٧، وشرح التسهيل ٢/٢٢٣، وشرح الرضي ق٢م١/٤٩٧.

(٤) انظر: الجمل: ٢٩٩. وقد ورد هذا منسوبا للزجاج في شرح الجمل لابن عصفور ٢/٤١٢، إذ ورد فيه: "وزعم الزجاج وأبو القاسم..". ثم أورد هذا الرأي، ويظهر لي أن هذا خطأ طباعي أو تحريف، وما أكثره في هذه الطبعة، فيكون النص: "وزعم الزجاجي أبو القاسم". وإلا فهو وهم من ابن عصفور ﷺ لأن الزجاج كما سيأتي لا يرى هذا.

على أن من بني تميم من يسوي المجرور والمنصوب بالمرفوع في الإعراب والمنع من الصرف في جميع أحواله. قال ابن مالك: "وزعم أبو القاسم الزجاجي أن من العرب من يبني (أمس) على الفتح، واستشهد بهذا الرجز، ومدعاه غير صحيح؛ لامتناع الفتح في موضع الرفع، ولأن سيبويه استشهد بالرجز على أن الفتحة في "مذ أمس" فتحة إعراب، وأبو القاسم لم يأخذ البيت من غير كتاب سيبويه، فقد غلط فيما ذهب إليه واستحق ألا يعول عليه"[1].

ولم ينص في الجمل الزجاجي على أنه أخذ هذا البيت من سيبويه، ولم أقف على نص له في غيره، ولكن ابن مالك –كما سبق– قطع بهذا، فقد يكون استبعد عدم اطلاع الزجاجي على هذا النص؛ لأنه أحد رواة الكتاب عن شيخه الزجاج عن المبرد عن المازني عن الأخفش عن سيبويه[2]، وقد يكون ابن مالك قطع بهذا لأنه اطلع على ابن هشام اللخمي (ت٥٧٧هـ) الذي قال عن هذا في شرح أبيات الجمل كما نقل عنه البغدادي: "والفتحة فتحة إعراب، وقد غلط أبو القاسم فيها وزعم أنها في البيت مبنية على الفتح، وإنما هي في البيت على لغة بعض بني تميم...وإنما دخل عليه الوهم من قول سيبويه...وأنشد البيت على ذلك. فتوهم أنه لما ذكر الفتح الذي هو لقب البناء أنه أراد أن (أمس) مبني. ولو تأمل لبان له العذر"[3]. وقد يكون ابن مالك استند إلى غير الجمل مما لم أطلع عليه من كتب الزجاجي. وعلى كل فقد عزا ابن مالك رأي الزجاجي هذا إلى فهم نص سيبويه على غير وجهه.

ونص سيبويه محل الإشكال هو قوله: "وقد فتح قوم (أمس) في (مذ) لما رفعوا وكانت في الجر هي التي ترفع، شبهوها بها. قال:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مُذْ أَمْسَا

عَجَائِزًا مِثْلَ السَّعَالِي خَمْسَا

---

(١) شرح التسهيل ٢/ ٢٢٣–٢٢٤.

(٢) انظر سند الرواية في: شواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٢٠٠.

(٣) خزانة الأدب ٧/ ١٧٠–١٧١.

وهذا قليل"[1].

وقد اختلف النحويون في فهم هذا النص، فمنهم – وهو الزجاجي كما نص على ذلك ابن هشام اللخمي وابن مالك – من فهم أن المقصود بالفتح في نص سيبويه فتح البناء، وعليه فـ(أمس) مبنية على الفتح.

ومنهم من فهم منه أن المقصود بالفتح فتحة الإعراب. ثم اختلف هؤلاء بعد هذا، فمنهم من فهم من نص سيبويه أن (أمس) يعرب إعراب ما لا ينصرف في جميع أحواله عند بعض العرب وهم بعض تميم، وإلى هذا ذهب الرماني[2] وابن خروف[3]، وتابعهم على هذا ابن مالك –كما سبق– وابن أبي الربيع[4] والرضي[5]، وإلى هذا الرأي في (أمس) دون الإشارة إلى نص سيبويه ذهب جماعة من النحويين كالفارسي[6]، والثمانيني[7] (ت٤٤٢هـ)، وابن الشجري[8]،وابن هشام[9] (ت٧٦١هـ).

ومنهم من فهم أن بعض بني تميم هؤلاء يعربون (أمس) إعراب ما لا ينصرف في حالة الرفع مطلقا، وفي الجر بشرط أن يكون الجار (مذ)، وبخلاف هذا تكون مبنية، وذلك إذا كانت منصوبة أو مجرورة بغير (مذ)، وإلى هذا ذهب الزجاج[10]، والسيرافي[11]، والقرطبي[12]، والأعلم[13]، ونسبه ابن خروف لابن طاهر(ت٥٨٠هـ)[14].

---

(١) الكتاب ٣/٢٨٤–٢٨٥.

(٢) انظر: شرحه: ٩٧٤ رسالة د. آل موسى.

(٣) انظر: تنقيح الألباب: ٣٢١.

(٤) انظر: البسيط ٤٨٢/١.

(٥) انظر: شرح الرضي ق٢م٤٨٢/١–٤٨٣.

(٦) انظر: العضديات: ١٨٩–١٩٩.

(٧) انظر: شر اللمع ٢٢٦/١.

(٨) انظر: أمالي ابن الشجري ٥٩٥/٢.

(٩) انظر: شرح شذور الذهب ١٠٠–١٠١.

(١٠) انظر: ما ينصرف وما لا ينصرف: ١٢٣.

(١١) انظر: شرحه: ٤/١٢٣ب.

(١٢) انظر: شرح عيون كتاب سيبويه: ٢٠٨.

(١٣) انظر: النكت ٤٩١/٢، وتحصيل عين الذهب: ٤٧٩.

(١٤) انظر: تنقيح الألباب: ٣٢١.

والذي يظهر لي أن سيبويه من خلال نصه السابق يرى أن (أمس) ممنوعة من الصرف عند بعض العرب -وهم بعض بني تميم كما نص عليه بعض النحويون[1]- في حالة الرفع مطلقا وفي حالة الجر إذا كان الجار (مذ)، وفيما سوى ذلك يبنى على الكسر؛ وذلك لأنه نص على كون ذلك في (مذ) حين قال:"وقد فتح قوم في (مذ)"، وإلا فلا فائدة لذكر (مذ) في النص.

ومما يؤيد هذا أن سيبويه قال في موضع آخر وفي موضوع آخر: "كما لا تدخل الفتحة في (لدن) إلا مع (غدوة) حين تقول: لدن غدوة إلى العشي"[2]. وقال السيرافي معلقا على هذا: "فأراد أن يعرفك أن بعض الأشياء تختص بموضع لا تفارقه"[3]. وليس هناك ما يمنع أن تكون (مذ) في النص الذي نناقشه من هذا الباب.

وأما ما ذهب إليه الزجاجي فيرده -كما ذكر ابن مالك- امتناع الفتح في موضع الرفع، فلو كانت تبنى على الفتح لبنيت في حالة الرفع أيضا، ولم يرد ذلك، فعلم أن المقصود بالفتح فتحة إعراب لا بناء. ومما يؤيد هذا أن سيبويه أحيانا يخلط بين مصطلحات البناء والإعراب.

وقد وجه تعبير سيبويه بالفتح توجيها أراه حسنا، ابن هشام اللخمي في شرح أبيات الجمل[4]، رادا فهم الزجاجي لنص سيبويه، فذكر أنه عبر بالفتح هنا في الممنوع من الصرف؛ لأنه لا يمكن أن تسمى هذه الحركة التي أحدثها عامل الجر نصبا؛ لأنها ليست للنصب وإنما هي للجر، ولم يسمها جرا استقلالا لها؛ لأنها لو سميت بذلك صارت كأنها غير جر ألبتة.

٨-عامل نصب الاسم في نحو: ما لك وزيدا، وما شأنك وعمرا.

قال ابن مالك في التسهيل عن المثالين السابقين: "والنصب في هذين ونحوهما بـ(كان) مضمرة قبل الجار أو بمصدر (لابس) منويا بعد الواو، لا بـ(لابس) خلافا للسيرافي وابن خروف"[5]، ثم قال في شرحه: "وذهب السيرافي وابن خروف إلى أن قول سيبويه: ما شأنك وملابستك زيدا، مؤول. قال ابن خروف: قوله[6]: (فكأنك قلت: ما شأنك

---

(١) انظر مثلا: النوادر لأبي زيد: ٢٥٧، وما ينصرف وما لا ينصرف: ١٢٣، وشرح اللمع للثمانيني١/٢٢٦.

(٢) الكتاب٣/٤٩٩.

(٣) شرحه٤/٢٣٤أ.

(٤) كما نقل عنه البغدادي في الخزانة٧/١٧٠.

(٥) التسهيل ضمن شرحه لابن مالك٢/٢٥١-٢٥٢.

(٦) يقصد سيبويه.

وملابسة زيدا)، إنما قدر المصدر حين أظهر ليكون محمولا على الشأن، والمضمر الفعل؛ لأنه لا يجوز أن يعمل المصدر مضمرا"[١].

فابن مالك يرى أن العامل في الاسم المنصوب في المثالين السابقين هو المصدر من (لابس) ونحوه الذي قدره سيبويه حين قال: "فإذا أضمرت فكأنك قلت: ما شأنك وملابسه زيدا أو وملابستك زيدا"[٢]. في حين أن السيرافي وابن خروف -كما ذكر- يقدران الفعل ويذهبان إلى أن تقدير سيبويه المصدر معنوي لا إعرابي؛ لأن المصدر لا يجوز عمله عند سيبويه مقدرا[٣].

وقد اعترضهما ابن مالك[٤] ذاهبا إلى أن سيبويه أراد تقدير المصدر؛ لقوة الدلالة عليه، ولثبوت عمل المصدر المقدر عن العرب -كما ذكر- وإلى أن سيبويه لو صرح بمنع حذف المصدر لكان محجوجا بثبوت ذلك عن العرب.

وقد رد ابن مالك على ابن خروف من كلام ابن خروف نفسه؛ لأنه - كما ذكر ابن مالك[٥]- أقر سيبويه على تقدير المصدر المؤول في نحو قول الراجز:

مِنْ لَدُ شَوْلًا فَإِلَى إِتْلَائِهَا[٦]

إذ التقدير: من لد أن كانت النوق شولا، وعلل ذلك بقوة الدلالة عليه، مع أنه أقر سيبويه على منع تقدير المصدر في نحو قول الشاعر:

وَكُـلُّ أَخٍ مُفَارِقُـهُ أَخُـوهُ   لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ[٧]

---

(١) شرح التسهيل ٢/٢٥٦-٢٥٧.

(٢) الكتاب ١/٣٠٩.

(٣) انظر: الكتاب ٢/٣٣٤-٣٣٥.

(٤) انظر: شرح التسهيل ٢/٢٥٥، ٢٥٧.

(٥) انظر: شرح التسهيل ٢/٢٥٧.

(٦) بيت من الرجز نسبه النحاس في إعراب القرآن: ١٩٢ للعجاج، وليس في ديوانه. وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها. وانظره في: الكتاب ١/٢٦٤، وسر الصناعة ٢/٥٤٦، وتحصيل عين الذهب: ١٨٥، وأمالي ابن الشجري ١/٣٣٨، وشرح التسهيل ٢/٢٥٧، والتذييل ٢/٢٣٠.

(٧) بيت من الوافر نسب لعمرو بن معديكرب وغيره. انظر: الكتاب ١/٣٣٤، والبيان والتبيين ١/٢٢٨، والكامل ٣/١٤٤، والخزانة ٣/٤٢٦، وشرح أبيات المغني ٢/١٠٨. وانظره بلا نسبة في: المقتضب ٤/٤٠٩، وكتاب الشعر ٢/٤٢٨، والتذييل ٤/٢٣١.

إذ لا يجوز أن يكون التقدير عند سيبويه: إلا أن يكون[1]، وعلل ذلك بضعف الدلالة عليه.

كما رد على ابن خروف باعترافه بأن الموضع لا يصلح للفعل لتقدم الاسم عليه حتى لا يحمل الفعل على الاسم وهذا ما دعا ابن خروف إلى القول بأن المصدر يظهر حين التقدير[2].

وبناء على ما ذكر ابن مالك فإن ابن خروف متناقض في كلامه، ولم أستطع الوقوف على رأيه هذا فيما بين يدي من كتبه.

وما نسبه ابن مالك لابن خروف من موافقة سيبويه على تقدير المصدر لقوة الدلالة ومنع التقدير لضعفها، مع القول بأن العامل في الاسم في مثال سيبويه هو الفعل لا المصدر هو ما ذهب إليه الشلوبين[3] في تفسير نص سيبويه، لكن أبا حيان[4] نسب إلى الشلوبين نقلا عن ابن الضائع (ت٦٨٠هـ) أنه ذهب إلى ذلك أولا، ثم خالف وقال: هو تفسير معنى لا تفسير إعراب، وتقدير الإعراب: مالك تلتبس وزيدا.

أما ما نقله ابن مالك عن السيرافي فليس دقيقا كما وقفت عليه في نص السيرافي؛ لأن السيرافي حينما ذهب إلى أن كلام سيبويه محمول على المعنى لم ينص على أن المقدر الفعل (لابس) أو أن مكان التقدير بعد الواو، وإنما ذكر أن نصب (زيدا) في نحو: ما لك وزيدا وما شأنك وزيدا، محمول على نصب الاسم في نحو: ما صنعت وزيدا، فـ(مالك) و(ماشأنك) بمنزلة: (ما تصنع)، ولذلك نصبا الاسم حملا على المعنى. قال السيرافي: "فحمل الكلام على المعنى، فجعل (ما شأنك) و(ما لك) بمنزلة (ما تصنع)، فصار كأنك قلت: ما صنعت وزيدا". ثم بعد هذا قال: "وقد مثل سيبويه: ما شأنك وملابسة زيدا وملابستك زيدا، ولا يخرج ذلك عن معنى: ما صنعت وزيدا"[5].

وقد وافق ابنَ مالك في أن العامل في تقدير سيبويه المصدر، بعضُ النحويين كاللورقي[6] (ت٦٦١هـ)، والرضي[7]، وابن عقيل[8].

---

(١) انظر: الكتاب ٢/٣٣٥.
(٢) انظر: شرح التسهيل ٢/٢٥٧.
(٣) انظر: شرح المقدمة الجزولية الكبير ٣/١٠٧٧-١٠٧٩.
(٤) انظر: التذييل ٨/١٢١، والارتشاف ٣/١٤٨٨.
(٥) شرحه ٢/٨٣أ.
(٦) انظر: المباحث الكاملية: ٣٩٤.
(٧) انظر: شرح الرضي ق١م٢/٦٢٧-٦٢٨.
(٨) انظر: المساعد ١/٥٤٢.

في حين أن نحويين آخرين كابن طاهر (ت٥٨٠هـ) فيما نسب إليه[١]، وأبي حيان[٢]، وناظر الجيش[٣]، وافقوا ما نسبه ابن مالك للسيرافي وابن خروف من أن مراد سيبويه التفسير المعنوي. وزاد بعضهم كأبي حيان وناظر الجيش على ذلك بأن اختار أن يكون العامل (كان) المقدرة ذاكرين أن هذا هو الأولى لرأي سيبويه؛ لأن سيبويه عبر بالفعل في ترجمة الباب حينما قال: "هذا باب منه يضمرون فيه الفعل"[٤]، ولأن التقدير بالمصدر أو الفعل يخرج المسألة من باب المفعول معه إلى المفعول به؛ لأن الاسم المنصوب بعد الواو يكون مفعولا به للفعل أو المصدر المقدرين وليس مفعولا معه. كما أن تقدير الفعل أولى من تقدير المصدر؛ لأن تقدير المصدر ليس مغنيا عن تقدير الفعل؛ لأن المصدر لا بد له من عامل[٥].

والذي يظهر لي[٦] أن سيبويه -كما تنطق به نصوصه التي سأوردها خلال حديثي هذا- يريد أن يعامل نحو: ما لك وزيدا وما شأنك وعمرا، معاملة: كيف أنت وعبدُالله وما أنت وعبدُالله ونحوهما، وقد تحدث عن ذلك قبل الحديث عن المثالين المعنون للمسألة بهما، وقد ذكر أن في ذلك لغتين: الأولى لغة الأكثرين، وهي أن يكون (عبدالله) مرفوعا على أنه معطوف على المرفوع قبله، فكأنك قلت: كيف أنت وكيف عبدالله، مع دلالة الواو على معنى المعية، كما ذكر أن الاسم لم ينصب لعدم تقدم فعل يكون عاملا للمنصوب. قال: "هذا باب معنى الواو فيه كمعناها في الباب الأول إلا أنها تعطف الاسم هنا على ما لا يكون ما بعده إلا رفعا على كل حال...وكذلك كيف أنت و عبدُالله، وأنت تريد أن تسأل عن شأنهما؛ لأنك إنما تعطف بالواو إذا أردت معنى (مع) على (كيف)، و(كيف) بمنزلة الابتداء، كأنك قلت: وكيف عبدالله، فعملت كما عمل الابتداء؛ لأنها ليست بفعل، ولأن ما بعدها لا يكون إلا رفعا"[٧]. وهذا لا يحتاج إلى تأويل في رفعه والمعية مفهومة من معنى الواو. والثانية: اللغة القليلة، وهي التي يكون فيها (عبدالله) في المثال

---

(١) انظر: الارتشاف٣/١٤٨٨، والمساعد١/٥٤٢.

(٢) انظر: التذييل ٨/١٢١-١٢٢، والارتشاف٣/١٤٨٨.

(٣) انظر: تمهيد القواعد٤/٢٠٦٩-٢٠٧٠.

(٤) الكتاب١/٣٠٧.

(٥) هذا إذا كان أعرب المصدر المقدر مفعولا معه، أما إذا كان معطوفا على ما قبله والاسم بعده مفعوله فلا.

(٦) أشار إلى قريب مما ظهر لي ابن أبي الربيع في الملخص: ٣٧٨.

(٧) الكتاب ١/٢٩٩، ٣٠١.

السابق منصوبا. وهذا ما يحتاج إلى تأويل عامل النصب فيه، وقد جعله سيبويه (كان) المقدرة، حين قال: "وزعموا أن ناسا يقولون: كيف أنت وزيدا، وما أنت وزيدا، وهو قليل في كلام العرب، ولم يحملوا الكلام على (ما) ولا (كيف)، ولكنهم حملوه على الفعل...كأنه قال: كيف تكون أنت وقصعةً من ثريد، وما كنت وزيدا"[١]. ونظرا لأن (زيدا) و(عمرا) في نحو: ما لك وزيدا، وما شأنك وعمرا، لا يجوز عطفهما على الاسم السابق للمانع الصناعي، وهو العطف على المجرور دون إعادة الجار، وللمانع المعنوي إذا عطفت (عمرو) على (شأن)؛ لأنك لو عطفته عليه لم يجز لعدم التباسه به، لأن الملتبس بالشأن هو المضمر المتصل به، فالأصل أن يقول: ما شأنك وشأن عمرو، ولو قال ذلك لكان (الشأن) الثاني معطوفا مرفوعا على لغة أكثر العرب مع بقاء الواو دالة على المعية؛ لعدم تقدم فعل يعمل النصب كما سبق =نظرا لذلك وجه سيبويه النصب في المثالين السابقين مرة بناء على لغة الأكثرين التي في نحو: كيف أنت وزيد، برفع (زيد)، فقدر في نحو: ماشأنك وعمرا، معطوفا على (شأن) مرفوعا يكون في نفس الوقت عاملا للنصب في (عمرو)، وعلى هذا يكون (عمرو) مفعولا به لا مفعولا معه عند سيبويه والمعية باقية مفهومة من الواو كما كانت في نحو: أنت وشأنك، التي لا يجوز فيها النصب على المعية عند سيبويه[٢] بل الرفع عطفا على الاسم المرفوع قبله، مع بقاء دلالة الواو على المعية. قال بعد أن ذكر مانع عطف الاسمين في المثالين السابقين على ما قبلهما: "فلما كان ذلك قبيحا حملوه على الفعل، فقالوا: ما شأنك وزيدا، أي: ما شأنك وتناولُك زيدا"، ثم قال: "فإذا أضمرت فكأنك قلت: ما شأنك وملابسةٌ زيدا، أو وملابستُك زيدا، فكان أن يكون (زيد) على فعل، وتكون (الملابسة) على (الشأن)"[٣]. فقوله: "يكون (زيد) على فعل" يعني معمولا للمصدر الذي عبر عنه بالفعل[٤]، وهذا يفسر النصب، وقوله: "وتكون (الملابسة) على (الشأن)" يعني أن تكون الملابسة المقدرة معطوفة على الشأن؛ وعلى هذا يكون العطف عطف اسم على اسم له به علاقة، فلو قال: ما شأنك وما ملابستُك زيدا صح المعنى، كما كان (زيد) في نحو: ما أنت وزيدٌ، معطوفا على الاسم الذي قبله،

---

(١) السابق١/٣٠٣.

(٢) السابق١/٣٠٥.

(٣) السابق١/٣٠٧، ٣٠٩.

(٤) سيبوبه أحيانا يعبر عن المصدر بالفعل. انظر: المفصل: ٥٥، وشرحه لابن يعيش١/١١٠، والنجم الثاقب: ٣٧٣.

وعليه يصح أن تقول: ما أنت وما زيد. بخلاف ما لو قلت: ما شأنك وما عمرو. فلا يصح؛ لأن عمرا لا التباس له بالشأن.

ثم وجهه مرة أخرى بناء على اللغة القليلة وهي النصب في نحو: ما أنت وزيدا، إذ وجهه سيبويه بالتقدير نفسه الذي وجه به هذه اللغة، وهو تقدير (كان)، فكما كان التقدير في نحو: كيف أنت وزيدا، هو: كيف تكون وزيدا، كذلك التقدير في نحو: ما شأنك وعمرا، هو: ما كان شأنك وعمرا؛ ليكون الفعل (كان) هو عامل النصب، وأنت لو قلت: ما شأنك وشأن عمرو، بنصب (شأن) الثانية لكان على اللغة القليلة، وبالتقدير نفسه، ولو رفعته لكان على اللغة الكثيرة. والدليل على ذلك من كلام سيبويه أنه قال: "ومن قال: ما أنت وزيدا، قال: ما شأن عبدالله وزيدا، كأنه قال: ما كان شأن عبدالله وزيدا، وحمله على (كان)؛ لأن (كان) تقع ههنا. والرفع أجود وأكثر في (ما أنت وزيدا)، والجر في قولك: ما شأن عبدالله وزيد أحسن وأجود"[1]. فلم يقدر سيبويه الملابسة هنا؛ لأن العطف هنا جائز على الاسم السابق وهو اللغة الكثيرة. فلم يحتج إلى الملابسة لتقيم العطف. أما النصب فهو على اللغة القليلة؛ ولذلك احتاج إلى تقدير (كان). وكذلك الأمر في نحو: ما لك وزيدا. فعلى التوجيه في اللغة الكثيرة أن يكون التقدير: ما لك وملابستك زيدا، بعطف الملابسة على الخبر المقدم، وعلى اللغة القليلة يكون التقدير: ما كان لك وزيدا. قال: سيبويه: "ومن نصب في (ما أنت وزيدا) – أيضا– قال: ما لزيد وأخاه...كأنه قال: ما كان شأن زيد وأخاه"[2].

وبناء على ما سبق فسيبويه لم يقدر العامل بعد الواو مصدرا ويكون الاسم المنصوب مفعولا معه، بل يكون مفعولا به مع بقاء الواو على معنى المعية، ولم يرد أن يكون المصدر مفعولا معه؛ لأن هذا يحتاج إلى تقدير عامل – أيضا– في المفعول معه، وسيكون (كان) المقدرة كما يقدر سيبويه دائما في مثل هذا، فيجتمع تقديران، كما لم يرد سيبويه تقدير فعل بعد الواو؛ لأن هذا يخالف توجيهه على اللغة الكثيرة مع تخالف المعطوف والمعطوف عليه، ولهذا فإن من قال من النحويين[3] معترضا: إن تقدير المصدر

---

(١) السابق.

(٢) السابق ١/ ٣٠٩–٣١٠.

(٣) انظر: التذييل ٨/ ١٢٢، وتمهيد القواعد ٤/ ٢٠٧٠.

يخرج نحو هذا من باب المفعول معه الأمر الذي لا يريده سيبويه = لم يفهم مقصود سيبويه الفهم الصحيح.

وعلى هذا فالنحويون الذين تعرضوا لكلام سيبويه في هذه المسألة لم يوضحوا - فيما يظهر لي - مقصد سيبويه كما يجب، فلم يتطرقوا إلى توجيه سيبويه بناء على اللغة الكثيرة والقليلة. وأقربهم إلى مراد سيبويه ابن مالك؛ لأنه جزم أن سيبويه يقصد بتقدير المصدر أنه هو العامل، ولأن مفهوم كلامه[1] أن الاسم المنصوب مفعول به، لأنه نص على أن المنصوب مفعولا معه إذا كان المضمر (كان)، لكنه لم ينص على أن هذا التقدير يخرج الاسم من كونه مفعولا معه صناعيا، الأمر الذي يقصده سيبويه، بل تحدث عنه في باب المفعول معه ضمن ما يجب النصب فيه عند الأكثر، كما أن قوله: "ولسيبويه في هذين المثالين وشبههما مذهبان: أحدهما أن يقدر (كان) بعد (ما) فيكون المنصوب مفعولا معه، والثاني أن يقدر بعد الواو مصدر (لابس) منويا أو مضافا إلى مخاطب"[2] يدل على أن التقديرين مستويان عند سيبويه، في حين أنه فرق بينهما -كما سبق- على حسب اللغتين الكثيرة والقليلة.

وأما قول السيرافي: إن (ما لك وزيدا) و(ما شأنك وعمرا) عند سيبويه بمنزلة (ما تصنع وزيدا أو وعمرا)، فليس ذلك عند سيبويه على الإطلاق، بل على اللغة القلية.

وأما ما نقله ابن مالك عن ابن خروف، فيكفي رد ابن مالك عليه.

وأما تأييد أبي حيان كون تقدير المصدر عند سيبويه تقديرا معنويا لا تقدير إعراب لأن سيبويه عبر بالفعل في ترجمة الباب، فيرده أن سيبويه -كما سبق- يعبر بالفعل وهو يقصد المصدر.

وأما تضعيف بعض النحويين - كما سبق- تقدير المصدر بأنه يخرج الاسم من النصب على المفعول معه، فليس دليلا على نفي هذا التقدير عن سيبويه؛ لأنه أراد أن يكون مفعولا به للمصدر المقدر المعطوف على ما قبله مع بقاء الواو دالة على المعية، فهو وإن خرج صناعيا لم يخرج معنويا، مثله مثل: أنت وشأنك، وكيف أنت وزيد[3].

---

(1) وممن ذهب إلى أن هذا مفهوم كلامه -أيضا- ناظر الجيش في تمهيد القواعد ٤/ ٢٠٦٩.

(٢) شرح التسهيل ٢/ ٢٥٥.

(٣) انظر: الكتاب ١/ ٢٩٩.

هذا مفهوم سيبويه كما ظهر لي من نصوصه، مع أن الأسهل -عندي- أن يكون تأويل العامل في الاسم المنصوب في نحو: ما لك وزيدا، وما شأنك وعمرا هو (كان) المحذوفة كما قدر سيبويه بناء على اللغة القليلة؛ لأن الاسم ههنا منصوب على اللغتين، ولا يجوز رفعه أو جره، فكون التأويل موحدا أولى. كما أن التأويل بذلك لا ينقض المعنى كما يرى سيبويه[1].

٩-حكم نصب (زيد) في نحو: ما شأن عبدالله وزيدا.

ذكرت في المسألة السابقة أن إيجاب النصب في الاسم في نحو: ما لك وزيدا وما شأنك وزيدا، كان بسبب المانعين: الصناعي والمعنوي اللذين أديا إلى عدم جواز العطف، وعلى هذا فإذا زال المانع كما في نحو: ما لعبدالله وزيد وما شأن عبدالله وزيد، أمكن العطف وكان هو الأرجح؛ لأن النصب يحتاج إلى فعل ولا فعل في الجملتين، ولكنه غير ممتنع لجواز حمله على تقدير (كان) كما قدرها سيبويه في نحو: ما أنت وزيدا وكيف أنت وزيدا.

وكون العطف هو الأرجح هو ما نص عليه سيبويه حين قال: "فإذا ظهر الاسم فقال: ما شأن عبدالله وأخيه يشتمه، فليس إلا الجر؛ لأنه قد حسن أن تحمل الكلام على عبدالله". وحين قال بعد ذلك: "ومن قال: ما أنت وزيدا، قال: ما شأن عبدالله وزيدا، كأنه قال: ما كان شأن عبدالله وزيدا...والرفع أجود وأكثر في (ما أنت وزيد)، والجر في قولك: ما شأن عبدالله وزيد أحسن وأجود"[2].

وقد اعترض ابن مالك بعض المتأخرين -كما عبر- لأنه حكم بمنع النصب اعتمادا على قول سيبويه في نصه الأول: "فليس إلا الجر". قال ابن مالك: "وقد حكم بعض المتأخرين بمنع النصب أخذا بظاهر قوله الأول، ولو قرأ ما بعده من كلام سيبويه لم يقع فيما وقع"[3].

والحقيقة أن ما ذهب إليه بعض المتأخرين هذا هو ظاهر الوهم. ولم أقف على أحد من المتأخرين سبق ابن مالك منع ذلك توهما من نص سيبويه هذا، بلى قد وجدت ابن

---

(١) انظر: الكتاب١/٣٠٣.

(٢) الكتاب١/٣٠٩.

(٣) شرح التسهيل٢/٢٥٨.

الحاجب يمنع النصب في ذلك في شرح المقدمة الكافية[1] دون الإشارة إلى سيبويه أو نصه، ولكنه في الإيضاح[2] أجازه، وقد أشار ابن فلاح اليمني[3](٦٨٠هـ) إلى أن هذا رأيه الأخير. وهذا ما لم يشر إليه السيوطي(٩١١هـ) حين قال: "ومنعه بعض المتأخرين كابن الحاجب"[4].

وقد تابع ابن الحاجب في رأيه الأول دون الإشارة -أيضا- إلى سيبويه أو نصه العلوي[5] (٧٤٩هـ).

١٠-ناصب المستثنى بـ(إلا).

اختار ابن مالك أن يكون العامل في المستثنى المنصوب هو (إلا)، وذكر أنه موافق في ذلك لسيبويه الذي خفي كون هذا المذهب مذهبه -كما عبر- على جمهور شراح الكتاب. قال ابن مالك: "واخترت نصبه بها نفسها، وزعمت أني موافق بذلك لسيبويه...وقد خفي كون هذا مذهب سيبويه على جمهور الشراح لكتابه. وأنا أستعين الله على بيان ما خفي عليهم من ذلك بنصوص يعضد بعضها بعضا"[6]. ثم أورد ابن مالك عدة نصوص لسيبويه يستدل بها على ما ذكره، ونصوص سيبويه هي:

أولا: قوله: "اعلم أن (إلا) يكون الاسم بعدها على وجهين: فأحد الوجهين ألا تغير الاسم عن الحال التي كان عليها قبل أن تلحق، كما أن (لا) حين قلت: لا مرحبا ولا سلام، لم تغير الاسم عن حاله قبل أن تلحق، فكذلك (إلا)، ولكنها تجيء كما تجيء (لا) لمعنى. والوجه الآخر أن يكون الاسم بعدها خارجا مما دخل فيه ما قبله، عاملا فيه ما قبله من الكلام، كما تعمل عشرون فيما بعدها إذا قلت: عشرون درهما"[7].

ووجه الاستدلال بهذا النص عند ابن مالك[8] أن سيبويه جعل (إلا) نظيرة (لا) المحمولة على (إن) في أن ما تدخل عليه تارة تصادفه مشغولا بعامل غيرها فتؤثر في

---

(١) انظر: ٤٩٩/٢.

(٢) انظر: ٣٢٤/١.

(٣) انظر: شرحه على الكافية: ٦٢٢.

(٤) همع الهوامع ٢٤٢/٣.

(٥) انظر: الأزهار الصافية ٣٨٣/١. والحاصر: ٣٥٥.

(٦) شرح التسهيل ٢٧١/٢.

(٧) الكتاب ٣١٠/٢.

(٨) انظر: شرح التسهيل ٢٧١/٢-٢٧٢.

معناه دون لفظه، وتارة تصادفه غير مشغول بعامل غيرها فتؤثر في لفظه ومعناه، كما أن سيبويه صرح بأن العامل في (زيد) في نحو: قاموا إلا زيدا، ما قبله من الكلام. وعلى هذا فهو إما أن يريد بـ(ما قبله من الكلام) (إلا) وحدها أو الفعل وحده أو كليهما، ودخول (من) مانع من أن تريد كليهما؛ لأنها للتبعيض لا لبيان الجنس؛ لأن التي لبيان الجنس لا تدخل بعد (ما) إلا على نكرة.

ثانيا: قول سيبويه: "هذا باب النصب فيما يكون مستثنى مبدلا. حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعا أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول: ما مررت بأحد إلا زيدا، وما أتاني أحد إلا زيدا. وعلى هذا: ما رأيت أحدا إلا زيدا، فينصب (زيدا) على غير (رأيت)، وذلك أنك لم تجعل الآخر بدلا من الأول، ولكنك جعلته منقطعا مما عمل في الأول. والدليل على ذلك أنه يجيء على معنى: ولكن زيدا، ولا أعني زيدا. وعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم إذا قلت: عشرون درهما"[١].

وقد وصف ابن مالك[٢] هذا النص بأنه أظهر من الأول في الدلالة، ووجه الاستدلال به عنده أن سيبويه صرح بأن النصب في المثال المذكور على لغة من لا يبدل إنما هو بغير (رأيت)، فيتعين نصبه بـ(إلا). ثم زاد هذا التصريح تأكيدا بقوله: "ولكنك جعلته منقطعا مما عمل فيه الأول".

ثالثا: قول سيبويه بعد أن مثل بـ(أتاني القوم إلا أباك): "وانتصب الأب إذ لم يكن داخلا فيما دخل فيه ما قبله ولم يكن صفة، وكان العامل فيه ما قبله من الكلام"[٣].

ووجه الاستدلال من هذا النص عند ابن مالك[٤] أن سيبويه جعل علة نصب (الأب) عدم دخوله فيما دخل فيه ما قبله، والذي دخل فيه ما قبله إسناد المعنى إلى المعنى وتأثر اللفظ باللفظ. فلزم من ذلك ألا يكون لفظ (الأب) منصوبا بلفظ (أتى) كما لم يكن لمعناه حظ في معناه. وإذا لم يكن النصب بذلك تعين أن يكون بـ(إلا).

ثم وصف ابن مالك من نسب إلى سيبويه خلاف هذا بأنه تقول أو غلط فيما تأول[٥].

---

(١) الكتاب ٢/ ٣١٩.

(٢) انظر: شرح التسهيل ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) الكتاب ٢/ ٣٣١.

(٤) انظر: شرح التسهيل ٢/ ٢٧٣.

(٥) السابق.

وأما شراح الكتاب فقد اختلفوا في فهم مراد سيبويه من نصوصه في العامل في المستثنى: فالسيرافي يرى أن سيبويه يرى أن العامل في المستثنى الفعل؛ لأنه بعد أن ذكر أن هناك خلافا في ناصب المستثنى وقال: "فأما الذي قاله سيبويه"ونقل نصوص سيبويه التي استدل بها ابن مالك =قال: "وقد كشف سيبويه ذلك بأبين مما تقدم، وهو قوله في باب (غير)[1]: (ولو جاز أن تقول: أتاك القوم زيدا، تريد الاستثناء ولا تذكر (إلا) لما كان إلا نصبا)"[2]. ولأنه بعد ذلك ذكر أن الفراء(٢٠٧هـ) نقل عن البصريين أنهم قالوا: نصبنا المستثنى بإضمار فعل معناه: لا أعني زيدا، ثم قال: "وأظنه أراد ما قاله سيبويه"[3]. ثم رد عليه قائلا: "هذا تفسير لمعنى الاستثناء وليس بتحقيق للناصب فيه"[4]. ثم جلّى السيرافي عن رأيه في ذلك حين قال: "وأما قول سيبويه عقيب قوله: (وعلى هذا ما رأيت أحدا إلا زيدا): (فتنصب زيدا على غير رأيت) فإنما يريد: فتنصب (زيدا) على غير البدل ولكن على الاستثناء...والعامل للنصب في الوجهين هو (رأيت)"[5].

فهذا يدل على أن السيرافي يرى أن سيبويه يرى أن العامل في النصب في المستثنى هو الفعل، ولذلك قال عنه: "والذي يوجبه القياس والنظر الصحيح أن تنصب (زيدا) بالفعل الذي قبل (إلا)"[6]. ثم زاد ذلك توضيحا بأن بين وجه النصب به وهو كونه بواسطة (إلا)؛ لأن الفعل ينصب كل ما يتعلق به بعد ارتفاع الفاعل به على اختلاف وجوه المنصوبات، فمنها ما ينصب بالفعل مباشرة كالمفعول به، ومنها ما ينصب بواسطة كالمفعول معه والمستثنى بـ(إلا). ولعل هذا هو سبب عزو كثير من النحويين[7] إليه وإلى سيبويه القول بأنه منصوب بواسطة (إلا).

---

(١) الكتاب٢/٣٤٣.

(٢) شرحه ٣/١٠٧أوب.

(٣) يقصد النص الثاني من نصوص سيبويه التي أوردتها سابقا.

(٤) السابق٣/١٠٨أ.

(٥) السابق.

(٦) السابق٣/١٠٧ب.

(٧) انظر: سر الصناعة١/١٢٩، والمرتجل: ١٨٦، وشرح المقدمة المحسبة٢/٣٢٢، وتوجيه اللمع: ٢١٥، وشرح الجمل لابن عصفور٢/٢٥٨، وشرح التسهيل٢/٢٧٧، والمساعد١/٥٥٦.

وعلى هذا فليس صحيحا ما توصل إليه أحد الباحثين[1] من أن كلام السيرافي يدل على أنه يرى أن سيبويه يرى أن الناصب للمستثنى (إلا)، ذاكرا أنه سبق ابن مالك إلى فهم نص سيبويه كذلك، ولكن ابن مالك لم يشر إليه.

وإلى مثل ما ذهب السيرافي ذهب الرماني[2].

وأما أبو علي الفارسي فلم يذكر شيئا عن هذا في التعليقة، ولكنه نسب لسيبويه في البغداديات[3] أنه يرى أنه منصوب عن تمام الكلام، وهو ما نسبه المرادي[4] لأحد المتأخرين. وأما في الإغفال[5] فقد نسب له أنه يرى أن المستثنى منصوب بالجملة قبل (إلا) بواسطة (إلا)، مع أنه واضح من كلامه فيه أن المقصود بالجملة الفعل. في حين أنه في المسائل المنثورة[6] والإيضاح[7] نص على أن العامل في المستثنى الفعل بواسطة (إلا)، وإذا لم يكن في الجملة فعل نحو: القوم إخوتك إلا زيدا، فيكون النصب على تقدير معنى الفعل.

وأما ابن خروف فقد نسب إليه ابن مالك أنه يرى أن الناصب للمستثنى ما قبل (إلا) على سبيل الاستقلال لا على سبيل الواسطة، مع أنه قال في شرح جمل الزجاجي: "والعامل في الاسم المنصوب في الصحيح من الأقوال –وهو قول سيبويه– الفعل الأول، أوالابتداء يتوسطه (إلا)" [8]. ولم أستطع الوقوف على نص ابن خروف في شرح الكتاب؛ لأنه في الجزء المفقود منه.

والذي يظهر لي أنه ليس في نصوص سيبويه السابقة نص أو دليل على أنه يرى أن ناصب المستثنى هو (إلا) أو الفعل، بل غاية ما يفهم من نصوصه هو أن الناصب للمستثنى ما قبل (إلا) من الكلام، وقد ألمح سيبويه إلى أنه الفعل حين قال: "ولو جاز أن تقول: أتاني القوم زيدا، تريد الاستثناء ولا تذكر (إلا) لما كان إلا نصبا"[9]. وهو ما قال عنه السيرافي ملمحا إلى أنه فهم منه ذلك: "وقد كشف سيبويه ذلك بأبين مما تقدم، وهو قوله"[10]، ثم ذكر نص سيبويه السابق.

---

(١) انظر: اختلاف الشراح في تفسير كلام سيبويه: ٤٩٣، ٤٩٦–٤٩٧.
(٢) انظر: شرحه: ٤٣٧ رسالة د. العريفي.
(٣) انظر: ٤٩٣، ٥٩٣.
(٤) انظر: الجنى الداني: ٥١٧.
(٥) انظر: ١/٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٤٦.
(٦) انظر: ٥٨–٥٩.
(٧) انظر: ٢٢٥.
(٨) انظر: ٢/٩٥٨.
(٩) الكتاب ٢/٣٤٣.
(١٠) شرحه ٣/١٠٧أ.

وأما النصوص التي استدل بها ابن مالك فكلها فيها نظر، وقد تتبعها أبو حيان[1] وفندها نصا نصا. فأما ما ذكره من تشبيه سيبويه (إلا) في الاستثناء المفرغ بـ(لا) الداخلة على (مرحبا وسلاما)، وأن ذلك يدل على أنها تشبه (لا) في أنها إن صادفت المعمول مشغولا بعامل أثرت في معناه فقط، وإلا أثرت في لفظه ومعناه =فهو تحميل للنص بأكثر مما يحتمل لأن غاية ما ذكره هو تشبيه (إلا) في هذه الحالة التي يعمل فيها ما قبلها بما بعدها فكأنها لم تذكر، بـ(لا) في قولك: لا مرحبا، في أنها غير مؤثرة في العمل؛ لأن (مرحبا) مشغول بعامل مضمر ناصب له، فكأنها لم تذكر أيضا.

وأما قوله بأن قول سيبويه: (ما قبله من الكلام) لا يخلو إما أن يريد به (إلا) وحدها أو الفعل وحده أو كليهما،فهو ليس تقسيما حاصرا؛ لأنه بقي أن يريد به الجملة بأسرها، وهو مدعى الجماعة في أنه مذهب سيبويه كما ذكر أبوحيان[2].

وأما ما ذكره من أن (من) للتبعيض لا لبيان الجنس لأن التي لبيان الجنس لا تدخل بعد (ما) إلا على نكرة، فليس بصحيح؛ لورود الشواهد الكثيرة على ذلك.

وأما استدلاله بقول سيبويه: "فنصب (زيدا) على غير (رأيت)"، وأنه تصريح بأن العامل غير الفعل فتعين كونه (إلا)، فليس بمتعين؛ لأن لا يُدَّعى أن سيبويه يرى أنه إذا انتصب انتصب بالفعل الناصب لـ(أحد) في قوله: ما رأيت أحدا إلا زيدا، وإنما يمكن أن يكون رأيه أنه منصوب بالجملة نفسها لا بجزئها الذي هو الفعل. نعم يمكن أن يكون هذا ردا على السيرافي الذي ذهب إلى ذلك، مع أن له توجيها لا يخلو من التكلف في كون العامل الفعل في حالة النصب والإبدال[3].

وأما استدلاله بأن قول سيبويه: "ولكنك جعلته منقطعا مما عمل في الأول" هو تصريح بأن العامل غير الفعل وتعين كونه (إلا)، فليس بمتعين -أيضا- لأن غاية ما فيه أنه يريد أنه لم يسلط عليه الفعل فينصبه كما نصب (أحدا)، ولكن العامل فيه ما قبله من الكلام كما يذكر سيبويه دائما.

وأما استدلاله بأن في قول سيبويه: "وانتصب الأب إذ لم يكن داخلا فيما دخل فيه ما قبله ولم يكن صفة" جعلاً لكون علة النصب هي عدم دخول المستثنى فيما دخل فيه ما

---

(١) انظر: التذييل ٨/١٩٠-١٩٦.

(٢) انظر: المصدر السابق٨/١٩٢.

(٣) انظر: شرح السيرافي٣/١٠٨أ.

قبله. والذي دخل فيه ما قبله إسناد المعنى إلى المعنى وتأثر اللفظ باللفظ. فيلزم من ذلك ألا يكون لفظ الأب منصوبا بلفظ (أتى) كما لم يكن لمعناه حظ في معناه. وإذا لم يكن ذلك تعين نصبه بـ(إلا) =فليس بلازم؛ لأنه ظاهر التكلف وتحميل النص أكثر مما يحتمل. ولأنه يمكن أن يكون سيبويه إنما نفى أن يكون داخلا في الإتيان الذي دخل فيه القوم. ولم يكن صفة فيتبع ما قبله في الرفع. بل بقي فضلة من الفضلات. عمل فيه ما قبله من الكلام. فليس العامل فيه الفعل. ولا يتعين إذ ذاك في قوله: "ما قبله من الكلام" أن يكون العامل (إلا). ثم إن التزام سيبويه وتكراره لعبارة أن العامل فيه ما قبله من الكلام[1] يبعد أن يكون العامل (إلا).

وبناء على ما سبق يظهر تكلف ابن مالك في هذه المسألة ومحاولته توجيه نصوص سيبويه حسب ما فهمه هو لا حسب ما يمكن أن تفهم هي.

١١-العامل في (بسرا) و(رطبا) في نحو: هذا بسرا أطيب منه رطبا.

لسيبويه نص ورد فيه هذا المثال. وهو قوله: "هذا باب ما ينتصب من الأسماء والصفات لأنها أحوال تقع فيها الأمور. وذلك قولك: هذا بسرا أطيب منه رطبا. فإن شئت جعلته حينا قد مضى. وإن شئت جعلته حينا مستقبلا. وإنما قال الناس هذا منصوب على إضمار (إذا كان) فيما يستقبل. و(إذ كان) فيما مضى؛ لأن هذا لما كان ذا معناه أشبه عندهم أن ينتصب على (إذا كان). ولو كان على إضمار (كان) لقلت: هذا التمر أطيب منه البسر؛ لأن (كان) قد ينصب المعرفة كما ينصب النكرة. فليس هو على (كان) ولكنه حال"[2].

وقد فهم السيرافي[3] نص سيبويه هذا على ظاهره ورأى أن العامل في (بسرا) و(رطبا) هي (كان) التامة المقدرة والمقدر قبلها (إذا) في المستقبل و(إذ) في الماضي. ولم يتعرض السيرافي لمتعلق الظرفين المقدرين.

فاعترضه ابن مالك[4] موردا بعض نص سيبويه السابق. ومبينا أن العامل في الحالين هو (أفعل) التفضيل (أطيب). ورادا كلامه بأن فيه تكلف إضمار ستة أشياء وهي (إذ) أو (إذا). و(كان). وفاعلها مرتين. وبأنه لو سلم الإضمار للزم إعمال (أفعل) التفضيل في

---

(١) انظر: الكتاب٢/٣١٠. ٣١٩. ٣٣٠. ٣٣١.

(٢) الكتاب١/٤٠٠.

(٣) انظر: شرحه٢/١٢٩ب.

(٤) انظر: شرح التسهيل٢/٣٤٤-٣٤٥.

الظرفين: (إذ) و(إذا) فيوقع بما فر منه، وبأنه خلاف كلام سيبويه لأن قول سيبويه: "وإنما قال الناس..." إلخ النص -كما ذكر ابن مالك- نص على أن تقدير (إذا كان) لم تدع إليه حاجة من قبل العمل بل من قبل تقريب المعنى.

ثم قال ابن مالك بعد ذلك: "وإنما ذكرت نص سيبويه لئلا يظن من لا يعرف كلامه أن مذهبه مخالف لما ذهبت إليه. وغير السيرافي من الشارحين لكتاب سيبويه مخالفون للسيرافي وذاهبون إلى ما ذهبت إليه"[١].

والذي وقفت عليه من شراح الكتاب قد تعرض لهذا النص غير السيرافي هم: الفارسي والأعلم وابن خروف كما نقل عنه الشاطبي.

أما الأعلم[٢] فكلامه تلخيص لكلام السيرافي.

وأما الفارسي فلم يتعرض لهذا النص في التعليقة، ولكنه تعرض له في الحلبيات، إذ ذكر هذا النص وذكر أنه مشكل، ثم استعمل في توضيحه أسلوب السبر والتقسيم، فذكر أن (بسرا) لا يخلو عامله من أن يكون اسم الإشارة (هذا) أو أفعل التفضيل (أطيب) أو المضمر الذي أشار إليه سيبويه، ولا يجوز أن يكون العامل (أطيب) لتقدم (بسرا) عليه، وإذا لم يجز أن يكون (أطيب) لم يبق إلا أن يكون العامل (هذا) أو المضمر، وإذا أعملت المضمر لزم لهذا المضمر عامل ولا بد أن يكون (هذا)، فإذا كان كذلك ولم يكن بد من إعمال عامل في الظرف أعملت (هذا) في الحال واستغنيت عن المضمر، وعلى هذا يخلو النص من تكلف التقدير في العمل ويبقى هذا التقدير الذي قدره سيبويه تقدير معنى لا إعراب، وبهذا يكون قول سيبويه: "وإنما قال الناس هذا على إضمار (إذا كان)..." إيعازا إلى ذلك، وهذا ما أشار إليه الفارسي حينما قال: "فإذا أعملت (هذا) تأولت[٣] ما ذكره من قوله: (إنما قال الناس...) على إرادتهم معنى هذا الكلام لا حقيقة لفظه، وجعلت (أطيب) خبر هذا المبتدأ وإن كان قد عمل في الحال كما تقول: ضربُ زيدٍ عمرا حسن"[٤]. وأما (رطبا) فيرى الفارسي أن العامل فيها (أطيب).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: النكت ٢/١١.

(٣) في المطبوع: "وتأولت". بالعطف. وأظن الصواب ما أثبت، لأنه بالعطف يبقى (إذا) بلا جواب.

(٤) الحلبيات: ١٧٨.

وبهذا فقد خلص الفارسي إلى أن العامل في (بسرا) في المثال الوارد في نص سيبويه هو اسم الإشارة (هذا)، وأن العامل في (رطبا) هو أفعل التفضيل (أطيب).

لكنه قال بعد ذلك: "والذي يحمل عليه هذا الباب أن تنصب (بسرا) على هذا الظاهر الذي ذكره، كأنه قال: هذا إذا كان بسرا وإذ كان بسرا أطيب منه إذا كان رطبا، فيكون الظرفان جميعا متعلقين بـ(أطيب) لأن (أفعل) فيه دلالة على فعلين...ولا يجوز أن تعمل هذا المعنى في الحالين من حيث أعملته في الظرفين؛ لأن الحال لا تعمل فيها المعاني إذا تقدمت عليهن، وإن جاز أن تعمل في الظروف متقدمة"[1]. كما قال: "وهذا الوجه أسهل وأشبه بمجرى هذا الباب؛ ألا ترى أن سيبويه قد قال: (فهذا كله محمول على ما حملت عليه ما قبله)[2]، والذي ذكر قبل أن ذلك على (إذ كان) و(إذا كان)"[3]. وهذا تصريح بكون العامل في الحالين (كان) المقدرة قبل كل حال، وبكون العامل في الظرفين المقدرين قبل (كان) في الموضعين هو أفعل التفضيل (أطيب)، وبكون إعمال أفعل التفضيل في الحال المتقدم عليه غير جائز؛ لأن الحال يختلف عن الظرف، فلا يعمل فيه متقدما العامل الضعيف.

ولعل هذا ما جعل أحد النحويين يصف رأي أبي على الفارسي بالاضطراب[4]. ولكننا يمكن أن نجمع بين هذين الرأيين بأن نقول: إن الفارسي يجيز في المثال الوارد في نص سيبويه أن يحمل على وجهين: الوجه الأول: أن يكون العامل في الحال الأولى اسم الإشارة، وفي الثانية أفعل التفضيل، ولا تقدير على هذا، وتعليل سيبويه للتقدير الذي نقله عن الناس -كما عبر- يمكن أن يستدل به على ذلك كما سبق، وهذا لا يكون إلا إذا تقدم في المثال اسم إشارة كما في مثال سيبويه. والوجه الثاني: أن يكون العامل في الحالين -كما سبق. أيضا- (كان) المقدرة قبلهما، وفي الظرفين أفعل التفضيل، وهذا يتحتم إذا لم يتقدم في المثال اسم إشارة.

هذا ما وقفت عليه من كلام الفارسي، وقد نسب له بعض المتأخرين[5] ومنهم ابن مالك أنه يرى في التذكرة أن العامل في الحالين أفعل التفضيل، وهذا يخالف ما سبق من كلامه في البغداديات. ولعل مصدر هؤلاء النحويين هو ابن مالك الذي ربما التبس عليه الأمر؛ لأنه قال: "قال أبوعلي في التذكرة: مررت برجل خير ما تكون خير منك. العامل في

---

(١) الحلبيات: ١٧٩-١٨٠.

(٢) الكتاب١/٤٠١.

(٣) الحلبيات: ١٨٢-١٨٣.

(٤) انظر: شرح اللمع للأصفهاني٢/٤٦٩.

(٥) انظر: الارتشاف٣/١٥٨٨، والمساعد٢/٣٠.

(خير ما تكون) (خير منك) لا (مررت)، بدلالة: زيد خير ما تكون خير منك"[1]. وقد وجدت هذا الكلام الذي نقله ابن مالك في الحلبيات، ولكن كان الفارسي يوجه فيها رأيا للمازني في هذا المثال، أما رأيه هو فيه فقد وضحه بعد ذلك بجلاء، وهو أن العامل في (خير) هو (إذا كان) أو (إذ كان) كما نقل عن سيبويه[2].

وأما ابن خروف فقد ذكر الشاطبي[3] أن الرأي الذي جرى عليه ابن مالك بأدلته هو رأيه، ولم أستطع الوقوف على هذا الرأي في كتب ابن خروف.

وبهذا يتضح أن الرأي الذي نقله ابن مالك عن الفارسي من أنه موافق لما ذهب إليه يخالفه ما وجدته في الحلبيات، كما أن الاستدلال الذي ذكره ابن مالك من أن تقدير (إذا أو إذ كان) أدى إلى احتياج تقدير للظرفين فيكون وقوع فيما فر منه، هو مستفاد من الفارسي، لكن الفارسي استدل به على إعمال (هذا) وابن مالك استدل به على إعمال أفعل التفضيل.

والذي يظهر لي أن سيبويه حينما علل القول بتقدير (إذ أو إذا كان) الذي نقله عن الناس كان يريد أن يبين أنه ليس المقصود بـ(كان) في تقديرهم (كان) الناقصة وإنما التامة، والدليل على هذا قوله بعد ذلك: "ولو كان على إضمار (كان) لقلت: هذا التمر أطيب منه البسر؛ لأن (كان) قد ينصب المعرفة كما ينصب النكرة، فليس هو على (كان) ولكنه حال". فقوله: "لأن (كان) قد ينصب المعرفة كما ينصب النكرة". يعني: لأن (كان) الناقصة تنصب المعرفة على أنها خبر (كان) كما تنصب النكرة كذلك، بدليل قوله: "فليس هو على (كان) ولكنه حال". يعني: فليس هو على (كان) الناقصة. وبهذا يكون رأي السيرافي والفارسي في فهم نص سيبويه هو الصواب.

١٢-عمل اسم الفاعل الموصول بـ(أل).

يرى الرماني أن اسم الفاعل الموصول بـ(أل) يعمل إذا كان بمعنى المضي فقط، وفهم كلام سيبويه على هذا. قال: "الذي يجوز في اسم الفاعل إذا صار بمنزلة (الذي فعل) أن يعمل عمل الفعل الماضي كقولك: الضارب زيدا...وعلى هذا جعله سيبويه بمعنى (الذي فعل) حتى يكون مختصا بالزمان الماضي"[4].

---

(١) شرح التسهيل ٢/٣٤٥.

(٢) انظر: الحلبيات: ١٨٠-١٨٣.

(٣) انظر: المقاصد الشافية ٣/٤٨١.

(٤) شرحه ١/٥٧.

واعترضه ابن مالك في هذا الفهم موردا النصوص الحاملة له على هذا الفهم من كلام سيبويه الذي لم يتعرض فيه لكون الموصول بـ(أل) بمعنى المضارع. قال ابن مالك: "وقد ظن قوم منهم الرماني أنه لا يعمل إلا في المضي. وحملهم على ذلك أن سيبويه حين ذكر إعمال اسم الفاعل المقرون بالألف واللام لم يقدره إلا بـ(الذي فعل). فقال: (هذا باب من الاستفهام يكون فيه الاسم رفعا...ومما لا يكون فيه إلا الرفع قوله: أعبدالله أنت الضاربه؛ لأنك إنما تريد معنى: أنت الذي ضربه)[1]. وقال بعد هذا الباب بأبواب يسيرة: (هذا باب صار فيه الفاعل بمنزلة الذي فعل في المعنى)[2]. ثم قال بعد ذلك: (قولك هذا الضارب زيدا، فصار بمعنى الذي ضرب زيدا وعمل فيه)[3]. هذا نصه. ثم تمادى على مثل هذا في جميع الباب"[4]. ثم علل ابن مالك اقتصار سيبويه على تفسير اسم الفاعل الموصول بـ(أل) بـ(الذي فعل) وعدم تعرضه للذي بمعنى المضارع بأن اسم الفاعل الذي في معنى الفعل الماضي لا ينصب الاسم بعده مع غير الألف واللام، بخلاف المستقبل والدال على الحال فإنه يعمل متجردا، وإذا "صح له العمل دون الألف واللام فعمله عند اقترانه بهما على معنى الذي أحق وأولى"[5]. كما استدل ابن مالك على عمله -إضافة إلى هذه العلة القياسية- بالسماع. قال:" ولو لم يكن إعمال الذي بمعنى المضارع مسموعا عند وصل الألف واللام به لوجب الحكم بجوازه للأولوية المشار إليها، فكيف وقد ثبت إعماله في القرآن وغيره، فمن إعماله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ومن إعماله في غير القرآن قول الشاعر[6]:

فَبِتُّ والهمُّ تغشاني طَوَارِقُهُ ... مِنْ خوفِ رحلَةِ بَيْنِ الظَّاعِنِينَ غَدَا"[7].

---

(١) الكتاب ١/١٢٧، ١٣٠.

(٢) الكتاب ١/١٨١.

(٣) المصدر السابق ١٨١.

(٤) شرح التسهيل ٣/٧٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) بيت من الطويل قائله: جرير. انظر: ديوانه ١/٣٩٤. مع اختلاف في الرواية لا تغير الشاهد.

(٧) شرح التسهيل ٣/٧٦-٧٧.

وقد تابع الرماني في نسبة هذا المذهب لسيبويه ابنُ الدهان والفارسيُّ كما نقل عنهما الرضي[1]. ونُسِب هذا المذهب إلى قوم من النحويين دون تحديد[2].

أما ما ذهب إليه ابن مالك من فهم نص سيبويه بتعليله فهو -أيضا- فهم السيرافي وتعليله[3].

والذي يظهر لي أن هذا هو التفسير الصحيح لكلام سيبويه؛ لأن سيبويه[4] أورد قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢] مثالا على ذلك، واسم الفاعل في الآية بمعنى الاستقبال لا المضي، ولأن هذا القول هو قول جمهور النحويين[5]، حتى إن ابن مالك في شرح الكافية الشافية[6] وابنه[7] وهما وعزواه إلى جميع النحويين.

١٣-الشاهد في قول ساعدة بن جؤية:

حتى شآها كَلِيلٌ مَوْهِنًا عَمِلٌ   باتت طِرَابًا وبات الليلُ لم يَنَمِ[8].

اعترض ابن مالك الأعلم الشنتمري[9] الذي ذهب إلى أن شاهد سيبويه في البيت هو إعمال (فعيل) وهو (كليل) في (موهنا) عمل الفعل، ووصف توجيهه لسيبويه على هذا الاستشهاد، بأنه اعتذار متكلف. وهو استشهاد غلط فيه سيبويه جماعة من النحويين وعزي إلى أكثرهم[10]، لذهابهم إلى عدم جواز إعمال (فعيل) و(فعل) عمل الفعل، وإلى

---

(١) انظر: شرحه ق٢ م١/ ٧٢٩.

(٢) انظر: شرح التسهيل٣/ ٧٦، والارتشاف٥/ ٢٢٧٣، والمساعد٢/ ١٩٨.

(٣) انظر: شرح كتاب سيبويه٤/ ٨٠ (مطبوع).

(٤) انظر: الكتاب١/ ١٨٣.

(٥) انظر: الأصول١/ ١٢٩، والجمل: ٨٤، وشرحه لابن خروف١/ ٥٥٣، وشرح المفصل لابن يعيش٦/ ٦٨، والبسيط٢/ ١٠٠١، والارتشاف٥/ ٢٢٧٢.

(٦) انظر: ٢/ ١٠٢٩.

(٧) انظر: شرحه على الألفية: ٤٢٦.

(٨) بيت من البسيط لساعدة بن جؤية الهذلي. انظر: شرح أشعار الهذليين٣/ ١١٢٩، والكتاب١/ ١١٢، والمقتضب٢/ ١١٥، والتبصرة١/ ٢٢٦، وشرح المفصل٦/ ٧٢.

(٩) انظر رأيه في: النكت١/ ٣٤٧، وتحصيل عين الذهب: ١١٦.

(١٠) انظر: المقتضب٢/ ١١٥، والأصول١/ ١٢٤، والتبصرة والتذكرة١/ ٢٢٧، وشرح المفصل٦/ ٧٢، والبسيط٢/ ١٠٥٨، والمساعد٢/ ١٩٣.

أن (موهنا) في البيت ظرف. والظرف تعمل فيه رائحة الفعل، ولذلك لا يدل نصب العامل للظرف على تعديه وعمله، بدليل أن الفعل اللازم ينصب الظرف. فعلى هذا يسقط الاستشهاد بالبيت.

قال ابن مالك عن الأعلم: "واعتذر لسيبويه بأن (كليلا) بمعنى (مكل)، كأنه قال: هذا البرق مُكِلٌّ الوقتَ بدوامه عليه، كما يقال أتعبت يومك وغير ذلك من المجاز. قلت: وهذا عندي تكلف لا حاجة إليه، وإنما ذكر سيبويه هذا البيت شاهدا على أن (فاعلا) قد يعدل به إلى (فَعِيل) و(فَعِل) على سبيل المبالغة، كما يعدل به إلى (فَعُول) و(فَعَّال) و(مِفْعَال)، فذكر هذا البيت لا شتماله على (كليل) للعدل به عن (كالٍّ)، وعلى (عَمِل) المعدول به عن (عامل)، ولم يتعرض لوقوع الإعمال"[1].

فابن مالك أراد أن ينفي تهمة التغليط عن سيبويه، ويقول: إن النحويين فهموا وجه الاستشهاد من هذا البيت على غير ما أراد سيبويه، فسيبويه يريد أن يستشهد على عدل (فعيل) و(فعل) إلى (فاعل) دون التعرض إلى الإعمال. أما ثبوت العمل لهما فهو ثابت لهما في غير هذا الشاهد كما ذكر ابن مالك[2].

واختار ابن هشام[3] فهم ابن مالك هذا.

وأما رأي الأعلم الذي ساقه ابن مالك فهو رأي السيرافي[4]، وإليه -أيضا- ذهب الرماني[5] والقرطبي[6] من شراح الكتاب، وهو فهم شاركهم فيه جمع كثير من النحويين[7].

وهذا القول هو القول الذي يظهر لي صوابه؛ لأن سيبويه ذكر قبل هذا النص أن صيغ المبالغة تجري مجرى اسم الفاعل[8]، ولأن حديثه في هذا الباب[9] الذي فيه هذا الشاهد

---

(١) شرح التسهيل ٣/ ٨٠-٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: مغني اللبيب ٥/ ٢٨١.

(٤) انظر: شرحه ١/ ٥٢٢أ.

(٥) انظر: شرحه ١/ ٤١أ.

(٦) انظر: عيون كتاب سيبويه: ٨٠.

(٧) انظر منهم: التبصرة والتذكرة ١/ ٢٢٦، وإصلاح الخلل: ٢٠٨، وشرح المفصل ٦/ ٧٢، وشرح الجمل لابن عصفور ١/ ٥٧٤، والبسيط ٢/ ١٠٥٧، والصفوة الصفية ق ١م ٢/ ١٣٦، والخزانة ٨/ ٥١٥.

(٨) انظر: الكتاب ١/ ١١٠.

(٩) المصدر السابق ١/ ١٠٨-١١٨.

كان عن عمل اسم الفاعل وما أجري مجراه من صيغ المبالغة. هذا إضافة إلى أنه قول جمهور النحويين من الشراح وغيرهم.

١٤- مراد سيبويه بقوله: "إذا قلت: رب رجل يقول ذلك فقد أضفت (القول) إلى (الرجل) بـ(رب)"[1].

في وجوب وصف مجرور (رب) خلاف بين النحويين[2] ليس هنا مجال بحثه. وقد ذكر ابن مالك[3] أن نص سيبويه السابق يتضمن استغناء المجرور بـ(رب) عن الوصف؛ لأن تصريح سيبويه -كما ذكر ابن مالك- بكون (يقول) مضافا إلى (الرجل) بـ(رب) مانع من كونه صفة؛ لأن الصفة لا تضاف إلى الموصوف وإنما يضاف العامل إلى المعمول، فـ(يقول) إذن عامل في (رجل) بواسطة (رب)، كما كان (مررت) و(أخذت) في (مررت بزيد) و(أخذت من عبدالله) عاملين بـ(زيد) و(عبدالله) بواسطة (في) و(من)، وهما من أمثلة سيبويه في أول نصه الذي منه نصه السابق، إذ قال: "وإذا قلت: مررت بزيد، فإنما أضفت (المرور) إلى (زيد) بالباء...وإذا قلت: أخذته من عبدالله فقد أضفت (الأخذ) إلى (عبدالله) بـ(من)"[4].

لكن ابن مالك -أيضا- ذكر أن في المثال الوارد في نص سيبويه إشكالا بينا، وذلك أن ظاهره -حسب ما وضحه سابقا- يقتضي جواز أن يقال: من زيد عجب، إذا عجب (زيد) من نفسه، وهو غير جائز بالإجماع؛ لأن فيه إعمال فعل ضمير متصل في مفسره، وذلك ممتنع بلا خلاف. ثم قال بعد ذلك: "وقد أخذ أكثر الناس هذا المثال على ظاهره، فمنهم من خطأ سيبويه، ومنهم من صوبه وتكلف تأويله، وأحسنهم مأخذا في التأويل ابن خروف". ثم بين تأويل ابن خروف بقوله: "فإنه قال: يقول سيبويه: فقد أضفت (القول) إلى (الرجل) بـ(رب)، كلام حسن، وهو كقوله: فقد أضفت (الكينونة) إلى (الدار) بـ(في)...فـ(رب) أوصلت القول إلى قليل الرجال وكثيرهم، كما أوصلت (في) (الكينونة) إلى (الدار)... وموضع المخفوض بـ(رب) مبتدأ و(يقول) خبره، فكأنه قال: كثير من الرجال

---

(١) الكتاب١/٤٢١.

(٢) انظر فيه مثلا: الأصول١/٤١٧، وشرح المقدمة الجزولية٢/٨٢٤. وشرح الجمل لابن عصفور١/٥١٢، والملخص: ٥١٧. والجنى الداني: ٤٢٥، وشرح التسهيل٣/١٧٩، ١٨١. والمساعد٢/٢٨٦.

(٣) انظر: شرح التسهيل٣/١٨٣.

(٤) الكتاب١/٤٢١.

يقول ذلك"[1]. ولكنه على الرغم من تفضيله تأويل ابن خروف على غيره وصفه بالتكلف، وخرج مثال سيبويه على وجه زعم أنه لا تخطئة فيه ولا تكلف، "وذلك بأن يجعل (يقول) مضارع (قال) بمعنى: فاق في المقاولة، ويجعل (ذلك) فاعلا أشير به إلى مرئي أو مذكور، كأنه قال: رب رجل يفوق ذلك الرجل في المقاولة"[2].

هذا ما ذكره ابن مالك في هذه المسألة. فأما ما نسبه لابن خروف فهو ما ذهب إليه السيرافي في شرح الكتاب[3] لكن دون أن ينص على موقع المجرور بـ(رب).

وأما من وقفت عليه ممن خطأ سيبويه في هذه المسألة فهو ابن السراج؛ لأنه قال عن نص سيبويه السابق: "وهذا لا معنى له؛ لأن اتصال الصفة بالموصوف يغني عن الإضافة"[4].فهو يرى أن اتصال الصفة (يقول) بالموصوف(الرجل) يغني عن العامل الذي أشار إليه سيبويه بقوله: أضفت، ولذلك لا معنى له عنده.

وأما من وقفت عليه ممن صوبه وتكلف تأويله فهو الشلوبين[5] وابن أبي الربيع[6]، وقد كان تأويلهم هو أنه لما كان عامل (رب) يحذف كثيرا عندهم أقيمت الصفة مقامه، ولذلك نسب سيبويه إليها ما هو منسوب إلى عامل (رب) من إضافته إلى (الرجل) بواسطتها.

وأما من صوب كلام سيبويه وفهمه على ظاهره دون التعرض لذكر الإشكال فهو أبو الوليد الوقشي (ت ٤٨٩هـ)فيما نسب إليه[7].

أما تأويل ابن مالك لنص سيبويه فهو تأويل يصيح بالتكلف الشديد وإخراج النص عن ظاهره بلا دليل، إضافة إلى أنه قول مخالف لأقوال النحويين، فلم أجد من قال به أو أشار إليه أدنى إشارة. والذي يظهر لي أن الذي دعا ابن مالك إلى هذا التأويل الغريب وإلى وصف تأويل ابن خروف بالتكلف على الرغم من أنه أحسن التآويل مأخذا كما عبر، هو أن ابن مالك يرى أن (رب) و مجرورها يتعلقان بالفعل كما يتعلق (بزيد) بـ(مررت) في

(١) شرح التسهيل٣/١٨٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: ٢/١٤٢أ.
(٤) انظر: الأصول١/٤١٨.
(٥) انظر: شرح المقدمة الجزولية٢/٨٢٥.
(٦) انظر: البسيط٢/٨٦٣.
(٧) انظر: شرح المقدمة الجزولية٢/٨٢٤، والارتشاف ٤/ ١٧٤١.

قولك: مررت بزيد، فالمجرور بها عنده في موضع نصب. والذي يدعو إلى قول هذا -كما ذكر ناظر الجيش[1]- هو أن ابن مالك لم يتعرض لذكر موضع (رب) مع مجرورها، فعدم تعرضه لذلك وتوضيحه نص سيبويه كما سبق يدلان على أنه يرى أن حكم (رب) عنده لا يختلف عن بقية حروف الجر من حيث التعليق. وهذا الذي ذهب إليه هو رأي ابن السراج[2] والشلوبين وابن أبي الربيع كما سبق، ونسب للزجاج[3].

ولو أن ابن مالك ذهب إلى أن (رب) حرف جر شبيه بالزائد وأن مجرورها يعرب حسب موقعه من الإعراب كما هو الرأي الصحيح، لما تكلف وركب هذا المركب الوعر في التأويل، ولما وصف كلام ابن خروف بالتكلف، ولفهم كلام سيبويه الفهم الصحيح كما فهمه السيرافي وابن خروف.

وأما ما ذكره ابن مالك من أن تعبير سيبويه بـ(أضفت) في نصه السابق يدل على أن (يقول) تعدى إلى (الرجل) بواسطة (رب)، فهو اعتراض أورده ابن عصفور وأحسن في الإجابة عنه فيما يظهر لي، إذ قال:"فالجواب: أن حرف الجر لا يلزم فيه أن تضيف عاملا إلى معمول، بل قد تضيف الخبر إلى المخبر عنه، وإن لم يكن عاملا فيه، فـ(رب) هي التي أضافت الفعل إلى (الرجل) على معنى التقليل...كما أنك إذا قلت: لعل زيدا قائم، كانت (لعل) مضيفة (القيام) إلى (زيد) على جهة الترجي...وحروف الجر غير الزائدة متعلقة كانت بعامل أو غير متعلقة به إنما معناها الإضافة. فإن كانت متعلقة أضافت العامل إلى المعمول، وإن كانت غير متعلقة أضافت المبتدأ إلى المخفوض بها على المعنى الذي لها"[4].

١٥-نعت غير الواحد إن تعدد العامل واتحد عمله ومعناه ولفظه أوجنسه.

إن كان النعت لأكثر من منعوت فلا يخلو أن يعمل فيهما عامل واحد أو أكثر، فإن عمل فيهما عامل واحد وذلك بعطف أحدهما على الآخر فهذا يتبع فيه النعت بلا إشكال، فتقول: مررت بزيد وعمرو العاقلين، ومررت بشيخ وامرأة وطفل جلوس[5].

---

(١) انظر: تمهيد القواعد٦/٣٠٤٣.

(٢) انظر: الأصول١/٤١٨.

(٣) انظر: المغني٢/٣٢٢، والخزانة٩/٥٦٧.

(٤) تمهيد القواعد٦/٣٠٤٧-٣٠٤٨ نقلا عن شرح الإيضاح لابن عصفور.

(٥) انظر: شرح التسهيل٣/٣١٧، والمقاصد الشافية٤/٦٥١.

وأما إن تعدد العامل فهو موضوع هذه المسألة. فقد ذكر ابن مالك أنه إن تعدد العامل جاز الإتباع بشرط اتحاد عمله ومعناه ولفظه أو جنسه، فمثال اتحاد عمله ومعناه ولفظه: ذهب زيد وذهب عمرو العاقلان، وهذا بكر وهذا بشر الفاضلان، ورأيت محمدا ورأيت خالدا الشيخين، وعجبت من أبيك وأخيك المحسنين. ومثال اتحاد الجنس: هذا زيد وذاك عمرو الحسيبان، وذهب بكر وانطلق بشر الحازمان. ورأيت عليا وأبصرت سعيدا الماجدين، وسيق المال إلى عامر ولسالم المفضلين. كما نص ابن مالك على أن هذا الجواز مطلق غير مختص بنعت فاعلي الفعلين وخبر المبتدأين، بل هو شامل لنعت المنصوبين والمجرورين.

والذي دعاه إلى هذا النص هو أن لسيبويه كلاما يوهم أن هذا الحكم مختص بنعت فاعلي الفعلين وخبري المبتدأين؛ لأنه قال في باب: (ما ينتصب فيه الاسم لأنه لا سبيل إلى أن يكون صفة)[1] بعد أن مثل بـ(هذا فرس أخوي ابنيك العقلاء)[2]: "ولا يجوز أن يجري وصفا لما انجر من وجهين، كما لم يجز فيما اختلف إعرابه".ثم قال: "وتقول: هذا عبدالله وذاك أبوك الصالحان؛ لأنهما ارتفعا من وجه واحد، وهما اسمان بنيا على مبتدأين. وانطلق عبدالله ومضى أخوك الصالحان؛ لأنهما ارتفعا بفعلين"[3].

فنص سيبويه فيما سبق على الخبرين والفاعلين قد يوهم الاختصاص بذلك. كما أن نصه على منع إتباع المجرور من وجهين وعدم ذكره للمجرور والمنصوب من وجه قد يؤيد ذلك. وهذا ما جعل أحد النحويين -كما ذكر ابن مالك- يخص هذا الحكم بنعت المبتدأين والفاعلين فقط بجواز الإتباع اعتمادا على نص سيبويه هذا.

ولذلك اعترضه ابن مالك قائلا -بعد أن أورد نص سيبويه الموهم-: "فمن النحويين من أخذ من هذا الكلام أن مذهبه تخصيص نعت فاعلي الفعلين وخبري المبتدأين بجواز الإتباع، والأولى أن يجعل مذهبه وفق ما قدرته قبل؛ لأنه منع الاشتراك في إعراب ما انجر من وجهين، كما هو في: هذا فرس أخوي ابنيك. وسكت عن المجرورين من وجه واحد، وعن المنصوبين من وجه واحد، فعلم عنده أنهما غير ممتنعين. ويعضد هذا التأويل قوله...(لأنهما ارتفعا من وجه واحد)"[4].

---

(١) الكتاب ٢/٥٧د.

(٢) المصدر السابق ٢/٥٩د.

(٣) المصدر السابق ٢/٦٠.

(٤) شرح التسهيل ٣/٢١٧-٢١٨.

ولم أستطع الوقوف على من اعترضه ابن مالك في فهم نص سيبويه هذا. أما ما ذكره ابن مالك فهو الصحيح، لأنه كما يجوز أن تقول: ذهب زيد وانطلق عمرو العاقلان كذلك يجوز أن تقول: أحببت زيدا وودت عمرا العاقلين، وأن تقول: مررت بزيد ومررت بعمرو العاقلين، أيضا، لأن العلة في الجميع واحدة والقياس سائغ[1]، ولا مانع في كلام سيبويه، بل سكوته عنهما لا يدل على المنع بقدر ما يدل على الجواز.

١٦- ترخيم المركب الإسنادي.

قال ابن مالك في التسهيل عن المركب الإسنادي: "ويجوز ترخيم الجملة وفاقا لسيبويه". ثم قال في شرحه: "وأكثر النحويين يمنعون ترخيمه، لأن سيبويه منع ترخيمه في باب الترخيم، ونص في باب النسب على أن من العرب من يرخمه، فيقول في تأبط شرا: يا تأبط. ورتب على ترخيمه النسب إليه، ولا خلاف في النسب إليه"[2].

ونص سيبويه في الترخيم هو قوله: "واعلم أن الحكاية لا ترخم، لأنك لا تريد أن ترخم غير منادى، وليس مما يغيره النداء، وذلك نحو: تأبط شرا وبرق نحره وما أشبه ذلك. ولو رخمت هذا لرخمت رجلا يسمى بقول عنترة: يا دار عبلة بالجواء تكلمي"[3].

ونصه في باب النسب هو قوله: "هذا باب الإضافة إلى الحكاية. فإذا أضفت إلى الحكاية حذفت وتركت الصدر بمنزلة (عبدالقيس) و(خمسة عشر)، حيث لزمه الحذف كما لزمها، وذلك قولك في (تأبط شرا): تأبطي. ويدلك على ذلك أن من العرب من يفرد فيقول: يا تأبط أقبل، فيجعل الأول مفردا، فكذلك الإضافة"[4].

وإطلاق ابن مالك جواز الترخيم في المركب الإسنادي في التسهيل وكلامه في شرحه عن هذين النصين يفهم ظاهره أن ما قاله سيبويه في باب الترخيم خطأ، وأن الصواب ما قاله في باب النسب، وهذا ما جعل الشاطبي يقول بعد أن أشار إلى ذلك: "كأن ابن مالك اعتقد أن آخر القولين لسيبويه هو ما قاله في النسب، أو أنه هو المعضود بالسماع فاعتمده، ولم يعتمد القياس في المنع في باب الترخيم، لأنه لم يعضده بسماع، ولا نفى عن العرب القول به، فقَوَّل سيبويه الجواز مطلقا"[5].

---

(١) انظر: المقاصد الشافية ٤/ ٦٥٣، ٦٦٢.

(٢) شرح التسهيل ٣/ ٤٢١-٤٢٢.

(٣) الكتاب ٢/ ٢٦٩.

(٤) المصدر السابق ٣/ ٣٧٧.

(٥) المقاصد الشافية ٥/ ٤٤١ بتصرف يسير.

ولكن ابن مالك قال في الألفية:

والعجـزَ احـذفْ مـن مركـب وقَـلّْ ... تـرخيمُ جملـةٍ، وذا عمـرٌو نَقَـلْ

فوصف ترخيم المركب الإسنادي بالقلة، كما ذكر أنه لغة لبعض العرب في شرح الكافية الشافية[1].

وعلى هذا فكلامه هنا – كما قال الشاطبي[2]– أقرب إلى مساعدة التأويل في الجمع بين نصي سيبويه منه في كلامه في التسهيل وشرحه كما سبق؛ لأن سيبويه حينما تكلم عن منع ترخيم المركب الإسنادي في باب الترخيم كان يتكلم على وجه القياس المعلل، ولا بد أن يكون منعه لترخيمه مستندا إلى كلام العرب وأن أكثرهم على منعه، ثم لما جاء إلى باب النسب، وهو باب يحذف فيه عجز الاسم مطلقا في كل مركب أنّسَ جواز حذف العجز في المركب الإسنادي في النسب بحذفه عند بعض العرب في الترخيم، تشبيها بالمركب تركيب مزج، ولم يقل: إن ذلك قياس فيه ولا أن قياس النسب مبني على قياس الترخيم –كما ذكر ابن مالك–. بل كان كلام سيبويه في ذلك كعادته في الإتيان بالمثل القليلة الاستعمال والنادرة تأنيسا في مواضع القياس. فليس لسيبويه تأسيسا على هذا قولان متضادان في هذه المسألة، بل هما قولان يمكن جمعهما.

وقد تابع ابن مالك من شراح الألفية في رأيه فيها ابنه[3] والمرادي[4] وابن جابر الأندلسي[5].

أما أبو حيان فقد اعترض ابن مالك في التسهيل وشرحه، وقال: "هو غلط منه وسوء فهم على سيبويه". وعلل[6] ذلك بأن سيبويه حين قعد الترخيم نص على منع ترخيم المركب الإسنادي في النص الأول، أما في النص الثاني في باب النسب فلم ينص على جواز ذلك بل قال: "من العرب من يفرد فيقول: يا تأبط أقبل". وهذا ليس على جهة الترخيم؛ لأن من العرب من ينادي مرة: يا تأبط شرا، ومرة: يا تأبط، ولذلك قال: "يفرد" ولم يقل: "يرخم"، وبهذا فهو ليس مناقضا لنصه الأول.

---

(1) انظر: ٣/ ١٣٢٥.

(2) انظر: المقاصد الشافية ٥/ ٤٤٢.

(3) انظر: شرحه على الألفية: ٦٠٠.

(4) انظر: توضيح المقاصد ٣/ ١١٤١.

(5) انظر: شرحه على الألفية ٤/ ٤٧-٤٨.

(6) انظر: تمهيد القواعد ٧/ ٣٦٢٨ نقلا عن التذييل.

وتابع أبا حيان في هذا ابن عقيل[1].

وتوجيه أبي حيان لنص سيبويه الثاني فيه تكلف وتحميل للنص أكثر مما يحتمل؛ لأن ذكر سيبويه لـ(تأبط) مقرونا بحرف النداء يدل على الترخيم، ولو لم يكن يريد النص على الترخيم لقال مثلا: إن من العرب من يقول: جاء تأبط، ونحو ذلك[2]. ثم إن الكل يتفق على أن من يلتزم في النداء: (يا تأبط) يقصد: (تأبط شرا)، وليس هناك شخصان أحدهما (تأبط) والآخر (تأبط شرا)، ولكن من التزم نداء (تأبط شرا) بالحذف انزاح عن الأصل، وإنما الترخيم انزياح عن الأصل، وعلى هذا فأنسب شيء لتسمية هذا الحذف هو الترخيم؛ لأنه هو الذي ينطبق عليه في نداء العلم.

والذي يترجح لدي هو ما ذكره الشاطبي من الجمع بين نصي سيبويه الذي يحتمله كلام ابن مالك في الألفية وشرح الكافية الشافية، لا في التسهيل وشرحه، إذ كلام ابن مالك فيهما يوهم التعارض بين نصي سيبويه، والأخذ بالثاني منهما. والله أعلم.

ثانيا: منهج ابن مالك في التعقب.

يمكننا أن نقول: إن ابن مالك كان يراوح بين السمات التالية في تعقبه أفهام النحويين لنصوص الكتاب:

١. الالتزام بنص الكتاب والوقوف عند ظاهره إذا لم يجد ابن مالك صارفا عن هذا الظاهر في مواضع أخرى[3]. أما إذا وجد ما يصرف عنه فلا يلتزم به[4].

٢. الجمع بين نصوص الكتاب وتقوية بعضها ببعض والاستعمال في بعض الأحيان أسلوب السبر والتقسيم لنصوص الكتاب، بغية رد فهم والوصول إلى آخر. وقد استعمل هذه الطريقة في معظم المسائل[5].

٣. رد حجة من صرف نص الكتاب عن ظاهره[6].

٤. توضيح وجه الاستشهاد من الشاهد بما يسقط رأي من فهم غير ذلك[7].

---

(١) انظر: المساعد ٢/٥٥٣.

(٢) انظر: تمهيد القواعد ٧/٣٦٢٩.

(٣) انظر: المسألة الحادية عشرة من مسائل التعقب.

(٤) انظر: المسألة الثانية عشرة.

(٥) انظر: المسألة الأولى، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والعاشرة، والخامسة عشرة، والسادسة عشرة.

(٦) انظر: المسألة الثامنة.

(٧) انظر: المسألة الثانية، والسابعة، والثالثة عشرة.

هذا إضافة إلى أن بعض النصوص ليست غامضة، ولكن بعض النحويين غفل عند قراءة النص عما يوضح المراد، فرماه ابن مالك بالغفلة، ونص على النص المغفول عنه[1].

أما منهجه في نسبة الآراء المتعقبة فلم يلتزم ابن مالك بالنسبة، فهو أحيانا ينص على النحوي المتعقب باسمه، وأحيانا لا ينص وإنما يكتفي بمثل قوله: "جمهور الشراح"، و "أحد المتأخرين"، و "من النحويين".

وابن مالك ليس دقيقا في نسبة الآراء إلى أصحابها، فهو أحيانا ينسب الفهم إلى نحوي ويعترضه مع أن الرأي لنحوي آخر سبقه، وهذا النحوي قد اعترضه ابن مالك في موضع آخر، كنسبته رأيا لابن خروف والأعلم[2]، مع أن السيرافي سبقهما إلى ذلك وقد اعترضه ابن مالك في موضع آخر، وكنسبته القول بتعين المضارع المنفي بـ(لا) للاستقبال للزمخشري[3]، وهو قول سبقه إليه شراح الكتاب قبله كالسيرافي والرماني.

ومما يجب التنبيه له أن ابن مالك -رحمه الله، كما سبق في دراسة المسائل- يزعم بالرأي على أنه له مع أنه مسبوق إليه دون الإشارة إلى ذلك، وأن ما انفرد به كان شديد التكلف وتحميل النص بأكثر مما يطيق[4].

---

(١) انظر: المسألة السادسة، والتاسعة.

(٢) انظر: المسألة الثالثة عشرة، والرابعة عشرة.

(٣) انظر: المسألة الأولى.

(٤) انظر: المسألة العاشرة، والرابعة عشرة.

الخاتمة:

الحمد لله على تيسيره لي ومباركته في وقتي لإنهاء هذا البحث الذي أردت به الوقوف على فهم ابن مالك لكتاب سيبويه، ومعرفة مدى صحة ما نص عليه من تصحيح لأفهام النحويين. وبعد، فقد اتضح بعد الدراسة ما يلي:

١- أن ابن مالك كان حفيا بالكتاب دقيق الفهم له، ولكن ما ادعى أنه فهمه فهما صحيحا كان مسبوقا إليه، وإن لم ينص على ذلك.

٢- أن ما انفرد به في الفهم كان شديد التكلف وظاهر لي النصوص وتحميلها بأكثر مما تطيق وتحتمل، أو أنه قد تطرق له في موضع آخر في كتاب آخر بما يؤدي إلى عدم صحة الاعتراض.

٣- أنه قد يعترض النحوي بشيء غير غافل عنه بل ربما نص عليه ذلك النحوي في موضع قريب مكانيا من الموضع الذي اعترضه فيه ابن مالك.

بقي أن أذكر أنه لا تعارض بين كون ابن مالك حفيا بالكتاب دقيق الفهم له، وبين كون ذلك الفهم مسبوقا إليه؛ لأنه لا يلزم من كونه كذلك أن يكون المتفرد بالفهم السابق إليه، فاستطاعة إدراك فهم الكتاب كما فهمه المتقدمون الكبار أمثال السيرافي والفارسي وغيرهما يعد -في ذاته- محمدة ودليلا على دقة الفهم، فكم نحوي قصر به فهمه عن إدراك ما فهم كما أنه لا تعارض بين ذلك وبين ركوب ابن مالك الشطط في بعض الأحيان، فالكمال لله وحده، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المنزه عن ذلك.

* * *

ثبت المصادر:

- اختلاف الشراح في تفسير كلام سيبويه وأثره في الدرس النحوي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض، إعداد: عبدالعزيز بن إبراهيم الدباسي، ١٤٢٧هـ.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، القاهرة- مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١٨هـ.
- الأزهار الصافية في شرح المقدمة الكافية للعلوي الجزء الأول، تحقيق: محمد بن على العطاونة، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ١٤٠٢، والجزء الثاني تحقيق: عبدالحميد مصطفى السيد، رسالة دكتوراه مقدمة للكلية نفسها.
- الأزهية في علم الحروف لعلي بن محمد النحوي الهروي، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، دمشق- مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي لابن السيد البطليوسي، تحقيق: د. حمزة النشرتي، الرياض- دار المريخ، ط١، ١٣٩٩هـ.
- الأصول لابن السراج، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، بيروت- مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، بيروت- عالم الكتب، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الإغفال للفارسي، تحقيق: د. عبدالله بن عمر الحاج إبراهيم، أبوظبي- مطبوعات مركز جمعة الماجد، ٢٠٠٣م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي، تحقيق: الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبدالمجيد، القاهرة- إصدارات الهيئة المصرية للكتاب، وبغداد- إصدارت وزارة الثقافة والإعلام.
- أمالي ابن الشجري، تحقيق: د. محمود بن محمد الطناحي، القاهرة- مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١٣هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، القاهرة- مكتبة الخانجي، ط١.
- الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب، تحقيق: د. موسى بن بناي العليلي، العراق- مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد بن عبدالمنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل، ط٣.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع، تحقيق: د. عياد الثبيتي، بيروت- دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ.
- البغداديات= المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات لأبي علي الفارسي، تحقيق: صلاح الدين السنكاوي، بغداد- مطبعة العاني.
- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت- دار الجيل.
- التبصرة والتذكرة للصيمري، تحقيق: د. فتحي أحمد مصطفى علي الدين، مكة المكرمة- مطبوعات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٢هـ.
- تحصيل عين الذهب في علم مجازات العرب، تحقيق: د. زهير بن عبدالمحسن سلطان، بيروت- مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٥هـ.
- التخمير= شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير للخوارزمي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض- مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان، تحقيق: د. حسن هنداوي، دمشق- دار القلم، ط١، ١٤١٨هـ.
- ترشيح العلل في شرح الجمل للخوارزمي، تحقيق: عادل بن محسن بن سالم العميري، مكة المكرمة- مطبوعات جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٩هـ.
- التصريح على التوضيح للأزهري، دار الفكر.
- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدماميني، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن المفدى، ط٣، ١٤٢٦هـ.
- التعليقة على كتاب سيبويه للفارسي، تحقيق: د. عوض القوزي، القاهرة- مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠١هـ.
- التلخيص مطبوع في مقدمة كتاب المطول.
- تمهيد القواعد= شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد لناظر الجيش، تحقيق: جماعة من المحققين، مصر- دار السلام، ط١، ١٤٢٨هـ.

- تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب لابن خروف من أول القطعة المتاحة إلى نهاية باب التصغير دراسة وتحقيقا. رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أم القرى. إعداد: صالح بن أحمد بن مسفر الغامدي ١٤١٤هـ.
- تهذيب الألفاظ= كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ لابن السكيت، وقف على طبعه وضبطه وجمع رواياته: لويس شيخو اليسوعي، مكة المكرمة- المكتبة التجارية لمصطفى أحمد البارز، القاهرة- دار الكتاب الإسلامي.
- توجيه اللمع لابن الخباز شرح كتاب اللمع لابن جني، تحقيق: د. فائز زكي دياب، مصر- دار السلام، ط١، ١٤٢٣هـ.
- التوطئة لأبي علي الشلوبين، تحقيق: د. يوسف المطوع، ١٩٨٠م.
- الجمل في النحو للزجاجي، تحقيق: د. على توفيق الحمد، بيروت- مؤسسة الرسالة، الأردن- دار الأمل، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت- دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني ومعه شرح شواهد العيني، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- الحاصر لفوائد مقدمة طاهر في علم حقائق الإعراب للإمام يحي بن حمزة العلوي، تحقيق: د. محمد صلاح الدين حنطاية، صنعاء- مركز عبادي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ.
- الحماسة لأبي تمام، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، الرياض- مطبوعات جامعة الإمام، ١٤٠١هـ.
- الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، تحيق: د. عادل بن سليمان جمال، القاهرة- مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٢٠هـ.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة- مكتبة الخانجي، ط٤، ١٤١٨هـ.
- الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد بن علي النجار، مركز تحقيق الكتاب- الهيئة المصرية للكتاب، ط٣، ١٤٠٦هـ.

- دلائل الإعجاز للجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الرياض- مكتبة دار المعارف للنشر، ط ٥، ١٤٢٤هـ.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، قدم له وشرحه وطبعه ووضع فهارسه: د. محمد بن أحمد قاسم، بيروت- المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ.
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين، مصر: دار المعارف، ط٣، ١٩٨٦م.
- ديوان جميل بثينة، جمع وتحقيق: د. حسين نصار، مصر- دار مصر للطباعة، ط٢، ١٩٧٦م.
- ديوان ابن الدمينة، صنعة: أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق: الأستاذ راتب النفاخ، مطبعة المدني، نشر دار العروبة، ١٣٧٨هـ.
- ديوان ذي الإصبع العدواني، تحقيق: عبدالوهاب العدواني، ومحمد بن نايف الدليمي، الموصل، ١٩٧٣م.
- ديوان الفرزدق، قدم له وشرحه: مجيد طراد، بيروت- دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٩هـ.
- ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق: د. عبدالستار فراج، دار مصر للطباعة.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دمشق- دار القلم، ط٣، ١٤٢٣هـ.
- سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دمشق- دار القلم، ط١، ١٤٠٥هـ.
- سمط اللآلي= اللآلي في شرح أمالي القالي للوزير أبي عبيدالله البكري، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، القاهرة، ١٣٥٤هـ.
- شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، تحقيق: د. محمد الريح هاشم، بيروت- دار الجيل، ط١، ١٤١٦هـ.
- شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي، تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دمشق- دار المأمون، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- شرح أشعار الهذليين للسكري، تحقيق: د. عبدالستار فراج، القاهرة- مكتبة دار العروبة، ١٣٨٤هـ. شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم، تحقيق: عبدالحميد السيد محمد عبدالحميد، بيروت: دار الجيل.

- شـرح ألفيـة ابـن مالـك لابـن النـاظم، تحقيـق: عبدالحميـد السـيد محمـد عبدالحميـد، بيروت: دار الجيل.
- شـرح الأنمـوذج للأردبيلـي، تحقيـق: د. حـسن شـاذلي فرهـود، الريـاض- دار العلـوم للطباعة والنشر، ط١، ١٤١١هـ.
- شـرح التـسهيل لابـن مالـك، تحقيـق: عبـدالرحمن الـسيد ومحمـد بـدوي المختـون، القاهرة- هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠١هـ.
- شـرح الجمـل للجرجـاني دراسـة وتحقيقـا، رسـالة مقدمـة لجامعـة أم القـرى، إعـداد: خديجة محمد حسين، ١٤٠٨هـ.
- شرح جمل الزجاجي لابن خروف، تحقيق: سلوى محمد عمر عرب، مكة المكرمة- مطبوعات جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ.
- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، تحقيق: د. صاحب أبوجناح، بيروت- عالم الكتب، ط١، ١٤١٩هـ.
- شـرح ديـوان حماسـة أبـي تمـام المنـسوب لأبـي العـلاء المعـري، دراسـة وتحقيـق: د. حسين محمد نقشة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ.
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: د. حسن الحفظي، ود. يحي بشير مصري، الرياض- مطبوعات جامعة الإمام، ط١، ١٤١٤هـ.
- شرح شذور الذهب لابن هاشم وبذيله محطات رحلة السرور إلى شرح وإعراب شواهد الشذور، تأليف: د. بركات يوسف هبود، دمشق وبيروت- دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٦هـ.
- شـرح الكافيـة لابـن جمعـة الموصلي، تحقيـق: د. علي الشـوملي، الأردن- دار الكنـدي، ودار الأمل، ط١، ١٤٢١هـ.
- شـرح الكافيـة الـشافية لابـن مالـك، حققـه: د. عبـدالمنعم هريـدي، مكـة المكرمـة- مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز.
- شرح كتاب الحماسة، لأبي القاسم زيد بن علي الفارسي، دراسة وتحقيق: د. محمد عثمان علي، بيروت: دار الأوزاعي، ط١.
- شـرح اللمـع للأصفهاني أبـي الحسن علي بـن الحسين ا لباقولي، تحقيـق: د. إبراهيم أبوعباة، الرياض- مطبوعات جامعة الإمام، ط١، ١٤١٠هـ.

- شرح اللمع للثمانيني، تحقيق: د. فتحي على حسانين، القاهرة- دار الحرم للتراث، ط١، ٢٠١٠م.
- شرح عيون كتاب سيبويه لأبي نصر هارون بن موسى القيسي المجريطي القرطبي، تحقيق: د. عبدربه عبداللطيف، ط١، ١٤٠٤هـ.
- شرح كتاب سيبويه لأبي الفضل الصفار، تحقيق: د. معيض بن مساعد العوفي، المدينة المنورة- دار المآثر، ١٤١٩هـ.
- شرح كتاب سيبويه للرماني من باب الحروف التي تدخل على الفعل إلى نهاية باب الحكاية تحقيقا ودراسة، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة الإمام، إعداد: إبراهيم بن موسى آل موسى، ١٤٢٠هـ.
- شرح كتاب سيبويه للرماني من باب الندبة إلى نهاية باب الأفعال تحقيقا وموازنة، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة الإمام، إعداد: سيف بن عبدالرحمن العريفي، ١٤١٨هـ.
- شرح كتاب سيبويه للرماني، تحقيق: د. رمضان أحمد الدميري، مطبعة السعادة، ١٤٠٨هـ.
- شرح كتاب سيبويه للرماني، تحقيق ودراسة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى، إعداد: محمد بن إبراهيم يوسف شيبة.
- شرح كتاب سيبويه للرماني، مصورة مكتبة دامادا إبراهيم بتركيا، تحت الرقم: ١٠٧٤-١٠٧٥.
- شرح كتاب سيبويه للسيرفي، مخطوط، ومنه مصورة عن دار الكتب في المكتبة المركزية بجامعة الإمام تحت الرقم: ١٠٢٩٦- ١٠٣٠٠.
- شرح المفصل لابن يعيش، القاهرة- مكتبة المتنبي.
- شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوبين، تحقيق: د. تركي بن سهو العتيبي، بيروت- مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ.
- شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب لابن الحاجب، تحقيق: جمال عبدالعاطي مخيمر أحمد، مكة المكرمة، الرياض- مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٨هـ.
- شرح المقدمة المحسبة لابن بابشاذ، تحقيق: خالد بن عبدالكريم جمعة، الكويت- مؤسسة دار الكتب الثقافية، ١٣٩٦هـ.

- الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب لأبي علي الفارسي، تحقيق: د. محمود الطناحي، القاهرة- مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠٨هـ.
- شفاء العليل في إيضاح التسهيل للسلسيلي، تحقيق: د. الشريف عبدالله بن علي بن الحسين البركاتي، مكة المكرمة- مكتبة الفيصلية.
- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، تأليف: د. خالد بن عبدالكريم جمعة، الكويت- مكتبة دار العروبة، ط١، ١٤٠٠هـ.
- الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية للنيلي، تحقيق: د. محسن بن سالم العميري، مكة المكرمة- مطبوعات جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ.
- فهارس كتاب سيبويه، دراسة وصنع: محمد عبدالخالق عضيمة، القاهرة- دار الحديث، ط١، ١٣٩٥هـ.
- الكامل للمبرد، حققه وعلق عليه: د. أحمد الدالي، بيروت- مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٢٥هـ.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة- مطبعة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- الكتاب لسيبويه، مصر- المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣١٦هـ.
- الكشاف للزمخشري، تحقيق: الشيخ عادل عبدالموجود، والشيخ علي معوض، الرياض- مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ.
- لباب الإعراب للإسفراييني، تحقيق: د. بهاء الدين عبدالوهاب عبدالرحمن، الرياض- دار الرفاعي، ط١، ١٤٠٥هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج، تحقيق: هدى محمود قراعة، القاهرة- مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- المباحث الكاملية للورقي تحقيقا ودراسة، رسالة مقدمة إلى كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، إعداد: شعبان عبدالوهاب، ١٣٩٨هـ.
- المحتسب لابن جني، تحقيق: على النجدي ناصف وزميليه، القاهرة- مطبوعات وزارة الأوقاف، ١٤٢٤هـ.
- المرتجل لابن الخشاب، تحقيق: على حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ.

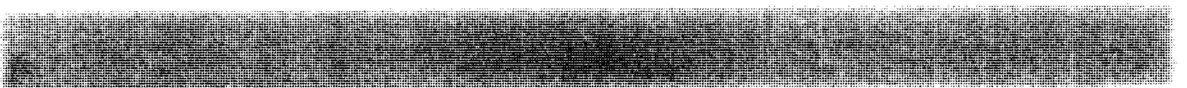
- المسائل البصريات للفارسي، تحقيق: د. محمد الشاطر أحمد محمد، مصر- مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٥هـ.
- المسائل الحلبيات للفارسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، دمشق- دار القلم، بيروت- دار المنار، ط١، ١٤٠٧هـ.
- المسائل الشيرازيات للفارسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، الرياض- كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٤هـ.
- المسائل العضديات للفارسي، تحقيق: د. علي جابر المنصوري، بيروت- عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ١٤٠٦هـ.
- المسائل المنثورة للفارسي، تحقيق: د. شريف النجار، عمان- دار عمار، ط١، ١٤٢٤هـ.
- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل، تحقيق: د. محمد بن كامل بركات، جدة- مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز بدار الفكر بدمشق، ١٤٠٠هـ.
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، بيروت- دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: د. عبدالجليل بن عبده شلبي، بيروت- عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق: د. عبداللطيف الخطيب، الكويت- مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١هـ.
- مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، بيروت- دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١.
- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، قدم له وبوبه، د. علي بوملحم، بيروت- دار مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٣م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي، تحقيق: جماعة من المحققين، مكة المكرمة- مطبوعات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٨هـ.
- المقتضب للمبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، مصر- عالم الكتب.
- الملخص في ضبط قوانين العربية لابن أبي الربيع، تحقيق: د. علي سلطان الحكمي، ط١، ١٤٠٥هـ.

- الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي، شرحه بتعليقات توضح غوامضه: محمد بهجة البيطار. دمشق- مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- النجم الثاقب على كافية ابن الحاجب للمهدي صلاح بن على الحسيني، رسالة مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض، إعداد: عبدالله بن عيسى الجعفري، ١٤٢٨هـ.
- النكت للأعلم، تحقيق: الأستاذ رشيد بلحبيب، المملكة المغربية- مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ.
- النوادر في اللغة لأبي زيد، تحقيق: د. محمد عبدالقادر أحمد، بيروت- دار الشروق، ط١، ١٤٠١هـ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبدالسلام هارون وعبدالعال سالم مكرم، القاهرة- عالم الكتب، ١٤٢١هـ.

* * *

المسائل الكبير والصغير لأبي الحسن الأخفش
وأثرهما في النحاة

د. عبدالله بن محمد بن جارالله النغيمشي
قسم اللغة العربية وآدابها- كلية بجامعة القصيم



المسائل الكبير والصغير لأبي الحسن الأخفش وأثرهما في النحاة

عبدالله بن محمد بن جارالله النغيمشي
قسم اللغة العربية وآدابها- كلية بجامعة القصيم

ملخص البحث:

تعد العناية بتراث الأمة والحفاظ عليه من أجل الأعمال النافعة القيمة، وقد استعنت بالله وبدأت منذ فترة ليست بالقصيرة أركز – من خلال كتب اللغة المختلفة – على مسائل ونصوص تتعلق بكتابين مفقودين من أهم كتب أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، هما: كتاب المسائل الكبير، وكتاب المسائل الصغير، فجمعت عدداً جيداً من نصوص ومسائل الكتابين، ثم عملت عليها هذه الدراسة التي أسعى من خلالها إلى رسم صورة لهذين الكتابين منتزعة من مقولات النحويين فيهما، ومنقولاتهم عنهما، وإلى بيان الأثر الذي خلفه الكتابان في النحويين مما صرحوا به، وساقوه على أنه من كلام الأخفش أو نقله في أحد الكتابين.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن العناية بتراث الأمة والحفاظ عليه من أجل الأعمال النافعة القيمة، وقد استعنت بالله وبدأت منذ فترة ليست بالقصيرة أركز – من خلال كتب اللغة المختلفة – على مسائل ونصوص تتعلق بكتابين مفقودين من أهم كتب أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، هما: كتاب المسائل الكبير، وكتاب المسائل الصغير، فجمعت عددًا جيدًا من نصوص ومسائل الكتابين، ثم عملت عليها هذه الدراسة التي أسعى من خلالها إلى رسم صورة لهذين الكتابين منتزعة من مقولات النحويين فيهما، ومنقولاتهم عنهما، وإلى بيان الأثر الذي خلفه الكتابان في النحويين مما صرحوا به، وساقوه على أنه من كلام الأخفش أو نقله في أحد الكتابين.

وتأتي أهمية هذا البحث من عدة أمور، منها:

١- ارتباط الكتابين بعلم شامخ من أعلام النحو في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، الذي وُصِفَ بأنه أبرع من أخذ عن سيبويه، وأنه الطريق الوحيدة إلى كتابه، فهو مدين للبصريين بروايته لكتاب سيبويه، وللكوفيين الذين خصهم باثنين من أهم مؤلفاته، هما: ((معاني القرآن))، و ((كتاب المسائل الكبير)).

٢- كون الكتابين من أقدم الكتب المؤلفة في النحو – بعد كتاب سيبويه – واشتمالهما على مجموعة من المسائل المهمة في الدراسات النحوية كانت ولا تزال موضع نقاش بين علماء العربية.

٣- الأثر الكبير الذي خلَّفه الكتابان في كثير من علماء العربية،البصريين، والكوفيين والبغداديين وغيرهم من أهل المدارس النحوية المتعاقبة، واعتماد كثير من هؤلاء العلماء على هذين الكتابين في كتبهم، مما يدل على مكانة الكتابين، وأهميتهما في نظر العلماء والدارسين.

٤-خدمة الدارسين والمهتمين في علمي النحو والصرف من خلال جمع ما تفرق من نصوص نحوية نُسبت في كثير من كتب التراث اللغوي إلى أحد كتابي ((المسائل)) لأبي الحسن الأخفش ودراسة أثر تلك النصوص على من جاء بعد أبي الحسن من النحويين.

وقد كتبت عن الأخفش دراسات عدة ما بين رسائل علمية، وبحوث، وكتب، ومن تلك الدراسات منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية للدكتور عبدالأمير الورد، ومنهج الأخفش الأوسط في إعراب القرآن للدكتور أحمد الخراط، ومنهج الأخفش الأوسط في معاني القرآن للدكتور جمال مخيمر، وخلاف الأخفش الأوسط عن سيبويه للدكتورة هدى جنهويتشي والأخفش الأوسط أمقلد هو أم مجدد للدكتور عبدالكريم الأسعد، وغيرها من الدراسات، ودراستي تلك بعيدة عن تلك الدراسات فهي تتناول دراسة كتابي الأخفش الكبير والصغير وبيان أثرهما على النحاة، فالدراسة منصبة على الكتابين لا على الشخصية، ولهذا يمكن لي أن أقول إن عملي في هذا البحث عمل جديد لم أسبق إليه.

ويتضمن هذا البحث الذي سميته: المسائل الكبير والصغير لأبي الحسن الأخفش وأثرهما في النحاة .

بعد المقدمة، تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

التمهيد وفيه تحدثت عن اسم أبي الحسن، وكنيته، ولقبه، ونسبه، ومولده، ونشأته وبعض صفاته، وشيوخه، وتلامذته، ومكانته، وأمانته، وآثاره العلمية، ووفاته.

الفصل الأول: وتحدثت فيه عن كتابي ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير))، وقد اشتمل هذا الفصل على عدة مباحث، هي:

- توثيق عنواني الكتابين ونسبتهما إلى الأخفش.
- سبب تأليفهما.
- مادتهما العلمية وأسلوب أبي الحسن فيهما.
- مكانتهما.

الفصل الثاني: وتحدثت فيه عن أثر كتابي المسائل الكبير والصغير لأبي الحسن الأخفش في النحويين (من خلال النصوص المنقولة عنهما والمسائل المنسوبة إليهما)، واشتمل هذا الفصل على المباحث التالية:

- اعتماد النحويين على الكتابين في إثبات بعض الشواهد أو اللغات.
- اعتمادهم عليهما في نقل بعض مذاهب العرب.
- اعتمادهم عليهما في توجيه بعض ما ورد عن العرب.

- اعتمادهم عليهما في تصحيح بعض الشواهد.
- اعتمادهم عليهما في نفي شيء ما عن العرب.
- نقل أمثلتهما واعتمادها.
- الاستدراك على أمثلتهما.
- اعتمادهم عليهما في نقل آراء بعض النحويين.
- اعتمادهم عليهما في إثبات آراء لأبي الحسن مخالفة لما نُسب إليه.
- إيراد تعليلات الأخفش في أحد كتابي المسائل واعتمادها.
- اللجوء إلى أحد كتابي المسائل لحسم الخلاف في بعض القضايا النحوية.
- شرح كلام الأخفش في كتاب المسائل.

الفصل الثالث: وفيه تحدثت عن موقف النحويين من آراء الأخفش في كتابي المسائل واشتمل هذا الفصل على مبحثين، هما:

- موافقة الأخفش في بعض آرائه.
- مخالفة الأخفش في بعض آرائه.

ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وأتبعتها بذكر قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي أفدت منها.

التمهيد: أبو الحسن الأخفش: حياته وآثاره ((بإيجاز)):

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري[1]، كان مولى لبني مجاشع بن دارم، بطن من تميم، من أهل ((بلخ))[2]، عرف في عصره بالأخفش الصغير، لأن الأخفش الكبير هو أبو الخطاب عبدالحميد بن عبدالمجيد (١٧٧هـ) شيخ سيبويه، فلما ظهر علي بن سليمان (٣١٥هـ) لقب بالأخفش أيضًا، فصار هو الصغير، وقيل عن سعيد بن مسعدة: الأخفش الأوسط، وقد تعارف الباحثون على أن لقب ((الأخفش)) إذا أطلق انصرف إلى الأوسط، لأنه أشهرهم، قال البغدادي (١٠٩٣هـ) بعد أن ذكر الأخافش الثلاثة: ((... والأخفش المتوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة... وهو المراد إذا أطلق في كتب النحو[3])).

مولده ونشأته وبعض صفاته:

لم تذكر المصادر مكان ولادة أبي الحسن ولا تاريخها، أما مكانها فمن المرجح أنه ولد في ((بلخ))، وهي المدينة التي ينسب إليها أحيانًا، فيقال: البلخي، وأما تاريخها فيمكن تقديره ببداية العقد الرابع من القرن الثاني الهجري، وذلك أنه كان أسن من سيبويه[4]، وسيبويه قد ثبت أخذه عن عيسى بن عمر، وعيسى بن عمر توفي سنة ١٤٩هـ، ولا يمكن لسيبويه أن يأخذ عن عيسى إلا وهو يعقل، ولا يعقل حتى يكون بالغًا[5]، ولهذا السبب رجح ياقوت (٦٢٦هـ) أن عمر سيبويه عند وفاته كان فوق الأربعين، وليس ثلاثًا وثلاثين كما يذكره بعض المترجمين له[6].

وقد ورد أبو الحسن البصرة فسكنها، وتتلمذ لكثير من علمائها ممن سيرد ذكر بعضهم عند الحديث عن شيوخه، ودخل بغداد وأقام بها مدة، وروى وصنف بها[7]، ثم

---

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٧٢، وأخبار النحويين للسيرافي ٧٢، والفهرست ٧٥، ونزهة الألباء ١٠٧، وإنباه الرواة ٢/٣٦، ووفيات الأعيان ٢/٣٨٠، وإشارة التعيين ١٣١.

(٢) مدينة مشهورة بخراسان. ينظر: معجم البلدان ١/٥٦٨ ((بلخ)).

(٣) حاشية على شرح بانت سعاد ٢/٣٧٠.

(٤) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٦٧، والفهرست ٧٥، وإشارة التعيين ١٣١، وإنباه الرواة ٢/٤٠.

(٥) ينظر: معجم الأدباء ٥/٢١٢٣.

(٦) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٧٢، وأخبار النحويين البصريين ٦٤، ونزهة الألباء ٥٨.

(٧) ينظر: البغية ١/٥٩٠.

انتقل إلى الري ومات هناك[1]. وتذكر كتب التراجم من صفاته أنه كان أجلع[2]. والأجلع الذي لا تنضم شفتاه على أسنانه، وأنه كان من أعلم الناس بالكلام، وأحذقهم بالجدل[3]، وأنه كان جريئًا في الحق حريصًا على النصح، عاجزًا عن تحمل الخطأ، ولو أدى ذلك إلى إلحاق الضرر به[4]، وأنه أول من أملى غريب كل بيت من الشعر تحته، وكان يقال له: الأخفش الراوية[5]، وأنه كان متصفًا بالأمانة العلمية، وقد أثنى على أمانته عدد من العلماء الأجلاء، منهم أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) الذي قال: ((يَكاد يُعرف صدق أبي الحسن ضرورة، وذلك أنه كان مع الخليل في بلد واحد فلم يحكِ عنه حرفًا واحدًا[6]))، وابن جني (٣٩٢هـ) الذي وصفه في سر الصناعة[7] بالأمانة وسعة الرواية، وابن إياز (٦٨١هـ) الذي قال معللاً لترجيحه إحدى الروايات: ((لأن الأخفش حكاه، وحسبك به ثقة)) وأبو حيان (٧٤٥هـ) الذي جعل ما يقوله الأخفش بمنزلة ما يرويه، فقال في التذييل والتكميل[8]: ((كلام الأخفش وحده كالنقل عن العرب، فلا ينبغي أن يتعدى))، وعدَّه الأزهري (٣٧٠هـ) في تهذيب اللغة[9] ضمن العلماء الموصوفين بالصدق في الرواية، والمعرفة الثاقبة، وحفظ الشعر، وجعله من ضمن من اعتمد عليهم فيما جمعه من كتابه.

عقيدته:

اتفقت أقوال المترجمين للأخفش على أنه كان معتزلي المذهب[10]. غير أن تلك العقيدة لم تظهر في أي نص من النصوص المنسوبة إلى كتابيه المسائل الكبير والصغير، وإن كانت ظهرت في كتابه معاني القرآن ظهورًا واضحًا في توجيهه لبعض الآيات بما يناسب عقيدته.

---

(١) ينظر: المزهر ٢/٤٠٣-٤٠٤.

(٢) ينظر: إشارة التعيين ١٣١، وشذرات الذهب ٢/٣٦.

(٣) ينظر: إنباه الرواة ٢/٣٩، والبلغة ١/٩٠د.

(٤) ينظر: مجالس العلماء ٤د-دد، وإنباه الرواة ٢/٤٣.

(د) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٧٤، وإنباه الرواة ٢/٣٩.

(٦) الخصائص ٣/٣١١.

(٧) ١/٣٦٣.

(٨) ٨/١٠٨.

(٩) ١/١١-١٢.

(١٠) ينظر: مراتب النحويين ٦٨، وطبقات النحويين واللغويين ٧٤، والمزهر ٢/٤٠د.

شيوخه:

يعد سيبويه أبرز من أخذ عنهم أبو الحسن الأخفش، فقد لازمه، وأخذ عنه النحو، وروى عنه كتابه، بل هو الطريق الوحيدة إليه، إذ لا يعرف أحد قرأه على سيبويه، أو قرأه سيبويه عليه[1]، ويروى عنه أنه كان يقول: ((ما وضع سيبويه في كتابه شيئًا إلا وعرضه علي...[2])) وقد نصت المصادر على أنه لقي من لقي سيبويه من العلماء، لأنه كان أكبر سنًا منه، ونصت كذلك على أنه لم يأخذ عن الخليل[3]، وممن لقيه سيبويه من العلماء غير الخليل:

١. عيسى بن عمر الثقفي (١٤٩هـ).

٢. الأخفش الأكبر عبدالحميد بن عبدالمجيد (١٧٧هـ).

٣. يونس بن حبيب البصري (١٨٣هـ).

٤. أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت (٢١٥هـ).

وتذكر بعض كتب الطبقات والتراجم أن أبا الحسن اتصل بأبي مالك النميري عمرو ابن كركرة وحماد بن الزبرقان، وروى عنهما[4].

تلامذته:

تخرج على يد أبي الحسن الأخفش العديد من العلماء، من أشهرهم:

١- أبو عُمَر صَالح بن إسْحَاقَ الجرمي (٢٢٥هـ)[5].

٢- أبو محمد عبدالله بن محمد التوزي (٢٣٠هـ)[6].

٣- أبو عثمان بكر بن محمد المازني (٢٤٧هـ)[7].

٤- أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي (٢٤٩هـ)[8].

٥- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٥٠هـ)[9].

---

(١) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٦٤، والفهرست ٧٥، ونزهة الألباء ١٠٨.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٦٧، وشذرات الذهب ٣٦/٢.

(٣) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٦٧، وإنباه الرواة ٣٩/٢.

(٤) ينظر: إنباه الرواة ٤٠/٢-٤١.

(٥) ينظر: ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٧٤، والبغية ٨/٢.

(٦) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٩٥.

(٧) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٨٧، وأخبار النحويين البصريين ٨٥.

(٨) ينظر: مراتب النحويين ١٣٧.

(٩) ينظر: وفيات الأعيان ٤٣٠/٢.

٦- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)[١].

٧- أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧هـ)[٢].

٨- أبو جعفر أحمد بن محمد اليزيدي (٢٦٠هـ)[٣].

مكانته العلمية:

يعد الأخفش واحداً من أعلام مدرسة البصرة المقدمين، وأكبر أئمتها بعد سيبويه، وقد وصفه بعض من يعرفه بأنه إمام العربية، وأنه من أكابر أئمة البصريين[٤]، وأنه أبرع أصحاب سيبويه وأحفظهم[٥]، ووصفه الفراء بأنه سيد أهل اللغة، وسيد أهل العربية[٦]، وقال عنه الكسائي: لم يكن في البصريين أعلم من الأخفش[٧]. ولما علم الفراء بعزم الأخفش على الخروج إلى الري، قال: ((أما إنه إن كان خرج فقد خرج معه النحو كله، والعلم بأصوله وفروعه[٨])) وكان ثعلب – الذي وصف بأنه قليل الشهادة لأحد بالحذق في العلم[٩]– يفضل الأخفش ويقول: ((هو أوسع الناس علماً[١٠])). ويكفي في الدلالة على مكانة الأخفش العلمية شهادة سيبويه، فقد كان لا يضع في كتابه شيئاً إلا عرضه على أبي الحسن[١١]، ولما مات سيبويه كان أبو الحسن هو الطريق الوحيدة إلى كتابه، فالكتاب لم يرو من طريق غير طريق الأخفش سعيد بن مسعدة[١٢].

آثاره العلمية:

صنف الأخفش كتباً كثيرة في اللغة والنحو والعروض والقوافي، وله في كل فن منها مذاهب مشهورة، وأقوال مذكورة عند علماء العربية، ولم يصلنا من تلك المؤلفات

---

(١) ينظر: معجم الأدباء ٥/٢١٠١.

(٢) ينظر: إنباه الرواة ٢/٣٦٧، والبغية ٢/٢٧.

(٣) قرأ عليه كتاب معاني القرآن. ينظر: مقدمة معاني القرآن للأخفش ٥١-١٦ ((تحقيق د. عبدالأمير الورد)).

(٤) ينظر: نزهة الألباء ١٠٧، وشذرات الذهب ٢/٣٦.

(٥) ينظر : أخبار النحويين البصريين ٦٦، والبلغة ٨٣، والبغية ١/٥٩٠.

(٦) ينظر: وفيات الأعيان ٢/٣٨١.

(٧) ينظر: مراتب النحويين ٦٨.

(٨) المزهر: ٢/٤٠٤.

(٩) ينظر: معجم الأدباء ٦/٢٤٥٢ في ترجمة محمد بن جرير الطبري.

(١٠) ينظر : أخبار النحويين البصريين ٦٦، ونزهة الألباء ١٠٨.

(١١) ينظر: مراتب النحويين ١١٢، وطبقات النحويين واللغويين ٦٧.

(١٢) ينظر: نزهة الألباء ١٠٨.

إلا ثلاثة، وجميعها حقق وطبع، وهي: معاني القرآن[١]، وكتاب العروض[٢]، وكتاب القوافي[٣]. أما كتبه التي لم تصل إلينا ولم يشر إلى وجودها أحد، وإنما هي في عداد الكتب المفقودة، فهي: كتاب المسائل الصغير وكتاب المسائل الكبير، وكتاب الأوسط في النحو، وكتاب المقاييس في النحو، وكتاب الاشتقاق، وكتاب وقف التمام، وكتاب الأصوات، وكتاب الملوك، وكتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها[٤]، وكتاب التصريف[٥]، وشرح كتاب النوادر لأبي زيد[٦]، وكتاب الواحد والجمع في القرآن[٧]، وحواش على كتاب سيبويه[٨]، وكتاب الأربعة[٩]، وكتاب في أبيات المعاني، سماه ((المعاياة))[١٠].

وفاته:

اختلف في سنة وفاة أبي الحسن الأخفش – رحمه الله – فقيل: سنة ٢١٠هـ[١١]، وقيل: سنة ٢١١هـ[١٢]، وقيل: سنة ٢١٥هـ[١٣]، وقيل: سنة ٢٢١هـ[١٤].

* * *

---

(١) خرج بثلاثة تحقيقات، أحدها للدكتور فائز فارس، ونشر عام ١٤٠٠هـ والثاني للدكتور عبدالأمير الورد، ونشر عام ١٤٠٥هـ والثالث للدكتورة هدى قراعة، ونشر عام ١٤١١هـ.

(٢) خرج بتحقيقين، أحدهما للدكتور أحمد محمد عبدالدايم، والثاني للدكتور سيد البحراوي.

(٣) حققه الدكتور عزة حسن، ١٩٧٠م، وأعاد تحقيقه ونشره أحمد راتب النفاخ، ١٩٧٤م.

(٤) ينظر: الفهرست ٧٥، وإنباه الرواة ٤٢/٢، وإشارة التعيين ١٣٢، ووفيات الأعيان ٣٨٠/٢، والوافي في الوفيات ٢٦٠/١٥.

(٥) ينظر: إنباه الرواة ٤٢/٢، ونقل عنه ابن جني في سر الصناعة ٧٥٠/٢، ٧٥١، وتهذيب التذكرة ١٩٩ (مخطوط).

(٦) ينظر: تهذيب اللغة٣٣/١،وإنباه الرواة ١٤٤/١،وعده البغدادي في مقدمة الخزانة٢٣/١من مصادره ونقل عنه في ثلاثين موضعًا.

(٧) ينظر: المزهر ١٤٢/٢، والهمع ٨٨/١.

(٨) ينظر: إشارة التعيين ٢٤٤.

(٩) ينظر: إيضاح المكنون ٢٦٥/٢.

(١٠) ينظر: حاشية على شرح بانت سعاد ٣٠٣/١، ووصفه البغدادي بأنه جيد، وذكر أنه عنده.

(١١) ينظر: الوافي في الوفيات ٢٦٠/١٥.

(١٢) ينظر: إنباه الرواة ٤١/٢.

(١٣) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، والفهرست ٧٥ ٧٤.

(١٤) ينظر: البغية ٥٩١/١.

الفصل الأول: كتابا المسائل: الكبير والصغير:

توثيق عنواني الكتابين ونسبتهما إلى الأخفش:

عنوان الكتاب هو اسمه الذي يعرف به، ويميزه عن غيره، وقد ورد كتابا ((المسائل)) للأخفش في جميع كتب التراجم والطبقات التي ترجمت لأبي الحسن بعنوان ((كتاب المسائل الكبير))، و((كتاب المسائل الصغير))، وكذلك وردا بهذين الاسمين عند كل من ذكرهما من أصحاب الكتب التي تعنى بالكتب ومصنفيها[1]، وكذلك عند أكثر من نقل عنهما من النحويين بل جاء في ((طبقات النحويين واللغويين)) ما يدل على أن هذه التسمية هي تسمية الأخفش نفسه[2].

وقد تصرف بعض النحويين – بقصد الإيجاز والاختصار – باسمي الكتابين فذكرهما بعنوان ((الكتاب الكبير))[3]، و((الكتاب الصغير))[4]، بحذف كلمة ((المسائل))، وبعضهم ذكرهما بعنوان ((المسائل الكبير))[5]، و((المسائل الصغير))[6]، بحذف كلمة ((كتاب)) ويظهر لي أن التصرف الأخير أدى إلى ظهور عنوانات أخرى للكتابين اشتهرت عند كثير ممن نقل عنهما من النحويين المتأخرين،كابن عصفور وابن مالك ومن جاء بعدهما، هي ((المسائل الكبيرة))[7]، و((المسائل الكبار))[8]،و((المسائل الكبرى))[9] و((المسائل الصغيرة))[10]، و((المسائل الصغرى))[11]، فجعلوا الوصف ينصرف إلى المسائل، وليس إلى

---

(١) ينظر: الفهرست ٧٥، وهدية العارفين ٣٨٨/١.

(٢) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٧٣.

(٣) ينظر: البغداديات ١٨٠، وضرائر الشعر ٢٥، ٣٩، ٤٠، وتذكرة النحاة ١١، ٥٤٩، والارتشاف ٧/٥٥، ٢٠٥٧، ٢٣٨٠، والمنهاج الجلي في شرح القانون الجزولي ٣٧٦/١(رسالة دكتوراه)، والهمع ٣٦/٣، والأشباه والنظائر ٣٨٨/١، وشرح شواهد الشافية ٣٦١/٤.

(٤) ينظر: شرح المسائل المشكلة للفارقي ١٢٥، ٣٢٢.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٢/٢، وشرح المسائل المشكلة للفارقي ٢٧٢، ٣٨٣، وشرح التسهيل ٣٦/٢، وشرح الكافية للرضي ٤٣٢/١، والصفوة الصفية ٣٠/٣، والتذييل والتكميل ٩٢/٤، ١٣٨/٥، ١٩٤، وتعليق الفرائد ١٣٠/٣، و والمنهاج الجلي في شرح القانون الجزولي ٩٧٤/٣(رسالة دكتوراه).

(٦) ينظر: المقاصد الشافية ١٩٥/٢، ١٨٥/٦، والخزانة ٤٥٤/٨.

(٧) ينظر: الصفوة الصفية ٦٨٢/٤ حاشية رقم ٢.

(٨) ينظر: الارتشاف ١٥٣٢/٣.

(٩) ينظر: تعليق الفرائد ١٣٠/٣حاشية رقم ٦.

(١٠) ينظر: الارتشاف ١٠٨٣/٣، وشرح أبيات مغني اللبيب ١٠٦/٨.

(١١) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٦٦٧/٢، ٧٣٧، وشرح التسهيل ٧٤/٢، والتذييل والتكميل ٩/٦، وروح المعاني ١٦٠/٣، وحاشية الشهاب ١٨٦/٣.

حجم الكتاب، ولهذا ظن بعض الباحثين[1]أن الأول كتاب يحتوي على مسائل تناقش أدق الأحكام ولا تناسب المبتدئين، وأن الثاني كتاب تعليمي مبسط، تناول فيه أبو الحسن المسائل بأسلوب سهل موجز، وليس الأمر – في ظني – كذلك، وإنما أميل إلى أن الأخفش ألف كتابًا صغيرًا يتضمن مسائل نحوية وصرفية معينة،ثم ألف كتابًا أكبر منه تناول فيه قدرًا أكبر من المسائل فالوصف ليس للمادة أو الأسلوب وصعوبتهما أو سهولتهما، وإنما إلى حجم الكتاب فقط، وهذا الذي ذكرته يؤيده ما سبق ذكره من تسمية النحويين المتقدمين للكتابين[2].

سبب تأليفهما:

لما دخل أبو الحسن بغداد بعد وفاة سيبويه واتصل بالكوفيين، ورأى اهتمامهم بالمسائل المتفرقة في النحو والصرف صنع لهم ((كتاب المسائل الكبير))[3]، قال الزبيدي: ((وقال الأوراجي الكاتب: حدثني أحمد بن محمد بن رستم الطبري (٣٠٤هـ) عن الجرمي أن الأخفش حدثه، قال: لما دخلت بغداد أتاني هشام الضرير فسألني عن مسائل عملها وفروع فرعها، فلما رأيت أن اعتماده واعتماد غيره من الكوفيين على المسائل عملت ((كتاب المسائل الكبير)) [4]...)).

وكان أبو الحسن قبل ذلك أو بعده بقليل قد ألف كتابه ((معاني القرآن)) بطلب من الكسائي[5] فكان لهذين الكتابين أثر بالغ في الكوفيين، اطلعا من خلالهما على مذهب البصريين، واطلعا على سعة علم الأخفش، مما جعل رأسي مدرسة الكوفة –الكسائي والفراء– ومن بعدهما ثعلب يثنون على علم الأخفش ويدعون إلى الاستفادة من علمه، فقال الكسائي: ((لم يكن في القوم – يعني البصريين– أعلم من الأخفش[6]))، وقال

---

(١) ينظر بحث بعنوان: نشأة محاولات تجديد النحو، لمريم النعيمي، منتديات تخاطب، الدراسات التراثية، ٢٠١٠/٩/١م. وبحث بعنوان: محاولات التيسير في النحو العربي، للدكتور عوض القوزي، ندوة الوفاء الخميسية، الرياض، لعميدها أحمد باجنيد، ١٤٢٦/١١/١٣هـ.

(٢) ينظر: الصفحة السابقة الحاشية رقم ٧ و ٨.

(٣) أما كتاب ((كتاب المسائل الصغير)) فلم أجد أحدًا من العلماء تحدث عن سبب تأليفه.

(٤) طبقات النحويين واللغويين ٧٣.

(٥) ينظر: المصدر السابق ٧٠.

(٦) ينظر: مراتب النحويين ٦٨.

الفراء لما علم بعزم الأخفش على الخروج إلى الري: ((لئن خرج فقد خرج معه النحوكله، والعلم بأصوله وفروعه[1])) وقال عنه ثعلب: ((هو أوسع الناس علمًا[2])).

مادتهما العلمية وأسلوب أبي الحسن فيهما:

صنف أبو العباس ثعلب ((كتاب المسائل)) لأبي الحسن على أنه من كتب النحو، حيث وجد على نسخته من ذلك الكتاب تعليق كتبه بخطه، وفيه: ((كتبت إلى أبي حاتم السجستاني أن ينسخ لي مسائل الأخفش كلها في النحو، فوجه إلي بهذه النسخة...[3])). وما استطعت جمعه من نصوص منقولة عن الكتابين، ومسائل منسوبة إليهما، يؤكد ما ذكره الإمام ثعلب فعناية أبي الحسن فيما جُمع من الكتابين منصرفة إلى النحو، وما أورده من نصوص تتناول مسائل صرفية، أولغوية قليل جدًا[4].

والمسائل التي تحدث عنها أبو الحسن في كتابيه جعلها في أبواب، قال ابن درستويه (٣٤٧هـ): ((وزعم جماعة من البصريين أن الكوفي الذي يذكره الأخفش في آخر باب من كتاب المسائل ويرد عليه هو الرؤاسي[5])). وقال الفارسي في البغداديات[6]: ((قال أبو الحسن في كتابه ((المسائل الكبير)): هذا باب ((إنْ)) المخففة إذا كانت بعدها اللام عوضًا...)). وقال الفارسي في التذكرة -فيما نقله عنه السيوطي-: ((... وقد عمل أبو الحسن في ((المسائل الكبير)) أبوابًا ومسائل، وهذا أصل تلك المسائل عندي[7])). وقال الألوسي في روح المعاني[8]: ((وفي المسائل الصغرى للأخفش في باب عقده لتحقيق هذه المسألة أن العرب لا تستعمل آخر إلا فيما هو من صنف ما قبله، فلو قلت: أتاني

---

(١) المزهر: ٢/٤٠٤.

(٢) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٦٦، ونزهة الألباء ١٠٨.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ١٥٠.

(٤) يقول الأزهري في تهذيب اللغة ١/١١-١٢ وهو يعدد من اعتمد عليهم من العلماء فيما جمعه من كتابه: ((ومنهم: أبو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش: وكان الغالب عليه النحو ومقاييسه، ولم يكن حافظاً للغريب...)).

(٥) ينظر: إنباه الرواة، والبغية ١/٨٣، والرؤاسي هو أول كوفي يضع كتابًا في النحو، وكتابه اسمه الفيصل. وقيل: إن كل ما في كتاب سيبويه: وقال الكوفي كذا، إنما عنى به الرؤاسي. ينظر: المزهر: ٢/٤٠٠.

(٦) ص ١٨٠.

(٧) الأشباه والنظائر ١/٢٨٨.

(٨) ٣/١٦٠، وينظر: حاشية الشهاب ٣/١٨٦.

صديق لك وعدو لك آخر لم يحسن لأنه لغو من الكلام))، وتلك الأبواب متفرقة لا ينتظمها كتاب أو فصل واحد، بمعنى أن أبا الحسن قد يعقد بابًا لـ ((إنْ)) المخففة مثلاً، فيتحدث عنها في جانب معين، ثم يعقد لها بابًا آخر في موضع آخر من الكتاب يتحدث فيه عن جانب آخر، وقد قام أحد النحويين، وهو زيد البارد (٣٠٠هـ) بالجمع بين أبواب الكتاب، يقول الزبيدي متحدثًا عن زيد البارد: ((وهو الذي جمع بين الأبواب في كتاب الأخفش، فاقتدى الناس به وكانت الأبواب متفرقة، رأيت النسخة الأولى، فرأيت أبوابها مفترقة[١])).

أما عن أسلوب أبي الحسن في الكتابين فهو - كما قيل عنه - أسلوب يميل إلى الصعوبة والتعقيد[٢]، وقد أشار إلى ذلك الفارقي (٣٩١هـ) في كتابه ((تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب))[٣]، وحدّث أبو بكر بن الخياط (٣٢٠هـ) أنه قصد يومًا أحمد ابن يحيى الملقب بثعلب فدق عليه الباب، فخرج وبيده جزء من مسائل الأخفش، فقال: ((ويحك، صاحبك هذا مجنون، ويتكلم بما لا يُفْهَم، فقلت: وأي شيء وقفت عليه من هذا ؟، فقال: كم مني مكان السارية رجل، وكم مني مكان السارية ذراع، في غير ذلك من المسائل، فقلت له: هذا رجل أشرف على بحر، فهو يتكلم منه بما يريد، فسكت[٤])).

ويعترف الأخفش بصعوبة أسلوبه في كتابه ((المسائل الكبير))، فيذكر وهو يتحدث عن سبب تأليفه أنه ألفه للكوفيين، وأنهم اطلعوا عليه فلم يعرفوا أكثر ما فيه[٥].

وقد حملت صعوبة أسلوب أبي الحسن في الكتابين بعض النحويين إلى الاهتمام بمعالجة ما فيهما من غموض وتعقيد، فشرحهما عدد منهم كما سيأتي بعد قليل.

وأختم الحديث هنا بأن أشير إلى أن سمة الإغماض والإبهام في أسلوب أبي الحسن ليست خاصة بكتابي المسائل فقط، بل هي سمة ظاهرة في سائر كتبه، وقد ناقشه

---

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٢٨٤.

(٢) ما عثرت عليه من نصوص يخالف هذا، فهي نصوص واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، ولكن الذي يجب أن يعلم هو أن ما جمعته لا يشكل نسبة كبيرة من الكتابين، فما فقد منهما، أو نُقل عنهما من غير عزو كثير جدًا ولا يمكن مقارنته بما جُمع.

(٣) ص ٣٨٣.

(٤) طبقات النحويين واللغويين ٧٤.

(٥) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٧٣.

الجاحظ في ذلك فقال له: ((أنت أعلمُ الناسِ بالنّحو فلم لا تجعَلُ كتبَكَ مفهومة كلّها؟، وما بالُنا نفهمُ بعضَها ولا نفهم أكثرها؟، وما بالُك تقدّم بعضَ العويصِ وتؤخّر بعض المفهوم؟، قال: أنا رجلٌ لم أضَعْ كتبي هذه لله، وليست هي من كتبِ الدين، ولو وضعتُها هذا الوضع الذي تدعوني إليه قلّت حاجاتُهم إليّ فيها وإنّما كانت غايتي المَنالة، فأنا أضعُ بعضَها هذا الوضع المفهومَ، لتدعوَهم حلاوةُ ما فهموا إلى التماس فهْم ما لم يفهموا[1])). وهذا النص يدل على أن الإغماض عند أبي الحسن مصنوع، أداه إليه رغبته في أن يحمل الناس على الحاجة إليه.

مكانتهما:

تتضح مكانة كتابي ((المسائل)) للأخفش من خلال الأمور الآتية:

١- ارتباطهما بعلم شامخ من أعلام النحو في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، الذي وُصفَ بأنه أبرع من أخذ عن سيبويه وأنه الطريق الوحيدة إلى كتابه، فهو مدين للبصريين بروايته لكتاب سيبويه، وللكوفيين الذين خصهم باثنين من أهم مؤلفاته، هما: ((معاني القرآن))، و((كتاب المسائل الكبير)).

٢- كونهما من أقدم الكتب المؤلفة في النحو -بعد كتاب سيبويه- واشتمالهما على مجموعة من المسائل المهمة في الدراسات النحوية كانت ولا تزال موضع نقاش بين علماء العربية.

٣- اشتمالهما على العديد من الشواهد الشعرية، والروايات النثرية، التي رواها الأخفش عن العرب مباشرة، أو نقل روايتها عمن سمعها منهم.

٤- اعتماد كثير من العلماء عليهما في كتبهم، ونقلهم عنهما، مما يدل على مكانة الكتابين، وأهميتهما في نظر العلماء والدارسين.

٥- عناية العلماء بهما، وذلك من خلال ما يلي:

أ- دراستهما، وقد وُصِفَ أبو بكر بن الخياط بأنه ممن أتقن مسائل الأخفش، وأنه كان يتصرف فيها تصرفًا قويًا[2]، ووُصِفَ أبو محمد الترسابادي النحوي (بعد ٣٠٠هـ) بأنه ممن أحكم مسائل الأخفش[3].

---

(١) الحيوان ٩٢/١.

(٢) ينظر: معجم الأدباء ٦٩/١٢-٧٠، والبغية ١٣٠/٢.

(٣) ينظر: البغية ٢٩٠/١.

ب- نسخهما والحرص على امتلاكهما، وممن نسخ المسائل الصغير أبو الفتح ابن جني، قال البغدادي بعد أن نقل نصًا للأخفش من تلك المسائل: ((... ونقلته من نسخة هي بخط ابن جني[1])) وجاء في طبقات النحويين واللغويين[2]أنه وُجِدَ على مسائل الأخفش بخط أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ما نصه: ((كتبت إلى أبي حاتم السجستاني أن ينسخ لي مسائل الأخفش كلها في النحو، فوجه إلي بهذه النسخة، وأعلمني أنه لم يبق مسألة إلا وهي في هذا الكتاب)) وقد انتقلت هذه النسخة إلى الأندلس فشوهدت بيد الخليفة المستنصر بالله الحكم بن عبدالرحمن (٣٦٦هـ) قبل ولايته، أتته من العراق[3].

ج- ترتيب ابوابها بعد أن كانت مفرقة، وأول من صنع ذلك - على ما ذكره بعض أصحاب التراجم - زيد بن الربيع بن سليمان الحجري المعروف بالبارد (٣٠٠هـ)، فاقتدى الناس به[4].

د- الجمع بين مسائل ((الكبير)) و((الصغير)) تحت اسم ((ديوان مسائل الأخفش))، وقد جمعهما أبو حاتم السجستاني بطلب من أبي العباس ثعلب[5].

٦- شرحهما وتوضيحهما، وممن شرحهما من العلماء[6]أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) في كتابين، هما: شرح المسائل الكبير للأخفش وشرح المسائل الصغير للأخفش[7]، وخص المسائل الكبير بشرح عدد من العلماء، منهم محمد بن علي المعروف بمبرمان (٣٢٦هـ)[8]، وأبو القاسم أحمد بن أبان بن السيد (٣٨٢هـ)[9]، وعلي بن إسماعيل بن سيده اللغوي (٤٥٨هـ) صاحب المحكم والمخصص[10].

---

(١) حاشية على شرح بانت سعاد ١٦٦/٢.

(٢) ص ١٥٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٢٨٤، وإنباه الرواة ١٥/٢، والبلغة ٢٣.

(٥) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ١٥٠.

(٦) جميع ما سيذكر من شروح هو في عداد الكتب المفقودة.

(٧) ينظر: الفهرست ٨٨، وإنباه الرواة ٢٩٥/٢.

(٨) ينظر: البلغة ٦٩.

(٩) ينظر: البغية ٢٩١/١.

(١٠) ينظر : البغية ١٤٣/٢، وأبجد العلوم ٧/٣.

٧- الاعتماد عليهما، والسير على منوالهما في التأليف، فعول عليهما أبو حاتم السجستاني في كتابه ((المختصر في النحو))[١]، وأحمد بن جعفر الدينوري (٢٨٩هـ) في كتابه ((المهذب في النحو))[٢] وابن السراج (٣١٦هـ) في كتابه ((الأصول))[٣].

* * *

---

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٩٤.

(٢) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٢١٥، و إنباه الرواة ٦٩/١.

(٣) ينظر: معجم الأدباء ٦/٢٥٣٥، و إنباه الرواة ٣/١٤٩.

الفصل الثاني: أثر كتابي المسائل الكبير والصغير لأبي الحسن الأخفش في النحويين:

عني النحويون في مؤلفاتهم بآراء أبي الحسن الأخفش وأكثروا النقل عنه، وليس من المبالغة أن أقول: إنه ما من أحد – بعد سيبويه – تردد اسمه في مصادر النحو مثل ما تردد اسم الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، وقد عولوا في كثير مما ينقلونه عنه على كتابيه ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير))، وبلغت النقول التي نصوا على إحالتها إلى أحد الكتابين –حسب ما اطلعت عليه– سبعة وتسعين نقلاً، منها واحد وخمسون نقلاً عن ((المسائل الكبير))[1]، وثمانية عشر نقلاً عن ((المسائل الصغير))[2]، وهناك ثمانية وعشرون نقلاً أحالها من أوردها إلى ((كتاب المسائل))[3]، (هكذا)، بحذف الصفة، وفاعل ذلك إما أنه يريد ((كتاب المسائل الكبير))، لكونه الأشهر، والأضخم، وإما أنه يرى أن الكتابين يشكلان بمجموعهما كتابًا واحدًا يصح أن يطلق عليه عنوان ((كتاب المسائل))، وعلى كل حال فما أحيل إلى ((كتاب المسائل)) هو لاشك من أحد الكتابين، الصغير أو الكبير، وجميع تلك النقول هي نقول ثرة في النحو والصرف والأعاريب

---

(١) تنظر تلك النقول في: إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢، والبغداديات ١٨٠–١٨١، والمسائل المشكلة للفارقي ٢٧٢، ٣٨٣، والغرة لابن الدهان ٢١٩، ٢٤٥، ٣٠٥،٤٩٤، ٦٦٣ (رسالة دكتوراه)، وضرائر الشعر ٢٥، ٣٩، ٤٠، وشرح التسهيل ٢/٣٦، وشر الكافية للرضي ١/٤٣٢، وشرح المقرب المسمى التعليقة ١/٣٨٢، والصفوة الصفية ٢/٣٠، ٤/٦٨٢، وتذكرة النحاة ١١، ٥٤٩، والتذييل والتكميل ٤/٩٢، ٥/٣٨، ١٣٨، ١٤٢، ١٩٤، ٧/١٤٩، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥١، ٣٥١، ٣٥٠، ٣٥٠، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٣، والارتشاف ٩٥٢، ١٥٧٩، ٢٠١٥، ٢٠٥٧، ٢٣٨٠، والمساعد ٢/٤٨٢، وتمهيد القواعد ٤/٢٠٣٦، وتعليق الفرائد ٣/١٣٠، والسراج المنير للجامع الصغير ٥ د ١٤٥ (رسالة)، والهمع ٣/٣٦، والأشباه والنظائر ١/٣٨، ٣٨٨، وشرح شواهد الشافية ٣٦١.

(٢) تنظر تلك النقول في: المسائل المشكلة للفارقي ١٢٥، ١٣٨، ٣٢٢، والغرة لابن الدهان ٥٠٢ (رسالة دكتوراه)، وشرح عمدة الحافظ ٢/٦٦٧، ٧٣٧، وشرح التسهيل ٢/٧٤، والتذييل والتكميل ٦/٩، والارتشاف ١٠٨٣، ١٧٥٩، والمقاصد الشافية ٦/١٨٥، ٢/١٩٥، وشرح أبيات مغني اللبيب ٨/١٠٦، والخزانة ٨/٤٥٤، وحاشية على شرح بانت سعاد ١/٦٥٢، ٢/١٦٦، وروح المعاني ٣/١٦٠، وحاشية الشهاب ٣/١٨٦.

(٣) تنظر تلك النقول في: المحكم ٤/٤٣٩، والأزهية ٧٧، والغرة لأبن الدهان ٢٥٤، ٤٩٥ (رسالة دكتوراه)، وشرح الكافية الشافية ٢/٨٣٠، وشرح التسهيل ١/١٥٠، ٢/٣٧، ١٢٩، ٣٠١، ٣/١٩١، ١٩٢، والتذييل والتكميل ٢/٧١، ٢٢٧، ٦/٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٥، ٨/٢٩٩، ٩/٦٨، والارتشاف ٤/٢٠١٥، والبحر المحيط ٢/١٩٧، ٦/٣١١، وتوضيح المقاصد ١/٣٧٣، وشرح ابن عقيل ١/٢٦١، والمساعد ٢/٢٩٨، والدر المصون ١/٤٥٤، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١/٧٣٩، والمقاصد الشافية ٣/٧١٢، والسراج المنير للجامع الصغير ١٢٨١ (رسالة)، والخزانة ٢/٣٥٥.

واللغات والإنشاد، وكثرة هذه النقول تدل بحد ذاتها على تأثر النحويين بكتابي المسائل، على أن ما ذكرته هنا هو فقط في المواضع التي صرحوا فيها باسم أحد الكتابين وهناك نقول كثيرة جدا عن أبي الحسن في المصادر النحوية والصرفية لم تُحَل إلى كتاب معين من كتب الأخفش، ولا أستبعد أن كثيرًا منها مأخوذ من أحد كتابي المسائل، لكن لا أستطيع الجزم بمسألة بعينها، لعدم نص تلك المصادر على أنها من أحد الكتابين.

وقد ظهر لي من خلال تتبع النصوص والمسائل المنسوبة إلى أحد كتابي المسائل للأخفش أنه كان لهما تأثير كبير في النحويين من خلال الأمور الآتية:

اعتمادهم عليهما في إثبات بعض الشواهد أو اللغات:

نقل النحويون مئات الشواهد الشعرية والروايات النثرية التي سمعها الأخفش عن العرب، أو رواها عمن سمعها منهم، وتلك الشواهد والروايات أخذها هؤلاء النحاة من كتب أبي الحسن المتنوعة، أو من كتب تلاميذه الذين سمعوا تلك الشواهد من شيخهم مباشرة، ومن الشواهد الشعرية التي رواها الأخفش في أحد كتابي المسائل، واستشهد بها بعض النحويين في تأييد رأي نحوي أو مخالفته ما يلي:

١- استشهد الهروي (٤١٥هـ) في الأزهية[1] بما أنشده الأخفش في المسائل من قول الشاعر:

وجدنا الحُمْرَ من شرِّ المطايا   كَمَا الحَبَطَاتُ شرُّ بني تميمِ[2]

في سياق حديثه عن ((ما)) في ((كما)) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[3]. فقال: ((وأما قوله عزوجل:﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فإن ((ما)) بمعنى ((الذي))، أي: الذي هو لهم آلهة.ذكر ذلك الأخفش سعيد في كتاب ((المسائل))، وأنشد:

وجدنا الحُمْرَ من شرِّ المطايا   كَمَا الحَبَطَاتُ شرُّ بني تميمِ

وقال: معناه كالذين هم الحبطاتُ شر بني تميم)).

---

(١) ص ٧٧.

(٢) البيت من الوافر. وهو لزياد الأعجم في ديوانه ٩٧، وشرح أبيات مغني اللبيب ٤/ ١٢٦.

(٣) من الآية ١٣٨ من سورة الأعراف.

٢- واستشهد الهروي كذلك بما أنشده الأخفش في المسائل من قول الشاعر:

كمـــا راشـــدٍ تَجـــدَنَّ امـــرأً ... تَبَـــيَّنَ ثُـــمَّ ارعـــوى أو نـــدمْ[1]

في سياق حديثه عن زيادة ((ما)) بعد الكاف وعدم كفها عن العمل، فقال ذاكرًا بقية نص الأخفش السابق: ((قال [أي الأخفش في المسائل]: وإن شئت جعلت ((ما)) زائدة، فجررت ((الحبطات)) بالكاف، كما قال الأعشى:

كمـــا راشـــدٍ تَجـــدَنَّ امـــرأً ... تَبَـــيَّنَ ثُـــمَّ ارعـــوى أو نـــدمْ

فجر ((راشدًا))[2])).

٣- استشهد ابن مالك بما أنشده الأخفش في المسائل الصغرى من قول الشاعر:

إذا كانـت الهيجـاءُ وانـشقت العـصا ... فحـسبكَ والـضحاكِ سـيفٌ مهنـدُ[3]

في سياق حديثه عن جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة للجار، كما هو مذهب يونس والأخفش والكوفيين[4]، فقال: ((وقال الأخفش في المسائل الصغرى بعد إنشاده قول الشاعر:

إذا كانـت الهيجـاءُ وانـشقتْ العـصا ... فحـسبكَ والـضحاكُ سـيفٌ مهنـدُ

فمنهم من ينصب ((الضحاك))، ومنهم من يجره، ومنهم من يرفعه[5]))، ثم قال ابن مالك معلقًا: ((فجواز جر ((الضحاك)) عطفًا على الكاف من ((حسبك)) مع التمكن من النصب على أنه مفعول معه ومن الرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر دليل على أنه مختار لا مضطر، وحكاية الأخفش ذلك دون استضعاف مشعر بأنه مطرد[6])).

---

(١) البيت من المتقارب، وهو للأعشى في ديوانه ٨٥.

(٢) الأزهية ٧٧.

(٣) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في شرح عمدة الحافظ ٢/٦٦٧، والخزانة ٧/٥٨١.

(٤) ينظر رأيهم ورأي المخالفين في: الإنصاف ٢/٤٦٣، وشرح التسهيل ٣/٣٧٥، و شرح عمدة الحافظ ٢/٦٦٧.

(٥) شرح عمدة الحافظ ٢/٦٦٧.

(٦) شرح عمدة الحافظ ٢/٦٦٧-٦٦٨.

٤- استشهد البغدادي في شرح شواهد الشافية[1]بما رواه الأخفش في المسائل الكبير من قول الشاعر:

فقـالوا شـفاء الحـبِّ حـبٌّ يُزيلـه ... مـن آخـرَ أو نـأيٌ طويـل علـى هجـر[2]

في سياق حديثه عن استعمال لفظ ((آخر)) من غير أن يتقدمه شيء من جنسه، والمعنى في البيت:... من محبوب آخر، ولم يتقدم ذكر المحبوب، وإنما ذُكر الحب الدال عليه.

٥- استشهد ابن الدهان في الغرة[3]بما رواه الأخفش في كتاب المسائل من قول الشاعر:

يـا عمـرُو ويحـكَ إن قتلـتَ لَمُـسلِماً ... وَجَبَـتْ عَلَيْـكَ عُقُوبَـةُ المُتَعَمِّـدِ[4]

في سياق حديثه عن مذهب الأخفش والكسائي القائل بأن ((إنْ)) المخففة إذا دخلت على الأفعال غير الناسخة فإنها تكون بمعنى ((ما)) و((إنْ)) بمعنى ((إلا)).

٦- تحدث ابن عصفور في كتابه ((ضرائر الشعر))[5]عن خلاف النحويين في مسألة مد المقصور في الضرورة الشعرية، فذكر أن الجواز مذهب الكوفيين[6]وبعض البصريين[7]، وأن المنع مذهب جمهور البصريين[6]، ثم أورد بعض ما استدل به المجيزون من الشواهد الشعرية، فقال: ((... وأنشد الأخفش في مد ((الرضى))، في الكبير له:

---

(١) ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) البيت من الطويل، وهو منسوب إلى أم الضحاك في شرح شواهد الشافية ٢٦٢.

(٣) ٢٥٤ (رسالة دكتوراه)، وينظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤١٩.

(٤) البيت من الكامل، وهو من قصيدة لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنها ترثي فيها زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه، وتدعو على قاتله عمرو بن جرموز، والبيت في معاني القرآن ٢/ ٤١٩، واللامات للزجاجي ١٢١، وشرح المفصل ٨/ ٧١ وشرح التسهيل ٢/ ٣٦، ٣٧.

(٥) ص ٣٩-٤٠.

(٦) ينظر رأيهم أيضًا في: ما يحتمل الشعر من الضرورة ١١٠، والإنصاف ٢/ ٧٤٥، وشرح الجمل ٢/ ٥٥٨.

(٧) منهم الأخفش، قال السيرافي في ما يحتمل الشعر من الضرورة ١١٠: ((وأهل البصرة يجيزون قصر كل ممدود، ولا يفرقون بين بعضه وبعض، ولا يجيز مد المقصور منهم أحد إلا الأخفش ومن تبعه، فإنه كان يجيز مد المقصور...)).

فرضـيت عنهـا بالرضـاء لِمَـا أتـت   مـن دون غـضبة صـعبها ويـسار[1])).

أما الروايات النثرية التي رواها الأخفش في أحد كتابي المسائل، واستشهد بها بعض النحويين في تأييد رأي نحوي أو مخالفته فمنها ما يلي:

١- استشهد تقي الدين النيلي (من علماء القرن السابع الهجري) في كتابه الصفوة الصفية[2] بحكاية الأخفش في المسائل الكبير عن العرب قولهم: النصفُ درهمٍ، والثلثُ درهمٍ والربعُ درهمٍ، في سياق حديثه عن تعريف الأعداد المضافة، بطريق إدخال ((أل)) على المضاف دون المضاف إليه[3] فقال: ((... ويوجد في كثير من النسخ "والخمسمائة" بتعريف "الخمس" وتنكير "المائة"... وقد حكى الأخفش مثل ذلك عنهم: النصفُ درهمٍ، والثلثُ درهمٍ، والربعُ درهمٍ، في كتاب المسائل الكبيرة)).

٢- قال ابن عصفور في ((ضرائر الشعر)): ((زعم أبو الحسن الأخفش في الكبير له أنه سمع من العرب من يصرف في الكلام جميع ما لاينصرف[4])). وقد أورد ابن عصفور هذا النص في سياق حديثه عن علة جعل صرف الممنوع خاصًا بالشعر مع أنه وارد عن العرب، فقال: ((فإن قلت: كيف جعلت صرف ما لاينصرف من قبيل الضرائر، وقد زعم أبو الحسن الأخفش في الكبير له أنه سمع من العرب من يصرف في الكلام جميع ما لاينصرف))، ثم قال مجيبًا عن هذا السؤال بكلام الأخفش في المسائل الكبير: ((فالجواب أن صرف ما لاينصرف في الكلام إنما هو لغة لبعض العرب، قال أبو الحسن فكان ذلك لغة الشعراء، لأنهم قد اضطروا إليه في الشعر فصرفوه، فجرت ألسنتهم على ذلك[5])).

---

(١) البيت من الكامل، وهو لكعب بن زهير في ديوانه ٢٨، ورواية الديوان: بالرضا لما أتت، ولا شاهد فيها.

(٢) ٦٦٢/٤.

(٣) مذهب البصريين في تعريف نحو ((نصف درهم)) يكون بإدخال ((أل)) على المضاف إليه دون المضاف، جاء في التكملة للفارسي ص ٢٧٨: ((فإذا عُرِفَ مثل مائة درهم، قلت: مائة الدرهم)).

(٤) ضرائر الشعر ٢٥.

(٥) ضرائر الشعر ٢٥، وينظر كذلك الارتشاف ٢٣٨٠/٥، وفيه: ((ونقل الأخفش في الكبير له، والزجاجي في نوادره أن بعض العرب يصرف ما لا ينصرف في الكلام، وسائر العرب لا يعرفونه إلا في الشعر)).

٣- استشهد ابن مالك على مجيئ ((رويد)) المضاف ملازمًا للنيابة عن ((أرود)) بما رواه الأخفش في مسائله الصغرى من قول العرب: رويدَ زيدٍ عمرًا، ورويدَك عمرًا. فقال بعد أن ذكر أن أسماء الأفعال هي كل اسم لازم النيابة عن فعل دون تعلق بعامل: ((وقولي: دون تعلق بعامل مخرج لـ ((رويد)) المضاف ونحوه من المصادر التي لا تنصرف. قال الأخفش في مسائله الصغرى: ومن العرب من يجعل ((رويد)) مصدرًا، فيقول: رويدَ زيدٍ عمرًا، كقولك: ضَرْبُ زيدٍ عمرًا، ورويدَك عمرًا، مثل ضَرْبِك عمرًا))[١].

واستشهد ابن مالك أيضًا بتلك الحكاية وأتى بنص الأخفش السابق منسوبًا إلى المسائل الصغرى في موضع آخر من كتابه شرح عمدة الحافظ[٢]وذلك في سياق حديثه عن جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة للجار. فقال بعد أن أورد النص السابق: ((فالكاف في موضع جر، تقول في هذا المعنى: رويدك وزيدٍ عمرًا، إن عطفته على الكاف جررته، فهذا تصريح منه [أي الأخفش] باطراد العطف على الضمير المجرور)).

٤- استشهد ابن مالك[٣] وأبو حيان[٤] وابن عقيل[٥]على حذف حرف الجر مع بقاء عمله بعد ((لو)) مسبوقة بحرف عطف بما حكاه الأخفش في المسائل عن العرب من قولهم: جيء بزيد أو عمرو ولو كليهما. قال ابن مالك: ((... ومثال ذلك مع الفصل بـ ((لو)) ما حكى الأخفش في المسائل من أنه يقال: جيء بزيد أو عمرو ولو كليهما، وأجاز في ((كليهما)) الجر على تقدير: ولو بكليهما...[٦])).

واستشهدوا[٧] أيضًا على حذف حرف الجر مع بقاء عمله في الاسم المقرون بهمزة الاستفهام وبـ ((هلاّ)) بما حكاه الأخفش في المسائل عن العرب. قال ابن مالك: ((ومثال جر المقرون بهمزة الاستفهام وبهلاّ على الوجه المذكور ما حكى الأخفش

---

(١) شرح عمدة الحافظ ٢/٧٣٧.

(٢) ٢/٦٦٧-٦٦٨.

(٣) ينظر: شرح التسهيل ٣/١٩١-١٩٢.

(٤) ينظر: الارتشاف ٤/١٧٥٩.

(٥) ينظر: المساعد ٢/٢٩٨-٢٩٩.

(٦) شرح التسهيل ٣/١٩١، وينظر: شرح الكافية الشافية ٢/٨٣٠.

(٧) ينظر: المصادر الثلاثة السابقة.

في المسائل من أنه يقال: مررت بزيد فتقول: أزيدِ بن عمرو، ويقال: جئت بدرهم فيقال: هلاّ دينارٍ قال أبو الحسن: وهذا كثير[1])).

٥- استشهد أبو حيان بحكاية الأخفش في المسائل الكبير عن العرب: حَسُنَ الرجلُ ولَحَسُنَ زيدٌ، في سياق حديثه عن مذاهب النحويين في صيغة ((فَعُل)) إذا استعملت لمدح أو ذم فقال:((وإذا استعمل ((فَعُل)) هذا لمدح أو ذم، فمذهب سيبويه وأكثر النحويين إلحاقها بباب ((نعم وبئس))، وذهب الأخفش، والمبرد أنه يجوز إلحاقه بباب التعجب، وحكى الأخفش الاستعمالين له في الكبير عن العرب تقول: حَسُنَ الرجلُ، ولَحَسُنَ زيدٌ، في معنى: ماأحسنه[2])).

٦- استشهد ابن الدهان وأبو حيان لمذهب جمهور الكوفيين[3] القائلين بجواز العطف على اسم ((إنَّ)) بالرفع قبل مجيء الخبر بما حكاه الأخفش في المسائل الكبير من قول العرب: إنَّ زيدًا وأنت ذاهبان فقالا:((وحكى الأخفش في المسائل الكبير: سمعت من العرب من يقول: إنَّ زيدًا وأنت ذاهبان[4])).

٧- تحدث بهاء الدين بن النحاس عن وجوب الرفع بعد ((إذا)) الفجائية، وعلل لذلك بكونها لا يقع بعدها إلا الجملة الابتدائية، فلا يجوز إضمار الفعل بعدها، ثم قال: ((ولم ير أحد من متقدمي النحاة وقوع الفعل بعد ((إذا)) المفاجأة إلا الأخفش فإنه روى في كتابه الكبير وقوع الفعل بعد ((إذا)) المفاجأة إذا كان مقرونًا بـ ((قد))، وعليه رتب المصنف رحمه الله هذا الاستثناء الذي ذكره[5]، ومثال ذلك: زيد قائم وإذا عمرو قد ضربته، أو قد ضربت أباه[6])).

---

(١) شرح التسهيل ٣/٢٩٢، وينظر: شرح الكافية الشافية ٢/٨٣٠.

(٢) الارتشاف ٤/٢٠٥٧.

(٣) ينظر: الأصول ١/٢٥٦-٢٥٧، والإنصاف ١/١٨٥-١٨٦. وشرح المفصل ٨/٧١، ونص الأخفش في معاني القرآن ١/٢٦٢على جواز العطف، ونُسب إليه أيضًا القول بالجواز في شرح المفصل ٨/٦٩، والارتشاف ٣/١٢٨٨. وفي التذييل والتكميل نص أبو حيان على أن للأخفش في المسألة قولين، أحدهما الجواز، والثاني المنع، ويستدل على الثاني بأن أبا الحسن لما ذُكر له أن محمد بن سليمان الهاشمي وكان أميرًا على البصرة قرأ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب:٥٦] برفع ((ملائكته)) مضى إليه فقال له: هذا لحن، فأعطاه الأمير وحباه. (ينظر: التذييل والتكميل ٥/١٩٤).

(٤) الغرة ٢٤٥ (رسالة دكتوراه)، والتذييل والتكميل ٥/١٩٤.

(٥) يشير بذلك إلى قول ابن عصفور في المقرب في باب الاشتغال: ((...هذا مالم يفصل بين حرف العطف وبين المشتغل عنه ((إذا)) التي للمفاجأة، فلا يجوز الابتداء إلا أن يكون الفعل العامل في الضمير، أو في السببي مقرونًا بقد فإن حكم الاسم إذ ذاك كحكمه لو لم يتقدمه شيء)).

(٦) شرح المقرب المسمى التعليقة ١/٢٨٢-٢٨٣، وينظر: التذييل والتكميل ٦/٣٠٦.

٨- جعل ابن عقيل في المساعد[١] والسيوطي في الهمع[٢] وإسماعيل العلوي (٩٤٩هـ) في السراج المنير[٣] من حروف النداء ((آ)) ممدودة. قال ابن عقيل بعد أن ذكرها في حروف النداء: ((نحو: آزيدُ، حكاه الأخفش في الكبير)). وقال السيوطي: ((وذكر الأخفش في كتابه الكبير: ((آ)))). وقال ابن مالك: ((ولم يذكر مع حروف النداء ((آ))... بالمد إلا الكوفيون رووها عن العرب الذين يثقون بعربيتهم، ورواية العدل مقبولة[٤])). وقد اعترض ابن عقيل على ابن مالك حصره للذاكرين لحرف النداء ((آ)) في الكوفيين فقط،فقال:((قال المصنف: ولم يذكرها إلا الكوفيون، وليس ما ذكر بجيد[٥])).

٩- استشهد أبو حيان في البحر المحيط والسمين الحلبي في الدر المصون وابن عادل الحنبلي في اللباب[٦] بحكاية الأخفش في المسائل عن العرب قولهم: قاموا أنفسُهم[٧]، في سياق حديثهم عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وأنه يجوز أن يكون ((بأنفسهن)) توكيدًا للضمير المرفوع المتصل، وهو النون، والباء في ((بأنفسهن)) زائدة للتوكيد.

اعتمادهم عليهما في نقل مذاهب بعض العرب:

ذكر أبو حيان[٨] أن للعرب في اسم العدد الواقع بعد ((مذ)) و((منذ)) إذا كان بمعنى الأمد ثلاثة مذاهب، الأول: أنه لا يعتد به إلا إذا كان كاملاً، والثاني: أنه يعتد بالأول والآخر وإن لم يكونا كاملين. ثم قال: ((قال أبو الحسن في الكبير له: يجوز أن يقول الرجل يومَ الاثنين لمن رآه يوم الجمعة: ما رأيتك مذ يومان، ولا يحتسب بالاثنين ولا بالجمعة،

---

(١) ٢/٤٨٢.

(٢) ٣/٣٦.

(٣) ١٤٥٥ (رسالة دكتوراه).

(٤) شرح التسهيل ٣/٣٨٦.

(٥) المساعد ٢/٤٨٢.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٢/١٩٧، والدر المصون ١/٤٥٥، واللباب في علوم الكتاب ١/٧٣٩.

(٧) فأكدوا الضمير المرفوع المتصل بالنفس من غير توكيده بضمير رفع منفصل. وهذا مخالف لمذهب جمهور النحويين.

(٨) ينظر: التذييل والتكميل ٧/٣٥٠.

لأنه قد رآه فيهما رأيت بعض العرب يذهب إلى هذا، وبعضهم يقول: مذ أربعة، يحتسب الاثنين والجمعة من الأيام التي لم يره فيها لما كان قد ترك رؤيته في بعضها))، ثم قال أبو حيان: ((المذهب الثالث: أن يعتد بالناقص الأول، ولا يعتد بالآخر، حكى أبو الحسن أيضًا في الكبير له أنه سأل بعض العرب عن قوله ((لم أره مذ يومان)): متى رأيته ؟، فقال: أول من أمسِ)).

وذكر الفارقي هذا المثال ((أعجبني أن ضَرَبَ عبدَالله رجلٌ ضَرَبَ زيدًا))، ثم قال: ((فإن قيل لك: فهل يجوز أن تجعل ((زيدًا)) رفعًا بأنه فاعل الضرب الذي في صلة الألف واللام فقل: نعم، إذا أظهرت هاءً متصلة بالضارب، فقلت: أعجبني ضَرْبَ الضاربه زيدٌ عبدَالله، فتكون الهاء من الضاربه تعود إلى الألف واللام، ويكون ((زيد)) رفعًا بأنه فاعل الضرب الذي في صلتها و((عبدالله)) نصبٌ بأنه مفعول الضرب، فإن حذفت الهاء ونونتها لم يجز إلا على مذهب ضعيف ذكره أبو الحسن الأخفش في مسائله[1])).

اعتمادهم عليهما في توجيه بعض ما ورد عن العرب:

نقل أبو حيان عن المسائل الكبير للأخفش أن ((مذ)) و((منذ)) لا يتقدمهما من الأفعال إلا الأفعال المنفية لفظًا ومعنًى، أو المنفية لفظًا، أو الأفعال الموجبة التي تقتضي الدوام، نحو: ما رأيت زيدًا مذ يوم الجمعة، وسرتُ منذ يوم الجمعة، إذا أردت اتصال السير، قال أبو حيان: ((قال أبو الحسن في الكبير له: ولا يحسن: قدم فلانٌ مذ يوم الجمعة، ولا قدم فلان مذ اليوم إلا أن تكون العرب تجيز هذا، كأنك لم تذكر ((مذ))، كما يقولون: رأيته مذ اليوم، وهم يريدون اليوم، قال: وذلك قبيح إلا أن تدوم الرؤية، قال: وكذلك يقبح: مات زيد مذ اليوم إلا أن تجعل الموت شيئًا دائمًا له، وهو قبيح، لأنك لو قلت: مات مذ اليوم إلى الساعة لم يحسن[2])).

ونقل أبو حيان حكاية الأخفش في المسائل الكبير عن بعض العرب قوله: ((لم أره مذ يومان)) متى رأيته ؟، فقال: أول من أمسٍ، ثم ذكر أبو حيان توجيه الأخفش في المسائل الكبير وفيه يقول أبو الحسن موجهًا لكلام ذلك العربي: ((وإنما حمل ذلك على الاعتداد بالناقص الأول لا الثاني أنهم لا يكادون يحتسبون بالذي هم فيه إذا كان

---

(١) تفسير المسائل المشكلة للفارقي ٧٤.

(٢) التذييل والتكميل ٧/ ٣٤٩.

ناقصًا، ألا ترى أنه إذا قال:ما رأيته مذ اليوم،كان قد فقد رؤيته في اليوم،ولم يره في شيء منه، لأن معناه:ما رأيته في اليوم[1])).

وتحدث الفارسي عن اللام الفارقة، وهي الداخلة على خبر ((إنْ)) المخففة من ((إنّ)) فارقة بينها وبين ((إنْ)) النافية، فذكر رأي الأخفش القائل بعدم جواز إعمالها، وأنه لا يصح تقدير ضمير الشأن معها، وعزا ذلك إلى كتاب المسائل الكبير للأخفش، ثم نقل قول أبي الحسن في المسائل: ((... ويدخل على من زعم أن هاهنا ضميرًا أن يقول له: كيف تصنع باللام إذا أظهرت الضمير في اللفظ هل تقول: إنه عبدُالله لمنطلق، وإنه كان عبدُالله لمنطلقًا، فهو إذا قال ذا، فقد جعل اللام في غير موضع ((إنْ))، فإن احتج بأن العرب قد تقول: إنْ عبدُالله وجهُهُ لحسن، فهذا شاذ لا يقاس عليه[2])).

وتحدث أبو حيان في الارتشاف[3] عن مسألة مطابقة الوصف الرافع للاسم الظاهر لما بعده ثم نقل نصًا عن كتاب ((النهاية في شرح الكفاية)) لابن الخباز، فقال: ((وفي النهاية:... ومن قال ((أكلوني البراغيث)) قال: كم ماكثان أخواك، كما تقول: كم مكثا أخواك، فالسؤال ليس على عدد الأخوين، إنما السؤال عن مرات الفعل، أو زمانه، وهذه المسألة من كلام أبي الحسن في المسائل الصغيرة)).

ونقل أبو حيان وبدر الدين الدماميني توجيه أبي الحسن لقول العرب: هذا حلو حامض وهذا أبيضٌ أسودٌ، وأنه ليس من تعدد الخبر، فقالا: ((وقال الأخفش في المسائل الكبير: اعلم أن قولهم: هذا حلو حامض، وهذا أبيضٌ أسودٌ، إنما أرادوا أن هذا حلو فيه حموضة، فينبغي أن يكون الثاني صفة للأول، وليس قولهم إنهما جميعًا خبر واحد، وكيف يكون ذلك ؟، هذا ليس له مذهب في العربية[4])).

اعتمادهم عليهما في تصحيح بعض الشواهد:

ومن ذلك قول الشاعر:

فَلا تَلْحَني فيها فَإنَّ بِحُبِّها ... أخاكَ مُصَابُ القلبِ جَمٌّ بلابلُهُ[5]

---

(1) المصدر السابق ٧/ ٣٥٠.

(2) البغداديات ١٨١.

(3) ٣/ ١٠٨٣.

(4) التذييل والتكميل ٤/ ٩٢-٩٣، وتعليق الفرائد ٣/ ١٣٠، وينظر النص منسوب إلى الأخفش وغير معزو إلى كتاب في البديع ١/ ٨٥ والارتشاف ٣/ ١١٣٧.

(5) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في الكتاب ٢/ ١٣٢، والمقاصد النحوية ٢/ ٨٧، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٦٦.

فهذا البيت رواه الكوفيون بنصب ((مصاب)) على الحال، ومنعوا الرفع، لئلا يقع الفصل بين ((إنَّ)) واسمها، قال الفارسي في المسائل القصرية – فيما نقله عنه البغدادي – بعد أن أنشد البيت: ((ورواه الكوفيون ((مصابَ القلب))، وأظنهم هربوا من الفصل، فنصبوا مخافة أن يجري مجرى ((كانت زيدًا الحمى تأخذ))[1])). ثم قال أبو علي مصححًا رواية الرفع: ((وليس الفصل... بقبيح، لأن أبا الحسن قد أنشد في المسائل الصغير: فَإنَّ بِحُبِّها أخاكَ مُصَابُ القلبِ [برفع مصاب][2])).

وقال الشاعر:

سقى الله أمواهًا عَرفتُ مكانها	جُرامًا وملَكومًا وبذَّرَ فالغمرا[3]

واستدل به النحويون على مسألة جمع مياه على أمواه، وعلى منع ((بذَّرَ)) من الصرف للعلمية ووزن الفعل، ورواية الديوان ((جرابًا)) بالباء، وهي رواية الأخفش في حاشية كتاب سيبويه[4]، وقال المتنبئ لما أُنشدَ هذا البيت بحضرته برواية ((جرامًا)) بالميم: ((هو ((جُرابًا)) وهذه أمكنة قتلتها علمًا، وإنما الخطأ وقع من النقلة[5]))، قال ابن جني مصححًا رواية ((جرامًا)): ((هذا البيت أنشده أبو الحسن صاحب سيبويه في كتابه ((جرامًا)) بالميم، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة[6])).

وقال العجاج:

والمرء يبليه بِلاءَ السربالْ	تناسخ الإهلالِ بعد الإهلالِ[7]

(1) الخزانة ٨/٤٥٤، وشرح أبيات مغني اللبيب ٨/١٠٦.

(2) الخزانة ٨/٤٥٤، وشرح أبيات مغني اللبيب ٨/١٠٦.

(3) البيت من الطويل، وهو لكثير عزة في ديوانه ٥٠٣، وحاشية الكتاب ٣/٢٠٧-٢٠٨، وشرح المفصل ٦١/١.

(4) حاشية الكتاب ٣/٢٠٧-٢٠٨

(5) الخزانة ٢/٣٥٥.

(6) ينظر: الخزانة: ٢/٣٤٧، ٣٥٥.

(7) البيت من الرجز، وهو للعجاج في ديوانه، وتهذيب اللغة ١٥/٢٨٠.

وهذا الرجز ورد في عدد من المصادر، منها الزاهر في معاني كلمات الناس[1]، وتهذيب اللغة[2] ومعجم مقاييس اللغة[3]، والمحكم[4]، والمخصص[5]برواية ((بَلاء)) بفتح الباء، قال ابن عصفور: ((ورواه الأخفش في الكبير له: بِلاء، بكسر الباء والمد[6]))، وجعله ابن عصفور على هذه الرواية شاهداً على مد المقصور في ضرورة الشعر.

اعتمادهم عليهما في نفي شيء ما عن العرب:

استدل بعض النحويين على بعض المسائل الخلافية بعدم السماع، وهذا مظهر من مظاهر عنايتهم به، وهم يعتمدون في ذلك على نصوص أئمة اللغة والنحو الذين شافهوا الأعراب ونقلوا عنهم. ومن هؤلاء الأئمة الأخفش الأوسط. ومما اعتمدوا فيه على أحد كتابي المسائل للأخفش في نفي شيء ما عن العرب ما يلي:

١- تحدث ابن الدهان وأبو حيان عن مسألة الفصل بين ((إنَّ)) واسمها وذكرا رأي النحويين في المسألة، ثم قالا: ((وقد منع الأخفش في المسائل الكبير أن يُفصل بينهما بما لا يسمع،فقال: لو قلت: إنَّ بينَك يومين زيدًا مقيمٌ، كان في القياس جائزًا، ولم يسمع، ولا نجيزه إلا في المسموع[7])).

٢- ذكر الألوسي والبغدادي أن استعمال آخر وأخرى من غير أن يتقدمهما شيء من جنسهما لا يجوز إلا في الشعر، ثم قال الألوسي: ((وفي المسائل الصغرى للأخفش في باب عقده لتحقيق هذه المسألة أن العرب لا تستعمل آخر إلا فيما هو من صنف ما قبله، فلو قلت: أتاني صديق لك وعدو لك آخر لم يحسن لأنه لغو من الكلام[8]))، وقال البغدادي بعد أن تحدث عن مسألة منع استعمال لفظ ((آخر)) من غير أن يتقدمه شيء من جنسه: ((وزعم أبو الحسن في الكبير له أن ذلك لايجوز إلا في الشعر.

---

(١) ٢١٧/١.

(٢) ٢٨٠/١٥.

(٣) ٢٩٢/١.

(٤) ٤٢٢/١٠.

(٥) ٦٧/١٥.

(٦) ضرائر الشعر ٤٠.

(٧) الغرة ٢١٩ (رسالة دكتوراه)، و التذييل والتكميل ٣٨/٥.

(٨) ٣/ ١٦٠، وينظر: حاشية الشهاب ٣/ ١٨٦.

فقال: لو قلت: جاءني آخر من غير أن يُتكلم بشيء لم يجز، ولو قلت: أكلت رغيفًا وهذا قميص آخر لم يحسن، ثم قال: وهذا جائز في الشعر...[1])).

٣- قال أبو حيان بعد أن ذكر مذهب بعض العرب في اسم العدد الواقع بعد ((مذ)) و((منذ)): ((وزعم [أبو الحسن في الكبير له] أن أرباب هذه اللغة لا يقولون: ما رأيته مذ يومان، لمن رآه أمس وإنما يقولون: مذ أمس إلى اليوم، وإنما لم يقولوا ذلك، لأنه يقع فيه لبس من جهة أن اليومين جميعًا لم يتما، فكل واحد منهما على المجاز، ولم يحسن لما اجتمعا جميعًا على المجاز[2])).

٤- وذكر أبو حيان أن الأخفش منع في المسائل الكبير العطف على اسم الزمان الواقع بعد ((مذ)) و((منذ)) إذا اختلف الاسمان الواقعان بعدهما بالتعريف والتنكير، فلا يجوز عنده: ما رأيته مذ يومُ الجمعة ويومان، ولا: ما رأيته مذ أمسِ ويومان، قال الأخفش: ((لأنك لا تقول: ما رأيته مذ أمس إلا وقد رأيته أمس، وكذلك: ما رأيته مذ يومان وأمس))، ثم ذكر أبو حيان رأي ابن السراج[3] في المسألة القائل بالجواز، وعلق عليه بقوله: ((قال ابن عصفور: والصحيح ما ذكره أبو الحسن من أن العطف ليس من كلام العرب[4])).

٥- وتحدث أبو حيان أيضًا عن أن اسم الزمان المختص لا يقع بعد ((مذ)) و((منذ)) إذا كان لا يفيد عدة مدة الانقطاع إلا إذا كان بمعنى ((أول))، نحو: ما رأيته مذ يومُ الجمعة، تريد أن انقطاع الرؤية كان أوله يوم الجمعة، وإن أفاد: ((قال ابن عصفور: يجوز في القياس وقوعه... إذا كان تخصيصه لا يخرجه عن أن يفيد عدة مدة انقطاع الرؤية، إلا أن العرب لم تكلم بذاك قال أبو الحسن قي الكبير له: ولو قلت: ما رأيته منذ الشهران، كما تقول: ما رأيته مذ شهران تريد: بيني وبين لقائه الشهران الماضيان، كان جائزًا في القياس وإن كان لا يُتكلم به[5])).

---

(١) شرح شواهد الشافية ٣٦١-٣٦٢.

(٢) التذييل والتكميل ٣٥٠/٧.

(٣) لم أعثر عليه في الأصول.

(٤) التذييل والتكميل ٣٥٢/٧.

(٥) التذييل والتكميل ٣٥٢/٧-٣٥٣، وقد تحدث ابن عصفور في شرحه للجمل (٥١/٢-٦١) عن "مذ" و"منذ" وأطال، ولم أجد هذا النص والذي قبله اللذين نقلهما أبو حيان، وكذلك لم أجدهما فيما اطلعت عليه من كتب ابن عصفور الأخرى.

نقل أمثلتهما واعتمادها:

تحدث ابن مالك وأبو حيان عن خلاف النحويين في مسألة نيابة المصدر والظرف والجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول، فذكرا أن القول بجواز ذلك هو قول الأخفش والكوفيين وأن المنع هو قول جمهور البصريين، ثم أوردا عدداً من الأدلة والشواهد تعضد قول المجيزين وأتبعا تلك الشواهد بقولهما: ((وقال الأخفش في المسائل: تقول: ضُرِب الضربُ الشديدُ زيداً وضُرِب اليومان زيداً، وضُرِب مكانك زيداً، ووضِع موضعَك المتاع، ومن مسائله: أُعطي إعطاءٌ حسنٌ أخاك درهمًا مضروبًا عنده زيد[1]))، وذكر بعض النحويين أن أبا الحسن يشترط في جواز إقامة المصدر والظرف والمجرور مقام الفاعل مع وجود المفعول به تقدم هذه الأشياء على المفعول، قال أبو حيان: ((وقد أهمل المصنف هذا الشرط، وعليه تمثيل الأخفش المُثل المذكورة في المسائل[2])).

وتحدث ابن مالك عن ((إنْ)) المخففة فذكر أنها بالتخفيف يزول اختصاصها بالأسماء فتدخل على الأفعال، وأن الغالب في هذه الأفعال أن تكون من الأفعال الناسخة، ويجوز دخولها على غيرها، ثم ذكر مجموعة من الشواهد ختمها بأمثلة ذكرها الأخفش في كتابه المسائل.قال ابن مالك: ((وأجاز الأخفش أن يقال: إنْ قعد لأنا، وإن كان صالحًا لزيد، وإنْ ضرب زيد لعمرًا، وإنْ ظننت عمرًا لصالحًا، صرح بذلك كله في كتاب المسائل[3])).

الاستدراك على أمثلتهما:

ذكر ابن مالك أنه قد يحذف حرف الجر ويبقى عمله في عدد من المواضع، منها أن يقع بعد ((لو)) مسبوقة بحرف عطف، فقال: ((ومثال ذلك مع الفصل بـ ((لو)) ما حكى الأخفش في المسائل من أنه يقال: جئ بزيد أو عمرو ولو كليهما، وأجاز في ((كليهما))

---

(1) شرح التسهيل ٢/ ١٢٩، والتذييل والتكميل ٦/ ٢٤٤- د ٢٤٥، والبحر المحيط ٦ /٣١١، وينظر كذلك: السراج المنير للجامع الصغير ١٢٨١ (رسالة دكتوراه).

(2) التذييل والتكميل ٦/ د ٢٤.

(3) شرح التسهيل ٢/ ٣٧، وينظر النص نفسه مع عزوه إلى كتاب المسائل في: شرح التسهيل ١/ ١٥٠د. والتذييل والتكميل د/ ١٤٢ وفي التذييل والتكميل ٢/ ٢٢٧ عزاه أبو حيان إلى كتاب المعاني للأخفش، ولم أجده فيه.

الجر، على تقدير: ولو بكليهما والنصب بإضمار ناصب، والرفع بإضمار رافع، وأجود من هذا المثال الذي ذكره الأخفش أن يقال: جئ بزيد وعمرو ولو أحدهما... لأن المعتاد في مثل هذا النوع من الكلام أن يكون ما بعد ((لو)) أدنى مما قبلها في كثرة وغيرها، كقول النبي ﷺ: التمس ولو خاتمًا من حديد، وكقولهم: ايتني بدابة ولو حمارًا[1])).

اعتمادهم عليهما في نقل آراء بعض النحويين:

ومن ذلك ما نقله الرضي عن المسائل الكبير من أن بعض النحويين يعد حركة ((الطويل)) و((زيد)) في نحو: يا زيدُ الطويلُ، ويا عالمُ زيدُ، حركة بناء، والجمهور على أنها حركة إعراب، قال الرضي: ((فإن قيل:لم لم يجز بناء التوابع المفردة، ولا سيما الوصف منها،كما جاز في: لا رجلَ ظريف، فكنت تقول: يا زيدُ الظريفُ، واللام لا تمنع البناء، كما لم تمنع في ((الخمسة عشرَ))، قلت: إنما جاز ذلك في ((لا)) لأن المنفى في الحقيقة هو الوصف، لا الموصوف فكأن ((لا)) باشرت الوصف، وذلك لأن معنى لا رجل ظريف فيها، لا ظرافة في الرجال الذين فيها، فالمنفي مضمون الصفة، فهي لنفي الظرفاء، لالنفي الرجال، فكأنه قيل: لا ظريف فيها، بخلاف: يا زيدُ الظريفُ، فان المنادى لفظا ومعنى هو المتبوع، فبان الفرق، على أنه أورد الاخفش في مسائله الكبير: إن بعضهم يقول في الوصف وعطف البيان نحو: يا زيدُ الطويلُ، ويا عالمُ زيدُ، إنهما مبنيان على الضم[2])).

اعتمادهم عليهما في إثبات آراء لأبي الحسن مخالفة لما نُسب إليه:

نقل بعض النحويين[3]عن الأخفش القول بالمنع في مسألة حذف مفعولي ((ظن)) وأخواتها اقتصارًا أي من غير دليل، قال أبو حيان بعد أن ذكر هذا الرأي: ((... فأما قول الأخفش في كتابه المسمى بالمسائل الصغرى: تقول: ضَرَبَ عبدُالله، وظنَّ عبدُالله، وأعلم عبدُالله، إذا كنت تُخبر عن الفعل. انتهى، فظاهره مخالفة هذا النقل[4])).

ونقل بعض النحويين منهم الأنباري والعكبري والرضي[5]عن الأخفش مخالفة سيبويه في مسألة العامل في الصفة والتوكيد وعطف البيان، فذكروا أن سيبويه يرى أن

---

(١) شرح التسهيل ٣/١٩١.

(٢) شرح الكافية ٤٣٢/١.

(٣) ينظر: المسائل الحلبيات ٧٢، وشرح التسهيل ٢/٧٤، والتذييل والتكميل ٦/٩.

(٤) التذييل والتكميل ٦/٩.

(٥) تنظر كتبهم مرتبة: أسرار العربية ٢٦١، واللباب ٤٠٦/١، وشرح الكافية ٩٦٣/٢.

العامل في التابع هو العامل في المتبوع، وأن الأخفش يرى أن العامل كونها تابعة لما قبلها، وأوردوا عنه مجموعة من الحجج. قال ابن الدهان بعد أن ذكر نسبة القول الثاني للأخفش: ((ووجَدتُ لَه في المسائِلِ الكَبير شَيئاً لَطِيفاً طَرِيفاً، وذلكَ أنَّهُ قال: تَقُولُ: يا مُنطَلِقاً نَفسُهُ وَإخوَتُهُ، إذا جَعَلتَ ((نَفسُهُ)) تَأكِيداً لِلمُضمَرِ في ((مُنطَلِق)) عَلَى قبُحٍ، فَلَو لم يَطُلْ لما انتَصَبَ، وَما طُولُهُ إلاَّ لِعمَلِهِ في ((نَفسُهُ))، أو يَكُون قَد نَظَرَ إلى المَعطُوفِ عَلَى المُضمَرِ فِيهِ. فأمَّا الضَّميرُ الذي فِيهِ فلا يَطُولُ بِهِ وَهَذا يُقَوِّي قَولَ سِيبويهِ[1])).

ونقل كثير من النحويين[2] عن الأخفش القول بجواز العطف على معمولي عاملين إذا كان أحد العاملين جارًا، وتقدم المعطوف المجرور، نحو: إنَّ في الدار زيدًا والمسجدِ عمرًا. قال أبو حيان بعد أن ذكر المسألة والخلاف فيها: ((أما الأخفش فعنه في هذه الصورة قولان: أحدهما: الجواز، وهو المشهور عنه.... والقول الثاني: المنع، ذكره في كتاب المسائل له[3])).

وقال أبوحيان وهو يتحدث عن المصدر المختص بأل وبالإضافة وبالصفة وأنه لا يجوز أن يقع تأكيدًا للفعل: ((ولكون المصدر المخصص المعرّف لا يجوز أن يقع تأكيدًا للفعل منع النحاة: ضربتُه أنْ ضربَه، وزعموا أن قول الناس: لعنه الله أن يلعنه، لحن، قال أبو إسحاق: امتنع في مثل هذا أن يؤكد به الفعل، لأن ((أنْ)) تخلص الفعل للاستقبال، والتأكيد إنما يكون بالمصدر المبهم، وقد حُكي عن الأخفش إجازة ذلك، والذي ذكره في الكتاب الكبير إنما منعه[4])). وقال ابن الدهان في حديثه عن المصدر المؤكد: ((والأخفشُ ينفردُ في هذا البابِ بمسألةٍ لا يُجيزُها غيرُهُ، وهي: ضربْتُ زيداً أنْ ضَرَبْتُ ويقولُ: هي في تقديرِ المصدَرِ، وإنما هو معرفة، ولا يمتنع أن يؤكِّدَ المصدرُ المعرفةَ. ورأيتُه في كتابِهِ الكبير قد منعَ من المسألة[5])).

---

(١) الغرة ٦٦٣ (رسالة دكتوراه).

(٢) ينظر: المقتضب ٤/ ١٩٥، والتعليقة ١٠٢/١، وشرح عيون كتاب سيبويه ٢٣٠، وشرح المفصل ٢٧/٣، واللباب ٤٣٣/١، والبسيط ٣٥٣/١.

(٣) الارتشاف ٢٠١٥/٤.

(٤) التذييل والتكميل ١٤٩/٧.

(٥) الغرة ٥٠٣ (رسالة دكتوراه).

إيراد تعليلات الأخفش في أحد كتابي المسائل واعتمادها:

ساق بعض النحويين عددًا من التعليلات النحوية معتمدين فيها على أحد كتابي المسائل، ومن ذلك ما ذكره القارسي في حديثه عن علة دخول اللام في خبر ((إنْ)) المخففة حيث أتى بتعليل أبي الحسن في المسائل الكبير، وفيه قال الأخفش: ((وإنما دخلت هذه اللام لئلا تلتبس بما تكون فيه ((إنْ)) إذا كانت بمعنى ((ما))، لأنك لو قلت: إنْ كان لصالحًا، التبس بهذا[1]))، ثم عقب أبو علي على ذلك بقوله:((إن قول أبي الحسن... صحيح كما قال،وهكذا قلت فيه قبل أن أعرفه لأبي الحسن[2])).

وعد ابن عصفور صرف ما لاينصرف من الضرورات الشعرية مع أنه سُمع عن بعض العرب صرفه في سائر الكلام، وعلل لذلك بما علل به الأخفش في المسائل الكبير، وهو((أن صرف ما لاينصرف في الكلام إنما هو لغة لبعض العرب، فكان ذلك لغة الشعراء، لأنهم قد اضطروا إليه في الشعر فصرفوه فجرت ألسنتهم على ذلك، وأما سائر العرب فلا يجيزون صرف شيء منه في الكلام، فلذلك جعل من قبيل ما يختص بالشعر[3])).

وتحدث أبو حيان عن مسألة الفصل بين ((إنَّ)) واسمها بمعمول الخبر فذكر أن مذهب الجمهور المنع، ثم أورد عددًا من الصور التي منعها الجمهور، ومنها ((إنَّ حتى اليومِ زيدًا مقيمٌ)) وعلل لمنع التقديم في مثل تلك الصورة بتعليل الأخفش في المسائل الكبير، وهو ((أن ((حتى)) معناها الانتهاء، فلا بد أن يتقدمها كلام[4])).

وعلل ابن عصفور -فيما نقله عنه أبو حيان وناظر الجيش والسيوطي- لخروج الظرف عن الظرفية إذا دخل عليه حرف الجر بقوله: ((والسبب في خروج الظروف بالخفض عن الظرفية إلى الاسمية ما ذكره الأخفش في كتابه الكبير من أنهم جعلوا الظرف بمنزلة الحرف الذي ليس باسم ولا فعل لشبهه به، من حيث كان أكثر الظروف

---

(١) البغداديات ١٨٠-١٨١.

(٢) المصدر السابق ١٨١.

(٣) ضرائر الشعر ٢٥. وينظر كذلك الارتشاف ٥/ ٢٣٨٠، وفيه: ((ونقل الأخفش في الكبير له، والزجاجي في نوادره أن بعض العرب يصرف ما لا ينصرف في الكلام، وسائر العرب لا يعرفونه إلا في الشعر)).

(٤) ا الغرة ٢١٩ (رسالة دكتوراه)، ولتذييل والتكميل ٥/ ٣٨.

قد أخرج منها الإعراب، وأكثرها أيضًا لا يثنى ولا يجمع ولا يوصف. قال: فلما كانت كذلك كرهوا أن يدخلوا فيها ما يدخلون في الأسماء[1])). وتحدث أبو حيان عن مسألة تقديم الحال على صاحبها وتأخيرها، ثم قال: ((وأما ((ما جاء راكبًا إلا زيدٌ)) فلا يجوز تأخيره، لأن هذه الحال تلتبس بالحال التي ليست مؤخرة، لأنك إذا قلت: ((ما جاء راكبًا إلا عبدُالله)) فأنت تنفي عن حال الركوب كل شيء إلا مجيء عبدالله راكبًا فلم تنف عن الركوب شيئًا. هذا نص أبي الحسن في المسائل[2])).

اللجوء إلى أحد كتابي المسائل لحسم الخلاف في بعض القضايا النحوية:

ومن ذلك أن سيبويه قال في باب الاشتغال: ((فإن قلت: لقيت زيدًا وأما عمرو فقد مررت به، ولقيت زيدًا وإذا عبدُالله يضربه عمرو، فالرفع. إلا في قول من قال: زيدًا رأيته وزيدًا مررت به، لأن ((أمَّا)) و((إذا)) يُقطع بهما الكلام، وهما من حروف الابتداء.... إلا أن يُوقع بعدها فعل[3])). وقد اختلف النحويون حول نص سيبويه، وذلك لأن سيبويه نفسه ومعه النحويون نصوا على أن ((إذا)) الفجائية لا يقع بعدها فعل البتة، لا ظاهرًا ولا مضمرًا فكيف يقول هنا: ((إلا أن يُوقع بعدها فعل)) ؟. وقد ساق أبو حيان تفسير عدد من النحويين لكلام سيبويه منهم السيرافي وابن طاهر وابن خروف والشلوبين[4]، ثم ختم نقاشه في المسألة بأن أورد نصًا من المسائل الكبير، فقال: ((وذلك أن أبا الحسن الأخفش حكى عن العرب أن ((إذا)) الفجائية إذا كان الفعل مقرونًا بـ ((قد)) جاز أن يليها الفعل، فتقول: خرجتُ فإذا قد ضرب زيدٌ عمرًا، وإن لم يكن مقرونًا بـ ((قد)) فلا يجوز أن يليها الفعل، ووجب أن يليها الاسم[5])). قال أبو حيان معلقًا: ((فعلى هذا الذي نقله الأخفش كان حمل كلام سيبويه على ظاهره صحيحًا، وكان معنى قوله: إلا أن يدخل عليها ما يَنصب، محمولاً على ما يجوز له أن ينصب، والذي يجوز له أن ينصب في ((إذا)) هو الفعل المقرون بـ ((قد)) على ما نقل الأخفش عن العرب...)).

---

(١) ينظر: النص في: التذييل والتكميل ٨/ ٩٠، وتمهيد القواعد ٤/ ٢٠٣٦، والأشباه والنظائر ٣٨/١.

(٢) التذييل والتكميل ٩/ ٦٨.

(٣) الكتاب ١/ ٩٥.

(٤) ينظر: التذييل والتكميل ٦/ ٣٠٣-٣٠٥.

(٥) التذييل والتكميل ٦/ ٣٠٦، وينظر: شرح المقرب المسمى التعليقة ٣٨٢/١.

وذهب بعض النحويين ومنهم مكي ابن أبي طالب والزمخشري والعكبري[1] إلى أن جملة ((ولها كتاب معلوم)) من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ [2]، صفة ((القرية)) وذهب الجمهور إلى أنها حال، وصح مجيء الحال من النكرة لتقدم النفي عليها، ورد ابن عقيل ما ذهب إليه الزمخشري ومن معه، وعلل بقوله: ((لأن الواو لا تفصل بين الصفة والموصوف، وأيضًا وجود ((إلا)) مانع من ذلك إذ لا يُعترض بـ((إلا)) بين الصفة والموصوف وممن صرح بمنع ذلك أبو الحسن الأخفش في المسائل[3])).

شرح كلام الأخفش في كتاب المسائل:

وممن قام بذلك ابن مالك في كتابيه شرح التسهيل وشرح عمدة الحافظ، فذكر في شرح التسهيل أن مذهب ابن السراج والسيرافي القول بجواز حذف مفعولي ((ظن)) اقتصارًا، أي من غير دليل، قال: ((وكأن الذي دعاهما لهذا أن الأخفش قال في كتابه المسمى بالمسائل الصغرى: ((تقول: ضَرَبَ عبدُالله، وظنَّ عبدُالله، وأعلم عبدُالله، إذا كنت تُخبر عن الفعل، هذا نصه والذي عندي أن الأخفش لم يقصد جواز الاقتصار مطلقًا، بل مع قرينة محصلة لذلك، كقولك لمن قال: من ظنني ذاهبًا؟: ظن عبدُالله، ولمن قال: من أعلمك أني ذاهب ؟: أعلم عبدالله ولذلك قال: إذا كنت تخبر فإن الناطق بما لا فائدة فيه ليس بمخبر[4])).

وفي شرح عمدة الحافظ أورد قول الأخفش في المسائل الصغرى: ((ومن العرب من يجعل ((رويد)) مصدرًا، فيقول: رويدَ زيدٍ عمرًا، كقولك: ضَرْبُ زيدٍ عمرًا، ورويدَك عمرًا، مثل ضَرْبِك عمرًا))، ثم شرح هذا النص بقوله: ((فـ ((رويد)) في مثل هذا الكلام مصدر ملازم للنيابة عن ((أرود))، وهو متعلق بفعل مضمر عمل فيه النصب، ففتحته فتحة إعراب، بخلاف قولك: رويد زيدًا بلا إضافة، فإنه اسم فعل ملازم للنيابة عن ((أرود)) دون تعلق بعامل وفتحته فتحة بناء[5])).

---

(1) تنظر كتب هؤلاء مرتبة: مشكل إعراب القرآن ٤١٠/١، والكشاف ٥٣٤/٢، والتبيان في إعراب القرآن ٤٦/٢.

(2) الآية ٤ من سورة الحجر.

(3) شرح ابن عقيل ٢٦١/٢.

(4) شرح التسهيل ٧٤/٢-٧٥.

(5) شرح عمدة الحافظ ٧٣٧/٢.

الفصل الثالث: موقف النحويين من آراء الأخفش في كتابي المسائل:

لم يكن موقف النحويين إزاء ما ينقلونه من آراء أبي الحسن في أحد كتابي المسائل واحدًا، بل تعددت مواقفهم، فتارة يوافقون الأخفش فيما ذهب إليه، وتارة يخالفونه، وتارة يلتزمون الصمت حيال ما ينقلون، ودونك البيان:

١- موافقة الأخفش في المسائل في بعض آرائه:

أولاً: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل الكبير:

ذهب الأخفش إلى أن ((إنْ)) المخففة في نحو: إنْ زيدٌ لمنطلقٌ، لاتعمل فقال: ((اعلم أن دخولها هاهنا كدخول ((لكنْ)) ليس لها عمل[١])). قال أبو علي الفارسي معلقًا: ((قول أبي الحسن صحيح كما قال[٢])).

وذهب الأخفش أيضًا إلى أن اللام التي بعد ((إنْ)) المخففة هي لام الابتداء الواقعة بعد ((إنّ)) المشددة، إلا أنها مع التخفيف والإهمال تلزم فارقة بين المخففة والنافية، ولهذا منع أبو الحسن فتح همزة ((إنّ)) بعد التخفيف إذا وجدت اللام. فقال بعد أن ذكر ((إنْ)) المخففة وعلة لزوم اللام بعدها: ((... ولا تكون في هذا الكلام ((إنْ)) مفتوحة أبدًا، إن وقعت على اسم أو فعل، لأن اللام لازمة لهذا، فلا تكون إلا مكسورة[٣])). قال ابن مالك بعد أن ذكر هذا الرأي وعزاه إلى الأخفش في المسائل الكبير: ((وهو الصحيح عندي[٤])).

وتحدث تقي الدين النيلي عن خلاف النحويين في قولهم: ليس الطيبُ إلا المسكُ، ثم قال: ((والصحيح ما ذكره الأخفش في المسائل الكبير، وعول عليه أبو علي في الحلبيات أن في ((ليس)) ضمير الشأن والقصة، ويرتفع ((المسك)) بأنه خبر خبر المبتدأ الذي هو ((الطيب)) والمبتدأ وخبره جميعًا جملة في موضع نصب خبر ((ليس))...[٥])).

وذهب الأخفش إلى أن ((مذ)) و((منذ)) لا يتقدمهما من الأفعال إلا الأفعال المنفية لفظًا ومعنًى، أو المنفية لفظًا، أو الأفعال الموجبة التي تقتضي الدوام، نحو: ما رأيت زيدًا مذ

---

(١) البغداديات ١٨٠.

(٢) المصدر السابق ١٨١.

(٣) البغداديات ١٨١.

(٤) شرح التسهيل ٢/ ٣٦.

(٥) الصفوة الصفية ٢/ ٣٠-٣١، ونظر رأي الفارسي في الحلبيات ٢١٠ دون تنصيص على كتاب المسائل.

يوم الجمعة، وسرتُ منذ يوم الجمعة، إذا أردت اتصال السير، قال أبو حيان: ((قال أبو الحسن في الكبير له: لو قلت: رأيته مذ يوم الجمعة، وأنت تعني أنك رأيته يوم الجمعة ثم انقطعت الرؤية إلى ساعتك، لم يجز[1]))، ثم ذكر أبو حيان رأيًا لابن السراج نقله من كتاب ((الأصول)) وختم بقوله: ((قال ابن عصفور: والصحيح ما ذهب إليه أبو الحسن...[2])).

وذهب الأخفش في المسائل الكبير إلى أن العامل في الصفة والتوكيد وعطف البيان هو العامل في المتبوع، ووافقه على ذلك ابن الدهان في الغرة، ووصف قوله وتعليله بالطرافة والظرافة[3].

ونقل بعض النحويين منهم ابن الأنباري والعكبري والرضي[4]عن الأخفش مخالفة سيبويه في مسألة العامل في الصفة والتوكيد وعطف البيان، فذكروا أن سيبويه يرى أن العامل في التابع هو العامل في المتبوع، وأن الأخفش يرى أن العامل كونها تابعة لما قبلها، وأوردوا عنه مجموعة من الحجج، قال ابن الدهان بعد أن ذكر نسبة القول الثاني للأخفش: ((وَوَجَدتُ لَهُ في المسائِلِ الكَبيرِ شَيئاً لَطِيفاً طَرِيفاً، وَذَلِكَ أنَّهُ قالَ: تَقُولُ: يا مُنطَلِقاً نَفسهُ وَإخوَتَهُ، إذا جَعَلتَ ((نَفسهُ)) تَأكِيداً لِلمُضمَرِ في ((مُنطَلِق)) عَلَى قُبحٍ، فَلَو لم يَطُلْ لما انتَصَبَ، وَما طُولُهُ إلاَّ لِعمَلِهِ في ((نَفسهُ))، أو يَكُون قَد نَظَرَ إلى المَعطُوفِ عَلَى المُضمَرِ فِيهِ، فأمَّا الضَّمِيرُ الذي فِيهِ فلا يَطُولُ بِهِ وَهَذا يُقَوِّي قَولَ سِيبويهِ[5])).

وعد أبو علي الفارسي قول العرب: أرأيتك زيداً ما فعل، دليلاً على أنه لايجتمع خطابان في كلام واحد، فقال في التذكرة – فيما نقله عنه السيوطي –: ((الدليل على هذا الأصل قولهم: أرأيتك زيداً ما فعل، ألا ترى أن كاف الخطاب لما لحقت الفعل خلع الخطاب من التاء والدليل على خلع الخطاب من التاء لدخول الكاف وما يتعلق بها من تثنية وجمع وتأنيث وتذكير أن التاء في جميع الأحوال على صورة واحدة، فلا يجوز على

---

(١) التذييل والتكميل ٣٤٨/٧.

(٢) المصدر السابق، وقد تحدث ابن عصفور في شرحه للجمل (٥١/٢-٦١) عن "مذ" و"منذ" وأطال، ولم أجد هذا والذي قبله اللذين نقلهما أبو حيان، وكذلك لم أجدهما فيما اطلعت عليه من كتب ابن عصفور الأخرى.

(٣) ٦٦٣ (رسالة دكتوراه).

(٤) تنظر كتبهم مرتبة: أسرار العربية ٢٦١، واللباب ٤٠٦/١، وشرح الكافية ٩٦٣/٢.

(٥) الغرة ٦٦٣.

هذا: يا غلامك، لأن الغلام مخاطب والكاف خطاب آخر، وهي غير الغلام، فقد حصل في الكلام خطابان فامتنع لذلك، ولو قال: يا ذاك، كان ((ذا)) قد وقع موقع الخطاب، فإذا وصل بالكاف لم يكن حسناً، وهو أشبه من الأول، لأن ((ذا)) هو الكاف،وليس الغلام الكاف))، ثم ختم بقوله: ((وقد عمل أبو الحسن في ((المسائل الكبير)) أبواباً ومسائل، وهذا أصل تلك المسائل عندي[1]))، وفي هذا إشارة منه إلى مصدر تلك الأشياء التي ذكرها وأنه موافق لأبي الحسن فيها.

وأجاز الأخفش في المسائل الكبير وقوع الجملة الفعلية بعد ((إذا)) الفجائية إذا كانت الجملة مقرونة بـ ((قد))، ووافقه على ذلك ابن عصفور في المقرب[2].

ثانيًا: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل الصغير:

منع الأخفش في المسائل الصغير أن يعرب ((أخاه)) في نحو: ((ظننت الذي الضاربُ بكرًا أخاه زيدٌ عمرًا)) بدلاً من ((بكرا)) الواقع في صلة ((الضارب))،والعائد إلى الموصول هو الهاء في ((أخاه))،ووافقه على ذلك الرماني، قال الفارقي بعد أن ذكر المثال السابق: ((وإنما منع منه أبو الحسن الأخفش، لأنه رأى أن البدل إنما يجيء بعد تمام الاسم، وإذا مضى الاسم الموصول بلا عائد منه إلى الأول لم يعتد بالبدل ولم يجز، لأن البدل يجيء مجيء الفضلة، وذلك قوله في الكتاب الصغير من مسائله، وكان شيخنا أبو الحسن علي بن عيسى –أيده الله– يرى رأيه في ذلك، سألته فأجاب بموافقته[3])).

وتحدث الشاطبي والبغدادي عن وقوع ((أنّ)) المشددة وما دخلت عليه بعد ((لو)) الشرطية وذكرا رأي النحويين في إعراب المصدر المؤول، وأن سيبويه والجمهور يرون أنه مبتدأ محذوف الخبر، كحذفه بعد ((لولا))، وأن المبرد يرى أنه فاعل لفعل محذوف، وذلك لأن وقوع الفعل بعد ((لو)) لازم كلزومه بعد ((إنْ)) الشرطية، ثم ذكرا آراء أخرى لبعض النحويين، وختما المسألة بقولهما: ((وذهب أبو الحسن في المسائل الصغير إلى أن ((أنّ)) بعد ((لو)) زائدة، وكرر الاسم للتوكيد، كما كرر في قولهم: ضربت القوم

---

(١) الأشباه والنظائر ٣٨٨/١.

(٢) ينظر: شرح المقرب المسمى التعليقة ٣٨٢/١–٣٨٣، وقد سبق إيراد نص الأخفش ورأي ابن عصفور في ص ٢٣ من هذا البحث.

(٣) تفسير المسائل المشكلة د١٢٥.

بعضهم، وأعمل ((أنّ)) وإن كانت زائدة، كما أعملت الحروف الزائدة، واحتج له الفارسي في التذكرة[1])).

وذهب الجمهور ووافقهم الأخفش إلى أنه لا يجوز أن يلي ((إنّ)) وأخواتها إلا اسمها إن تقدم على الخبر أو خبرها إن تقدم على الاسم، وكان ظرفًا أو مجرورًا، فلو تقدم معمول الخبر، وكان غير ظرف أو مجرور، نحو: إنّ طعامك زيدًا آكلٌ، فالجميع متفق على بطلانه، وإن كان ظرفًا أو مجرورًا، نحو: إنّ عندك زيدًا مقيمٌ، فالجمهور على منعه، وما سمع منه يتأولونه، أما الأخفش فقال في المسائل الكبير: ((ولا نجيزه إلا في المسموع[2]))، وجعل من المسموع قول الشاعر:

فَلا تَلْحَنِي فيها فَإنَّ بِحُبِّها أخاكَ مُصَابُ القلبِ جَمٌّ بلابلُهْ[3]

ووافقه على ذلك الفارسي فقال في المسائل القصرية – فيما نقله عنه البغدادي – بعد أن أنشد البيت: ((ورواه الكوفيون ((مصابَ القلب))، وأظنهم هربوا من الفصل، فنصبوا مخافة أن يجري مجرى ((كانت زيدًا الحمى تأخذ))، ثم قال أبو علي مصححًا رواية الرفع: ((وليس الفصل... بقبيح لأن أبا الحسن قد أنشد في المسائل الصغير: فَإنَّ بِحُبِّها أخاكَ مُصَابُ القلبِ [برفع مصاب][4]))، وقال الفارسي في التذكرة –فيما نقله عنه الشاطبي–: ((رأيت أبا الحسن في المسائل الصغير يجيز ذلك في مسائل له يفصل بينها بالظرف المتعلق بالخبر[5])).

وأجاز الأخفش في المسائل الصغرى العطف على الضمير المجرور من غير إعادة للجار[6]، ووفقه ابن مالك في شرح عمدة الحافظ، حيث قال بعد أن ذكر مجموعة من الشواهد التي عُطف فيها على ضمير مجرور دون إعادة لحرف الجر: ((والعمل بمقتضى هذه الشواهد في النظم والنثر قياسًا هو مذهب يونس والأخفش والكوفيين، وهو اختيار الشيخ أبي علي الشلوبين واختياري[7])).

---

(١) المقاصد الشافية ٦/١٨٣–١٨٤، وحاشية على شرح بانت سعاد ١/٦٥٢.

(٢) الغرة ٢١٩ (رسالة دكتوراه)، والتذييل والتكميل ٥/٣٨.

(٣) البيت من الطويل، وسبق تخريجه.

(٤) الخزانة ٨/٤٥٤، وشرح أبيات مغني اللبيب ٨/١٠٦.

(٥) المقاصد الشافية ٢/١٩٥.

(٦) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٢/٦٦٧–٦٦٨، وسبق إيراد نص الأخفش في ص ١٩ من هذا البحث.

(٧) المصدر السابق ٢/٦٦٥.

وذهب الأخفش في المسائل الصغرى إلى أنه لا يوصف بـ ((آخر)) إلا ما كان من جنس ما قبله ليتبين مغايرته، فمنع أن يقال: أتاني صديق وعدو لك آخر. قال: لأنه لغو من الكلام، ووافقه على ذلك ناقلا النص وهما الألوسي[1]، وشهاب الدين الخفاجي[2].

ثالثًا: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل ((هكذا)):

أجاز الأخفش في كتاب المسائل حذف حرف الجر مع بقاء عمله بعد ((لو)) مسبوقة بحرف عطف[3]، وفي الاسم المقرون بهمزة الاستفهام، وبـ ((هلا))[4]، ووافقه على ذلك ابن مالك، وأبو حيان، وابن عقيل[5]، قال ابن مالك بعد أن ذكر هذا القول: ((ومنعه الفراء... والصحيح جوازه[6])).

وأجاز كذلك إنابة المصدر والظرف والجار والمجرور مناب الفاعل مع وجود المفعول به[7]، قال ابن مالك بعد أن نسب هذا الرأي للأخفش والكوفيين: ((وبقولهم أقول، إذ لا مانع من ذلك، مع أنه وارد عن العرب[8])).

وتحدث ابن مالك عن ((إنْ)) المخففة فذكر أن الغالب في الأفعال التي تليها أن تكون من الأفعال الناسخة، فإن دخلت على غيرها فهو قليل لا يقاس عليه في مذهب جمهور النحويين وأن مذهب الأخفش في كتابه المسائل جواز القياس، قال ابن مالك: ((وبقوله أقول، لصحة الشواهد على ذلك نظمًا ونثرًا[9])).

ونص الأخفش في كتاب المسائل على أنه لا يجوز الفصل بين الموصوف وصفته بـ ((إلا)) فقال: ((لا يفصل بين الموصوف والصفة بـ ((إلا))، ونحو: ما جاءني رجل إلا راكب، تقديره: إلا رجل راكب، وفيه قبح، لجعلك الصفة كالاسم[10]))، وممن صرح بعدم جواز

---

(1) ينظر: روح المعاني ٣/ ١٦٠.

(2) ينظر: حاشية الشهاب ٣/ ١٨٦.

(3) ينظر: شرح التسهيل ٣/ ١٩١. وسبق إيراد نص الأخفش في ص ٢٢ من هذا البحث.

(4) ينظر: شرح التسهيل ٣/ ١٩٢. وسبق إيراد نص الأخفش في ص ٢٢من هذا البحث.

(5) تنظر كتب هؤلاء مرتبة: شرح التسهيل ٣/ ١٩١-١٩٢، الارتشاف ٤/ ١٧٥٩، المساعد ٢/ ٢٩٨.

(6) شرح التسهيل ٣/ ١٩٢.

(7) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ١٢٨- ١٢٩، والتذييل والتكميل ٦/ ٢٤٤- ٢٤٥، والبحر المحيط ٦/ ٣١١.

(8) شرح التسهيل ٢/ ١٢٨.

(9) شرح التسهيل ٢/ ٣٦-٣٧، وينظر كذلك: شرح التسهيل ١/ ١٥٠، والتذييل والتكميل ٥/ ١٤٢.

(10) شرح التسهيل ٢/ ٣٠١. وينظر: التذييل والتكميل ٨/ ٢٩٩، وشرح ابن عقيل ٢/ ٢٦١.

الفصل أيضًا الفارسي في التذكرة[1]، قال ابن مالك: ((وما ذهبا إليه هو الصحيح، لأن الموصوف والصفة كشيء واحد...[2])).

وخالف الأخفش الجمهور فأجاز في كتاب المسائل توكيد الضمير المرفوع المتصل بالنفس والعين دون توكيده بالضمير المنفصل، فأجاز أن تقول: قاموا أنفسُهم، من غير توكيد، ووافقه أبو حيان والسمين، وابن عادل الحنبلي[3].

وتحدث ابن سيده في المحكم عن ((البهاء)) وهو المنظر الحسن الرائع، ثم قال: ((وبَهُوَ بهاء فهو بَهِيٌّ، والأنثى بَهِيَّةٌ.... وقالوا: امرأة بُهْيا فجاؤوا على غير بناء المذكر، ولا يجوز أن يكون تأنيث قولنا: هذا الأبْهَى، لأنه لو كان كذلك لقيل، في الأنثى: البُهْيا، فلزمتها الألف واللام، لأن اللام عقيب ((مِن)) في قولك: أفْعَل من كذا، غير انه قد جاء هذا نادر...[4])) ثم أيد ابن سيده كلامه بقوله: ((وقال أبو الحسن الأخفش في كتاب المسائل: إن حذف الألف واللام من كل ذلك جائز في الشعر، وليست الياء في بُهْيا وَضعاً، إنما هي الياء التي في الأبْهَى، وتلك الياء واو في وضعها، وإنما غلبتها إلى الياء لمجاوزتها للثلاثة، ألا ترى انك إذا ثنيت الأبهى قلت: الأبْهَيانِ، فلو لا المجاوزة لصحت الواو ولم تنقلب إلى الياء، على ما قد أحكمته صناعة الإعراب[5])).

٢- مخالفة الأخفش في المسائل في بعض آرائه:

أولاً: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل الكبير:

ذهب الأخفش والكسائي إلى أن ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[المائدة:٦٩]، معطوف على الضمير في ((هَادُواْ))، قال أبو جعفر النحاس: ((وقال

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٢/٣٠١-٣٠٢.

(٣) تنظر كتب هؤلاء مرتبة: البحر المحيط ٢/١٩٧، والدر المصون ١/٥٥٤، واللباب في علوم الكتاب ١/٧٣٩، وفي الغرة ٦٦٣ (رسالة دكتوراه) نقل ابن الدهان نصًا عن المسائل الكبير يجيز فيه الأخفش توكد الضمير المستتر دون توكيده بضمير منفصل، لكن وصفه بالقبح وقد سبق إيراد النص في ص ٣٦-٣٧ من هذا البحث.

(٤) المحكم ٤/٤٣٨.

(٥) المحكم ٤/٤٣٨-٤٣٩.

الكسائي والأخفش ذكره في المسائل الكبير ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ عطف على المضمر الذي في ﴿هَادُواْ﴾، وقال الفراء: إنما جاز الرفع لأن ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ لايبين فيه الإعراب، قال أبو جعفر: وسمعت أبا إسحاق يقول، وقد ذكر له قول الأخفش والكسائي: هذا خطأ من جهتين: أحدهما أن المضمر المرفوع يقبح العطف عليه حتى يؤكد، والجهة الأخرى أن المعطوف شريك المعطوف عليه فيصير المعنى إن الصابئين قد دخلوا في اليهودية وهذا محال وسبيل ما لا يتبين فيه الإعراب وما يتبين فيه واحدة[1])).

وذهب الأخفش إلى أن اللام التي بعد ((إنْ)) المخففة هي لام الابتداء الواقعة بعد ((إنَّ)) المشددة، إلا أنها مع التخفيف والإهمال تلزم فارقة بين المخففة والنافية، ولهذا منع أبو الحسن فتح همزة ((إنَّ)) بعد التخفيف إذا وجدت اللام، فقال في المسائل الكبير بعد أن ذكر ((إنْ)) المخففة وعلة لزوم اللام بعدها: ((... ولا تكون في هذا الكلام ((إنْ)) مفتوحة أبدًا، إن وقعت على اسم أو فعل، لأن اللام لازمة لهذا فلا تكون إلا مكسورة[2]))، وقد خالفه في ذلك أبو علي الفارسي، وذهب إلى أن اللام التي بعد المخففة غير تلك التي بعد المشددة، واستدل بأن ما بعد هذه ينتصب بما قبلها من الأفعال، نحو قوله تعالى﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾[الأنعام:١٥٦])[3]، ثم قال أبو علي: ((وإذا ثبت أن هذه اللام ليست للابتداء لم يمتنع أن تفتح ((إنْ)) إذا كانت هذه اللام معها ودخل عليه ما يوجب فتحها إذ المانعة من انفتاح ((إنْ)) غيرها وهي التي للابتداء[4]))، وختم أبو علي نقاشه في المسألة بقوله معلقًا على قول الأخفش: ((ويدخل على من زعم أن هاهنا ضميرًا أن يقول له: كيف تصنع باللام إذا أظهرت الضمير في اللفظ هل تقول: إنْه عبدُ الله لمنطلق، وإنْه كان عبدُ الله لمنطلقًا، فهو إذا قال ذا، فقد جعل اللام في غير موضع ((إنْ))، فإن احتج بأن العرب قد تقول: إنْ عبدُ الله وجهُهُ لحسن، فهذا شاذ لا يقاس عليه[5]))، قال أبو علي: ((يدل على أنه جعل اللام التي في نحو: إنْ وجدت زيدًا لكاذبًا، لام الابتداء،

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢.

(٢) البغداديات ١٨١.

(٣) ينظر: البغداديات ١٨٢.

(٤) البغداديات ١٨٣.

(٥) البغداديات ١٨١.

وقد بينا فساد ذلك، وكيف يجوز أن تكون هذه اللام لام الابتداء وقد دخلت في نحو قوله تعالى﴿ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾[الأعراف:١٠٢])[1])).

وأورد الفارقي مجموعة من الألفاظ ذكر أنه لا يصح الإخبار عنها ثم قال: ((وكذلك ((عند)) إلا على مذهب أبي الحسن الأخفش،فإني رأيته في مسائله الكبير يخبر عنه، وليس ذلك بشيء، ولا هو موضع الاحتجاج على المخالفين[2]))، ثم قال: ((فإن قيل لك أخبر عن ((عند)) فإن ذلك أيضًا لا يجوز، لأنه استبهم استبهام الحروف، فأشبهها فلم يرفع ولم يضمر في الإخبار، واستبهامه أنه لا يخص بقعة بعينها....وما لا يضمر ولا يرفع لا يصح الإخبار عنه، وقد أجاز ذلك فيه أبو الحسن الأخفش وهو خطأ. لما قدمنا من نقص تمكنه، حتى امتنع من الإضمار والرفع[3])).

وتحدث الفارقي أيضًا عن الخلاف في صحة الإخبار عن خبر ((كان)) في نحو: كان ثوبُك المُزَيّنَهُ عَلَمُهُ عبدَالله مُعْجِبًا، فقال: ((إن قيل لك: أخبر عن ((مُعْجِبًا)) الذي هو الخبر، فإن ذلك على الخلاف، فبعضهم لا يجيزه، وبعضهم يجيزه على قوة، وبعضهم يجيزه على قبح، فمن منع منه، فلأن الخبر عنده في معنى ((كان من الأمر كذا وكذا))، فهي في معنى جملة فيها الفائدة، وما هو موضوع للفائدة لا تخبر عنه، فكذلك ما هو في معناه، وإلى مثل هذا رأيت أبا الحسن الأخفش يشير في مسائله الكبير، وعبارته عنه تحتاج إلى تأمل، ففيها إشكال، وممن ضعفه أبو بكر بن السراج ويعتمد على أنه في معنى الخبر، ومعنى المفعول، فلم يخلص لأحدهما، فضعف الإخبار عنه، ومن أجازه على حسن فلأنه خبر، ولا خلاف في الإخبار عن الخبر إذا كان مفردًا، وإلى هذا كان يذهب شيخنا أبو الحسن علي بن عيسى، وهو عندي الوجه[4])).

وأجاز جمهور النحويين[5]الإخبار عن المبتدأ المفرد بمتعدد لفظًا لا معنًى لقيامه مقام خبر واحد لفظًا ومعنًى، نحو: هذا حلوٌ حامضٌ، بمعنى: مُزٌّ[1]، فـ((حلوٌ حامضٌ)) في

---

(١) البغداديات ١٨٥.

(٢) تفسير المسائل المشكلة ٢٧٢.

(٣) تفسير المسائل المشكلة ٢٧٣-٢٧٤.

(٤) تفسير المسائل المشكلة ٣٨٣-٣٨٤.

(٥) ينظر: الأصول ١/١٥٥، والمفصل ٢٧، وشرح التسهيل ١/٣٢٦_٣٢٧،وتعليق الفرائد ٣/١٢٩، والمقاصد الشافية ٢/١٢٩.

الحقيقة خبرٌ واحدٌ عن المبتدأ قبله، وإنما تعدد في اللفظ خاصة. وخالف في ذلك أبو الحسن الأخفش في كتابه المسائل الكبير[2]فذهب إلى أن الثاني ليس بخبر بل هو صفة للأول، وأن المعنى: هذا حلو فيه حموضة.

قال الشاطبي: ((وقد أبطل الفارسي في التذكرة أن يكون الثاني أحد التوابع فقال: إن قلت: إن الثاني تابع للأول فليس يجوز أن يكون الثاني بدلاً من الأول، لأن الأول مراد كما أن الثاني كذلك. قال: ومن ههنا لا يجوز أن يكون الثاني صفة للأول. قال: والصفة أظهر ألاَّ تجوز، لأنك لا تصف الحلو بأنه حامض، وإنما تخبر عن الأول أنه جمع الطعمين، يعني في قولك: هذا حلو حامض، ولا مَدْخَل لشيء من باقي التوابع هنا[3])).

وتحدث أبو حيان عن مسألة تقديم معمول ما بعد ((إلا)) عليها، نحو: ما زيدٌ طعامَك إلا آكل. فقال: ((أجاز ذلك الأخفش، ذكره في المسائل الكبار))، ثم خالفه، وذكر أن مخالفته والقول بالمنع، هو قول السيرافي والفارسي[4].

وذهب الأخفش في المسائل الكبير إلى أن ((بُرّاً)) في نحو: هذا قَفِيزٌ بُرّاً، مَنصُوبٌ عَلَى الحالِ. قال ابن الدهان: ((وَرَأيتُ الأخفشَ قد ذَكَرَ في كِتابِهِ: هذا قَفِيزٌ بُرّاً، مَنصُوبٌ عَلَى الحالِ لا غَيرُ[5])) ولم يوافق احدٌ من النحويين الأخفشَ فيما ذهب إليه، حيث أوجبوا أن يكون ((بُرّاً)) في الجملة السابقة منصوباً على التمييز.

وذهب الأخفش في المسائل الكبير إلى أن صيغة ((فَعُل)) إذا استعملت لمدح أو ذم، فإنها تلحق بباب ((نعم وبئس)) ويجوز إلحاقها بباب التعجب، وخالفه في ذلك الفارسي وأوجب إلحاقها بباب ((نعم وبئس)) فقط[6].

وأجاز الأخفش في المسائل الكبير مد المقصور في الضرورة[7]، ولم يوافقه عليه أحد من البصريين قال السيرافي: ((وأهل البصرة يجيزون قصر كل ممدود، ولا يفرقون بين بعضه وبعض ولا يجيز مد المقصور منهم إلا الأخفش، فإنه كان يجيز مد المقصور[8])).

---

(١) شراب مُزٌّ: بين الحلو والحامض. والمُزُّ من الرمان: ما كان طعمه بين حموضة وحلاوة. اللسان (مزز).

(٢) ينظر: التذييل والتكميل ٤/٩٢-٩٣، وتعليق الفرائد ٢/١٣٠.

(٣) المقاصد الشافية ١/ لوحة ٢٢٣، ٢/١٢٩ (ط. أم القرى).

(٤) ينظر: الارتشاف ٣/١٥٣٢.

(٥) الغرة ٤٩٤ (رسالة دكتوراه).

(٦) ينظر: الارتشاف ٤/٢٠٥٧.

(٧) ينظر: ضرائر الشعر ٣٩.

(٨) ما يحتمل الشعر من الضرورة ١١٠.

وقال أبوحيان وهو يتحدث عن المصدر المختص بأل وبالإضافة وبالصفة وأنه لا يجوز أن يقع تأكيداً للفعل: ((ولكون المصدر المخصص المعرّف لا يجوز أن يقع تأكيداً للفعل منع النحاة: ضربتُه أنْ ضربَه، وزعموا أن قول الناس: لعنه الله أن يلعنه، لحن، قال أبو إسحاق: امتنع في مثل هذا أن يؤكد به الفعل، لأن ((أنْ)) تخلص الفعل للاستقبال، والتأكيد إنما يكون بالمصدر المبهم، وقد حُكي عن الأخفش إجازة ذلك، والذي ذكره في الكتاب الكبير إنما منعه[1]))، وقال ابن الدهان في حديثه عن المصدر المؤكد: ((والأخفشُ ينفردُ في هذا البابِ بمسألةٍ لا يُجيزُها غيرُهُ، وهي: ضربْتُ زيداً أنْ ضَرَبْتُ. ويقولُ: هي في تقديرِ المصدَرِ، وإنما هو معرفة، ولا يمتنع أن يؤكِّدَ المصدرُ المعرفةَ، ورأيتُه في كتابِهِ الكبير قد منعَ من المسألة[2]))..

ثانيًا: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل الصغير:

منع الأخفش في المسائل الصغير أن يعرب ((أخاه)) في نحو: ((ظننت الذي الضاربُ بكرًا أخاه زيدٌ عمرًا)) بدلاً من ((بكر)) الواقع في صلة ((الضارب))، والعائد إلى الموصول هو الهاء في ((أخاه))، قال الفارقي بعد أن ذكر المثال السابق: ((وإنما منع منه أبو الحسن الأخفش، لأنه رأى أن البدل إنما يجيء بعد تمام الاسم، وإذا مضى الاسم الموصول بلا عائد منه إلى الأول لم يعتد بالبدل ولم يجز، لأن البدل يجيء مجيء الفضلة، وذلك قوله في الكتاب الصغير من مسائله.... والذي عندي أنه جائز، ووجه جوازه أنه –وإن كان يجيء مجيء الفضلة بعد الموصول الذي هو بدل منه– فليس يجيء مجيء الفضلة بعد الموصول، ولا يخرجه ذلك من صلة ما قد اتصل به عائده، وإذا كان كذلك، فهو جائز، لصحة رجوع الذكر منه إلى الأول، وإلى ما نراه من هذا أشار المازني في كتاب الألف واللام[3])).

وأجاز الأخفش في المسائل الصغير ونسبه إليه الفارسي في الحلبيات[4]وابن جني في الخصائص[5] تقديم خبر ((ليس)) عليها، قال الفارقي: ((لم يجز ((قائمًا ليس زيدٌ))، وإن جاز

---

(١) التذييل والتكميل ٧/١٤٩.

(٢) الغرة ٣٠٥ (رسالة دكتوراه).

(٣) تفسير المسائل المشكلة ١٢٥–١٢٦.

(٤) ٢٨٠.

(٥) ١/١٨٨.

((قائمًا كان زيدٌ)) إلا على رأي أبي الحسن الأخفش، فإنه أجازه في كتاب مسائله الصغير، وقد بينا هذا في كتابنا الموسوم بـ ((استدراك الغلط في شرح سيبويه على بعض المتأخرين))، وهذا من رديء المذاهب، وقد أغنى ذكره هناك عن تقصي ذكره هنا[١])).

وأجاز الأخفش إنابة المصدر والظرف والجار والمجرور مناب الفاعل مع وجود المفعول به[٢]، وخالفه في ذلك الفارقي فقال: ((... وعلى هذا الحد من التصرف قالوا: أُدخل السجنُ زيدًا، وأُدخل القبرُ بكرًا، فأقام المفعول بحرف جر هو الذي يقوم مقام الفاعل والمفعول المطلق بغير حرف منصوبًا على ما كان معه، ولا يجوز ذلك في غير ((دخلت)) إلا على مذهب أبي الحسن الأخفش فإنه أجاز أن يقول: ضُرب في الدار زيدًا، فتقيم ما اتصل بحرف الجر مقام الفاعل مع وجود فاعل مفعول مطلق، وذلك في الصغير من مسائله، وليس بصحيح، وله موضع نتقصاه[٣])).

وأجاز الأخفش تقديم المستثنى على العامل، إذا كان المستثنى منه مقدمًا، فأجاز أن تقول: القومُ إلاَّ زَيداً قامُوا، قال ابن الدهان: ((فإن قُلتَ: القومُ إلاَّ زيداً جاؤوا،لم يُجزهُ أحدٌ إلاَّ الأخفَش، فإنه أجازَه في كتابِ المسائلِ الصغيرِ، فقالَ: القومُ إلاَّ زَيداً قامُوا فقدَّمَ ((إلاَّ)) على العاملِ[٤])). قال ابن الدهان رادًا هذا القول:((وهذا الذي ذَكَرَهُ فيه نظر، لأنَّ الفِعلَ لَيسَ لَهُ في((القوم)) -أعني الذينَ يُستثنى منهم- عَمَل، فلا يكونُ ((إلاَّ)) مُتَعلقه بِالفعلِ، ولو كانَ الاستثناءُ مِنَ الواوِ لكانَ قَد تَقَدَّمَتْ ((إلاَّ)) عَلَى العاملِ، ولَكان ((زيدٌ)) انْتَصَبَ بِوساطةَ ((إلاَّ)) وهُو قد جعلَهُ مُستثنىً مِنَ القومِ، والقومُ مُبتدأ، والابْتداءُ العاملُ فِيهِ. والمسألةُ على هذا فاسدةٌ ولو أرادَ مِثلَ ذلِكَ لقالَ: الرِّجالُ إلاَّ زَيداً ضَرَبْتُ، وبينهما فرقٌ[٥])).

وتحدث البغدادي عن مسألة العطف على اسم ((إنَّ)) بالرفع قبل مجيء الخبر ورجح القول بالمنع، وعلل بقوله: ((... لأن موضع الاسم بعد ((إنَّ)) لا محرز له، لأن الطالب

---

(١) تفسير المسائل المشكلة ١٣٨.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٢/١٢٨-١٢٩، والتذييل والتكميل ٦/٢٤٤-٢٤٥، والبحر المحيط ٦/٣١١.

(٣) تفسير المسائل المشكلة ٣٢٢.

(٤) الغرة ٢٠٥ (رسالة دكتوراه).

(٥) الغرة ٢٠٥ (رسالة دكتوراه).

لرفعه، وهو الابتداء قد زال بـ ((إنّ)) فامتنع العطف عليه بالرفع قبل مضيء الخبر وبعده[1])، ثم قال: ((وبما تقدم يُرد على الأخفش في قوله في المسائل الصغير: وقد يجوز أن تقول: كنتَ وكتابك إليَّ أحمقين، نصبت الكتاب أو رفعته، إلا أنك إذا رفعته كان أجود، وإنما قلت: أحمقين على المجاز لأنك تقول: إليَّ كتابًا أحمق ثم قال: الأجود: كنت وإياك مصيبًا، وهو مفعول معه، فإن قال: مصيبين على المعنى جاز من أجل أن الخبر في الحقيقة عن اثنين، انتهى كلامه، ونقلته من نسخة هي بخط ابن جني[2])).

ثالثًا: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل ((هكذا)):

منع الأخفش والجمهور[3] أن يقال:لي عندَه عَشَرَةٌ إلا سِتَّةً، فيستثني بِأكثرَ من النِّصْفِ واختلفوا في النِّصْفِ، وذلك نحو: لي عندَهُ عشرةٌ إلاَّ خمسةً، فمنهُم من يُجِيزُهُ وبعضُهم لا يُجيزُهُ[4]، وأجازه الجمهور فيما دون النصف، وخالفهم الأخفش، قال ابن الدهان: ((وأجمعوا على جواز: لي عندهُ عشرةٌ إلاّ أربعةً، والأخفشُ قدْ أباهُ في المسائلِ[5])، ثم قال ابن الدهان مخالفًا الأخفش: ((... وإنَّما مَعنى: لي عندَهُ عَشَرَةٌ إلا أربعةً، لي عندَهُ سِتةٌ، فالستةُ ليستْ بموجودةٍ في اللفظِ، وإنمَّا هِيَ موجودةٌ من طريقِ المعنى[6])).

---

(١) حاشية على شرح بانت سعاد ٢/١٦٦.

(٢) حاشية على شرح بانت سعاد ٢/١٦٦.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٨٥، والارتشاف ٣/١٥٠٠، والجنى الداني ٥١٢.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٨٥، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/٢٤٩، وارتشاف الضرب ٣/١٥٠٠، والجنى الداني ٥١٢.

(٥) الغرة ٤٩٥ (رسالة دكتوراه).

(٦) الغرة ٤٩٥ (رسالة دكتوراه).

الخاتمة:

وبعد هذه الدراسة الموجزة لكتابي ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير)) لأبي الحسن الأخفش وأثرهما في النحويين، لعل من المفيد تلخيص أبرز ما جاء فيها في النقاط الآتية:

١- أبو الحسن الأخفش عالم ثقة فذ، فهو أحد العلماء المشهورين، ومن متقدمي النحويين البصريين، وإمام المدرسة البصرية بعد سيبويه، وكتاباه ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير))، يعدان من أشهر مؤلفاته – مع كتابه ((معاني القرآن)) –، وهما أول كتابين يؤلفان في النحو بعد كتاب سيبويه.

٢- ((المسائل الكبير)) و((المسائل الكبرى)) و((المسائل الكبيرة)) و((المسائل الكبار)) أربعة أسماء لكتاب واحد، والاسم الأول منها هو تسمية المؤلف، والبقية من تصرف النحويين الناقلين لبعض نصوص الكتاب، وكذلك الحال في المسائل الصغير، والمسائل الصغرى، والمسائل الصغيرة.

٣- كتابا ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير)) لايزالان في عداد الكتب المفقودة.

٤- بلغت النقول التي أحالها النحويون إلى أحد كتابي المسائل –حسب ما اطلعت عليه– سبعة وتسعين نقلاً، منها واحد وخمسون نقلاً عن ((المسائل الكبير))، وثمانية عشر نقلاً عن ((المسائل الصغير))، وهناك ثمانية وعشرون نقلاً أحالها من أوردها إلى ((كتاب المسائل))، (هكذا)، بحذف الصفة، وفاعل ذلك إما أنه يريد ((كتاب المسائل الكبير))، لكونه الأشهر، والأضخم، وإما أنه يرى أن الكتابين يشكلان بمجموعهما كتابًا واحدًا يصح أن يطلق عليه عنوان ((كتاب المسائل)).

٥- كتابا ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير))– ومن خلال النصوص المنقولة عنهما ووصف بعض النحويين لهما – كتابان في النحو، فجميع ما اطلعت عليه من نصوص ومسائل محالة إلى أحد الكتابين وعددها سبعة وتسعون نقلاً، تناول فيها أبو الحسن مسائل نحوية أو إعرابية ما عدا عدة مسائل صرفية قليلة، ومسألة لغوية واحدة.

٦- الوصفان ((الكبير)) و((الصغير)) يظهر أنهما ليسا للمادة أو الأسلوب، وصعوبتهما أو سهولتهما –كما ظن بعض الباحثين– وإنما إلى حجم الكتاب فقط.

٧- سبب تأليف ((كتاب المسائل الكبير)) ذكره أبو الحسن بنفسه، حيث ذكر أنه لما دخل بغداد بعد وفاة سيبويه واتصل بالكوفيين، ورأى اهتمامهم بالمسائل المتفرقة في النحو والصرف صنع لهم ((كتاب المسائل الكبير)).

٨- كان لأبي الحسن تأثير كبير في الكوفيين بسبب تأليفه لهم كتابين من أهم كتبه، هما: المسائل الكبير، ومعاني القرآن، وقد اطلع الكوفيين على تفاصيل مذهب البصريين من خلال هذين الكتابين.

٩-ذكر بعض النحويين أن أسلوب أبي الحسن في الكتابين أسلوب يميل إلى الصعوبة والتعقيد وما عثر عليه الباحث من نصوص منسوبة إلى أحد الكتابين يخالف ما ذُكر، فهي نصوص واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد.

١٠- اشتمل الكتابان على العديد من الشواهد الشعرية، والروايات النثرية، التي رواها الأخفش عن العرب مباشرة، أو نقل روايتها عمن سمعها منهم.

١١- عني النحويون بالكتابين عناية كبيرة، وذلك من خلال: دراستهما، ونسخهما والحرص على امتلاكهما، وترتيب أبوابهما، والجمع بين مسائلهما، وشرحهما وتوضيحهما، والاعتماد عليهما، والسير على منوالهما في التأليف.

١٢- ظهر لي من خلال تتبع النصوص والمسائل المنسوبة إلى أحد كتابي المسائل للأخفش أنه كان لهما تأثير كبير في النحويين من خلال الأمور الآتية:

- اعتمادهم عليهما في إثبات بعض الشواهد أو اللغات.
- اعتمادهم عليهما في نقل مذاهب بعض العرب.
- اعتمادهم عليهما في توجيه بعض ما ورد عن العرب.
- اعتمادهم عليهما في تصحيح بعض الشواهد.
- اعتمادهم عليهما في نفي شيء ما عن العرب.
- نقل أمثلتهما واعتمادها.
- الاستدراك على أمثلتهما.
- اعتمادهم عليهما في نقل آراء بعض النحويين.
- اعتمادهم عليهما في إثبات آراء لأبي الحسن مخالفة لما نُسب إليه.
- إيراد تعليلات الأخفش في أحد كتابي المسائل واعتمادها.

- اللجوء إلى أحد كتابي المسائل لحسم الخلاف في بعض القضايا النحوية.
- شرح كلام الأخفش في كتاب المسائل.

١٣- لم يكن موقف النحويين إزاء ما ينقلونه من آراء أبي الحسن في أحد كتابي المسائل واحدًا بل تعددت مواقفهم، فتارة يوافقون الأخفش فيما ذهب إليه، وتارة يخالفونه، وتارة يلتزمون الصمت حيال ما ينقلون.

هذه جملة من أبرز ما جاء في البحث، وهناك أشياء بارزة أخرى تراها منثورة فيه. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

ثبت المصادر والمراجع:

١- أخبار النحويين البصريين. أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي ت (٣٦٨هـ): تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط (١) ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

٢- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين. عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني: تحقيق د. عبدالمجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط ١، ١٤٠٦هـ.

٣- الأشباه والنظائر في النحو. جلال الدين السيوطي: تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٤- الأصول في النحو. أبوبكر محمد بن سهل بن السراج: تحقيق د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط (٣) ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥- إعراب القرآن. أبوجعفر النحاس: تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط (٣) ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٦- إنباه الرواة على أنباه الرواة. أبو الحسن القفطي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط (١) ١٤٠٦هـ.

٧- الإنصاف في مسائل الخلاف. أبو البركات الأنباري: تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي.

٨- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. اسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى: عنى بطبعه: محمد شرف الدين بالتقايا والمعلم: رفعت بيلكه الكليسى الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

٩- البحر المحيط. أبوحيان الأندلسي: تحقيق عادل عبدالموجود،وعلي معوض، دار الكتب العلمية،ط (١) ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٠- البديع في علم العربية. مجد الدين ابن الأثير: (الجزء الأول)تحقيق د.فتحي أحمد عليّ الدين،من منشورات جامعة أم القرى عام ١٤٢٠هـ

١١- البسيط في شرح جمل الزجاجي. ابن أبي الربيع عبيدالله بن أحمدالقرشي: تحقيق د. عياد الثبيتي،دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط (١) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

١٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية (صيدا - بيروت) ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣- بقية الخاطريات. أبو الفتح بن جني: تحقيق د. محمد أحمد الدالي، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٣هـ.

١٤- البلغة في تراجم أئمة النحوواللغة. الفيروز آبادي: تحقيق د.محمد المصري، منشورات مركزالمخطوطات والتراث بجمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت،١٤٠٧هـ

١٥- التبيان في إعراب القرآن. أبو البقاء العكبري: وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية(بيروت)،ط(١) ١٤١٩هـ.

١٦- تذكرة النحاة. أبوحيان الأندلسي: تحقيق د. عفيف عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، ط (١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٧- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. أبوحيان الأندلسي: تحقيق د. حسن هنداوي، ط (١)، دار القلم بدمشق، دار كنوز إشبيليا، في الرياض.

١٨- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد. الدماميني: تحقيق د. محمد بن عبدالرحمن المفدى، الطبعة الأولى.

١٩- التعليقة على كتاب سيبويه. أبوعلي الفارسي: تحقيق د. عوض بن حمد القوزي .

٢٠- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد. محب الدين محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش: تحيق د.علي فاخر وزملائه، دار السلام، القاهرة، ط (١) ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢١- تهذيب التذكرة. أبو الفتح عثمان بن جني: مخطوطة من إيران، مصورة من نسخة الأستاذ الدكتور صالح بن حسين العايد.

٢٢- تهذيب اللغة . أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تحقيق عبدالسلام هارون، الدار المصرية، مطابع سجل العرب.

٢٣- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. المرادي: تحقيق د. عبدالرحمن علي سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، ط (٢).

٢٤- الجنى الداني في حروف المعاني. الحسن المرادي: تحقيق د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط (١) ١٤١٣هـ.

٢٥- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي.أحمد بن محمد الشهاب الخفاجي: دار صادر (بيروت).

٢٦- حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام. عبدالقادر البغدادي: تحقيق نظيف محمد خواجه، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٧- الحيوان. الجاحظ: تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، دار الجيل، ودار الفكر، بيروت، ط(١) ١٩٨٨م.

٢٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبدالقادر البغدادي: تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط (٤) ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٩- الخصائص. أبوالفتح عثمان بن جني: تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية .

٣٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. السمين الحلبي: تحقيق علي محمد معوض وزملائه، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط (١) ١٤١٤هـ.

٣١- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس. شرح وتعليق د.محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة (بيروت) ط (٧) ١٤٠٣هـ

٣٢- ديوان العجاج. رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي وشرحه. تحقيق د. عزة حسن، مكتبة دار الشرق (بيروت).

٣٣- ديوان كثير عزة. تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت)١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٣٤- ديوان كعب بن زهير. تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٩٨٧م.

٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.أبوالفضل محمود الألوسي: دار إحياء التراث العربي (بيروت).

٣٦- السراج المنير للجامع الصغير. إسماعيل بن إبراهيم العلوي: تحقيق د. ناصر محمد كريري، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود.

٣٧- سر صناعة الإعراب. أبوالفتح ابن جني: دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم (دمشق)، ط (٢) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ابن العماد الحنبلي: دار الكتب العلمية (بيروت).

٣٩- شرح أبيات مغني اللبيب. عبدالقادر البغدادي: تحقيق عبدالعزيز رباح و أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث (دمشق)،ط (٢) ١٤٠٧هـ

٤٠- شرح التسهيل. محمد بن عبدالله بن مالك: تحقيق د.عبدالرحمن السيد و د.محمد بدوي المختون،هجر للطباعة والنشر،ط (١)١٤١٠هـ.

٤١- شرح جمل الزجاجي. ابن عصفور الإشبيلي: تحقيق د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب (بيروت)، ط (١) ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤٢- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب.رضي الدين محمدبن الحسن الاستراباذي: تحقيق د.حسن بن محمد الحفظي، ود. يحيى بشير المصري، منشورات جامعة الإمام، ط(١).

٤٣- شرح عيون كتاب سيبويه. أبونصر هارون بن موسى المجريطي القرطبي: تحقيق د. عبدربه عبداللطيف، ط (١) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٤- شرح الكافية الشافية. محمد بن عبدالله بن مالك: تحقيق د. عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون، ط (١) ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٥- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات. أبوعلي الفارسي: تحقيق صلاح الدين السنكاوي، مطبعة العاني (بغداد).

٤٦- شرح المفصل. ابن يعيش: عالم الكتب، بيروت.

٤٧- شرح المقرب المسمى التعليقة. بهاء الدين بن النحاس: تحقيق خيري عبدالراضي عبداللطيف، دار الزمان، المدينة المنورة، ط (١) ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤٨- الصفوةالصفية في شرح الدرةالألفية.تقي الدين النيلي(من علماء القرن السابع الهجري): تحقيق د. محسن سالم العميري، منشورات جامعة أم القرى، ط (١).

٤٩- ضرائر الشعر. ابن عصفور الإشبيلي: تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ط (٢) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٠- طبقات النحويين واللغويين. أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي: تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط (٢).

٥١- الغُرَّةُ في شَرْحِ اللُّمَعِ. ابن الدهان النحوي: من أول باب (إن وأخواتها) إلى آخر باب (العطف) رسالة دكتوراه من إعداد فريد الزامل، جامعة الإمام، ١٤٣٠-١٤٣١هـ.

٥٢- الفهرست. محمد بن إسحاق بن النديم: اعتنى بها وعلق عليها إبراهيم رمضان، دار المعرفة (بيروت)، ط (٢) ١٤١٧هـ.

٥٣- قواعد المطارحة. ابن إياز النحوي: تحقيق علي الفضلي، رسالة علمية من جامعة القاهرة. كلية دار العلوم، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م.

٥٤- الكتاب. عمروبن عثمان بن قنبر "سيبويه": تحقيق عبدالسلام هارون،مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط (٣) ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥٥- اللامات. أبوالقاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي: تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر، ط (٢) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٦- اللامات. علي بن محمد الهروي: تحقيق د.أحمد عبدالمنعم الرصد، مطبعة حسان (القاهرة).١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٧- اللباب في علوم الكتاب. عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي: تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤١٩هـ- ١٤١٤م.

٥٨- اللباب في علل البناء والإعراب. أبو البقاء العكبري: تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر (دمشق) ط (١).

٥٩- ما يحتمل الشعر من الضرورة. أبو سعيد السيرافي: تحقيق د. عوض بن حمد القوزي، ط (٢) ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٦٠- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة. أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده: تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦١- مراتب النحويين. أبو الطيب اللغوي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٣٩٤هـ.

٦٢- مجالس العلماء. أبوالقاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي: تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط (٣) ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه، دار الجيل (بيروت).

٦٤- المسائل الحلبيات. أبوعلي الفارسي: تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم(دمشق)،دار المنارة (بيروت)،ط (١) ١٤٠٧هـ.

٦٥- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات. أبوعلي الفارسي: تحقيق صلاح الدين السنكاوي، مطبعة العاني (بغداد).

٦٦- المساعد على تسهيل الفوائد. بهاء الدين ابن عقيل: تحقيق د. محمد كامل بركات، دار الفكر بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٦٧- المصباح لما اعتم من شواهد الإيضاح. أبو الحجاج بن يسعون: تحقيق د. محمد بن حمود الدعجاني، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٩هـ.

٦٨- معاني القرآن. أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء: تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، دار السرور.

٦٩- معاني القرآن. سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط: تحقيق د. عبدالأمير محمد الورد، عالم الكتب (بيروت)، ط (١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٠- معجم الأدباء. ياقوت الحموي: دار المستشرق (بيروت).

٧١- معجم البلدان. ياقوت الحموي: تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط (١) ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٧٢- المفصل في علم العربية. جارالله الزمخشري: دار الجيل (بيروت).

٧٣- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية. أبو إسحاق الشاطبي: تحقيق مجموعة من الأساتذة، منشورات جامعة أم القرى، ط (١) ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٧٤- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية. بدر الدين العيني: تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤٢٦هـ.

٧٥- المقتضب. أبو العباس المبرد: تحقيق د.محمد عبدالخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي في مصر ١٤١٥هـ.

٧٦- المنهاج الجلي في شرح القانون الجزولي.رضي الدين إبراهيم بن أحمد بن جعفر.(من أول الكتاب إلى نهاية باب الفصل): رسالة دكتوراه من إعداد عبدالرحمن بن عبدالله الخضيري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٧٧- نزهة الألباء في طبقات الأدباء. أبو البركات الأنباري: تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار (الأردن)، ط (٣) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٨- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. إسماعيل باشا البغدادي: مكتبة المثنى (بغداد).

٧٩- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. جلال الدين السيوطي: تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

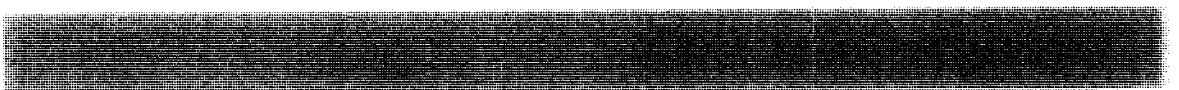
٨٠- الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي: دار النشر فرانز شتايز، جمعية المستشرقين الألمانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٨١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أحمد بن خلكان: تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر (بيروت).

* * *

المصطلح والشاهد البلاغي
في كتاب الكامل للمبرد

د. عبد العزيز بن صالح الدعيلج
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



المصطلح والشاهد البلاغي
في كتاب الكامل للمبرد

د. عبد العزيز بن صالح الدعيلج
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

حظي كتاب الكامل للمبرد باهتمام، وشهد له بالفضل والتقدم عند العلماء والأدباء والنقاد، وكانت له قيمة في بيئات المتعلمين، وبرز كتابا رائدا في ميدان اللغة والأدب، وملئ بالنصوص الأدبية التي كانت ميدان دراسة في البحث البلاغي، كما كان كتاب الكامل إرهاصا بميلاد بعض فنون البلاغة وشواهدها في لغتنا العربية، وهذا الكتاب وإن كان كتاب لغة في الدرجة الأولى، إلا أنه تخلله ملاحظات بلاغية كثيرة تستدعي الدراسة والتأمل، إذ لا يفوت المؤلف وهو يشرح النصوص الشعرية والنثرية أن يلفت إلى ما حوته من لفتات بلاغية، تسجّل تأصيله للمصطلح البلاغي، فكانت هذه الدراسة لما في كتاب الكامل من ظواهر بلاغية، ومن ثمّ انعقدت غاية هذا البحث على استجلاء الأصول والشواهد البلاغية في كتاب الكامل، والوقوف على أثرها في البحث البلاغي؛ حتى تأخذ مكانها الحقيق بها في تأصيل البلاغة وتجديدها، بصفتها رافدا أوليًا من تلك الروافد التي استقت منها بلاغتنا العربية طرائقها في البحث والتحليل.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فإن كتاب الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد من كتب الأدب المشهود لها، ولقد حظي باهتمام العلماء والأدباء والنقاد، وكان له قيمة في بيئات المتعلمين، وبرز كتابا رائدا من كتب الأدب واللغة، كما كان له الأثر الكبير في تآليف العلماء من بعده، وكان لهم إقبال عليه، وعناية به عدته من أصول فن الأدب وأركانه، فأقبل العلماء على الكتاب واعتنوا به، فكان منهم من أقرأه، ومنهم من شرحه، ومنهم من نبّه على سقطاته، ومنهم من علّق عيه، ومنهم من احتذاه تأليفا، واحتفى به الأندلسيّون أيّما احتفاء.

وصاحبه قد بلغ الشهرة في فنه، وشهد له بالسبق في النحو والعربية، شهد له القاصي والدّاني والعدو والصديق بعلمه وفضله وتقدّمه وحفظه للأخبار، حتى عدّه ابن جني جبلا في العلم.[1] وتواترت الأخبار على عذوبة لفظه، وفصاحة لسانه، وتربّعه على عرش مدرسة النحو البصرية في زمانه.

وقد رأيت أن أستجلي كتابه الكامل، وأبرز ما تضمّنه من لفتات بلاغية، كان لها عظيم الأثر في تأصيل المصطلح والشاهد البلاغي من بعده، وكيف أن الرجل كان من روافد البلاغة التي استفاد منها البلاغيّون فيما كتبوا؟.

لقد كان كتاب الكامل إرهاصا بميلاد بعض فنون البلاغة وشواهدها في لغتنا العربية، وهذا الكتاب وإن كان كتاب لغة يعنى في المحل الأول بتفسير ما يقع فيه من لفظ غريب، أو معنى مبهم، فإنه تخلّله إشارات بلاغية كثيرة تستدعي الدراسة والتأمل، إذ لا يفوته وهو يشرح النصوص الشعرية والنثرية شرحا لغويّا أن يشير إلى ما فيها من لفتات بلاغية، تسجّل تأصيله للمصطلح والشاهد البلاغي.

ولعل الهدف من هذه الدراسة هو استجلاء هذه الجوانب البلاغية المطمورة في كتاب الكامل للمبرد، والوقوف على أثرها في البحث البلاغي؛ حتى تأخذ مكانها الحقيق بها في حركة تأصيل البلاغة وتجديدها، على أن مرادي الإشارة إلى ما سبق إليه المبرد من مصطلحات وشواهد ونصوص بلاغية أفاد منها البلاغيون الذين أصّلوا للبلاغة فيما بعد.

---

(١) سر صناعة الإعراب: ١/ ١٣٠.

وقد جعلت دراستي مبتدأة بتمهيد عن المبرد وكتابه الكامل، ثم قسّمت البحث إلى جملة أمور، أولها: الفصاحة والبلاغة، وثانيها: مسائل علم المعاني، بما فيها الجملة والجمل وتخريج الكلام على خلاف مقتض الظاهر، وثالثها: البيان، ورابعها: البديع.

وحسبي أني اجتهدت في دراسة هذا الكتاب، وتأمل مسائله وشواهده،وإبراز جهد مؤلفه وأثر ذلك على البحث البلاغي من بعده، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان والحمد لله رب العالمين.

المبرد وكتابه الكامل:

اسمه: محمدبن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبدالله بن يزيد بن مالك ابن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم وهو ثمالة، ثم ينتهي إلى السد بن الغوث وهو الأزد، فهو الثمالي الأزدي البصري أبو العباس النحوي اللغوي الأديب، ولد بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشرة ومائتين[1].إمام في اللغة والعربية أخذ ذلك عن المازني وأبي حاتم السجستاني[2]،كما أخذ النحو عن الجرمي والمازني وغيرهما وكان على المازني يعول ويقال: إنه بدأ بقراءة كتاب سيبويه وختمه على المازني، وروى عنه إسماعيل الصفار ونفطويه.[3]وكان ثقة ثبتا فيما ينقله، وكانت له المعرفة التامة باللغة وكان فى نحو البصريين آية، وفي سر تسميته بالمبرد أنه سئل لم سميت المبرد؟ قال:كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة فكرهت الذهاب إليه فدخلت على أبى حاتم السجستاني فجاء رسول الوالي فقال لي أبو حاتم: ادخل في هذا يعنى غلاف المزملة فارغ فدخلت فيه وغطى رأسه ثم خرج إلى الرسول فقال: ليس هو عندي! فقال أخبرت أنه دخل إليك، فقال: فادخل الدار ففتشها فدخل فطاف كل موضع من الدار ولم يفطن بغلاف المزملة ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة: المبرد المبرد وتسامع الناس ذلك فلهجوا به.[4]ولما صنف المازني كتاب الألف واللام، سأل المبرد عن دقيقه وعويصه،

---

(١) معجم الأدباء: ٦/ ٢٦٧٦-٢٦٨٨.

(٢) البداية والنهاية: ١١/ ٨٤ تاريخ العلماء النحويين للقاضي التنوخي:٥٤.

(٣) بغية الوعاة: ١/ ٢٦٩ نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٦٥.

(٤) المنتظم لابن الجوزي:١٢/ ٣٨٩ البداية والنهاية:١١/ ٨٥ .

فأجابه بأحسن جواب، فقال له: قم فأنت المبرد-بكسر الراء- أي: المثبت للحق، فغيّره الكوفيون، وفتحوا الراء.[1]

وكان وسيماً مليح الصورة فصيحاً مفوهاً أخبارياً علامة ثقة، كما كان حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر،[2] وقد أثنى العلماء عليه وعلى ثعلب في عصرهما وفيهما يقول بعض أهل عصرهما، وهو أبو بكر بن الأزهر، أبياتاً من جملتها قوله:

أيــا طالــب العلــم لا تجهلــن   وعــد بالمــبرد أو ثعــلب

تجــد عنــد هــذين علــم الــورى   فــلا تــك كالجمــل الأجــرب

علــوم الخلائــق مخــزونة   بهــذين فــي الــشرق والمغــرب

قالوا: وكان المبرد يحب الاجتماع بثعلب للمناظرة والاستكثار من ذلك، وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع منه.وحكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلي قال: قلت لأبي عبد الله الدينوي ختن ثعلب:. لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد؟ فقال: لأن المبرد حسن العبارة، حلو الإشارة، فصيح اللسان، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين، فإذا اجتمعا في محفل، حكم للمبرد على الظاهر، إلى أن يعرف الباطن. وكان المبرد كثير الأمالي حسن النوادر.وكان رجلا متواضعا يقدر من أمامه، وقد حكي أنه دخل على المبرد رجل، فأراد القيام، فقال: أنشدك الله أبا العباس، إن قمت. قال: فلم أخبئ قيامي؟ وأنشد:

إذا مــا بــصرنا بــه مقــبلاً   حللنــا الحبــا وابتــدرنا القيامــا

فــلا تنكــرون قيــامي لــه   فــإن الكــرام تجــل الكرامــا[3]

---

(1) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/ ٢٦٩-٢٧٠.

(2) نزهة الألباء: ١٦٥.

(3) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان: ٢/ ٢١٢.

ومن مكانته العلمية ما ذكره إسماعيل بن إسحاق القاضي وهو أقدم مولداً منه ورأى الناس بالبصرة يقول: ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه. وسمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم. وسمعته يقول: لقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب. وسمعت نفطويه يقول: ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه ومن أبي العباس بن فرات. وكذلك خبرنا أبو بكر بن السراج عن محمد بن خلف وكيع.(١) ومن شعر أبي العباس وكان مليح الطبع أخبر أبو بكر بن أبي الأزهر قال كتب طاهر بن الحارث كاتب محمد بن عبد الله بن طاهر إليه رقعة في درجها تسبيب له على مصر قد فرغ منه وأحكمه وكان الغلام الموصل للرقعة يسمى نصراً فأجابه عن رقعته وكتب في آخر الجواب.

بنفسي أخ برٌّ شددت به أزري	فألفيته حراً على العسر واليسر
أغيب فلي منه ثناءٌ ومدحة	وأحضر منه أحسن القول والبشر
وما طاهرٌ إلا جمالٌ لصحبه	وناصر عافيه على كلب الدهر
تفردت يا خير الورى فكفيتني	مطالبةٌ شنعاء ضاق لها صدري
فأحسن من وجه الحبيب ووصله	كتابٌ أتاني مدرجاً بيدي نصر
سررت به لما أتى ورأيتني	غنيت وإن كان الكتاب إلى مصر
وقلت رعاك الله من ذي مودة	فقد فت إحساناً وقصر بي شكري(٢)

ولأبي العباس المبرد من التصانيف الكامل في الأدب وهو أشهر كتبه، والمقتضب في النحو وهو أكبر مصنفاته وأنفسها.ومن تصانيفه أيضاً: الروضة، والمدخل في كتاب سيبويه، وكتاب الاشتقاق، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، ومعاني القرآن ويعرف بالكتاب التام، وكتاب الخط والهجاء، وكتاب الأنواء والأزمنة، وكتاب احتجاج القراء وإعراب القران، وكتاب الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه، وكتاب

---

(١) أخبار النحويين البصريين: ١٠٢.

(٢) أخبار النحويين البصريين: ١٠٦.

صفات الله جل وعلا، وكتاب العبارة عن أسماء الله تعالى، وشرح شواهد كتاب سيبويه، وكتاب الرد على سيبويه ومعنى كتاب الأوسط للأخفش، وكتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه، ومعنى كتاب سيبويه، وكتاب الحروف، والمدخل في النحو، وكتاب الإعراب، وكتاب التصريف، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب البلاغة، والرسالة الكاملة، والجامع لم يتم، وقواعد الشعر، وكتاب ضرورة الشعر، وكتاب الفاضل والمفضول، والرياض المونقة، وكتاب الوشي، وكتاب شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب مبانيها، وكتاب الحث على الأدب والصدق، وأدب الجليس، وكتاب الناطق، وكتاب الممادح والمقابح، وكتاب أسماء الواهي عند العرب، وكتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن، وكتاب التعازي، وكتاب قحطان وعدنان، وطبقات النحويين البصريين وأخبارهم وغير ذلك.[1] مات أبو العباس المبرد في شوال، وقيل في ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد.

وأما كتاب الكامل فهو من أشهر كتب المبرد، ذكر ياقوت الحموي مؤلفات المبرد فقال:" ولأبي العباس المبرد من التصانيف الكامل في الأدب وهو أشهر كتبه"[2] ومن أشهر كتب الأدب في المائة الثالثة، وهو أحد أصول علم الأدب وأركانه، وقد حدد ابن خلدون مفهوم علم الأدب حتى أيامه، وذكر أصوله وأركانه عند المغاربة بقوله في مقدمته[3]"...وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها" وقد أبان المبرد عن موضوع كتابه ومنهجه فيه بقوله: [4]" هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب، مابين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بالغة، والنية فيه أن نفسّر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا وافيا،

---

(١) معجم الأدباء:٦/٢٦٨٤

(٢) معجم الأدباء:٦/٢٦٨٤

(٣) مقدمة ابن خلدون:٥٣٣

(٤) الكامل:١/١-٢

حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا".

وتلك المنهجية التي رسمها المبرد في مقدمته قد حققها تحقيقا بيّنا، فجاء كتابه مشتملا على مختارات أدبية من الشعر والنثر والحكم والأمثال، كما حبي بالإيضاحات اللغوية والتوجيهات النحوية والطرائف النقدية، والتعريفات والتحليلات البلاغية، وذكر الدكتور شوقي ضيف كتاب الكامل، وقال عنه" ونجد للمبرد ملاحظات بيانية تتخلل كتابه الكامل من حين إلى حين، وهو فيه يعرض نماذج أدبية شعرية ونثرية كثيرة، متبعا لها بالشرح اللغوي، ومشيرا أحيانا إلى ما في الكلام من استعارة أو التفات أو إيجاز أو إطناب أو تقديم أو تأخير، ويذكر أحيانا كلمة المجاز ولكن بالمعنى اللغوي"[١] والدكتور أحمد مطلوب يصف ما في الكتاب من بلاغة، فيقول: [٢]" ونثر في كتابه الكامل كثيرا من فنون البلاغة" وقال الإمام المعافى بن زكريا عن الكتاب: [٣]" وعمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي كتابه الذي سماه الكامل وضمنه أخبارا وقصصا لا إسناد لكثير منها، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقهها ما يأتي به مثله لسعة علمه، وقوة فهمه، ولطيف فكرته، وصفاء قريحته، ومن جلي النحو والإعراب وغامضهما ما يقل وجود من يسدّ فيه مسدّه..." ويقول الدكتور بدوي طبانة عن كتاب الكامل وما تناوله المبرد من موضوعات[٤]" فكتاب الكامل الذي ألفه محمد بن يزيد المبرد زاخر بفنون الأدب، مع كثير من الشرح والتحليل، وكثير من النقد والموازنة، وقليل من الكلام في عناصر الأدب، والطابع العام لهذا الكتاب هو أدب الرواية، وإن كان يحتوي على كثير من آثار الفطنة والفهم..." ويكفي أن اختم بوصف الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة لكتاب الكامل " الكامل صورة صادقة لما انطبع في نفس المبرد من معارف، وما تثقف به من ثقافات: لغوية، ونحوية، وأدبية...وشهرة الكامل تغنينا عن التعريف به، وبيان طريقته في التأليف.. "[٥].

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ: ٦٠.

(٢) مناهج بلاغية: ٨٩.

(٣) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: ٢/١٦١.

(٤) البيان العربي: ٩٧.

(٥) المقتضب: ١/٥٨د (مقدمة المحقق).

وقد أقبل العلماء على الكتاب واعتنوا به وتناولوه بالقراءة والشرح والتعليق، فممن شرحه أبو الوليد الوقشي هشام بن أحمد، وسمّى شرحه "نكت الكامل"[1] وابن السيدالبطليوسي، وابن مضاء القرطبي.[2] كما كان الكامل مثالا يحتذى في التأليف، فقد عارضه كثير من الأدباء ك: إبراهيم بن ماهويه الفارسي[3]، وفي عصرنا الحديث شرحه وعلّق عليه سيد بن علي المرصفي بتوجيه من الإمام محمد عبده، وذلك في كتابه الذي سماه" رغبة الآمل في شرح الكامل" في ثمانية أجزاء. كما حققه الدكتور محمد أحمد الدالي تحقيقا رائعا، يثنى عليه، وتميز جهده بدقته واعتنائه بفهارسه، وتخريج أبياته، وعلى ما قدم اعتمد هذا البحث.

المصطلحات والشواهد البلاغية في كتاب الكامل:

أولا:الفصاحة والبلاغة:

١. الفصاحة والبلاغة واللفظة المفردة:

أ.عيوب الفصاحة:

الدارس لكتاب الكامل للمبرد يلاحظ أنه اهتم بإبراز عيوب الفصاحة في الكلام وعند المتكلم، وكان من منهجه أن يشير إلى أنع حين يذكر المعيب يتبعه بالمستحسن.

وقد أشار المبرد إلى أحد عيوب الفصاحة المتعلقة بالتركيب؛ وهو التعقيد الناشئ من عدم ترتيب الكلام، ووقف عند قول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكاً   أبو أمه حي أبوه يقاربه

وعده من أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني" يعني بالمملك هشاماً، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد. وهجنه بما أوقع فيه

---

(١) بغية الوعاة: ٢/ ٣٢٧

(٢) بغية الوعاة: ١/ ٢٧٩

(٣) معجم الأدباء: ١/ ٢٠٩

من التقديم والتأخير."[1] فالمبرد لاحظ ما في البيت من تعقيد سببه ما فيه من تقديم وتأخير، وانفصال الكلام بعضه عن بعض، فالمبتدأ منفصل عن الخبر، والنعت منفصل عن المنعوت، والمستثنى لم يعقب المستثنى منه، كل هذا واضح من كلام المبرد حين لم يضع الشاعر الكلام في موضعه، وهو التعقيد اللفظي الذي ينشأ بسبب فساد اللفظ، وما فيه من تقديم وتأخير أدى إلى خلل في النظم، وسوء العبارة. وقد استشهد به البلاغيون لتوضيح الفساد في التركيب والعيب الناشئ من الفصل بين الكلمات والتقديم والتأخير في غير محله.[2]

إن المبرد لا يرضى بهذا النوع من التعقيد في الكلام ولا يقبله، ولذا فهو يقارنه بضده مما أصبح الكلام فيه واضحا جليا تقبله النفس، وتطرب لسماعه" حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تـصرم منـي ود بكـر بـن وائـلٍ	ومـا كـاد منـي ودهـم يتـصرم
قـوارص تـأتيني ويحتقرونهـا	وقـد يمـلأ القطـر الإنـاء فيفعـم

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

والـشيب يـنهض فـي الـسواد كأنـه	ليـل يـصيح بجانبيـه نهـار

فهذا أوضح معنى، وأعرب لفظٍ، وأقرب مأخذٍ."[3]

ومن العيوب التي لفت إليها المبرد في جانب الفصاحة عدم مراعاة قواعد النحو، فيعاب البيت من الشعر والكلام من النثر بسبب مخالفته لقواعد النحو، وقد دعا هذا الأمر المبرد إلى أن يقف مع بعض الأبيات التي لم تراع قواعد النحو من مثل قول أعرابي:

ألا تـسأل ذا العلـم مـا الـذي	يحـل مـن التقبيـل فـي رمـضان؟
فقـال لـي المكـي: أمـا لزوجـةٍ	فـسبع، وأمـا خلـةٍ فثمـان

---

(1) الكامل: ١/٤١-٤٢.

(2) شروح التلخيص: ١/١٠٤.

(3) الكامل: ١/٤٢.

قال: " وفي هذا الشعر عيب، وهو الذي يسميه النحويون العطف على عاملين، وذلك أنه عطف "خلةٌ" على اللام الخافضة لزوجة، وعطف "ثمانيا" على "سبع"، ويلزم من قال هذا أن يقول: مر عبد الله بزيد وعمرو وخالد، ففيه هذا القبح" [١]. ومسألة العطف على عاملين بحرف العطف من المسائل التي لا يجيزها النحاة، لما تؤديه من الضعف والغموض والتعقيد والالتواء، وضعف حرف العطف عن كونه بمنزلة عاملين مختلفين، وقد صرح بذلك ابن السرّاج، فقال: " اعلم: أن العطف على عاملين لا يجوز من قبل أن حرف العطف إنما وضع لينوب عن العامل ويغني عن إعادته فإن قلت: قامَ زيدٌ وعمروٌ فالواو أغنت عن إعادة (قام) فقد صارت ترفع كما يرفع قامَ وكذلك إذا عطفت بها على منصوب نحو قولك: إن زيداً منطلقٌ وعمراً فالواو نصبت كما نصبت (إنّ) وكذلك في الخفض إذا قلت: مررت بزيدٍ وعمروٍ فالواو جرت كما جرت الباء فلو عطفت على عاملين أحدهما يرفع والآخر ينصب لكنت قد أحلت لأنها كان تكون رافعةً ناصبة في حال قد أجمعوا على أنه لا يجوز أن تقول: مَرَّ زيدٌ بعمروٍ وبكرٌ خالدٍ فتعطف على الفعل والباء ولو جاز العطف على عاملين لجاز هذا..." [٢].

والبعد عن التكلف من علامات الكلام المفضل الجيد، والوضوح مطلب لفصاحة الكلام، قال المبرد: " ومما يفضل لتخلصه من التكلف، وسلامته من التزيد، وبعده من الاستعانة قول أبي حية النميري:

رمتني وستر الله بيني وبينها	عشية آرام الكناس رميم
ألا رب يوم لو رمتني رميتها	ولكن عهدي بالنضال قديم

يقول: رمتني بطرفها، وأصابتني بمحاسنها، ولو كنت شاباً لرميت كما رمت، وفتنت كما فتنت، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب، فهذا كلام واضح." [٣]

---

(١) الكامل: ١/٣٧٥.

(٢) الأصول في النحو لابن السرّاج: ٢/ ٦٩ وانظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ٢/١٠٣٣ القسم الأول.

(٣) الكامل: ١/٤٤.

إن حسن إخراج الكلام دليل على فصاحة المتكلم، وذلك مما يحمد ويثنى به على الأديب، ليقف بذلك في مصاف المقتدرين" ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه، ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب:

فمن يك لم يغرض فإني وناقتي ... بحجر إلى أهل الحمى غرضان

تحن فتبدي ما بها من صبابة ... وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

يريد: لقضى علي، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج"[1]

وقد أشار المبرد إلى بعض عيوب النطق تمهيدا لاجتنابها والبعد عنها كالاستعانة" فهو أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصحح به نظماً "و وزناً" إن كان في شعر، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام منثور، كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة قولهم: ألست تسمع أفهمت أين أنت وأشبه هذا، وربما تشاغل العيي بفتل إصبعه ومس لحيته، وغير ذلك من بدنه، وربما تنحنح. وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء في شعره:

مليءٌ ببهرٍ والتفاتٍ وسعلةٍ ... ومسحةِ عثنونٍ وفتلِ الأصابعِ"[2]

ومن العيوب" التمتمة: التردد في التاء. والفأفأة: التردد في الفاء. والعقلة: التواء اللسان عند إرادة الكلام. والحبسة: تعذر الكلام عند إرادته. واللفف: إدخال حرف في حرفٍ.. والرتةُ: كالريح تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل. والغمغمة: أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف. والطمطمة: أن يكون الكلام مشبهاً لكلامِ العجم. واللكنة: أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية... واللثغة: أن يعدل بحرفٍ إلى حرف. والغنة: أن يشرب الحرف صوت الخيشوم. والخنة: أشد منها. والترخيم: حذف الكلام"[3]

---

(١) الكامل:١/٤٦-٤٧

(٢) الكامل:١/٤٥

(٣) الكامل:٢/٧٦١-٧٦٢

ب.البلاغة:

لا يخفى على المبرد ما يعيب البلاغة، وينقص قدرها من عدم مراعاة مقتض الحال، فقصة هشام ابن عبد الملك مع أبي النجم العجلي تجعله يؤكد على مطابقة الكلام لمقتضى الحال " قال أبو العباس: وحدثت في إسناد متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشاما:

والشمس قد صارت كعين الأحول...

لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام، فأغضبه، فأمر بطرده، فطرد."[1]

ولذلك ينقل عن العتابي سمات البلاغة، فيقول:[2]" وقيل للعتابي: ما أقرب البلاغة؟ قال: ألا يؤتى السامع من سوء إفهام القائل، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع."

٢. التذكير والتأنيث:

كانت للمبرد وقفة عجلى مع التذكير والتأنيث بإبراز السر من مجيء اللفظة مؤنثة في بعض الشواهد التي تناولها بالدراسة والتفسير، من مثل وقوفه على قول الكلابي:

حـدثت نفسـك بالوفـاء ولـم تكـن ... للغـــدر خائنـــة مغـــل الإصـــبع

فقد وقف على لفظة (خائنة) المؤنثة، وتناول سر تأنيثها في البيت " وقوله: "ولم تكن للغدر خائنةً". ولم يقل خائناً، فإنما وضع هذا في موضع المصدر والتقدير: ولم تكن ذا خيانة."[3] فالمصدر قد يتحكم في اختيار الكلمة من حيث التذكير والتأنيث.وأما وجه دخول الهاء في خائنة فعلى المبالغة كما في راوية وعلاّمة وفهّامة. وقد ذكر أبو عبيدة في قوله:﴿ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ ﴾ [المائدة:١٣]" أي على خائن منهم، والعرب تزيد الهاء في المذكّر كقولهم: هو راوية للشعر، ورجل علاّمة. وقال الكِلابيّ:

حَدَّثتَ نفسَك بالوَفاء ولم تكن . . . لِلغَدْرِ خائِنةً مُغِلَّ الإصْبَع

وقد قال قوم بل (خائنةٍ منهم) ها هنا الخِيانة، والعرب قد تضع لفظ (فاعلة) في موضع المصدر كقولهم للخِوان مائدة، وإنما المائدة التي تميدهم على الْخِوان؛ يُميده ويَميحه واحد، وقال:

---

(١) الكامل: ٢/ ٩٩٧.

(٢) الكامل: ٣/ ١٥٠٢.

(٣) الكامل: ١/ ٤٦٣.

إلى أميرِ المؤمنين المُمْتادُ.. أي الممتاح."[1] فذكر المصدر وهو الخيانة كما ذكر المبالغة التي تفيدها الهاء.

وقد يكون التأنيث بالنظر إلى الجنس كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

فكان مجني دون من كنتُ أتقي ثلاثَ شخوصٍ كاعبانِ ومعصرَ

" وقوله: "ثلاث شخوص" فالوجهُ ثلاثةٌ شخُوصٍ ولكنه لما قصد إلى النساء أنثَ على المعنى، وأبان ما أرادَ بقوله: "كاعبانِ ومعصرٌ".ومثله قولُ الشاعر:

فإن كلابا هذه عشرُ أبطنٍ وأنت بريء من قبائلها العشرِ

فقال: "عشرُ أبطنٍ"، لأن البطنَ قبيلةٌ، وأبانَ ذلك في قوله: من قبائلها العشرِ، وقال الله جل وعز: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] لأن المعنى حسناتٌ."[2].

فيكون القصد من التأنيث إما النظر إلى المصدر أو المعنى أو الجنس.

٣. الإفراد والجمع:

تناول المبرد السر في جمع بعض المفردات من خلال بعض الشواهد التي درسها، وهو في دراسته يبين السر في جمعها، كما في قول عمارة في الحث على الأخذ بالثأر:

فأين فوارس السلمات منهم وجعدة والحريش ذوو الفضول!

فقد جمع (السلمات) " في قوله: "فأين فوارس ا لسلمات"، يريد بني سلمة الخير، وبني سلمة الشر ابني قشير بن كعب، وجمع لأنه يريد الحي أجمع، كما تقول: المهالبة والمسامعة، فتجمعهم على اسم الأب، على المهلب ومسمع، وكذلك المناذرة."[3]

كما تناول السر في التعبير بالمفرد في قول الراعي:

حتى أضاء سراجٌ دونه بقرٌ حمر الأنامل عينٌ طرفها ساجِ

---

(١) مجاز القرآن: ١/١٥٨.

(٢) الكامل: ٢/٨٠١-٨٠٢.

(٣) الكامل: ١/٢١٨.

ووقف عند الإفراد في كلمة (طرفها) وسر ذلك، فقال: " وقوله: "طرفها ساج" ولم يقل: "أطرافها" لأن تقديرها تقدير المصدر، من طرفت طرفاً. قال الله ﷻ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾[البقرة: ٧]. "[1] فالإفراد بالنظر إلى المصدر الدال على الجنس فيشمل المفرد والمثنى.

ومما تناوله المبرد في هذا الباب التعبير بالجمع عن المفرد والعكس على النحو الآتي:

أ. التعبير بالجمع عن المفرد تفخيما وتعظيما:

ب. كقول عمير:

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا وكان أبونا قد تجير مقابره

فقد عبر عن فعله بـ (نا) الدالة على العظمة، فيكون المقصود أنه " فخم نفسه وعظمها، فذكرها باللفظ الذي يذكر الجميع به، والعرب تفعل هذا ويعد كبراً." [2] فيكون قد عبر بالجمع عن المفرد، ويجوز أن تعبيره بالجمع للشمول فيدخل في ذلك عشيرته " فمعناه أنه له ولمن شايعه من عشيرته." [3] فيكون التعبير على ظاهره.

ب.التعبير بالمفرد عن الجمع:

أشار إلى ذلك عند وقوفه على قول عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهراً عدد النجم والحصى والترابِ

فالنجم في أحد قولين المقصود به: " النجوم، ووضع الواحد في موضع الجمع؛ لأنه للجنس؛ كما تقول: أهلك الناس الدرهم والدينارُ، وقد كثرتِ الشاة والبعيرُ، وكما قال الله عزّ وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ٢]."[4]

ثانيا: الجملة.

١.الخبر والإنشاء:

سجل للمبرد إشارته إلى تنوع أضرب الخبر والمعنى واحد في قصة الفيلسوف الكندي[5]، فكان أول من لاحظ تنوع المعاني بتنوع الخبر. وقد اتخذ علماء البلاغة من إجابة المبرد هذه أساسا لمبحث في المعاني سموه (أضرب الخبر).

---

(١) الكامل:١/٣٧٠

(٢) الكامل:١/٤٦٦

(٣) الكامل:١/٤٦٦

(٤) الكامل:٢/٧٩٥

(٥) انظر القصة في دلائل الإعجاز: ٣١٥

- كما اعتنى المبرد بالخبر دلالة، فقد وقف مع شيء من أغراضه البلاغية، كما في قول المكعبر الضبي:

وإني لأرجوكم على بطء سعيكم ... كما في بطون الحاملات رجاء

فقد بين أن غرض الشاعر من إلقاء الخبر عليهم التهكم بهم " يقول: وهذا رجاءٌ غير صادقٍ ولا موقوفٍ عليه، كما أن هذه الحوامل لا يعلم ما في بطونها وليس بميئوس منه، وإنما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن، ألا تراه يقول:

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ... ولو شئت قال المخبرون أساؤوا"[1]

كما قد يأتي الخبر مفيدا للذم والهجاء، كما في قول أعرابي يهجو قوماً من طيء:

ولما أن رأيت بني جوين ... جلوساً ليس بينهم جليس

فـ " قوله: "جلوساً ليس بينهم جليس"، يقول: هؤلاء قوم لا ينتجع الناس معروفهم فليس فيهم غيرهم وهذا من أقبح الهجاء." [2]

وقد أدرك المبرد أن الجملة تأتي خبرا ويراد بها الإنشاء لتدل على معنى بلاغي يتحقق من خلال السياق وقرائن الكلام: تأمل وقفته عند قول عبد الله بن رواحة:

فشأنك فانعمي وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلي ورائي

" قوله: " ولا أرجع إلى أهلي ورائي" مجزوم لأنه دعاء، فقوله:" لا" يعني الجازمة، ومعناه: اللهم لا أرجع،كما تقول: زيد لا تغفر له، فهذا الدعاء ينجزم بما ينجزم به الأمر والنهي، كما تقول: زيد ليقم، وزيد لا يبرح."[3] فالمعنى المراد هنا الدعاء لا إفادة معنى الخبر الأصلي.

---

(١) الكامل:١/١١٠.

(٢) الكامل:١/٢٢٥.

(٣) الكامل:١/١٦٨- ١٦٩.

وفي جانب الإنشاء استطاع المبرد أن يفرق بين الإنشاء الحقيقي والإنشاء المجازي من خلال رصد بعض معاني الإنشاء المجازي في أنواعه:

ففي الاستفهام يشير إلى أحد معانيه التي يخرج إليها، وهو التقرير في قول عبد الله بن معاوية:

أأنت أخي ما لم تكن حاجة   فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

فـ " قوله: "أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة" تقرير وليس باستفهام. ولكن معناه: أني قد بلوتك تظهر الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أر من إخائك شيئاً وقال الله ﷻ: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] إنما هو توبيخ وليس باستفهام. وهو جل وعز العالم بأن عيسى لم يقله. وقد ذكرنا التقرير الواقع، بلفظ الاستفهام في موضعه من الكتاب "المقتضب "مستقصى، ونذكر منه جملة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى." (١)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨-٩] ذكر المبرد" وقال أهل المعرفة في قول الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ إنما تسأل تبكيتاً لمن فعل ذلك بها، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾." (٢)

وفي موضع آخر يشير إلى الإنكار في الاستفهام في قول عمر بن أبي ربيعة:

فقالت: أتحقيقاً لِما قال كاشحٌ   علينا، وتصديقاً لما كان يؤثر!

" وقوله: فقالت أتحقيقاً؟ أي: أتفعل هذا تحقيقاً، ومن كلام العرب: أكلُّ هذا بخلاً؟ وذاك أنه رآه يفعل شيئاً أنكره فقال: أتفعل كل هذا بخلاً!" (٣)

---

(١) الكامل:١/٢٧٧.

(٢) الكامل: ٢/٦٠٩.

(٣) الكامل:٢/٨٠٠-٨٠١.

إن مبحث الاستفهام قد نال من حديث المبرد نصيبا لا بأس به، وهو وإن لم يستوعب مسائله المتنوعة، فإنه قد أدلى فيه بدلوه، وفتح للبلاغيين من بعده شيئا من أبوابه ومباحثه.

كما أشار في النداء عن أحد المعاني التي يخرج إليها، وهو الندبة في قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز:

نعى النعاةُ أميرَ المؤمنين لنا ... يا خير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمراً جسيماً فاضطلعت به ... وقمت فيه بحق اللهِ يا عمرا

فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ ... تبكي عليك نجوم الليل و القمرا

قوله: يا عمرا ندبةٌ، أراد: يا عمراه! وإنما الألف للندبة وحدها، والهاء تزاد في الوقف لخفاء الألف، فإذا وصلت لم تزدها، تقول: يا عمرا ذا الفضلِ، فإن وقفت قلت: يا عمراه: فحذف الهاء في القافية لاستغنائه عنها.[1]

وفي القسم إشارة إلى القسم الوارد في البيت أو الآية دون ذكر السر من وروده، فقول عمر بن أبي ربيعة:

من رسولي إلى الثريا بأني ... ضقت ذرعاً بهجرها والكتابِ!

" قوله: "والكتابِ" قسمٌ." [2] ونقل القول في القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ – ١٦] "وقال ابن عباس في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ قال: أقسم ببقر الوحش لأنها خنسُ الأنوف: والكنسُ: التي تلزمُ الكناسَ. وقال غيره: أقسم بالنجوم التي تجري بالليل وتخنس بالنهار، وهو الأكثر." [3] يجمع المفسرون أن لله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لأنها دالة على قدرته وليس للمخلوق أن يحلف إلا بالله تعالى.ولكن هل في المغايرة بما يقسم الله تعالى به

(١) الكامل: ٢/٨٣٢.

(٢) الكامل:٢/٧٩٠.

(٣) الكامل:٢/٨٦٦.

معنى مقصود أم لمجرد الذكر وتعدد المقسم به؟وبعد التأمل ظهر والله تعالى أعلم أنه سبحانه لا يقسم بشيء في موضع دون غيره إلا لغرض يتعلق بهذا الموضع يكون بين المقسم به والمقسم عليه مناسبة وارتباط وقد يظهر ذلك جليا وقد يكون خفيا.وهذا فعلا ما تقتضيه الحكمة والإعجاز في القرآن... وهنا يقسم بحالات الكواكب على أصح الأقوال في ظهورها واختفائها وجريانها."[1]

٢. التقديم والتأخير:

فطن المبرد للتقديم والتأخير، وكانت معالجته لها سطحية تتمثل بالحكم على الأسلوب، أو تقويمه والحكم عليه من خلال ما يلي:

– وصفه التقديم والتأخير بالحسن إذا وقع موقعا مناسبا، فقد وقف مع قول عروة ابن الورد:

وإن بعـــدوا لا يـــأمنون اقترابـــه اقترابـــه   تـــشوف أهـــل الغائـــب المتنظـــر

فذكر أن " قوله:وإن بعدوا لايأمنون اقترابه...على التقديم والتأخير، أراد: لايأمنون اقترابه وإن بعدوا، وهذا حسن في الإعراب إذا كان الفعل الأول في المجازاة ماضياً، كما قال زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسألة... يقول: لا غائب مالي ولا حرم "[2] ولعل سر حسنه أن السامع يستطيع فهمه والوصول إلى معناه دون كلفة ومشقّة، فمن صفات هذا الصعلوك أن أعداءه يخافونه ويهابونه حتى إذا بعدوا لا يأمنون رجوعه وعوده فعل أهل الغائب الذي يترقب عوده ورجوعه.

– وهو في تناوله للتقديم والتأخير يحرص على إعادة التركيب إلى وضعه السليم، كما في قول مرة بن محكان السعدي:

ولـــست وإن كانـــت إلـــي حبيبـــةً   ببـــاكٍ علـــى الـــدنيا إذا مـــا تولـــت

---

(١) أضواء البيان: ٩/ ٦٩.

(٢) الكامل: ١/ ١٧٤.

فقد أعاد صياغة البيت، فقال: " إنما هو تقديم وتأخير، أراد: ولست بباكٍ على الدنيا وإن كانت إلي حبيبة. ولولا هذا التقدير لم يجز أن يضمر قبل الذكر، ومثله:

إن تلق يوماً على علاته هرماً   تلق السماحة منه والندى خلقا خلقا

وكذلك قول حسان بن ثابت:

قد ثكلت أمه من كنت واحده . . . أو كان منتسباً في برثن الأسد

ويقول: من كنت واحده قد ثكلت أمه، وكذلك:

شر يوميها وأخزاه لها   ركبت عنز بحدج جملا

يقول: ركبت عنز بحدج جملا في شر يوميها." [1] فاستثنى وإن كانت إلي حبيبة استثناء مليحاً، ونوى التقديم والتأخير، فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدماً على مظهره" [2] وفي بيت حسّان قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كنت واحِده. وجه الاستشهاد: قدّم الشاعر الخبر، وهو جملة (قد ثكلت أمُّه) على المبتدأ الاسم الموصول (مَنْ) مع أن في جملة الخبر ضمير، وهو(الهاء) في أمّه يعود إلى المبتدأ المتأخِّر، وسهّل ذلك أن المبتدأ وإن وقع متأخراً فهو بمنزلة المتقدم في اللفظ؛ لأن رتبته التقدم على الخبر.

– وقد فطن المبرد في باب التقدبم إلى نوع من التقديم، وهو البدء بالشيء والمقدم غيره، فعند قول الصلتان العبدي:

فملتنا أننا المسلمون   على دين صديقنا والنبي

فقوله: " وقوله: على دين صديقنا والنبي...

فالعرب تفعل هذا، وهو في الواو جائز، أن تبدأ بالشيء والمقدم غيره، قال الله عز اسمه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]، وقال: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال: ﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣]. وقال حسان بن ثابت:

---

(١) الكامل: ١/٢٥٨–٢٥٩.

(٢) العمدة لابن رشيق: ١/٦٤٨.

بهاليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير

يعني بني هاشم. "[1] والواو هنا لا تقتضي الترتيب بل تقتضي مطلق الجمع، فبدأ اللفظ بجعفر ثم جاء بعده بعلي ثم جاء بعده بالنبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله أجمعين وهو المقدم على الحقيقة.

٣.المجاز العقلي:

تعرض المبرد لشيء من علاقات المجاز العقلي، ودلل عليه بأمثلته التي تواتر ذكرها في مصنفات البحث البلاغي الخالص، بل تكاد تحليلاته التي جاءت تقف بإزاء تحليلات البلاغيين لذلك النوع من المجاز، وهو وإن لم يذكر له ذلك المصطلح الشائع عندهم، فقد أجراه إجراء يدل على فهمه له، ويتضح من تحليله للشواهد التي درسها فكرة المجاز العقلي، والتي تقوم على إسناد الشيء إلى غير ما هو له في الحقيقة.[2] وينبغي أن يلاحظ أن المبرد في دراسته لعلاقات المجاز العقلي ينصّ أحيانا على تلك العلاقات بذكر أسمائها، وهناك علاقات تفهم من سياق كلامه، ومن العلاقات التي أشار إليها:

أ. علاقة الزمانية:

وقد أشار إليها في تحليله دون تسمية لها، في قول أبي كبير الهذلي:

حملت به في ليلة مزؤودةٍ كرهاً، وعقد نطاقها لم يحلل

قال المبرد: " مزؤودة: ذات زؤدٍ، وهو الفزع، فمن نصب "مزؤودة " فإنما أراد المرأة، ومن خفض فإنه أراد الليلة، وجعل الليلة ذات فزع، لأنه يفزع فيها، قال الله ﷻ: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والمعنى: بل مكركم في الليل والنهار: وقال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت، وما ليل المطي بنائم

---

(١) الكامل: ٣/١١٠٣.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٥١. (تحقيق: د. عبد القادر حسين).

وقال آخر:

فنام ليلي وتجلى همي..." [1].

فقد أجرى المجاز العقلي في البيت على رواية الجر في (مزؤودة) بإسناد الفزع إلى الليلة (ذات فزع) لعلاقة الزمانية، وأكد على ما ذكره بسرد شيء من الشواهد للمجاز العقلي وعلاقته الزمانية.

ومن أمثلة الزمانية في كتاب الكامل قوله: " ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا: "لقد أكل الدهر عليه وشرب"، إنما يريدون أنه أكل هو وشرب دهراً طويلاً، قال الجعدي:

أكل الدهر عليهم وشرب...

والعرب تقول: نهارك صائم، وليلك قائم، أي: أنت قائم في هذا وصائم في ذاك،كما قال الله ﷻ: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والمعنى والله أعلم، بل مكركم في الليل والنهار، وقال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى . . . ونمت، وما ليل المطي بنائم" [2].

وأنت تلاحظ من خلال كلام المبرد دقة التحليل ودلالته على المجاز العقلي، مشفوعا بشيء من الشواهد التي توضحه.

وأيضا تناول علاقة الزمانية بالتحليل في قول يزيد بن حبناء:

فليس بمهد من يكون نهاره ... جلاداً ويمسي ليله غير نائم

فقال:" قوله: من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليله غير نائم يريد يمسي هو في ليله ويكون هو في نهاره، ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة، وفي القرآن: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والمعنى بل مكركم في الليل والنهار، وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص:

أما النهار ففي قيد وسلسلة ... والليل في جوف منحوت من الساج

---

(١) الكامل:١/١٧٥-١٧٦.

(٢) الكامل:١/٢٨٥.

وقال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم"[1]

وهنا تحليل دقيق من المبرد في إسناد الفعل إلى غير ما هو له بتأول" ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة" التي يراد بها التوسع في إطلاق اللفظ واستعماله، وهو ما سمي عند البلاغيين فيما بعد بالمجاز.

ب. علاقة المصدرية:

وقد سماها المبرد باسمها، وتعرض لها في تحليلاته للشواهد الأدبية، ومن ذلك:

وقال أعرابي أنشدنيه أبو العالية:

ألا تسأل ذا العلم ما الذي يحل من التقبيل في رمضان؟

فقال لي المكي: أما لزوجة فسبع، وأما خلةٍ فثمان

قوله: "خلةٍ" يريد ذات خلة، ويكون سماها المصدر، كما قالت الخنساء:

فإنما هي إقبال وإدبار

يجوز أن تكون نعتتها بالمصدر لكثرته منها، ويجوز أن تكون أرادت ذات إقبال وإدبار، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مقامه، كما قال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فجائز أن يكون المعنى بر من آمن بالله، وجائز أن يكون ذا البر من آمن بالله، والمعنى يؤول إلى شيء واحد.[2]

وهنا يتضح للناظر معرفة المبرد بهذه العلاقة، كما أنه أبرز السر في استعمال علاقة المصدرية مجازا؛ لكثرة الإقبال والإدبار من الناقة.

وقد يوضع اسم الفاعل موضع المصدر في جانب المجاز العقلي، كما أشار إلى ذلك المبرد في قول الفرزدق:

---

(١) الكامل: ٣/ ١٣٥٦.

(٢) الكامل: ١/ ٣٧٤-٣٧٥.

أَلَمْ تَرَنِي عاهَدْتُ رَبِّي وإنَّنِي   لَبَيْنَ رِتاجٍ قائِماً ومَقامِ
على حَلْفَةٍ لا أشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِماً   ولا خارِجاً مِن فِيَّ زُورُ كَلامِ

" وقوله: "ولا خارجاً" إنما وضع اسم الفاعل في موضع المصدر، أراد: لا أشتم الدهر مسلماً، ولا يخرج خروجاً من في زور كلام، لأنه على ذا أقسم، والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل، يقال: ماءٌ غور، أي: غائر، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠]، ويقال: رجل عدلٌ، أي عادل، ويوم غم، أي: غائم، وهذا كثير جداً،فعلى هذا جاء المصدر على فاعل... وجاء على "مفعول"، نحو رجل ليس له معقول، وخذ ميسوره، ودع معسوره، لدخول المفعول على المصدر، يقال رجل رضاً، أي: مرضي، وهذا درهم ضرب الأمير، أي: مضروب، وهذه دراهم وزن سبعةٍ، أي: موزونة "[1]

٤. التقييد بالشرط:

اقتصر حديث المبرد على تبيان أصل (لو) ودلالتها الشرطية، مشيرا إلى أن (لو) قد يتوسع فيها لتنوب عن (إن) في الدلالة، وهي الدلالة الشرطية المقيدة بـ (لو) " فـ "لو" أصلها في الكلام أن تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره، تقول: لو جئتني لأعطيك، ولو كان زيد هناك لضربته، ثم يتسع فتصير في معنى " إن " الواقعة للجزاء تقول: أنت لا تكرمني ولو أكرمتك، تريد " وإن " قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧] فأما قوله ﷻ: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ [آل عمران: ٩١] " فإن تأويله عند أهل اللغة: لا يقبل أن يتبرأ به وهو مقيم على الكفر، ولا يقبل إن افتدى به."[2]
وقد عقد المبرد مقارنة بين (إن) و(لو) من حيث الدلالة والعمل، فقال: " فـ "لو" في معنى " إن " وإنما منع "لو" أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم " إن " أن حروف المجازاة إنما تقع لما لم يقع، ويصير الماضي معها في معنى المستقبل تقول: إن جئتني أعطيتك، وإن قعدت عني زرتك، فهذا لم يقع..وإن كان لفظ الماضي لما أحدثته فيه " إن" وكذلك متى أتيتني أتيتك..و "لو" تقع في معنى الماضي، تقول: لو جئتني أمس لصادفتني، ولو ركبت إلي أمس لألفيتني، فلذلك خرجت من حروف الجزاء"[3] ومن أحكامها أن " "لو" لا يليها إلا الفعل مضمراً أو مظهراً.. لأنها تشارك حروف الجزاء في ابتداء الفعل

---

(١) الكامل: ١/١٥٦.
(٢) الكامل: ١/٣٦١.
(٣) الكامل: ١/٣٦١-٣٦٢.

وجوابه، تقول: لو جئتني لأعطيتك.. فهذا ظهور الفعل، وإضماره، قوله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ [الإسراء: ١٠٠]" والمعنى والله أعلم: لو تملكون أنتم.. فهذا الذي رفع "أنتم" ولما أضمر ظهر بعده ما يفسره، ومثل ذلك: "لو ذات سوارٍ لطمتني" أراد لو لطمتني ذات سوارٍ، ومثله:

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي... جعلت لهم فوق العرانين ميسماً

وكذلك قول جرير:

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار إلى بني العوام

فنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده، لأنها للفعل، وهو في التمثيل: لو علق الزبير غيركم"[١].

ثالثا: الجمل:

١. الإيجاز والإطناب:

أ. الإيجاز:

أولا: إيجاز القصر:

للمبرد إشارات تدلل على قيمة إيجاز القصر، وتحليلات تسجل له في هذا الفن البلاغي، فمن ذلك ما نقله من تعليق العتبي على أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب بقلة اللفظ وكثرة المعنى "ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها حدثنا العتبي قال: لم أر أقل منها في اللفظ، ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

أيها الناس، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه.

ثم نزل."[٢] وقد حلل المبرد وجه جمالها بما اشتملت عليه من إيجاز واف وبديع أحسن فيه انتقاء الألفاظ الدالة على المعنى، إضافة إلى ما اتخذ فيها من الألفاظ المتضادة المشاكلة المستحسنة "وإنما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار، بما عضده به من الفعل المشاكل له"[٣].

---

(١) الكامل:١/٣٦٣-٣٦٤.

(٢) الكامل:١/١٨.

(٣) الكامل: ١/١٩.

إن المبرد يستحسن الإيجاز الدال في الكلام ويعده من البلاغة، وشخصية عمر بن الخطاب تمثل عنده أحد الأفذاذ الذين تميزوا بالإيجاز في القول، وحسن اختيار الكلام، واستحق في خطبته عن القضاء أن يوصف كلامه بالإيجاز المحمود " ومن ذلك رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري وهي التي جمع فيها جمل الأحكام، واختصرها بأجود الكلام، و جعل الناس بعده يتخذونها إماماً،ولا يجد محق عنها معدلاً، ولا ظالم عن حدودها محيصاً، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك، أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس بوجهك، وعدلك، ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً. لا يمنعنك قضاءٌ قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديمٌ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنةٍ،ثم اعرف الأشباه والأمثال،فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدا ينتهي إليها فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية، فإنه أنفى للشك، وأجلى للعمى، المسلمون عدولٌ بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد، ومجرباً عليه شهادة زور، أو ظنيناً في ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم السرائر، ودرأ بالبينات والأيمان. وإياك والغلق والضجر، والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق ليعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته، وأقبل على نفسه كفاه الله بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام."[1]

ومما ذكره من بلاغة عمر بن الخطاب في إيجاز القصر، قوله: " قال عمر بن الخطاب: قد ألنا وإيل علينا؛ تأويل ذلك: قد ولينا وولي علينا. وهذه كلمة جامعة، يقول: قد ولينا

---

(١) الكامل: ١/ ٢٠-٢١.

فعلمنا ما يصلح الوالي، وولي علينا فعلمنا ما يصلح الرعية." [1] فقوله:" كلمة جامعة" تبين ما حوت هذه الجملة من ألفاظ وجيزة ومعان كثيرة. كما نقل عن السلف ما يؤكد ثناءهم على إيجاز القصر" وقال معاوية لعباس بن صحار العبدي: ما أقرب الاختصار؟ فقال لمحة دالةٌ.وقيل:خيرُ الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره." [2]

ثانيا: إيجاز الحذف:

تتسم لغتنا بالإيجاز، ويبدو أن السر في اهتمام العرب القدماء به" راجع إلى ظروف مجتمعهم، فقد كان مجتمعا تشيع فيه الأمية، وتندر فيه الكتابة، ولهذا كان عليهم أن يعتمدوا على ذاكرتهم من ناحية الإبقاء على أدبهم الذي يصور حياتهم، وعلى تناقله عن طريق الرواية جيلا بعد جيل من ناحية أخرى"[3].

إن مدار الإيجاز قائم على الحذف" لأن موضوعه على الاختصار، وذلك إنما يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، بل أقول: لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته، ولصار إلى شيء مسترك مسترذل ولا بد من الدلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه قد يكون لغوا من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم بكونه محذوفا بحال"[4] وقد قال المبرد: " من كلام العرب الاختصار المفهم، والإطناب المفخم".[5]

وقد اعتنى المبرد بالحذف فيما يمر عليه من شواهد، فيحرص على إبراز المحذوف في التركيب؛ ذلك أن الإيجاز عنده يحتل مكانة محمودة، ومنزلة رفيعة، وشواهد ذلك كثيرة في جانب الحرف والكلمة والجملة والجمل.

فمن شواهد حذف الحرف: قوله: " ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه، ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب:

---

(١) الكامل: ٣/ ١٠٩٢.

(٢) الكامل: ٢/ ٨٨٤.

(٣) في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق: ١٠٨-١٠٩.

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢/ ٩٢.

(٥) الكامل: ١/ ٤٠.

فمـن يـك لـم يغـرض فـإني ونـاقتي بحجـــرٍ إلـــى أهـــل الحمـــى غرضـــان

تحـن فتبـدي مـا بهـا مـن صـبابة وأخفـي الـذي لـولا الأسـى لقـضاني

يريد: لقضى علي، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣] والمعنى إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم، ألا ترى" أن" أول الآية ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم، وقال الله ﷻ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: من قومه، وقال الشاعر:

أمرتـك الخيـر فافعـل مـا أمـرت بـه فقـــد تركـــت ذا مـــال وذا نـــشب

أي أمرتك بالخير، ومن ذلك قول الفرزدق:

ومنـا الـذي اختيـر الرجـال سـماحةً وجـــوداً إذا هـــب الريـــاح الزعـــازع

أي: من الرجال. فهذا الكلام الفصيح.

وتقول العرب: أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً ولا شراباً، أي: ما أذوق فيهن، وقال الشاعر:

ويوماً شهدناه سليماً وعامراً... قليلاً سوى الطعن النهال نوافله" [1] فاستعمال الحذف الذي لا يزعزع الأسلوب له عند المبرد قيمة، وقد وصفه بالكلام الفصيح.

وفي قول الحارث بن خالد المخزومي:

فـــر عبـــد العزيـــز إذ راء عبـــسا وابـــــن داود نـــــازلا قطريـــــا

عاهـــد الله إن نجـــا ملمنايـــا ليعـــــودن بعـــــدها حرميـــــا

أشار المبرد إلى حذف الحرف " وقوله: ملمنايا يريد من المنايا، ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة، فيقولون في بني الحارث وبني

---

(١) الكامل: ١/٤٦-٤٩.

العنبر وما أشبه ذلك: بلحارث وبلعنبر وبلهجيم كما يقولون: علماء بنو فلان فحذفون إحدى اللامين."[1]

إن المبرد لا يكتفي بالإشارة إلى المحذوف، بل يذكر الغرض من الحذف والسر البلاغي منه" وأما قوله: "لقضاني" فإنما يريد: لقضى علي الموت، كما قال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ [سبأ: ١٤] فالموت في النية، وهو معلوم بمنزلة ما نطقت به. فلهذا ناسب قوله ﷻ: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ وكذلك قوله: ﴿كَالُوهُمْ ﴾ فالشيء المكيل معلوم، فهو بمنزلة ما ذكر في اللفظ، ولا يجوز: مررت زيداً وأنت تريد: مررت بزيد، لأنه لا يتعدى إلا بحرف جر، وذلك أن فعل الفاعل في نفسه، وليس فيه دليل على المفعول نفسه، وليس هذا بمنزلة ما يتعدى إلى مفعولين، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جر، وإلى الآخر بنفسه، لأن قولك: اخترت الرجال زيداً، قد علم بذكرك "زيداً" أن حرف الجر محذوف من الأول."[2].

فحذف لأجل العلم به، ومن ذلك: قول أعرابي من بني سعد في خلاف الدمامة:

ولما التقى الصفان واختلف القنا	نهالاً وأسباب المنايا نهالها
تبين لي أن القماءة ذلة	وأن أشداء الرجال طوالها
دعوا: يا لسعد وانتمينا لطيىء	أسود الشرى إقدامها ونزالها

" والشرى: موضع كثير السباع، وإنما يريد: كإقدام أسد الشرى إقدامها، ثم حذف لعلم السامع."[3]

وقد يقصد إلى الحذف طلبا للخفة في النطق، خاصة إذا كان السامع لديه علم بما سيقول القائل، كما في قصة الفرزدق مع من استجار بقبر غالب جد الفرزدق" ومنهم مكاتب لبنى منقر، ظلع بمكاتبته، فأتى قبر غالب فاستجار به، وأخذ منه حصيات فشدّهنّ في عمامته، ثم أتى الفرزدق فاخبره، وقال: إني قد قلت شعراً، فقال: هاته، فقال:

---

(١) الكامل: ٣/ ١٢٩٥.

(٢) الكامل: ١/ ٥٠.

(٣) الكامل: ١/ ١٢٧.

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ... خشيت الرّدى أو أن أرد على قسر

بقبر امرئ تقري المئين عظامه ... ولم يك غلاّ غالباً ميّتٌ يقري

فقال لي استقدم أمامك إنّما ... فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق: ما اسمك؟ قال: لهذم، قال: يالهذم، حكمك مسمّطاً، قال: ناقة كوماء سوداء الحدقة، قال: يا جارية، اطرحي إلينا حبلاً، ثم قال: يا لهذام اخرج بنا إلى المربد، فألقه في عنق ما شئت. فتخير العبد على عينه، ثم رمى الحبل في عنق ناقةٍ وجاء صاحبها، فقال له الفرزدق: اغد عليّ في ثمنها، فجعل لهذا يقودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نفذ بها من بيوت إلى الصحراء، صاح به الفرزدق: يا لهذام، قبح الله أخسرنا؟!".[1]

فقد وقف المبرد عند قول الفرزدق: "يا لهذم، حكمك مسمطا" فقال:" وأما قوله "حكمك مسمّطاً" فإعرابه أنه أراد: لك حكمك مسمّطاً، واستعمل هذا فكثر، حتى حذف استخفافاً، لعلم السامع بما يريد القاتل، كقولك: "الهلال والله"، أي: هذا الهلال، وأغنى عن قوله: "هذا"، القصد والإشارة. وكان يقال لرؤبة: كيف أصبحت؟ فيقول: خير عافاك الله. فلم يضمر حرف الخفض، ولكنه حذف لكثرة الاستعمال." [2] فكثرة الاستعمال طلبا للخفة أحد أسباب الحذف عند المبرد، وفي ذكر القصد والإشارة دليل على المحذوف.

ومن حذف الحرف عند العرب طلبا للخفة جاء تعليق المبرد على قول إسحاق بن خلف البهراني:

ولبس العجاجة والخافقات ... تريك المنا برؤوس الأسل

بقوله: " قوله: "تريك المنا" يريد المنايا وهذه كلمة تخف على ألسنتهم فيحذفونها، وزعم الأصمعي أنه سمع العرب تقول: درس المنا، يريدون المنازل، وجاء في التخفيف أعجب من هذا، حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي وذكره سيبويه في كتابه ولم يذكر

---

(١) الكامل: ٢/٦١٢.

(٢) الكامل: ٢/٦١٦-٦١٧.

قائله. ولكن الأصمعي قال: كان أخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي. فيقول أحدهما لصاحبه: ألا تا؟ فيقول الآخر: بلى فا. يريد: ألا تنهض؟ فيقول الآخر: بلى فانهض. وحكى سيبويه في هذا الباب:

بالخير خيراتٍ وإن شراً فا ‏ ‏ ‏ ‏ ولا أريد الشر إلا أن تا

يريد: وإن شراً فشر. ولا أريد الشر إلا أن تريد."[1]

ومن أسرار الحذف عند المبرد: الحذف للمبالغة" والعرب تحذف مثل هذا. فيقول القائل: مررت بالفيل أو أعظم. وإنه كالبقّة أو أصغر"[2]

ومن الحذف حذف الفعل للاختصاص. كما في قول أبي مخزوم النهشلي يفخر بقومه:

إنا بني نهشل لا ندعي لأبٍ ‏ ‏ ‏ ‏ عنه. ولا هو بالأبناء يشرينا

"ونصب "بني" على فعل مضمر للاختصاص. وهذا أمدح. ومثله:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل

أراد نحن أصحاب الجمل. ثم أبان من يختص بهذا. فقال: أعني بني ضبة"[3]

وقد يشير المبرد إلى الفعل المحذوف دون ذكر سبب الحذف. كما في قول الفرزدق:

على حين ألهى الناس جل أمورهم ‏ ‏ ‏ ‏ فندلاً زريق المال ندل الثعالب

فقد وقف عند المصدر (ندلا) فقال: "فنصب "ندلاً "بفعل مضمر وهو" أندلي "وهذا في الأمر. تقول: ضرباً زيداً. وشتما عبد الله. لأن الأمر لا يكون إلا بفعل. فكان الفعل فيه أقوى. فلذلك أضمرته. ودل المصدر على الفعل المضمر. ولو كان خبراً لم يجز فيه الإضمار. لأن الخبر يكون بالفعل وغيره. والأمر لا يكون إلا بالفعل. قال الله ﷻ: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا

---

(1) الكامل: ٢/ ٣١د–٣٢د.

(2) الكامل: ٢/ ٨٧٦.

(3) الكامل: ١/ ١٤٦.

فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤]. فكان في موضع "اضربوا"، حتى: كان القائل قال: فاضربوا، ألا ترى أنه ذكر بعده محضاً في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ ﴾ [محمد: ٤] ولو نون منون في غير القرآن لنصب "الرقاب" وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى."[1] وفيه إشارة صريحة من المبرد على دليل الحذف، وهو المصدر (ندلا) الذي دل على الفعل المضمر.

ومن حذف الفعل لعلم المخاطب به ما أشار إليه المبرد في قول يزيد بن حبناء:

فليس بمهد من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليله غير نائم

" أراد من يكون نهاره يجالد جلاداً، كما تقول: إنما أنت سيراً، وإنما أنت ضرباً تريد تسير سيراً، وتضرب ضرباً، فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيراً"[2]

والمبرد حريص على ذكر ما يدل على المحذوف حتى يكون الحذف مقبولا، فقد أشار إلى حذف الفعل

وذكر دليل الحذف في شعر الأعشى الذي يعاتب فيه يزيد بن مسهرٍ الشيباني، وهو قوله:

هريرةَ ودعها وإن لام لائمُ غداة غدٍ أم أنت للبينِ واجمُ

لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويتهُ تقضى لباناتٌ ويسأم سائمُ

فقوله: " "هريرةَ ودعها وإن لامَ لائمُ" منصوب بفعل مضمر، تفسيره ودعها كأنه قال: ودع هريرة، فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه، وكان ذلك أجود من ألا يضمرَ، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فأضمر الفعل إذ كان الأمر به أحق "[3] كما أشار أهمية وجود ما يدل على الحذف بقوله: " ولو قال: رأيت زيداً أو شبيهاً لجاز، لأنّ في الكلام دليلاً، ولو قال: رأيت الجمل، أو راكباً، وهو يريد: "عليه": لم يجز لأنه لا دليل فيه، والأول إنما قرّب شيئاً من شيءٍ"[4].

---

(1) الكامل: ١/٢٤١-٢٤٢.

(2) الكامل: ٢/١٣٥٦.

(3) الكامل: ٢/٨٢١.

(4) الكامل: ٢/٨٧٦.

ومن الحذف: حذف المضاف، كما قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا   طي الليالي: زلفاً فزلفا

" ناج: سريع، و الأين: الإعياء. و الوجيف: ضرب من السير.ونصب "طي الليالي" لأنه مصدر من قوله: "طواه الأين"، وليس بهذا الفعل، ولكن تقديره: طواه الأين طياً مثل طي الليالي، كما تقول: زيد شرب الإبل، إنما التقدير يشرب شرباً مثل الإبل، "فمثل" نعت، ولكن إذا حذفت المضاف استغنى بأن الظاهر يبينه، وقام ما أضيف إليه مقامه في الإعراب، من ذلك قول الله تبارك تعالى: ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] نصب لأنه كان: "واسأل أهل القرية". وتقول: بنو فلان يطؤهم الطريق، تريد أهل الطريق فحذفت " أهل " فرفعت " الطريق " لأنه في موضع مرفوع.فعلى هذا فقس إن شاء الله." [١] فهنا إشارة من المبرد إلى أن المضاف حذف من هذه الشواهد وأقيم المضاف إليه مقامه. وقوله" استغنى بأن الظاهر يبينه" فيه إشارة إلى الدليل المحذوف وقرينة الحذف التي لا بد منه فيما حذف.

وربما أورد المبرد الشاهد وما فيه من حذف دون ذكر السر من حذفه، كما في قول الشاعر:

وما هي إلا في إزارة وعلقةٍ   مغار ابن همام على حي خثعما

" يريد زمن إغارة ابن همام."[٢]

ومن حذف المضاف: " وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية في خمسة عشرة رجلاً من أله في سجن عارم:

تخبر من لاقيت أنك عائذ   بل العائذ المحبوس في سجن عارم

وصي النبي المصطفى وابن عمه   وفكاك أعناق وقاضي مغارم

أراد ابن وصي النبي. والعرب تقيم المضاف إليه في هذا الباب مقام المضاف، كما قال الآخر:

---

(١) الكامل: ١/ ١٩٧-١٩٨.

(٢) الكامل: ١/ ٢٦٢.

صبحن من كاظمة الخص الخرب	يحملن عباس بن عبد المطلب

يريد ابن عباس ﷺ.

وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك:

ورثتم ثياب المجد فهي لبوسكم	عن ابني مناف: عبد شمس وهاشم

يريد ابني عبد مناف."[1]

ومن إشارات الحذف عند المبرد: حذف المبتدأ، فقد أشار إليه في قول ذي الرمة:

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى	عليهم ولكن هيبة هي ماهيا

" إذا رفعت "هيبة" فالمعنى: ولكن أمره هيبةٌ، كما قال الله ﷻ: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أي: ذلك بلاغ، ومثله قوله ﷻ: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١]، يكون رفعه على ضربين: أحدهما: أمرنا طاعة وقول معروف، والوجه الآخر: طاعةٌ وقولٌ معروف أمثل. ومن نصب هيبة أراد المصدر،أي: ولكن يهاب هيبةً."[2] فقد وجه المبرد الإعراب في بيت ذي الرمة على حذف المبتدأ، ومثله آية الأحقاف، أو على حذف الفعل ويكون المصدر قد ناب عنه في محله وفي الشاهد الثالث ذكر الأوجه الجائزة فيه بأن يكون على حذف المبتدأ أو على حذف الخبر. ومن حذف الخبر، قول مهلهل بن ربيعة:

فلو نشر المقابر عن كليبٍ	فتخبر بالذنائب أي زير!

" فلما أدرك مهلهلٌ بثأر كليبٍ، قال أي زير! فرفع أياً بالابتداء، والخبر محذوف، فكأنه قال: أي زير أنا في هذا اليوم!"[3]

---

(١) الكامل:٣ / ١١٢٥.

(٢) الكامل:٢/٥٧٣-٥٧٤.

(٣) الكامل:٢/٧٤٠.

ومن الحذف: حذف الجار والمجرور، فقد أشار إليه المبرد مبينا الغرض من الحذف في قول الفرزدق:

إن الذي سمك السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمه اعز وأطول

فقال:"جائزٌ أن يكون قال للذي يخاطبه: من بيتكَ،فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة، وجائز أن تكون دعائمه عزيزةً طويلةً فأما قول مالك بن نويرة في ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحارث بن شهابٍ، وفخر بن أسدٍ بذلك، مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم:

فخرت بنو أسدٍ بمقتل واحدٍ صدقت بنو أسدٍ عتيبةُ أفضلُ

فإنما معناه أفضل ممن قتلوا، على ذلك يدل الكلامُ. وقد أبان ما قلنا في بيته الثاني بقوله:

فخروا بمقتلهِ ولا يوفي به... مثنى سراتهم الذين نقتل"[1] فقد حذف الجار والمجرور بعد اسم التفضيل، وهو جائز عند النحاة إذا وجد دليل يدل على الحذف.[2]

ومن حذف المفعول قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، مجاز الآية أن المفعول الأول محذوف، ومعناه: يخوفكم من أوليائه.[3]

ب.الإطناب:

١.التكرار:

للمبرد إشارات وتحليلات في التكرار سواء المعنوي منه أو اللفظي:

فمن التكرار المعنوي:" وقال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً،الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون".

---

(١) الكامل:٢/٨٧٧-٨٧٨ .

(٢) انظر: شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك : ٣/١٥-٥٢.

(٣) الكامل:٢/١٠٥٣.

فقد وقف المبرد عند لفظة (المتفيهقون) فأبرز صلتها بما سبقها من لفظ. فقال: " "المتفيهقون" إنما هو بمنزلة قوله: "الثرثارون" توكيد له، ومُتَفَيْهِق متفيعل، من قولهم: فهق الغدير يفهق إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مزيد، كما قال الأعشى:

نفى الذم عن رهط المحلق جفنةٌ   كجابية الشيخ العراقي تفهق[1].

ويلاحظ أنه أطلق على التكرار توكيدا، وكأنه يشير إلى الغرض الذي من أجله أعيدت اللفظة. وفي موضع آخر وقف عند قوله تعالى: وقال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] و قرىء "حرجاً"، فمن قال: "حرجاً "أراد التوكيد للضيق، كأنه قال: ضيق شديد الضيق. أي: بقراءة الكسر.[2] ونستطيع القول إن من أبرز الأغراض التي يحققها التكرار المعنوي التوكيد، وقد أبرزه المبرد جليا فيما تناول من شواهد.

وربما استفدنا من المبرد أنه يضيف الاتباع إلى التكرار المعنوي المفيد توكيدا في الكلام " قوله:

قبح الإله وجوه قوم رضع... وقوم يقولون: هو توكيد للئيم، كما يقولون: جائع نائع، وحسن بسن، وعطشان نطشان، وأجمع أكتع. وقوم يقولون: الراضع هو الذي يرتضع من الضرع لئلا يسمع الضيف و الجار صوت الحلب فيطلب منه." [3]" ويقال: عفرية نفرية، على التوكيد"[4]

وقد وقف المبرد مع بيت ذي الرمة:

ورمل كأوراك العذارى قطعته   وقد جللته المظلمات الحنادس

مشيرا إلى التوكيد المعنوي في عجز البيت "الحندس: الشديد الظلمة، وهو توكيد لها، يقال: ليل حندس، وليل أليل، ويوم يم كما يقال: ليل مظلم." [5] وهو في تحليله يبين الهدف من اقتران اللفظين ومعناهما واحد.

---

(١) الكامل: ١/ ٩.

(٢) الكامل:١/ ٣٨٣.

(٣) الكامل: ٢/ ٧١٤.

(٤) الكامل:٢/ ١٠١٠.

(٥) الكامل:٢/ ١٠١٣

ومن التكرار اللفظي تناول المبرد قول الفرزدق، وقد نزل به ذئب" فأضافه:

وأطلس عسالٍ وما كان صاحباً	رفعت لناري موهناً فأتاني
فلما دنا قلت أدن دونك إنني	وإياك في زادي لمشتركان

" وقوله: "فلما دنا قلت ادن دونك" أمر بعد أمرٍ. وحسن ذلك لأن قوله: "أدن" للتقريب. وفي قوله: "دونك".أمره بالأكل، كما قال جرير لعياش بن الزبرقان:

أعياش قد ذاق القيون مواسمي... وأوقدت ناري فادن دونك فاصطل"[1] وهنا وقف المبرد مع التكرار اللفظي في (أدن دونك) وبين وجه الحسن فيه، وكأنه يشير إلى أن التكرار كله ليس مستحسنا، وإنما الحسن منه ما وقع موقعا مصيبا وأفاد فائدة حسنة. ومن التكرار اللفظي:

قول مخيس بن أرطأة الأعرجي لرجل من بني حنيفة:

فقلت له: تجنب كل شيء	يعاب عليك، أن الحر حر

" وقوله: "إن الحر حر" إنما تأويله أن الحر على الأخلاق التي عهدت في الأحرار، ومثل ذلك:

أنا أبو النجم وشعري شعري

أي: شعري كما بلغك، وكما كنت تعهد، وكذلك قولهم: الناس الناس، أي الناس كما كنت تعهدهم.قال أبو الحسن: ومنه قول الله ﷻ: ﴿**فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**﴾ [طه: ٧٨]"[2] فهذا تفسير وتوضيح للتكرار اللفظي الوارد في هذه الشواهد، وأنه ليس معيبا.

٢. الإيضاح بعد الإبهام:

وعلاقة المبرد بهذا المبحث تتضح في تحليلاته التي أجرى فيها الإيضاح والإبانة بعد الإبهام. ومن ذلك: " ومثله: نحن بني ضبة أصحاب الجمل... أراد نحن أصحاب الجمل. ثم أبان من يختص بهذا، فقال: أعني بني ضبة وقرأ عيسى بن عمر: ﴿**وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ**

---

(١) الكامل: ٤٧٦/١.

(٢) الكامل: ٦٢/١.

ٱلۡحَطَبِ ﴾ [المسد: ٤] أراد وامرأته: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ [المسد: ٥] ثم عرفها بحمالة الحطب.." [1] فالضمير (نحن) يحمل إبهاما أوضحه ما بعده.

وفي قول أعرابي من بني سعد بن زيد مناة تميم:

تقول وصكت صدرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

أبرز ما يكتنف جملة (بالرحى المتقاعس) من بيان بإقحام لفظة الرحى، فـ" جعل "المتقاعس" اسماً على وجهه، وجعل قوله: "بالرحى" تبييناً بمنزلة "لك" التي تقع بعد قولك: "سقياً"، وبمنزلة "بك" التي تقع بعد قولك: "مرحباً" " [2]

٢.التتميم:

فطن المبرد لشاهد التتميم في قصة الكسائي ويونس بن حبيب، ورجح البيت على ذلك " ويروى أن يونس بن حبيبٍ قال لأبي الحسن الكسائي: كيف تنشد بيت الفرزدق؟ فأنشده:

غداة أحلت لابن أصرم طعنةٌ ... حصين عبيطات السدائف والخمر

فقال الكسائي لما قال:

"غداة أحلت لابن أصرم طعنة ... حصين عبيطات السدائف.."

تم الكلام. فحمل الخمر على المعنى، أراد: وحلت له الخمر، فقال له يونس: ما أحسن ما قلت ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب، فنصب الطعنة ورفع العبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب. والذي ذهب إليه الكسائي أحسن في محض العربية، وإن كان إنشاد الفرزدق جيداً." [3]

فأخرج الكلام على التتميم دون أن يسميه، وإنما أشار إليه بقوله: تم الكلام.

---

(١) الكامل: ١/١٤٦-١٤٧.

(٢) الكامل: ١/٥١-٥٢.

(٣) الكامل: ١/٤٧٦.

٣. الزيادة:

أبرز المبرد الزيادة الواردة في بعض التراكيب، مثل وقوفه على قول الشاعر:

ويوماً توافينا بوجهٍ مقسم ... كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم

فقال: "ومن قال: "كأن ظبية "جعل" أن" زائدة، وأعمل الكاف: أراد: كظبية، وزاد "أن" كما تزيدها في قولك: لما أن جاء زيدٌ كلمته، و والله أن لو جئتني لأعطيك."[1] والزيادة المرادة هنا هي الزيادة في الحرف. وأما الزيادة في اللفظة فقد تطرق إليها من خلال تحليله لقول جرير يمدح هشام بن عبد الملك:

إذا بعض السّنين تعرّقتنا ... كفى الأيتام فقد أبي اليتيم

" وقوله: إذا بعض السّنين تعرّقتنا... يفسر على وجهين: أحدهما: أن يكون ذهب إلى أن بعض السنين يؤنث؛ لأنه سنة وسنون، كما قال الأعشى:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدّم

لأن صدر القناة قناةٌ، ومن كلام العرب: ذهبت بعض أصابعه، لأن بعض الأصابع إصبع، فهذا قول.

والأجود أن يكون الخبر في المعنى عن المضاف إليه، فأقحم المضاف توكيداً، لأنه غير خارج من المعنى، وفي كتاب الله ﷻ: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] إنما المعنى: فظلّوا لها خاضعين، والخضوع بيّن في الأعناق، فأخبر عنهم، فأقحم الأعناق توكيداً. وكان أبو زيد الأنصاريّ يقول: أعناقهم جماعاتهم، تقول: أتاني عنقٌ من النّاس، والأول قول عامّة النحويين. وقال جرير:

لما أتَى خبرُ الزبيرِ تواضعتْ ... سورُ المدينةِ والجبالُ الخشعُ

---

(١) الكامل: ١/ ١١٢.

وقال أيضاً:

رأت مرَّ السنينَ أخذن مِنّي … كما أخذ السرارُ من الهلالِ

وقال ذو الرمة:

مشينَ كما اهتزت رماح تسفهت … أعاليها مرُّ الرياح النواسم

ومثل هذا كثير، وعلى مثل هذا القول الثاني تقول: "يا تيم تيم عدي" لأنك أردت: "يا تيم عدي"، وأقحمت الآخر توكيدا، وكذلك: لا أبا لك، لأن الألف لا تثبت في الأب في النصب إلا في الإضافة، أولا بدلاً من التنوين، فإنما أراد لا أباك ثم اقحم اللام توكيداً للإضافة، وأنشد المازني:

وقد مات شماخ ومات مزرد … وأي كريم لا أباك يخلدُ!

وقال آخر:

أبا لموت الذي لا بد أني … ملاقٍ لا أباك تخوفيني!"[1]

ففي بيتي جرير وبيت ذي الرمة برزت الزيادة في (مرّ) و(سور) لتحقق المعنى، إذ لما كانت السنون لا تكون إلا بمرّ أخبر عن السنين، ولا معنى للسنين إلا مرّها، وفي قوله: (تسفّهت الرياح...) أنّثَ الفعل (تسفهتْ) بتاء التأنيث مع أنّ فاعله (مَرُّ) مذكّر، وذلك لأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه

(الرياح) وجاز ذلك لِصحّة الاستغناء عن المضاف بالمضاف إليه. قال سيبويه: "كأنّه قال تسفّهَتْها الرّياحُ."[2] ومثله: (سور المدينة)، لأنّ السورَ من المدينة لَمّا أضافه إلى المؤنّث جعل له حكمه، وكانت الزيادة تأكيدا للخبر الملقى.

وقد تناول المبرد ثلاث صور من الزيادة تتمثل في إقحام المضاف إليه، والمنادى، والحرف مبينا الغرض من الزيادة فيما ذكر، وهو التوكيد.

---

(١) الكامل: ٢/٦٦٨–٦٧٠.

(٢) كتاب سيبويه: ١/٦٥.

ومن إقحام المضاف إليه" وقال رجل من طيء، أنشده أبو زيد الأنصاري:

يـا قـرط قـرط حيـي لا أبـالكم　　　يـا قـرط إنـي علـيكم خـائف حـذر

قوله: "يا قرط قرط حيي" نصبهما معاً أكثر على ألسنة العرب، وتأويله: أنهم أرادوا "يا قرط حيي" فأقحموا" قرطاً" الثاني توكيداً، وكذلك:

يـا تـيم تـيم عـدي لا أبـالكم　　　لا يلقيـنكم فـي سـوءة عمـر

ومثله:

يـا زيـد زيـد الـيعملات الـذبل　　　تطـاول الليـل عليـك فـانزل "[1]

٢.الوصل والفصل:

ثمت نصوص ساقها المبرد تدل على فهمه لهذا الفن بوجه من الوجوه فهما فطريا تذوقيا، قد يكون له مدخل في الفصل والوصل البلاغي على الرغم من أن المبرد لم يشر إلى الفصل والوصل بوصفهما مصطلحين بلاغيين بل كان اهتمامه منصبا على عطف المفردات، وبيان أدوات العطف ومعانيها.

ومن إشاراته: وقوفه مع قول الفرزدق:

فبـت أقـد الـزاد بينـي وبينـه　　　علـى ضـوء نـارٍ مـرة ودخـان

والنظر في العطف الجاري بين ضوء نار ودخان وسر ذلك " وقوله: على ضوء نارٍ مرة ودخان... يكون على وجهين: أحدهما على ضوء نار، وعلى دخانٍ أي: على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبت. وجائز أن يعطف الدخان على النار، وإن لم يكن للدخان ضياءٌ، ولكن للاشتراك كما قال الشاعر:

ياليـت زوجـك قـد غـدا　　　متقلـداً سـيفاً ورمحـا

---

(١) الكامل: ٣ / ١١٣٩–١١٤٠.

لأن معناهما الحمل، وكما قال:

شـــراب ألبـــانٍ وتمـــرٍ وأقـــط

فأدخل التمر في المشروب لاشتراك المأكول والمشروب في الحلوق وهذه الآية تحمل على هذا: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴾ [الرحمن: ٣٥] والشواظ: اللهب لا دخان له والنحاس: الدخان، وهو معطوف على النار، وهي مخفوضة بالشواظ لما ذكرت لك.."[١]
ويبدو أنه يريد بالاشتراك الاشتراك المعنوي بين اللفظتين في طبخ الزاد.

وإذا كان الأمر كذلك فإن الواو عند المبرد تجمع بين اللفظين ومعناهما مختلف لكن لفائدة بلاغية كالمجاورة مثلا كما في (متقلدا سيفا ورمحا) (شراب ألبان وتمر وأقط) (شواظ من نار ونحاس).[٢]

ويبين المبرد سر العطف في النيب والجزر مع أنهما صفتان للإبل وبمعنى واحد في قول الشاعر:

ألا ليتـــه يعطـــي الجمـــال بديئـــة   لـــه جفنـــة تـــشقى بهـــا النيـــب والجـــزر

" وقولها: "تشقى بها النيب والجزر" فإنما عطفت أحدهما على الآخر لأن من الإبل ما يكون جزوراً للنحر لا غير." [٣]

ومن أحكام الواو العاطفة التي ذكرها المبرد، أنه إذا كان العطف بالواو فإن العرب تقدم أو تؤخر، أما إذا كان العطف بـ (ثم) أو (الفاء) لم يصح إلا تقديم المقدم " قال حسان بن ثابت:

ومـازال فـي الإسـلام مـن آل هاشـم   دعـــائم عـــز لاتـــرام ومفخـــر

بهاليـل مـنهم جعـفر وابـن أمـه   علـــيٌّ ومـــنهم أحمـــد المتخيَّـــر

---

(١) الكامل: ٤٧٦/١-٤٧٧.
(٢) انظر ما قاله الثعالبي في فقه اللغة: ٢١١ وما بعدها.
(٣) الكامل: ٦٨١/٢.

فقال: منهم كما قال هذا من نفره، من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم.وأما قول حسّان: منهم جعفر وابن ابن أمه عليّ ومنهم أحمد المتحيز فإن، العرب إذا كان العطف بالواو قدمت وأخرت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]، وقال:﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣]، ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم، ثم الذي يليه واحداً فواحدا." [1] ولعلنا نأخذ من هذا النص الإشارة إلى دلالة الواو في الجمل المعطوفة على مطلق الجمع، بعكس الفاء وثم فإن دلالة كل منهما محدودة مخصوصة.

أما جملة الحال، فهناك إشارة من المبرد توحي بتناوله لأحد مواضعها، في قول ابن جعيل:

أرى الشأم تكره أهل العراق وأهل العراق لهم كارهينا

ونص تحليله كما يلي:" وقول ابن جعيل: وأهل العراق لهم كارهينا...محمول على "أرى" ومن قال: وأهل العراق لهم كارهونا... فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عطف جملة على جملة بالواو، ولم يحمله على أرى، ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقاً، وعمرو منطلقٌ الساعة، خبرت بخبر بعد خبر، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالاً، فيكون معناها "إذ"، كما تقول رأيت زيداً قائماً وعمرو منطلق، تريد إذ: عمْرو منطلق. وهذه الآية تحمل على هذا المعنى، وهو قول الله ﷻ: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، والمعنى والله أعلم: إذ طائفةٌ في هذه الحال وكذلك قراءة من قرأ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ [لقمان: ٢٧]، أي والبحر هذه حاله، وإن قرأ ﴿وَٱلْبَحْرَ ﴾ فعلى "أن"." [2] والوجه الآخر الذي ذكره المبرد يمثل فهمه للجملة الحالية، فقد أجراها بما يبين هيئة الحال في البيت والآية والمثال.

رابعا: تخريج الكلام على خلاف مقتض الظاهر:

١.الالتفات:

فطن المبرد للالتفات، وذكر أن العرب تستعمله في كلامها، كما أشار إلى صورة من الالتفات، وهي الالتفات من المؤنث إلى المذكر في قول ذي الرّمة:

---

(١) الكامل:٢/ ٥٢٩.

(٢) الكامل:١/ ٤٢٥.

ولكنني أقبلت من جانبي قسا	أزورُ فتًى نجداً كريماً يمانيا
من آلِ أبي موسى ترى القوم حولَهُ	كأنّهمُ الكِرْوانُ أبصرْنَ بازيا

" وقوله: من آل أبي موسى ترى القوم حوله...

فقال: ترى، ولم يقل ترين، وكانت المخاطبة أولاً لامرأة، ألا تراه يقول:

وما كنت مذ أبصرتني في خصومةٍ	أراجع فيها يا ابنة الخير قاضياً

ثم حوّل المخاطبة إلى رجل، والعرب تفعل ذلك، قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: ٢٢]، فكأن التقدير والله اعلم كان للناس، ثم حولت المخاطبة إلى النبي ﷺ. وقال عنترة بن شدّاد:

شطّت مزار العاشقين فأصبحت	عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم

وقال جرير:

ما للمنازل لا يجبن حزينا	أصممن أم قدم المدى قبلينا
وترى العواذل يبتدرن ملامتي	وإذا أردن سوى هواك عصينا

فقال أولاً لرجل، ثم قال: سوى هواك. وقال آخر:

فدىً لك والدي وسراة قومي	ومالي إنه منه أتاني

على تحويل المخاطبة." [1] ولنا في هذا التحليل وقفات، منها: أن مفهوم الالتفات عند المبرد يتسع ليشمل صورا كثيرة تدور حول الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، ولذلك فإن الانتقال من المذكر إلى المؤنث ومن المفرد إلى الجمع يدخل تحت مفهوم الالتفات عند المبرد، وشيء آخر يؤسس وجود الالتفات عند العرب وأنهم كانوا يستعملونه في كلامهم، وما ذكره المبرد من شاهد الآية الكريمة كان أحد الشواهد التي اعتمد عيها

(١) الكامل: ٢/٥٧٢-٥٧٣.

البلاغيون في صور الالتفات في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، وإن كان المبرد يجري الآية في الانتقال من الجمع إلى المفرد.

إن المبرد يذكر لنا من صور الالتفات ما يدل على فهمه لهذا المصطلح البلاغي الذي تناوله البلاغيون بصوره الست، وفي كلامه الآتي رسم لشيء من صور الالتفات، وهي: الالتفات من الغائب إلى الشاهد، والالتفات من الشاهد إلى الغائب، وقد جاء تحليله لقول الأعشى:

وأمْتَعني على العشا بِوليدةٍ فأُبْتُ بخيرٍ منكَ يا هوذَ حامِدا

" وأما قوله:

وأمتعني على العشا بوليدة فأبت بخير منك يا هوذ حامدا

فإنه كان يتحدث عنه، ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المخاطبة.

والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [يونس: ٢٢]. كانت المخاطبة للأمة، ثم صرفت إلى النبي ﷺ إخباراً عنهم. وقال عنترة:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسراً علي طلابك ابنة مخرم

فكان يحدث عنها ثم خاطبها. ومثل ذلك قول جرير:

وترى العواذل يبتدرن ملامتي فإذا أردن سوى هواك عصينا

وقال الآخر:

فدى لك والدي وسراة قومي ومالي إنه منه أتاني

وهذا كثير جداً." [١] وتأمل (وهذا كثير جدا) وما يعطيه من تأكيد لورود للالتفات كثيرا في كلام العرب مما يعطيه تأصيلا في لغتنا العربية.

---

(١) الكامل: ٢/ ٩١٠.

٢.التغليب:

أشار المبرد إلى التغليب، وبين مفهومه وهو يناقش قول الفرزدق:

عشيةَ سالَ المربدانِ كلاهما عجاجةَ موتٍ بالسيوفِ الصوارمِ

" وقوله: عشية سال المربدان كلاهما... يريد المربد وما يليه مما جرى مجراه، والعرب تفعل هذا في الشيئين إذا جريا في باب واحد، قال الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر، لأنهما قد اجتمعا في قولك، "النيران"، وغلب الاسم المذكر، وإنما يؤثر في مثل هذا الخفة. وقالوا: "العمران" لأبي بكر وعمر، فإن قال قائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلم يصب، لأن أهل الجمل نادوا بعلي بن أبي طالب رحمه الله عليه: أعطنا سنة العمرين. فإن قال قائل: فلم لم يقولوا: أبوي بكر، وأبو بكر أفضلهما فلأن عمر اسم مفرد، وإنما طلبوا الخفة. وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة لجرير:

وما لتغلب إن عدوا مساعيهم نجم يضيء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم والعمران أبو بكر ولا عمر

هكذا أنشدنيه، وقال آخر: قدني من نصر الخبيبين قدي..يريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير، وإنما أبو خبيب عبد الله"[1]

والفائدة التي يتأتى لها التغليب طلب الخفة والإيجاز في العبارة كما أشار إلى ذلك المبرد. ويكون التغليب في أمور كثيرة، منها: تغليبُ المذكّر على المؤنّث، وتغليب الكثير على القليل، وتغليب المعنى على اللفظ، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب أحد المتناسبين أو المتشابَهيْن أو المتجاوريْنِ على الآخر، وتغليب العقلاء على غيرهم، إلى غير ذلك من أمور، أشار إليها المبرد في شواهده.

---

(١) الكامل: ١٨٦/١-١٨٨.

٣. القلب:

القلب من المباحث التي فطن لها المبرد وحللها في شواهده، وسمى القلب باسمه أو المقلوب، وذكر متى يجوز استعمال القلب في الكلام؟ وذلك عند قول الفرزدق يصف ذئبا:

وأطلَس عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبا رفعتُ لنَاري مَوْهِناً فأتَانِي

"وقوله: "رفعت لناري"، من المقلوب، إنما أراد رفعت له ناري والكلام إذا لم يدخله لبسٌ جاز القلب للاختصار، قال الله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]. والعصبة تنوء بالمفاتيح، أي: تستقل بها في ثقلٍ، ومن كلام العرب: إن فلانة لتنوء بها عجيزتها، والمعنى لتنوء بعجيزتها، وأنشد أبو عبيدة للأخطل:

أما كليب بن يربوع فليس لها عند التفاخر إيرادٌ ولا صدر

مخلفون ويقضي الناس أمرهم وهم بغيبٍ وفي عمياء ما شعروا

مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

فجعل الفعل للبلدتين على السعة."[١] والمبرد يشير في هذا النص إلى أن العرب تفعله اتساعا، أي: من باب المجاز والتوسع في اللغة التي تتسع لهذا الاستعمال، كما أن الغرض من القلب الاختصار في الكلام.

وطريقة المبرد في إجراء القلب بإعادة الكلمة إلى أصلها، كما في وقوفه مع قول عويف القوافي:

بحَرُكَ عَذبُ الماء ما أعقه ربُّك والمَحْروم مَنْ لم يُسْقَهُ

---

(١) الكامل: ١/ ٤٧٥.

" وقوله: بحرك عذبُ الماءِ ما أعقهُ...مقلوبٌ، إنما هو ما أقعه ربك. يقال: ماء قعاعٌ، وماءُ حراقٌ. فالقعاع: الشديد الملوحة، يقول: ما أملحه ربك، والحراقُ: الذي يحرقُ كل شيءٍ بملوحته، والماء العذب يقال له: النقاخُ، وما دون ذلك شيئاً يقال له: المسوسُ. أنشد أبو عبيدة:

لو كنت ماءً كنتَ لا عذبَ المذاقِ ولا مسوسا"[1]

كما اجرى القلب بتقديم بعض الحروف على بعض في قول الحارث بن خالد المخزومي:

فر عبد العزيز إذ راء عبسا وابن داود نازلا قطريا

" قوله: إذ راء عبسا، الأصل رأى ولكنه قلب فقدم الألف وأخر الهمزة، كما قال كثير:

وكل خليل راءني فهو قائل من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

والقلب كثير في كلام العرب" [2] وفي هذا النص إشارة إلى كثرة استعمال القلب في كلام العرب، مما يؤكد تأصل جذوره في لغة العرب.

رابعا: البيان:

١. التشبيه:

إذا كان التشبيه يحتل مكانة كبرى في أساليب البلاغة والبيان؛ ذلك أنه شيء مركوز في طباع البشر، يلجئون إليه لإبراز المعنى وتوكيده في نفس المتلقي، فلا غرو أن يلتفت المبرد إلى تحليله، والاهتمام بإبرازه، ودراسة كثير من شواهده. ولا أبالغ إذا قلت إن أبرز مجهود شخصي بذله المبرد فيما يتعلق بالبلاغة العربية، ذلك الباب الطريف الذي عقده للتشبيه، فهو في هذا الباب كله لم يعتمد على أسلافه من علماء البلاغة والنحو واللغة، وإنما اعتمد على استقرائه في الشعر العربي، وجمع الشواهد الشعرية التي تحقق له إفراد باب بأكمله في موضوع واحد،وهو التشبيه "[3] والمبرد في هذا الباب يورد

---

(١) الكامل:٨٤٣/٢-٨٤٤.

(٢) الكامل:١٢٩٤/٣-١٢٩٥.

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي:٢٣٠.

أمثلة لا تنتهي، وشواهد لا حصر لها من شعر العرب في كل لون من ألوان التشبيه على تنوعها، وشدة اختلافها؛ وذلك لإيمانه بسعة هذا الباب " حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد"[1] وقد برز لي من أسرار عناية المبرد بالتشبيه:

– أنه كان يفسر وجه الشبه الجامع بين المشبه والمشبه به، فقد وقف المبرد عند بيت الأعشى الذي احتوى على تشبيه في قوله:

نفى الذم عن رهط المحلق جفنةٌ كجابية الشيخ العراقي تفهق

" كذا ينشده أهل البصرة، وتأويله عندهم أن العراقي إذا تمكن من الماء ملأ جابيته لأنه حضري فلا يعرف مواقع الماء ولا محالة. قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنشد قال أبو الحسن: هي أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق، وهي راوية أهل الكوفة: "كجابية السيح" تريد النهر الذي يجري على جابيته، فماؤها لا ينقطع، لأن النهر يمده.ومثل قول البصريين فيما ذكروا به" العراقي الشيخ "قول الشاعر قال أبو الحسن: " هو ذو الرمة":

لها ذنب ضاف وذفرى أسيلة وخد كمرآة الغريبة أسجح

يقول: إن الغريبة لا ناصح لها في وجهها، لبعدها عن أهلها، فمرآتها أبداً مجلوة، لفرط حاجتها إليها."[2] فالمبرد يعقد العلاقة بين المشبه والمشبه به ليتضح التشبيه وهو الجلاء والصفاء والوضوح، بل هو هدف من أهدافه عند تحليل التشبيه؛ لأن المرأة الغريبة تتعهد مرآتها من الجلاء بما لا يتعهد غيرها وتتفقد من محاسن وجهها مالا يتفقده سواها فمرآتها أبدا مجلوة.

ومما أبرز فيه وجه الشبه، قول السليك يرثي فرسه، وكان يقال له النحام، فقال:

كأن قوائم النحام لما تحمل صحبتي أصلاً محار

---

(١) الكامل: ٢/٩٩٦.

(٢) الكامل: ١/٩–١٠.

" قوله:كأن قوائم النحام محار...المحارة: الصدفة، يريد الملاسة، وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت."[1]فوجه الشبه بين قوائم والمحار الملاسة، أي: كأنها صدف تمرّ على كل شيء.

وفي قول امرؤ القيس في طول الليل:

كأن الثريا علقت في مصامها ... بأمراس كتان إلى صم جندل

"فهذا في ثبات الليل وإقامته. والمصام: المقام. وقيل للممسك عن الطعام: صائم، لثباته على ذلك، ويقال: صام النهار: إذا قامت الشمس."[2] والمعنى أنه يصف طول الليل بقوله: " كأن النجوم مشدودة بحبال إلى حجارة، فالصورة فيه بديعة ودقيقة.

وفي موطن آخر نراه يجري التشبيه في البيت الشعري إجراء دقيقا ليبرز صورة التشبيه الجميلة، كما في قول طخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة:

معي كل فضفاض القميص كأنه ... إذا ما سرت فيه المدام فنيق

" وأما الفنيق فإنه الفحل من الإبل، وإنما أراد خطرانه بذنبه من الخيلاء، فشبه الرجل من هؤلاء إذا انتشى بالفحل، وهو إذا خطر ضرب بذنبه يمنة وشأمة"[3] وهو تشبيه تمثيلي وإن لم يسمه المبرد، تتجلى فيه صورة التركيب بين الطرفين: الرجل المتمايل بكبريائه وخيلائه في بدنه وحركته والفحل الذي يتمايل بذنبه يمنة ويسرة.

إن صورة التشبيه تتضح كثيرا في ذهن المبرد، وفي البيت القادم يبرز المشبه والمشبه به داخل تحليله للبيت،

قال جميل معمر:

ما صائب من نابلٍ قذفت به ... يدٌ، وممر العقدتين وثيق

له من خوافي النسر حم نظائرٌ ... ونصل كنصل الزاعبي فتيق

---

(١) الكامل:٢/٩٧٠.

(٢) الكامل:٢/٩٩٢.

(٣) الكامل:١/٦٠-٦١.

"وقوله: كنصل الزاعبي، شبّه نصل السهم بنصل الرمح الزاعبي، وهو منسوب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعبٌ، كان يعمل الأسنة، هذا قول قوم. وأما الأصمعي فكان يقول: الزاعبي: الذي إذا هز فكأن كعوبه يجري بعضها في بعضٍ للينه وتثنيه، يقال مر يزعب بحمله إذا مر به مراً سهلاً."[1] ووجه الشبه ما يجري من استقامة أو لين وتثنٍ في الطرفين يجعل الصفة المشتركة بينهما متقاربة.

إن المبرد في تحليله للتشبيه يبرز المحذوف الذي جرى في التشبيه كما في قول العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا ... طي الليالي: زلفاً فزلفا

فقد أبرز المحذوف (مثل) وهي أداة التشبيه مبينا لم نصب المصدر (طي الليالي)؟

" ونصب "طي الليالي" لأنه مصدر من قوله: "طواه الأين". وليس بهذا الفعل، ولكن تقديره طواه الأين طياً مثل طي الليالي. كما تقول: زيد شرب الإبل، إنما التقدير: يشرب شرباً مثل الإبل. "فمثل" نعت."[2] وواضح أن المصدر المشبه به جاء لتقريب صورة التشبيه لدى السامع.

وقد يبرز المبرد وجه الشبه بين الطرفين لهدف تقريب المعنى، ولا يكتفي بذلك، بل يبين لماذا أوثر المشبه في البيت الشعري؟ وأثر هذا الاختيار على صورة التشبيه في قول الشاعر:

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى ... كثير تواليه سريع البوادر

"وقوله: "كمثل الليل" يقول: كثرة، فيكاد يسد سواده الأفق، ولذلك يقال: كتيبة خضراءُ، أي: سوداء، وكانت كتيبة رسول الله ﷺ التي هو فيها والمهاجرون والأنصار يقال لها: الخضراء."[3]

ومن ذلك إشارته إلى المثل وسر اختيار المشبه به فيه، كما في قولة أبي بكر " ولتألمن النوم على الصوف الأذري كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان..." [4]"

---

(١) الكامل: ٩٧/١.

(٢) الكامل: ١٩٧/١.

(٣) الكامل: ٧٣٧/٢.

(٤) الكامل: ١١/١.

وقوله: "على حسك السعدان". فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه، ويغذوها غذاءً لا يوجد في غيره، فمن أمثال العرب: "مرعى ولا كالسعدان "تفضيلاً له"[1] وفي قول قيس بن عاصم بن سنان بن خالدٍ بن منقر بن عبيد:

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإله به ... كأن عثنونه أذناب أجمالي

" قال ذلك، لأن ذنب البعير يضرب إلى الصهبة، وفيه استواء، وهو يشبه اللحية." [2]

وقد درج المبرد على توضيح العلاقة بين الطرفين في التشبيه، كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

أبرزوها مثل المهاةِ تهادى ... بين خمس كواعبٍ أترابِ

" المهاةُ البقرةُ في هذا الموضع، وتشبه المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينيها ولمشيتها، والبقرةُ يقال لها: العيناءُ، والجماعُ العينُ، وكذلك يقالُ للمرأةِ. وتكون المهاةُ البلورة في غير هذا الموضع. وقوله: "تهادى" أي: يهدي بعضها بعضاً في مشيتها، ومشية البقرةِ تستحسنُ، قال ابن أبي ربيعةَ:

أبصرتها غدوة ونسوتها ... يمشين بين المقامِ والحجرِ

يمشين في الريط والمروط كما ... تمشي الهوينى سواكنُ البقرِ[3]

وللمبرد اهتمام بتشبيهات المرأة عند العرب " قال الله جل وعز: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاءه ورقة لونه، قال الراعي:

كأن بيض نعام في ملاحفها ... إذا اجتلاهن قيظ ليله ومد

وقيل للأوسية – وهي امرأة حكيمة في العرب – بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله: أي منظر أحسن؟ فقالت: قصور بيض، في حدائق خضر، فأنشد عمر بن الخطاب لعدي بن زيد:

---

(١) الكامل: ١/ ١٣.

(٢) الكامل: ٢/ ٧١١.

(٣) الكامل: ٢/ ٧١١.

كـــدمى العـــاج فـــي المحاريـــب   أو كـالبيض فـي الـروض زهـره مـستنير

وقال آخر:

كـالبيض فـي الأدحـي يلمـع بالـضحى   فالحـــسن حـــسن والنعـــيم نعـــيم

وقال جرير:

مـا استوصف النـاس مـن شـيء يـروقهم   إلا رأوا أم نـــوح فـــوق مـــا وصـــفوا

كأنهـــا مـــزنة غـــرّاء رائحـــة   أو درة مـــا يـــواري ضـــوءها الـــصدف

المزنـة: الـسحابة البيضاء خاصة، وجمعها مزن. قـال الله جـل وعـز: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩] والمـرأة تـشبه بالـسحابة لتهاديهـا وسـهولة مرهـا. قـال الأعشى:

كـأن مـشيتها مـن بيـت جارتهـا   مـــر الـــسحابة لا ريـــث ولا عجـــل

الريث: الإبطاء، فهذا ما تلحقه العين منها، فأما الخفـة فهـي كأسـرع مـار، وإن خفـي ذلك على البصر، قال الله جل وعز: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

والعـرب تـشبه المـرأة بالـشمس، والقمـر، والغـصن، والكثيـب، والغـزال، والبقـرة الوحشية، والسحابة البيضاء، والدرة، والبيضة، وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء.

قال ذو الرمة:

وميـــة أحـــسن الثقلـــين جيـــداً   وســـــالفة وأحـــــسنهم قـــــذالا

فلـــم أر مثلهـــا نظـــراً وعينـــاً   ولا أم الغـــــــزال ولا الغـــــــزالا

تريـــك بيـــاض غرتهـــا ووجهـــاً   كقـــرن الـــشمس أفتـــق ثـــم زالا

أصـــاب خـــصاصة فبـــدا كليـــلاً   كـــلا وانغـــل ســـائره انغـــلالا

الجيد: العنق، والسالفة: ناحية العنق، والقذالان: ناحيتا القفا من الرأس.

وقوله: أفتق ثم زالا، يقال: أفتق السحاب، إذا انكشف انكشافة فكانت منه فرجة يسيرة بين السحاب. تقول العرب: دام علينا الغيم ثم أفتقنا، وإذا نظر إلى الشمس والقمر من فتق السحاب فهو أحسن ما يكون وأشده استنارة. وقوله: كلا يريد في سرعة ما بدا ثم غاب. وقال الله ﷻ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: ٢٣].

والمكنون: المصون، يقال: كننت الشي، إذا صنته. وأكننته، إذا أخفيته، فهذا المعروف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقد يقال: كننته، أخفيته.

وقد قال جرير في يزيد بن عبد الملك، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن سفيان:

الحزم والجود والإيمان قد نزلوا ... على يزيد أمين الله فاحتلفوا

ضخم الدسيعة والإيمان، غرته ... كالبدر ليلة كاد الشهر ينتصف

وقال ذو الرمة:

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا آأنت أم أم سالم

وقال ابن أبي ربيعة:

أبصرتها ليلة ونسوتها ... يمشين بين المقام والحجر

يرفلن في الريط والمروط كما ... تمشي الهوينى سواكن البقر

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة."[1] وفي قوله:(وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء) تنبيه على أن العرب لا تعمد إلى التشبيه إلا ولها هدف وغرض منه. ويلاحظ أن المبرد يهتم اهتماما كبيرا بإيجاد الجامع بين المشبه والمشبه به كما في أبيات ذي الرمة

(١) الكامل: ٢ /٩٤٨-٩٥٢.

آنفة الذكر،ومفهوم الغرابة الذي أطلقه المبرد على بعض التشبيهات يعطي معنى الندرة في الصورة التشبيهية، فهي تشبيهات نادرة الاختيار صورها غير مكرورة ولا مطروقة. ومما سبق يبرز فهم المبرد للتشبيه باستخدام عبارات البلاغيين في إجراء التشبيه: (شبه،تشبه، يشبه...) ويذكر المبرد أن العرب تشبه المرأة بتشبيهات منوعة " والمرأة تشبه ببيضة النعامة كما تشبه بالدرة، قال الله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ والمكنون: المصون، والمكن: المستور، يقال: أكننت السر، قال الله ﷻ: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ وقال أبو دهبل، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسان:

وهـي زهـراء مثـل لؤلـؤة الغـو   اص ميـزت مـن جـوهر مكنـون

وقال ابن الرقيات:

وهـي زهـراء مثـل لؤلـؤة الغـو   لهـا فـي النسـاء خلـقٌ عمـيم "[1]

ومن تشبيهات المرأة التي ذكرها تشبيهها بالبردية والقصبة وقد أبرز العلاقة بين المشبه والمشبه به، قال أعرابي:

جيـدةِ سـربال الـشباب كأنهـا   أبـاءةُ بـرديٍّ سـقتها غيولهـا

" وقوله: "أباءةُ بردي" الأباءة: القصبةُ، وجمعها الأباءُ، يا فتى...وإنما شبهَ المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون."[2]

وقد رأيت المبرد يهتم كثيرا بتوضيح المشبه أو المشبه به، فمن ذلك:

ما قاله متمم بن نويرة:

تـراه كنـصل الـسيف يهتـز للنـدى   إذا لـم تجـد عنـد امـرىء الـسوء مطمعـا

" وتأويل ذلك أنه يتحرك تحرك سرور لفعل الخير." [3] وقوله تعليقا على قول أعرابي:

---

(١) الكامل: ١/٢٨٦-٢٨٧.

(٢) الكامل:٢/٨٥٩.

(٣) الكامل: ١/٢٤٥.

ترى القوم منها مطرقين كأنما ... تساقوا عقارا لا يبل سليمها

" وقوله: "تساقوا عقاراً" يريد: كأنهم سكارى لما نالهم من تلك الحجة والعقار، اسم من أسماء الخمر،

وإنما سميت عقاراً لمعاقرتها الدن."[1] وقوله: " وقال المفسرون في قول الله ﷻ: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ [القلم: ٢٠] قولين، قال قوم: كالليل المظلم، وقال قوم: كالنهار المضيء، أي: بيضاء لا شيء فيها، فهو من الأضداد. ويقال: لك سواد الأرض وبياضها، أي: عامرها وغامرها، فهذا ما يحتج به لأصحاب القول الأخير، ويحتج لأصحاب القول الأول في السواد بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى: ٥]"، وإنما سمي السواد سواداً لعمارته، وكل خضرةٍ عند العرب سواد"[2].

وفي تشبيه التمثيل للمبرد مشاركات حية في التحليل، كما في قول الشاعر:

إن ابن بيضاء وترك الندى ... كالعبد إذ قيد أجماله

" كالعبد إذ قيد أجماله... يريد أنه غير مكترث لاكتساب المجد والفضل، وذلك أن العبد الراعي إذا قيد أجماله لف رأسه ونام حجرةً، وهذا شبيه بقوله: واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي...

وقوله: فدخنوا المرء وسرباله..."[3] ويشم من هذا التحليل أن المبرد يرمي على الغرض من التشبيه وهو الذم والقبح.

والمبرد يجري مقارنات بين بعض التشبيهات، ويفضل بعضها على بعض كما في قول إسحاق بن خلف البهراني، ونسبه في بني حنيفة لسباء وقع عليه، يقوله لعلي بن عيسى بن مريم بن موسى بن طلحة الأشعري المعروف بالقمي:

وجاءت تهادى وأبناؤها ... كأن عليهم شروق الطفل

---

(١) الكامل: ١/١٤٤.

(٢) الكامل: ١/٣٠٥.

(٣) الكامل: ١/٤٧١-٤٧٢.

"وقوله: كأن عليهم شروق الطّفل يريد: تألق الحديد. كأنه شمس طالعة عليهم. وإن لم تكن شمس وأحسن من هذا قوله سلامه بن جندل:

كـأن النّعـام بـاض فـوق رؤوسـهم وأعيـنهم تحـت الحديـد جـواحم

فهذا التشبيه المصيب." [1] ويفهم من هذا أن التشبيه المصيب ما أجاد صاحبه في اختيار أجزائه وصورته. أو هو الذي لا يتجاوز الواقع. وإنما يصيب به القول دون إفراط.[2] وإذا كان هذا هو فهم المبرد للتشبيه المصيب فلديه شواهد من كلام العرب تؤيد ذلك، فقد عقد بابا طريفا عن التشبيه المصيب. وقال:" قال أبو العباس: وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبه المصيب. وللمحدثين بعدهم." [3] وكان أول ما استشهد به بيت امريء القيس. حيث عده من أحسن ما جاء بإجماع الرواة " فأحسن ما جاء بإجماع الرواة–: ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر. أي: بيت واحد. من تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين، وهو قوله:

كـأن قلـوب الطيـر رطبـاً ويابـساً لـدى وكرهـا العنـاب والحـشف البـالي

فهذا مفهوم المعنى، فإن اعترض معترض فقال: فهلا فصل فقال: كأنه رطباً العناب وكأنه يابساً الحشف! قيل له: العربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهوماً، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا. قال الله جل وعز. وله المثل الأعلى: ﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٣]. علماً بأن المخاطبين يعلمون وقت السكون ووقت الاكتساب." [4] فكان بذلك أول من فطن لهذا النوع من التشبيه (تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين) أو التشبيه الملفوف وإن لم يسمه. وقد أفاض المبرد في استطراد فيما يستجاد من التشبيه في شعر القدامى والمحدثين وحلل ما أتى به ذاكراً كثيراً من أصول التشبيه.

---

(١) الكامل: ٢/٣٣٣د–٣٣٤د.

(٢) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي:٢٣٣.

(٣) الكامل:٢/٩٢٢.

(٤) الكامل:٢/٩٢٢–٩٢٣.

كما يستحسن المبرد لونا آخر من التعدد جاء على طريقة الجمع، فيقول: " ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار بن برد العقيلي:

وكـــأن تحـــت لـــسانها ... هـــاروت ينفـــث فيـــه ســـحرا

وتخـــال مـــا جمعـــت عليـــه ... بنانهـــا ذهـــباً وعـــطرا

وهذا التشبيه الجامع."[1] وبذا يكون أول من وضع مصطلح (تشبيه الجمع) الذي يحيط بكثير من أحوال الموصوف عن طريق تعدد المشبه به، وإن كان يفهم من كلامه أن التشبيه المتعدد المحتوي على جمع وترتيب ولف أبرع صور التعدد، وهو كذلك عند النقاد والبلاغيين.[2]

ومما نراه في كتاب الكامل أن المبرد ذكر أبياتا عدها من أعجب التشبيه " ومن أعجب التشبيه قول النابغة:

فإنـك كالليـل الـذي هـو مـدركي ... وإن خلـت أن المنتـأى عنـك واسـع

فتشبيه النعمان بالليل بليغ من حيث المعنى " وإنما قال: كالليل الذي هو مدركي ولم يقل: كالصبح، لأنه وصفه في حال سخطه، فشبهه بالليل وهوله، فهي كلمة جامعة لمعان كثيرة."[3] ولأنه أوضح في بيان الهول الذي كان يكتنف الشاعر، و في الليل دليل على النكتة التي قصدها من أنه لا يفوتُه وإن أبعد في الهرب، وصار إلى أقصى الأرض، لسعة مُلكه وطول يده، وأنّ له في جميع الآفاق عاملاً وصاحبَ جيش ومُطيعاً لأوامره يردُّ الهارب عليه ويسوقه إليه.

ومثله في القدرة قوله:

خطـاطيف حجـن فـي حبـال متينـة ... تمـــد بهـــا أيـــد إليـــك نـــوازع

---

(١) الكامل: ٢/١٠٥٢-١٠٥٣.

(٢) ينظر: بيان التشبيه(د.عبد الحميد العيسوي): ٤٧.

(٣) عيار الشعر: ٨٠.

لأنه أراد: أنت في قدرتك عليّ كخطاطيف عقفٍ يمد بها، وأنا كدلوٍ تمد بتلك الخطاطيف، فيتجلى المشهد الذي أراده الشاعر من إبراز هول الموقف الذي يمرّ به والنعمان يطارده.

وقوله:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فقد شبه الممدوح والملوك بالشمس والكواكب، وأضاف على جملة التشبيه: (إذا طلعت لم يبد منهن كوكب) التي وقعت وصفا للمشبه بهما، فأنبأت عن وجه الشبه المحذوف ودلت عيه، وهو: القوة الكبرى التي تستر ما عداها، وهذا مدح له من باب التعظيم والتكريم.

ومن عجيب التشبيه قول ذي الرمة يصف أرضا قطعها:

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق

والدقة تبدو جليّة في اختيار المشبه به، وتَحْلِيقُ الطّائِرِ: ارْتِفاعُه في طَيَرانِه واسْتِدارَتُه في الهَواءَ؛ استعدادا لالتقاط سمكة.

وقوله يصف دارا:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق

فشبّه نسج العنكبوت بالثوب الرقيق الممزّق، والعصا: عرقوة الدّلوِ والإثنان عَصَوانِ.

وتأويله: أنه يصف ماء قديماً لا عهد له بالوراد، فقد اصفر واسود فقال:

وماء قديم العهد بالناس آجن كأن الدبا ماء الغضا فيه يبصق

و الآجن: الماء المتغير من طول العهد والقدم أجن يأجن و يأجن أجونا يقال كأن الدبا بصق في الماء مما أكمل من الغضا أخضر أسود والدبا جراد صغار لم يطر.

ومن التشبيه العجيب قول ذي الرمة في صفة الظليم:

شخت الجزارة مثل البيت سائره   من المسوح خدب شوقب خشب"[١]

و الشخت: الضئيل اليابس الضعيف، والجزارة: القوام وقوله: مثل البيت سائره من المسوح: يعني إذا مد هذا الطائر جناحيه، وأراد سائره مثل البيت من المسوح يريد بيتاً من شعر شبّهه به لسواده. وخدبٌ: ضخم. وشوقب: طويل. قال ابن قتيبة: "هو دقيق القوائم، وسائر خلقه كبيت مسوح، خدب ضخم، شوقب طويل، خشب جاف، مسماكان عودان، صقبان طويلان"[٢]

وهنا نتساءل لم عد هذه الأبيات من التشبيه العجيب والأعجب؟ ما ميزان العجب عنده؟ وعند النظر فيما فضل من أبيات نجد أن ميزان العجب عنده فيما تحويه الصورة التشبيهية عنده من اكتمال، ووفاء المشبه به بالدلالة على تقريب المشبه، واتحاد المشبه به والمشبه.

ويتعجب المبرد من دقة الصورة البيانية في قول ذي الرمة:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه   على عصويها سابري مشبرق

"يريد أن الفجر قد نجم فيه. فجاءت – يعني الدلو – بنسج العنكبوت، كأنه على عصويها سابري مشبرق. والسابري: الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق: الممزق."[٣]

ويغص كتاب الكامل بالكثير من التشبيهات الجيدة والمستحسنة عند المبرد من مثل:

قول قَيْس بن ذريح:

كَأنَّ القَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى   بِلَيْلَى العامِرِيَّةِ أو يُراحُ

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ   تُجاذِبُهُ وقَدْ عَلِقَ الجَناحُ

هما فَرْخانِ قد تَركا بِوَكْرٍ   فَعُشُّهُما تُصَفِّقُهُ الرِّياحُ

فَلا في الليلِ نالَتْ ما تَمَنَّتْ   ولا في الصُّبْحِ كانَ لَها بَراحُ

() الكامل: ٢/٩٢٣–٩٢٦.

(٢) المعاني الكبير لابن قتيبة: ٣٤٦/١ الأبيات في النعام.

(٣) الكامل: ٢/٩٢٥.

والمعنى أنني لما أحسست بالليلة التي همت ليلى بالفراق في صبيحتها أو في وقت الرواح من عشيتها صار قلبي في الخفقان كقطاة وقعت في شرك فبقيت ليلتها تجاذبه والجناح قد علق لا متخلص له.

وتصفيق الرياح تحريكها وهبوبها، أي: وحال القلب حين أحس بما ذكر كحال القطاة المذكورة وقد تركت خلفها فرخين لها فإذا سمعا صوت الريح في عشهما ظنا أنه صوت جناح أمهما..وجمال الصورة التركيبية في الطرفين ودقة التصوير هما اللذان دعوا المبرد إلى جعل هذه الأبيات من المستحسنات في التشبيه، فقال: "وقد قال الشعراء قبله فلم يبلغوا هذا المقدار[1]."

ومن التشبيه المحمود قول الشاعر:

طليق الله لم يمنن عليه — أبو داود وابن أبي كثير

ولا الحجاج عيني بنت ماء — تقلب طرفها حذر الصقور

"وهذا غاية في صفة الجبان."[2] وكان الحجاج منسلق الجفان ولذلك شبه بطير الماء، ووجه المحمدة ما روعي في الطرفين من الدقّة في الوصف.

وقول الآخر:

تشكو الخشاش ومجرى النسعتين كما — أنّ المريض إلى عوّاده الوصب

وشكوى الناقة ما يتبين عليها من هملان عينها وكثرة صريفها، فشبهه بالمريض الذي يشكو ويئن أنينا من فرط ما يجد.

وقال الشماخ – وهذا من التشبيه العجيب:

فقربت مبراة تخال ضلوعها — من الماسخيات القسي المؤطرا

وذلك بتشبيه ضلوع ناقته بتلك الأقواس الصلبة المتينة المتثنية.

---

(١) الكامل: ٢/ ٩٢٩.

(٢) الكامل: ٢/ ٩٣٠.

وأحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي:

وكأنما انتطحت على أثباجها ... فدر بشابة قد يممن وعولا

أراد: كأن أضلاع هذه الإبل فوق هذه الرمال، وعول انتطحت، فاجتمعت رؤسها وقرونها.

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة:

كأن إبريقهم ظبي على شرف ... مفدم بسبا الكتان ملثوم

والفدام واللثام واحد وهوما شددته على فم الإبريق أو فم الإنسان ومن ذلك قيل رجلٌ فدمٌ كأن على فمه غطاءً وملثوم بلثام وكانت أباريقهم قديماً بأرجلٍ فلذلك شبهوها بالظباء لطول أعناقها وقوائمها، وقد نعت المبرد ذلك بالحسن، "فهذا حسن جداً."[1]

ويصل المبرد بعد ذكر هذه التشبيهات إلى أن التشبيه باب واسع ومفصّل " والتشبيه كثير، وهو باب كأنه لا آخر له، وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني." [2] وقال: " والتشبيه جار كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد."[3]

كما تحدث عن وجه الشبه بين الأشياء والجامع بين الطرفين عند العرب ممثلا بما استخدموه من تشبيهات " واعمل أن للتشبيه حداً، لأن الأشياء تشابه من وجوه، وتباين من وجوه، فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع. فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العظم والإحراق. قال الله جل وعز: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾، والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاءه ورقة لونه، قال الراعي:

كأن بيض نعام في ملاحفها ... إذا اجتلاهن قيظ ليله ومد"[4]

---

(١) الكامل: ٢/ ٩٣٤.

(٢) الكامل: ٢/ ١٠٥٧.

(٣) الكامل: ٢/ ٩٩٦.

(٤) الكامل: ٢/ ٩٤٨

فالتشبيه في حقيقته يفيد المغايرة بين الطرفين، كما يقتضي الإلحاق والقياس والاشتراك في بعض الوجوه، مع بقاء حقيقة كل من الطرفين مستقلة بذاتها، متميزة بصفاتها الأخرى التي تميّزها عن الطرف الآخر.

وقد رأيت للمبرد مشاركات نقدية فيما يعرض من صور التشبيه، فنراه ينقل من العلماء توجيهاتهم في أبيات التشبيه، ويعقبها بالتوجيه وإبداء الرأي، كما فعل حين وقف على بيت امرئ القيس:

كأنّ أباناً في أفانينِ ودقه ... كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ

فقال: " وقوله:كبير أناس في بجاد مزمل... يريد مزملاً بثيابه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:١ - ٢] وهو المتزمل بثيابه. والتاء مدغمة في الزاي. وإنما وصف امرؤ القيس الغيث. فقال قوم: أراد أن المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل. وقال آخرون: إنما أراد ما كساه المطر من خضرة النبت. وكلاهما حسن. وذكر الودق لأن تلك الخضرة من عمله."[1] وكانت إضافته رائعة في بيان سر اختيار الودق ومناسبته لما ورد في البيت.

ومن مشاركاته المعللة في تقييم التشبيه قوله في بيت زهير:

كَأنَّ فُتَاتَ العِهْنِ في كلِّ مَنْزِلٍ ... نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

" الفنا: شجر بعينه، يثمر ثمراً أحمر ثم يتفرق في هيئة النبق الصغار، فهذا من أحسن التشبيه. وإنما وصف ما يسقط من أنماطهن إذا نزلن."[2] وكأنه يشير إلى سبب إطلاقه الحسن على هذا البيت، وفيه كما ترى إشارة إلى دقة التشبيه، ووجه الدقة بتشبيهه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفنا الذي لم يحطم؛ لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن. فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البتة، وكان خالص الحمرة.[3]

---

(١) الكامل: ٢/٩٩٤.

(٢) الكامل: ٢/٩٩٥.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/٦٥٧.

والتشبيه الوهمي حاضر في كتاب المبرد "وقال: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات: ٦٥] وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين، في هذه الآية. فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل بها! فهؤلاء في هذا القول كما قال الله جل وعز: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس: ٣٩]. وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين: أحدهما، أن شجراً يقال له الأستن، منكر الصورة يقال لثمره "رؤوس الشياطين"، وهو الذي ذكره النابغة في قوله:

تحيد عن أستن سود أسافله ...

وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصوم.

والقول الآخر – وهو الذي يسبق إلى القلب –: أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد. فكان ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثل هذه الشجرة مما تنفر منه كل نفس."[1] فكان المبرد بهذه الإشارة من أسبق من تحدث عن التشبيه الوهمي وإن لم يسمه بما اصطلح عليه البلاغيون فيما بعد.[2]

ويدخل المبرد في التشبيهات المستحسنة التشبيهات التي ينص فيها على قيد خاص في أحد الطرفين أو فيهما، يكون له مدخل في إصابة وجه الشبه، إدراكا منه لأهمية القيد في اكتمال وصحة المراد من الصورة، يقول: " ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله:

كأن عيون الوحش حول خبائنا	و أرحلنا الجزع الذي لم يثقب"[3]

وفي جانب تقسيم التشبيه فإن المبرد يعدّ من أوائل من قسّم التشبيهات إلى تقسيمات متعددة، بدأها بالتشبيه المصيب، وجعله أهم أقسام التشبيه، وعنى به التشبيه " الذي لا يتجاوز الواقع، وإنما يصيب القول دون إفراط، وهو ما اتفق الناس على صدقه وعدم تجاوزه الحدود المتعارف عليها."[4]

---

(١) الكامل: ٢/ ٩٩٦.

(٢) انظر: الإيضاح: ٢٥٤ شروح التلخيص: ٣/ ٣١٤ وقد عرفه الخطيب" وهو ما ليس بمدرك بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها".

(٣) الكامل: ٢/ ٩٢٣.

(٤) المختصر في تاريخ البلاغة: ٦٧.

ويمكن أن نصل من خلال أبياته التي طرحها إلى ما كان يطلبه من التناسب بين الطرفين، وإصابة الأديب في الجمع بينهما، وبهذا المفهوم نحكم بأن المبرد من خلال أبياته كشف لنا عن هذا المفهوم.

والنوع الثاني من التشبيه هو التشبيه المتجاوز المفرط الذي: يحقق المبالغة في الصفة التي تجمع بين طرفي التشبيه، وباختياره لتشبيه الخنساء لأخيها صخرا وتعليقه عليه يتضح ذلك المفهوم. قالت الخنساء:

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ بهِ ... كأنّهُ علمٌ في رأسهِ نارُ

فبالغت في الوصف أشد مبالغة، وأوغلت إيغالاً شديداً بقولها " في رأسه نار " بعد أن جعلته علماً، وهو الجبل العظيم. قال المبرد: " فجعلت المهتدي يأتم به، وجعلته كنار في رأس علم "[1]

ومن إفراط التشبيه قول أبي خراش الهذلي يصف سرعة ابنه في العدو:

كأنهم يسعون في إثر طائر ... خفيف المشاش عظمه غير ذي نحض

يبادر جنح الليل فهو مهابد ... يحث الجناح بالتبسط والقبض

فالقوم الذين يعدون خلف خراش كأنهم في سرعتهم يتعلقون بطائر خفيف قليل اللحم، يسرع حين يقبل الليل عليه، ويحثّ جناحيه ببسطهما وقبضهما.

ويقف المبرد من هذا النوع من التشبيه موقف الإعجاب، ويرى من حقّ الشاعر أن يتناوله في شعره، فيقول مثلا: " ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما قد ذكرناه، وهو قول أبي الطمحان القيني:

أضاءَتْ لهم أحْسابُهم ووجوهُهمْ ... دُجَى الليلِ حتّى نظمَّ الجَزْعَ ثاقِبُهْ "[2]

فالمعنى تم للشاعر لما انتهى في بيته إلى قوله: (دجى الليل) ولكنه زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب في قوله: (حتى نظم الجزع ثاقبه). خزانة الأدب: ذكر المبالغة: قوله: نظم الجزع ثاقبه، يريد أنهم لو استضاء بضيائهم في غياهب الظلام من يثقب الخرز الذي هو أشد شيء لأبصر ذلك فكيف بما هو أظهر؟

---

(١) الكامل: ٢/٩٤١.

(٢) الكامل: ٢/١٠٣٤.

والمعنى: أن أحسابهم ووجوههم أضاءت لهم ظلام الليل حتى حملت في ضمن ذلك ناظم الجزع على نظمه يشير بهذا البيت إلى أنهم من ذوي الجاه والحسب.

والنوع الثالث من التشبيه: التشبيه المقارب، وهو التشبيه الصريح الذي يقوم بنفسه ولا يحتاج إلى تفسير أو تاويل؛ لأنه ظاهر واضح بسيط.[1]

ومثّل له المبرد بقول الشماخ في صفة الفرس:

مُفِّــج الحَــوامي عــن نــسورٍ كأنهــا ... نــوى القــسبِ تَــرت عــن جــريمٍ مُلجلَــجِ[2]

فالتشبيه هنا واضح إذ شبّه الشاعر نسور الفرس بالنوى الصلبة.

والنوع الرابع من التشبيه البعيد وهو التشبيه الذي يبعد فيه الشاعر والأديب بفهمه عن فهم الناس فيتناول صورة تشبيهية بعيدة عن أفهام الناس، وقد تناول المبرد فيه قول الشاعر:

بــــل لــــو رأتنــــي أخــــت جــــيراننا ... إذ أنــــا فــــي الحــــيّ كــــأنّي حمــــارْ

قال المبرد: " فإنما أراد الصحة فهذا بعيد، لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره " [3] والذي جعل التشبيه بعيدا أن قصد الشاعر يختلف عن فهم الناس، فالسامع يتبادر إلى ذهنه ولأول وهلة أن القصد من التشبيه تشبيه نفسه بالحمار في البلادة والغباء وسوء التصرف، ولا يتطرق إلى ذهنه أن الشاعر كان يقصد من ذلك: أنه في غاية الصحة وكمال القوة. ولا شك أن الوصول إلى هذا المقصد يحتاج إلى تفسير وتأويل؛ لأنه غير بيّن وغير واضح بنفسه والسامع يستدل عليه بغيره.

والنوع الخامس من التشبيه المليح، وهو نوع من التشبيه مقبول وطريف لما يشتمل عليه من طرافة وجدّة. ومن مليح التشبيه عند المبرد قول القائل:

لعَيْنــاكَ يــومَ البــينِ أسْــرَعُ واكِفــاً ... مــن الفَــنَنِ المَمْطــورِ وهــو مَــرِيحُ

ووجه ملاحته عند المبرد: أن الشاعر شبه دموع عيني محبوبته يوم الفراق بالغصن الذي يقع المطر على ورقه، ثم تهب الريح فيتساقط ماء المطر من الورق قطرات، وهي صورة رائعة." وذاك أن الغصن يقع المطر في ورقه فيصير منها في مثل المداهن، فإذا هبت به الريح لم تلبثه أن تقطره."[4]

---

(١) انظر: المختصر في البلاغة: ٦٧.

(٢) الكامل: ٢/ ١٠١٣.

(٣) الكامل: ٢/ ١٠٣٦.

(٤) الكامل: ٢/ ١٠٣٩.

والنوع السادس التشبيه الجيّد وهو ما وصفه المبرد بقوله: " وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبّه، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عليه"[1] وقد قدم المبرد قول طرفة:

تَـرَى النَّـاسَ أفواجـاً إلـى بـابِ دارِهِ ... كـأنَّهُمُ رِجْـلا دَبـاً وجَـرادِ

فيومـاً لإلحـاقِ الفقيـرِ بـذي الغِنَـى ... ويومـاً رقـابٌ بُـوكرتْ بحـصادِ

وهنا شبّه الشاعر ازدحام الناس أمام دار ممدوحه بازدحام الجراد ودبيب الأرجل، ليصل من ذلك إلى كثرتهم، واستيعاب ممدوحه لهم.

والنوع السابع من التشبيه الحسن، ولعل هذه التسمية؛ لأن تلك الأبيات نالت استحسان الناس، لحسن اختيار الشاعر صورة التشبيه فيها، وتناسب الطرفين، وقد مثّل له بقول عنترة:

وغَـادَرْنَ نَـضْلَةَ فـي مَعْـرَكٍ *** يجـرُّ الأسـنَّةَ كالمحتَطِـبْ

وسبب استحسان المبرد لبيت عنترة حسن التشبيه بين المطعون بالرماح وهو يغادر المعركة وحامل الحطب، ووجه الشبه الحمل في كل " يقول: طعن وغودرت الرماح فيه، فظل يجرها، كأنه حامل حطب."[2]

إلى غير ذلك من أنواع التشبيه كالعجيب والمحمود التي حكم عليها المبرد بذائقته النقديّة، وأبدى رأيه فيها.

ونخلص من ذلك إلى أن المبرد قد أطلق التشبيه كثيرا من الأسماء التي تدل على حسنها وملاحتها، ثم أرجعها إلى أربعة أضرب، فقال:" والعرب تشبه على أربعة أضرب: فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه: وهو أخشن الكلام."[3]

ولكن دراسته لها كانت دراسة مهتمة بإطلاق النعوت والأحكام الموظّفة للجمال المتحقق في النص الأدبي، وحظه من الحسن وفضل تشبيه على آخر، ومدى قرب التشبيه أو بعده، أو مقاربته أو إفراطه أو قبحه، والذي يحسب له أن جمع تلك مكان

---

(١) الكامل: ١/ ٣٨٥.

(٢) الكامل: ٢/ ٩٤١.

(٣) الكامل: ٢/ ١٠٣٢وما بعدها.

واحد وخصّ كل قسم بشواهد شعرية تعين على فهم مراده، فكانت أول دراسة أدبية اعتنت بالتشبيه، وميّزت وجوهه وأشكاله.

٢. المجاز المرسل:

تناول المبرد المجاز المرسل في مواضع متفرقة من كتابه الكامل دون أن يفرد له بابا او يسميه باسمه الاصطلاحي المعروف أو يقصد إليه قصدا، وإنما ذكره استطرادا، ومن العلاقات التي تناولها المبرد:

- علاقة المجاورة:

وكان تناوله لها عن طريق التفسير والتحليل للشاهد البلاغي في قول رجل من بني تميم:

إن الذين يسوغ في أعناقهم ... زاد يُمَنّ عليهم للئام

"وقوله: "يسوغ في أعناقهم" يريد حلوقهم لأن العنق يحيط بالحلق، ويشبه هذا في الاتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القطامي:

لم تر قوماً هم شر لإخوتهم ... منا عشية يجري بالدم الوادي

نقريهم لهذميات نقد بها ... ما كان خاط عليهم كل زراد

لأن الخياطة تضم خرق القميص، والسرد يضم حلق الدرع، فضربه مثلاً فجعله خياطة" [1] فالاتساع في اللغة يسوغ هذا الاستعمال، ولكون العنق يحيط بالحلق جاز الاستعمال من باب المجاورة. وقد صرح المبرد بعلاقة المجاورة وهو يتناول قول عبيد بن أيوب العنبري:

أهابوا به فازداد بعداً وصده ... عن القرب منهم ضوء برقٍ و وابله

"وقوله: "ضوء برق ووابله"، أراد صده عنهم ضوء برقٍ ووابله، فأضاف الوابل من المطر إلى البرق. وإنما الإضافة إلى الشيء على جهة التضمين، ولا يضاف الشيء إلى الشيء إلا وهو غيره أو بعضه، فالذي هو غيره: غلام زيدٍ ودار عمرو، والذي هو بعضه: ثوب خز،

---

(١) الكامل: ١/٨٢-٨٣.

وخاتم حديد. وإنما أضاف الوابل إلى البرق، وليس هو له، كما قلت: دار زيد، على جهة المجاورة، وأنهما راجعان إلى السحابة.

وقد يضاف ما كان كذا على السعة، كما قال الشاعر:

حتى أنخت قلوصي في دياركم ... بخير من يحتذي نعلاً وحافيها

فأضاف الحافي إلى النعل، والتقدير: حافٍ منها."[1] فالمسوغ لهذه العلاقة هو الاتساع في اللغة.

– علاقة السببية: كما أشار إلى علاقة السببية دون تسميتها في تحليله لقول الكلابي:

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ... للغدر خائنة مغل الإصبع

"يقال: لفلان عليك يدٌ، ولفلان عليك إصبعٌ، وكل جيدٌ، وإنما يعني ههنا النعمة."[2] تريدُ باليد والاصبع النعمةَ، لأنها سببٌ فيها.

– علاقة ماسيئول إليه: أشار إليها في تحليله لقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦] أي: أعصر عنباً فيصير إلى هذه الحال.[3]

الواطئينَ على صُدُور نِعالهمْ ... يمشُونَ في الدَّفَنِيّ والأبرادِ

– علاقة الجزئية: هناك إشارة منه إلى هذه العلاقة عن طريق تحليله لقول الأعشى:

"يريد السودد والنعمة ولم يخصص الصدور، وإنما أراد النعال كلها."[4] فذكر الجزء وهو الصدر وأراد النعال كلها.

٢. الاستعارة:

من خلال دراستنا لكتاب الكامل وجدنا للمبرد إشارات تحليلية ومصطلحية في الاستعارة، متنوعة تنظيرا وتطبيقا، على النحو التالي:

---

(١) الكامل: ٤٤٤/١-٤٤٥.

(٢) الكامل: ٤٦٥/١-٤٦٦.

(٣) الكامل: ٩٩٥/٢.

(٤) الكامل: ٧٩/١.

- وقوفه مع قول المصطفى ﷺ: " ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون". فقد أطلق على قوله عليه الصلاة والسلام" "الموطأون أكنافاً" أنه مثل، وحقيقته أن التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال: دابة وطيء، يا فتى، وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره، وفراش وطيء إذا كان وثيراً لا يؤذي جنب النائم عليه، فأراد القائل بقوله: " موطأ" الأكناف" أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى، ولا ناب به موضعه."[1] وأول ما يستوقفنا في هذا النص إطلاقه المثل الذي عرف فيما بعد بـ " الاستعارة التمثيلية" وثانيا: الإشارة إلى الحقيقة والأصل في المعنى المجازي وأن هناك لفظا ينقل من معناه الموضوع له إلى معنى آخر، أي: أن اللفظ المنقول، أو ما يطلق عليه المستعار يجب أن يكون له أصل أو حقيقة يدل عليها بأصل وضعه، وثالثا: حسن التحليل فيما تناوله في الحديث من استعارة، بحيث يستطيع القارئ أن يميز بين المعنى الحقيقي للفظة والمعنى المجازي وعلاقة المشابهة القائمة بين طرفي الاستعارة، ثم تأمل كيف أجريت الاستعارة في موطأ الأكناف عند المبرد، باستعارة الفراش الوثير لصاحب الخلق في أن كليهما" غير مؤذي، ولا ناب به موضعه" ولا يلبث المبرد إلا أن يقف مع لفظة (الثرثارون) مبينا دلالتها المجازية" وقوله ﷺ: "الثرثارون" يعني الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً، وخروجاً عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عينٌ ثرثارةٌ. وكان يقال لنهرٍ بعينه: الثرثار، وإنما سمي به لكثرة مائه"[2] فيهتم بإرجاع المعنى المجازي إلى أصل حقيقته، ليبين جمال الاستعارة وحسن اختيارها، أو بمعنى آخر: الحرص على إبراز العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي من خلال تحليلاته.

ويكثر أن نجد اهتماما من المبرد بإرجاع اللفظة المجازية إلى أصلها؛ ليعيها القارئ ويعي العلاقة القائمة بين المعنيين، كما في تعليقه على رسالة عمر في القضاء، ومنها" الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنةٍ..."[3] فيجري الاستعارة

---

(١) الكامل: ٦/١.
(٢) الكامل:٧/١.
(٣) الكامل:٢٠/١.

في لفظة (تلجلج)، وإجراء الاستعارة يعني إيجاد العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي "وقوله: "فيما تلجلج في صدرك" يقول: تردد.وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل في فمه فلا تزال تتردد إلى أن يسيغها أو يقذفها، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى، يقال للعيي: لجلاج، وقد يكون من الآفة تعتري اللسان، قال زهير:

تلجلج مضغة فيها أنيضٌ... أصلت، فهي تحت الكشح داء"[1]

لقد كان المبرد على علم بمصطلح الاستعارة؛ فنراه يستخدمها في تحليلاته كما كان يجري الاستعارة بإجراء البلاغيين لها، ومن ذلك:

وقوفه عند قول رجل من طيء:

لهم عجز بالحزن فالرمل فاللوى وقد جاوزت حيي جديس رعالها

وتحت نحور الخيل حرشف رجلة تتاح لحبات القلوب نبالها

قال: " والعجز؛ مؤخر العسكر ههنا، وهو مستعار...والحرشف: نبت يكثر في البادية، وإنما شبه النبل به في الكثرة"[2]فلفظة" وهو مستعار" تدلنا دلالة قوية على معرفة المبرد للاستعارة وفهمه لها، والتعبير بـ (شبّه) في إجراء الاستعارة دليل آخر على فهمه البلاغي للاستعارة، كما أن من أهداف المبرد في دراسة الاستعارة إبراز الجامع بين الطرفين" وإنما شبه النبل به في الكثرة".ومن ذلك قوله معلقا على قول جرير يرثي ابنه سوادة:

هذا سوادة يجلو مقلتي لحمٍ بازٍ يصرصر فوق المرقب العالي

فارقته حين غض الدهر من بصري وحين صرت كعظم الرمة البالي

" قوله: "يجلو مقلتي لحم"، شبه مقلتيه بمقلتي البازي، ويقال: "طائر لحم" يريد الحر من أحرار الطير وسباعها، وهي التي تصيد الطير وتأكل اللحم، ويقال: صائد لحم من هذا.

---

(١) الكامل: ١/ ٢٢.

(٢) الكامل: ١/ ١٢٦- ١٢٧.

وقوله: "يصرصر" يعني يصوت، يقال: صرصر البازي والصقر، وما كان من سباع الطير، ويقال: صرصر العصفور: وأحسبه مستعاراً. لأن الأصل فيه أن يستعمل في الجوارح من الطير، قال جرير:
وقال آخر:

بازٍ يصرصر بالسهبى قطاً جونا	كما صرصر العصفور في الرطب الثعد".[1]

ونلاحظ أن المبرد لا يكتفي بذكر رأيه مجردا، بل يورده معللا ببيان السر في جعله لفظ (يصرصر) مستعارا، ثم لاحظ فهمه للاستعارة باستخدامه الإطلاق البلاغي لأحد أركان الاستعارة (وأحسبه مستعارا).

وفي تعليق ثالث على قول لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي

لو كنت من هاشم أو من بني أسدٍ	أو عبد شمس أو اصحاب اللوا الصيد
أو من بني نوفل أو رهط مطلبٍ	لله درك لم تهمم بتهديدي
أو في الذؤابة من قوم ذوي حسبٍ	لم تصبح اليوم نكساً ثاني الجيد
أومن بني زهرة الأخيار قد علموا	أومن بني جمح البيض المناجيد
أو في السرارة من تيم رضيت بهم	أو من بني خلف الخضر الجلاعيد

"وقوله: "الخضر الجلاعيد" يقال: فيه قولان: أحدهما أنه يريد سواد جلودهم، كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهبٍ:

وأنا الأخضر من يعرفني	أخضر الجلدة في بيت العرب

فهذا هو القول الأول. وقال آخرون: شبههم في جودهم بالبحور"[2] والقول الأول يصرف الكلام إلى الكناية عن سواد جلودهم، والقول الثاني يصرف الكلام إلى الاستعارة، وقد أجراها دون أن يسميها هنا..

---

(١) الكامل: ١/٢٨٧-٢٨٨.

(٢) الكامل: ١/٣٢٩.

وقد يجري المبرد الاستعارة بالنص على ذكر الطرفين كما في قول الكميت " وقال الكميت:

وفقّأ فيها الغيث من سابيائه ... دوالح وافقن النجوم البواجسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء "[1]

ومما يؤكد فهم المبرد للاستعارة تصريحه بها في تعليقه على قول الراعي:

يا نعمها ليلةً حتى تخونها ... داعٍ دعا في فروع الصبح شحاج!

" وقوله: "شحاج". إنما هو استعارة في شدة الصوت، وأصله للبغل، والعرب تستعير من بعضٍ لبعض. قال العجاج ينعت حماراً:

كأن في فيه إذا ما شحجا ... عوداً دوين اللهوات مولجا[2]

وقال جرير:

إن الغراب بما كرهت لمولعٌ ... بنوى الأحبة دائم التشحاج"

فأشار إلى الاستعارة وذكر وجه الشبه(شدة الصوت) بين المشبه والمشبه به، فالعلاقة بين الداعي والشحاج(البغل) شدة الصوت. كما أن المبرد أسس قاعدة تبين لنا جذور هذا المصطلح البلاغي عند العرب؛ فالعرب تستعير من بعض كلامها لبعضه.

وشاهد آخر يؤكد لنا فطنة المبرد للاستعارة، وفهمه لها، وهاهو يجريها بتحديد اللفظ المستعار " والمغل الذي عنده غلول، وهو ما يختان ويحتجن، ويستعمل مستعاراً في غير المال، يقال: غل يغل كقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]" [3]

---

(١) الكامل: ١/٣٥٣.

(٢) الكامل: ١/٣٧١.

(٣) الكامل: ١/٤٦٤.

ومن شواهد الاستعارة في كتاب الكامل وقوفه عند قول جرير وقد نزل بقوم من بني العنبر بن تميم فلم يقروه حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول:

هل أنتم غير أو شابٍ زعانفةٍ ريش الذّنابى وليس الرأس كالذّنب

فقد ذكر المبرد " وأما الزّعانف فأصلها أجنحة السّمك، سمي بذلك الأدعياء؛ لأنهم التصقوا بالصميم كما التصقت تلك الأجنحة بعظام السمك، قال أوس بن حجر:

ومازال يفرى الشد حتى كأنما قوائمه في جانبيه زعانف"[1]

فالزعانف مستعار للأدعياء.

وقد تحدث المبرد عما سمّي فيما بعد عند البلاغيين بالاستعارة الحرفية، وفطن للتوسع الذي يجري في الحروف، فيخرجها عن معناها الأصلي في الوضع اللغوي " ومثل هذا قولهم: فلان على الدابة، وعلى الجبل، أي: فوق كل واحد منهما ثم تقول: فلان عليه دين تمثيلاً، وكذلك ركبه دين، وإنما يريد أن الدين علاه وقهره، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان والياً عليها، وكذلك: علا فلان القوم، إذا علاهم بأمره وقهرهم، أو جعل في هذا الموضع."[2] والحرف المذكور (على) وكأنه بتفسيره يشير إلى دلالة الاستعلاء فيه، وأنه يتناول جانبين، أحدهما: حسي يتحقق في الأشياء المادية، مثّل المبرد لها بالجبل والدابة، ووردت فيه (على) على أصل معناها. والجانب الآخر: معنوي، فالمال كالهم على المدين، وكأنه يركبه ويعلوه ويقهره كما تركب الدابة، وفلان على الكوفة، كأنه يعلو على الرعية بسلطانه، وهذا هو معنى الاتساع الذي يحقق إجراء الاستعارة في هذا الحرف.

وقد عرف المبرد الاستعارة التمثيلية، وسماها مثلا.. ففي تحليلاته يتضح هذا النفس لديه من مثل قول نضلة السلمي في يوم غول:

ولم يخشوا مصالته عليهم وتحت الرغوة اللبن الصريح

---

(١) الكامل: ٢/٥٧٧-٥٧٨.

(٢) الكامل: ١/٥٣.

" وقوله: وتحت الرغوة اللبن الصريح...يقول: إذا رأيت الرغوة وهو ما يرغو كالجلد في أعلى اللبن لم تدر ما تحتها، فربما صادفت اللبن الصريح إذا كشفتها. أي: أنهم رأوني فازدروني لدمامتي، فلما كشفوا عني وجدوا غير ما رأوا. والصريح: المحض الخالص، من ذلك قولهم: عربي صريح أي: خالص، ومولى صريح." [1] ومن خلال هذا التحليل لهذا المثل يتضح كيف يربط المبرد بين المثل واستعماله من خلال بيان الحال التي عليها المتكلم، تحت ما يسميه البلاغيون بالاستعارة التمثيلية، وهو وإن لم يسمها إلا أنه اجراها في المثل بما يدل على فهمه لها. وفي شاهد نبوي آخر ويروى ان رسول الله ﷺ قال: "من كان آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها". [2] يقول المبرد: "قوله ﷺ: "في سربه" يقول: في مسلكه، يقال: فلان واسع السرب وخلي السرب، يريد المسالك والمذاهب، وإنما هو مثل مضروب للصدر والقلب، يقال: خل سربه، أي: طريقه حتى يذهب حيث شاء، ويقال ذلك للإبل؛ لأنها تنسرب في الطرقات، ويقال: سرب علي الإبل، أي: أرسلها شيئاً بعد شيء." [3] يبرز للقارئ وضوح المثل وإجراءه عند المبرد بمن جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله. وفي قول عمارة:

أما فيهم كريم مثل نصر   يورع عنهم سنن الفحول

تناول المبرد هذه الاستعارة، فقال:" وقوله: يورع عنهم سنن الفحول...إنما هو مثل ضربه، فجعلهم لإمساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يقرعها الفحل." [4] كما تناولها في قول لقمان لابنه: يا بني، إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس فإن أفاضوا في ذكر الله: فأجل سهمك مع سهامهم، وإن أفاضوا في غير فخلهم وانهض.

---

(١) الكامل: ١/ ١٢٠-١٢١.

(٢) حسن. ((السلسلة الصحيحة)) (٢٣١٨): سنن الترمذي: ٣٤ـ الزهد ، ٣٤ـ ب حدثنا عمرو بن مالك. ابن ماجه: ٣٧ـ ك الزهد ، ٩ـ ب القناعة ، ح٤١٤١ البخاري: الأدب المفرد: باب من أصبح آمنا في سربه. قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاذ. ولفظة (بحذافيرها) زيادة لم ترد في كتب الأحاديث.

(٣) الكامل: ١/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٤) الكامل: ١/ ٢١٥.

ووقف عند قوله: (فاجل سهمك مع سهامهم) فقال: "يعني السلام. وقوله: "فأجل سهمك مع سهامهم"، يعني أدخل معهم في أمرهم، فضربه مثلاً، من دخول الرجل في قداح الميسر." [1] وقول أبي زيد الأسلمي:

مـدحت عروقـاً للنـدى مـصّت الثـرى ... حـديثاً فلـم تهمـم بـأن تتزعزعـا

نقائـذ بـؤس ذاقـت الفـقر والغـنى ... وحلبـت الأيـام والـدهر أضرعـا

" وقوله: وحلبت الأيام والدهر أضرعا... فإنه مثل"، يقال للرجل المجرب للأمور: فلان قد حلب الدهر أشطره، أي: قد قاسى الشدة والرخاء، وتصرف في الفقر والغنى، كما قال القائل:

قد عشت في الناس أطواراً على طرقٍ ... شـتى، وقاسـيت فيهـا اللـين والفظعـا

كـلا بلوت.فـلا النعمـاء تبطـرني ... ولا تخـشعت مـن لأوائهـا جـزعاً

لا يمـلأ الهـول صـدري قبـل موقعـه ... ولا أضيـق بـه ذرعـاً إذا وقعـا [2]

واستخدام المبرد للمثل كثير في تناوله، ولعله ما كان يسميه عبد القاهر الجرجاني بالتمثيل الكائن على حد الاستعارة،[3] أو المجاز المركب أو التمثيل عند القزويني.[4] ولعلي اختم بهذا الشاهد لبيان كيف كان تحليل المبرد للمعنى المجازي عن طريق المثل أو فيما سمي بعد بالاستعارة التمثيلية؟

قال أبو زيد الأسلميّ:

مـدحت عروقـاً للنّـدى مـصّت الثّـرى ... حـديثاً فلـم تهمـم بـأن تتزعزعـا

نقائـذ بـؤس ذاقـت الفقـر والغـنى ... وحلّبـت الأيّـام والـدّهر أضـرعا

---

(١) الكامل: ١/٢٢٩.

(٢) الكامل: ١/٢٤٨-٢٤٩.

(٣) دلائل الإعجاز: ٤٣٠.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٤٧.

" فالسجل في الأصل الدلو، وإنما ضربه مثلاً لما فاض عليها من ندى أقاربها، يقال للدلو- وهي مؤنثة: سجل وذنوب، وهما مذكران، والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة، ويقال: فلان يساجل فلاناً، أي: يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر، وأصل المساجلة أن يستقي ساقيان، فيخرج كل واحدٍ منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر،فأيهما نكل فقد غلب، فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة." [1] وهنا ربط وثيق بين الطرفين، وإبراز للعلاقة القائمة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. ومنهج المبرد في ذلك أن يمهد للفظة بإبراز معناها الأصلي والوضعي ليقربها للقارئ، ثم يربط بينها وبين استعمال الأديب في كلامه، وذكر بعض الرواة أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملاً لعلي بن أبي طالب على اليمن، فشخص إلى علي، واستخلف على اليمن عمرو بن أركة الثقفي، فوجه معاوية إلى اليمن ونواحيها بسر بن أرطاة، أحد بني عامر ابن لؤي، فقتل عمرو بن أراكة، فجزع عليه عبد الله أخوه جزعاً شديداً، فقال أبوه:

لعمري لئن أتبعت عينيك ما مضى	به الدهر أو ساق الحمام إلى القبر
لتستنفدن ماء الشؤون بأسره	ولو كنت تمريهن من ثبج البحر

فتأمل المبرد استخدام الشاعر للفظة (تمريهن) وأبرز المعنى الاستعاري فيها بعد ان أبرز صلتها بالمعنى اللغوي المستعمل لها" وقوله: تمريهن فإنما هو مثل، يقال: "مريت الناقة" إذا مسحت ضرعها لتدر، فإنما هو استخراج اللبن. ويقال: "مريت برجلي الأرض"، إذا مسحتها، والأصل ذلك. فإنما أراد: ولو كنت تستخرج الدموع من ثبج البحر." [2]

٣. الكناية:

تناول المبرد الكناية وفطن لها، وسنتعرف كيف كان المبرد يتعامل مع مصطلح الكناية وشواهدها؟ وهل كان يصرح بها في تحليلاته؟

لقد كانت تحليلات المبرد وإشاراته في مبحث الكناية تقوم على تحليل الكناية دون تسميتها فيما طرحه في بعض الشواهد، بينما نجده يصرح بها في شواهد أخرى، على النحو الآتي:

فمما حلل فيه الكناية دون ذكر اسمها: قول أبي بكر الصديق: إني وليت أموركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه. وقد علق المبرد على قوله: (فكلكم ورم أنفه) " وقوله: "فكلكم ورم أنفه"، يقول: امتلأ من ذلك غضباً. وذكر

---

(١) الكامل: ١/ ٢٥٠.

(٢) الكامل: ٣/ ١٣٨٦.

أنفه دون السائر كما يقال: فلان شامخ بأنفه، يريد رافعا رأسه، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر:

ولا يهـــاج إذا مـــا أنفـــه ورمـــا

أي: لايكلم عند الغضب، ويقال للمائل برأسه كبرا: متشاوس، وثاني عطفه، وثاني جيده، إنما هذا كله من الكبرياء. قال الله ﷻ: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٩]

وقال الشمّاخ:

نبئـت أن ربيعـاً أن رعـى إبـلاً   يهـدي إلـى خنـاه ثـاني الجيـد"[1]

وقد جاء تحليله للكناية هنا تفسيرا أو دلالة على المعنى الكنائي المقصود، فورم الأنف كناية عن الغضب، والمتكبر: متشاوس وثاني الجيد.

وفي شاهد آخر يبرز المبرد الكناية عن صفة بالإشارة إلى المعنى الكنائي، كما في قول القتال الكلابي يفخر بنفسه وقومه:

طـوال أنـضية الأعنـاق لـم يجـدوا   ريـح الإمـاء إذا راحـت بأزفـار

" وقوله: "طوال أنضية الأعناق" فالنضي مركب النصل في السنخ، وضربه مثلاً، وإنما أراد طوال الأعناق، كما قال الأعشى:

الـوَاطِئِينَ عَلَـى صُـدُورِ نِعَـالِهِمْ   َفـي الـدَّفَنيّ وَالأبْـرَادِ

يريد السودد والنعمة.."[2] فطول النضي علامة على طول العنق. والوطء على صدور النعال، يعني من الترف، أي: هم ملوكٌ لا يمشون حفاة. والدفنى ضرب من الثياب. والأبراد عصب اليمن.

وقول الشماخ:

إذا مـا رايـةٌ رُفِعَـتْ لمجـدٍ   تَلقَّاهـا عَرَابَـةُ بـاليمينِ

(١) الكامل: ١/١٦.

(٢) الكامل: ١/٧٩.

" قوله: " تلقاها عرابة باليمين". قال أصحاب المعاني: معناه بالقوة" [1]

وقول حسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي

أو في السرارة من تيم رضيت بهم أو من بني خلف الخضر الجلاعيد

" وقوله: "الخضر الجلاعيد" يقال: فيه قولان: أحدهما أنه يريد سواد جلودهم. كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهبٍ:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب" [2]

وهذا القول يحقق الكناية عن صفة السواد في البيت المذكور.

وفي قول حارثة بن بَدْر في زياد بن أبيه:

النّاسُ بَعْدَكَ قد خَفَّتْ حُلُومُهُمُ كأنّما نَفَخَتْ فِيها الأعاصِيرُ

" وقوله: كأنما نفخت فيها الأعاصير...هذا مثل، وإنما يراد خفة الحلوم. والإعصار فيما ذكر أبو عبيدة: ريح تهب بشدة فيما بين السماء والأرض. ومن أمثال العرب: " إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً". يضرب للرجل يكون جلداً فيصادف من هو أجلد منه. قال الله ﷻ: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٦٦] " [3] ومع إشارته للكناية في البيت عن خفة الحلم. فقد أشار إلى ما يوجد في البيت من استعارة تمثيلية بإطلاق لفظة (مثل) وتفسيرها من خلال المثل المذكور("إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً"). ومن جمال هذا البيت اجتماع الكناية والمثل والتشبيه فيه فاقت صورته كل صورة.

ومن الكناية عن صفة أشار المبرد إلى قول السليك بن السّلكة:

فلا تصلي بصعلوك نؤوم إذا أمسى يعدّ من العيال

---

(١) الكامل: ١/ ١٦٧.

(٢) الكامل: ١/ ٣٢٩.

(٣) الكامل: ١/ ٤١٥.

" وقوله: "نئوم" يصفه بالبلادة والكسل. وكانت العرب تمدح بخفّة الرؤوس عن النوم، وتذمّ النّومة"[1]

ومما أطلق فيه لفظ الكناية صراحة ما ذكره في قول علي بن عبد الله بن العباس:

هم منعوا ذماري يوم جاءت ... كتائب مسرف وبنو اللكيعة

" وقوله: " بنو اللكيعة ". فهي اللئيمة، ويقال في النداء للئيم: يا لكع، وللأنثى: يا لكاع، لأنه موضع معرفة. كما يقال: يا فسق ويا خبث. فإن لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل: يا ألكع، وللأنثى يا لكعاء، وهذا موضع لا تقع فيه النكرة، وقد جاء في الحديث والأصل ما ذكرت لك: " لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع ". فهذا كناية عن اللئيم بن اللئيم " [2] فقوله: لئيم بن لئيم أي:رديء النسب دنيء الحسب، كناية عن هذا النوع الذي يلي أمر الناس في آخر الزمان، أو العبيد والسفلة.

ومن اعتناء المبرد بهذا المبحث أنه عقد له بابا سماه من ألفاظ الكنايات، حشد فيه مجموعة كبيرة من الألفاظ التي تستعملها العرب في كناياتها، بدأها بلفظة النكاح " ويكون النّكاح الجماع، وهو في الأصل كناية، قال الراجز:

إذا زنيت فأجد نكاحاً ... وأعمل الغدوّ والرّواحا

والكناية تقع عن هذا الباب كثيراً، والأصل ما ذكرنا لك، وقال رسول الله ﷺ: " أنا من نكاح لا من سفاح " [3]. ومن خطب المسلمين: "إن الله ﷻ أحلّ النّكاح وحرم السّفاح".

والكناية تقع على الجماع، قال الله ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فهذه كناية عن الجماع، قال أكثر الفقهاء في قوله تبارك وتعالى:

---

(١) الكامل: ٢/٦٤٤.

(٢) الكامل:١/٣٨٨

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/٣٩٩، رقم ١٠٨١٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/١٩٠، كتاب النكاح: باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢١٧، كتاب علامات النبوة: باب في كرامة أصله ﷺ. وقال: رواه الطبراني عن المديني عن أبي الحويرث، ولم أعرف المديني ولا شيخه وبقية رجاله وثقوا.

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] قالوا: كناية عن الجماع.... وقوله ﷻ: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] كنايةٌ بإجماع عن قضاء الحاجة، لأن كلّ من أكل الطعام في الدنيا أنجى، يقال: نجا وأنجى، إذا قام لحاجة الإنسان. وكذلك: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] كناية عن الفروج، ومثله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [المائدة: ٦] . فإنما الغائط كالوادي، وقال عمرو بن معدي كرب:

وكم من غائط من دون سلمى ... قليل الإنس ليس به كتيع"[1]

ومن الكناية عن موصوف قول ابن نمير الثقفي:

كأن على الظعائن يوم بانوا ... نعاجاً ترتعي بقل البراثِ

"وقوله: نعاجاً ترتعي بقل البراث... فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية، وحكم البقرة عندهم حكم الضائنة، وحكم الظبية عندهم حكمُ الماعزة، والعرب تكني بالنعجة عن المرأة وبالشاة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣] وقال الأعشى:

فرميت غفلة عينه عن شاتِه ... فأصبت حبة قلبها وطحالها

يريد المرأة."[2]

وقول عمرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة:

ليْتَ شِعْرِي هَلْ أقُولَنْ لِرَكْبٍ ... بِفَلاةٍ هُمْ لَدَيْهَا هُجُوعُ

طالما عرستمُ، فاركبوا بي ... حانَ من نجمِ الثريا طلوعُ

" قوله: حان من نجم الثريا طلوعُ: كنايةٌ، وإنما يريدُ الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أميةَ الأصغر، وهم العبلات."[3]

---

(١) الكامل: ٢/ ٦٥٦–٦٥٧.
(٢) الكامل: ٢/ ٧٨٧.
(٣) الكامل: ٢/ ٧٧٩.

وإذا تأملت تحليلات الكناية عند المبرد وجدتها واضحة في ذهنه تصلك إلى الملزوم بكل يسر وسهولة، كما في قول طخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة:

معي كل فضفاض القميص كأنه ... إذا ما سرت فيه المدام فنيق

"وقوله: "معي كل فضفاض القميص" يريد أن قميصه ذو فضولٍ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيلاء، كما قال زهير:

يجرون الذيول وقد تمشت ... حُمَيَّا الكَأسِ فيهم والغناء

ويقال: إن تأويل قول رسول الله ﷺ: "فضل الإزار في النار"[1] إنما أراد معنى الخيلاء"[2]

وقول الحجاج في أهل العراق: يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء..." وقوله: "عبيد العصا" يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال، كما قال ابن مفرغ الحميري:

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الملامه

وقال جرير يهجو التيم:

ألا إنما تيم لعمرو ومالك ... عبيد العصا لم يرج عتقاً قطينها"[3]

وقد يشعر المبرد بالكناية بالتعبير بكلمة (يصف)، كما في قول رجل من بني سعد يرثي رجلاً:

ورثت سلاحه، وورثت ذوداً ... وحزناً دائماً أخرى الليالي

---

(١) لم أجده بنص المبرد، إنما الوارد (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) وقوله فضل الإزار في النار يريد جره خيلاء وأن يفضل منه عن قدرة حتى يجره كما جاء مفسرا في حديث آخر من جر إزاره بطرا " الكتاب: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ٢/١٢٢ فصل في الاختلاف والوهم. وهو حديث صحيح: البخاري: باب ما أسفل من الكعبين في النار، أبو داود: باب في قدر موضع الإزار، ابن ماجه: باب موضع الإزار أين هو؟ النسائي: ما تحت الكعبين من الإزار وعلق عليه الألباني بقوله: صحيح، مسند أحمد: مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٢) الكامل: ٥٩/١.

(٣) الكامل: ٣٥٤/١.

" ورثت سلاحه وورثت ذودا يصف قرب نسبه منه"[1]

أو بقوله: (أراد) كما في قول سُحَيْم بن وَثِيلٍ الرياحيّ:

أنَا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الثّنايَا ... متَى أضَعِ العِمامَةَ تَعرِفُوني

" قوله: "أنا ابن جلا"، إنما يريد المنكشف الأمر... وقوله: "وطلاع الثنايا".. وإنما أراد أنه جلد يطلع الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها، كما قال دريد بن الصمة يعني أخاه عبد الله:

كميش الإزار خارجٌ نصف ساقه ... بعيد من السوءات طلاع أنجد"

ومما قدمه المبرد للكناية أن جعلها تدور في ثلاثة أغراض يستخدمها المتكلم لأجلها: التعمية والتغطية، والرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، والتفخيم والتعظيم، والدارس لهذه الأضرب الثلاثة يتبين له أنه أراد أغراض الكناية وأهدافها في الكلام.

فأول هذه الأغراض التعمية والتغطية، وقد استدل له بما يدل على التغطية " كقول النابغة الجعديّ:

أكنّي بغير اسمها وقد علم الله ... خفيات كلّ مكتتم

وقال ذو الرُّمَّة، استراحةً إلى التصريح من الكناية:

أحبُّ المكان القفر من أجل أنّني ... به أتغنّى باسمها غير معجم "[2]

والثاني: الرغبة عن اللفظ الخسيس.وهو أحسن أهداف الكناية التي ترد لأجله " ويكون من الكناية – وذاك أحسنها– الرغبةُ عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال الله – وله المثل الأعلى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقال جل ثناؤه: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] ... وكذلك قولهم في قضاء

---

(١) الكامل: ١/ ٩٤.

(٢) الكامل: ٢/ ٨٥٥.

الحاجةِ: جاء فلان من الغائطِ كناية عن الحدث، وإنما الغائط الوادي، وكذلك المرأةُ، قال عمروُ بن معدي كرب الزبيديُّ:

فكم من غائطٍ من دون سلمى قليل الأنس ليس به كتيعُ

وقال الله جل وعزَّ في المسيح ابن مريمَ وأمهِ صلى الله عليهما: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة. وقال: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] ، وإنما هي كناية عن الفروج. ومثل هذا كثيرٌ." [1]

والثالث من أغراض الكناية التعظيم والتفخيم " ومنه اشتقت الكنيةُ وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه، ووقعت في الكلام على ضربين: وقعت في الصبيّ على جهة التفاؤل، بأن يكون له ولدٌ فيدعى ولده كنايةً عن ا سمه، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانةً لاسمهِ، وإنما يقال: كنيَ عن كذا بكذا، أي تركَ كذا إلى كذا، لبعض ما ذكرنا." [2]

" وإذا أردنا أن نضع عنوانا لكل ضرب من هذه الأضرب الثلاثة التي ذكرها المبرد لأمكننا القول بان الضرب الأول الذي جاء للتعمية والتغطية إنما هو نوع من الكناية اللغوية، والضرب الثاني الذي نلحظ فيه العدول عن اللفظ الخسيس إلى غيره مما يدل على معناه إنما هو من نوع الكناية الاصطلاحية. أما الضرب الثالث الذي اشتق منه الكنية فهو كناية من باب التسمية ولا أكثر من ذلك".[3] وكما ذكرت فإن هذه الأقسام لا ترجع إلى تقسيم الجنس إلى أنواعه، وإنما هي في الحقيقة ضروب لما تؤديه الكناية من فائدة في صناعة الكلام.

وفي الكناية عن الغضب يذكر المبرد" ويقال في الغضب: تركت فلاناً يصرف نابه عليك ويحرق ويحرق. ورأيته يعض عليك الأرم، قال زهير في مدحه حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:

أبي الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فأفضى والسيوف معاقله

---

(١) الكامل: ٢/٨٥٦-٨٥٧.

(٢) الكامل:٢/٨٥٨.

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٢٨.

وقال آخر:

نبئــت أحمــاء ســليمى إنمــا ظلــوا غــضاباً يعلوكــون الأرمــا"[1]

وفي الكناية عن الطول يذكر المبرد" النجاد: حمائل السيف، وأزهاه: رفعه وأعلاه، والرجل يمدح بالطول، فلذلك يذكر طول حمائله. قال مروان بن أبي حفصة يمدح المهدي:

قــصرت حمائلــه عليــه فقلــصت ولقــــد تـــأنق قينهـــا فأطالهـــا

وقال الحسن بن هانئ يمدح محمداً الأمين:

ســبط البنــان إذا احتبى بنجــاده غمــر الجمــاجم والــسماط قيــام "[2]

وفي قول الخنساء:

طويـــل النجـــاد رفيـــع العمـــا د ســـــاد عـــــشيرته أمـــــردا

" قولها: طويل النجاد، النجاد: حمائل السيف، تريد بطول نجاده طول قامته، وهذا مما يمدح به الشريف، قال جرير:

فإني لأرضى عبد شمس وما قضت وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

... وقولها: رفيع العماد إنما تريد ذاك، يقال: رجل معمد، أي: طويل، ومنه قوله ﷻ: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ [الفجر: ٧] أي: الطوال. وقولها: ما عالهم أي ما نابهم ونزل بهم، تقول العرب: ما عالك فهو عائلي، أي: ما نابك فهو نائبي " [3]

والخلاصة فيما ذكره المبرد عن الكناية أنه تطرق لمفهوم الكناية، وبين شيئا من أهدافها في الكلام، وقد عثر على نصوص وتفسيرات له في ثنايا الكتاب توحي بعد

---

(١) الكامل: ٢/١٠٢٣-١٠٢٤.

(٢) الكامل: ٢/١٠٤٣.

(٣) الكامل: ٣/١٤١٣- ١٤١٥.

تحليلها وتوجيهها بلاغيا باقترابه من المفهوم البلاغي للكناية، ويؤكد ذلك ما تمثل به المبرد من مسموع العرب شعرا ونثرا، وتبين أن دلالة الكناية عند المبرد تنطوي على معنيين، لغوي يعني الستر والخفاء عندما يريد المتكلم أن يبوح بكلام وهو يريد غيره، وبلاغي يتناول إطلاق اللفظ وإرادة لازمه. كما أن المبرد قد أدرك ما ينطوي عليه فن الكناية من معان تعد في الغالب من لوازم المعاني الأول أو ردفا لها.

رابعا: البديع:

١.التضاد:

نقل المبرد خطبة لعمر بن الخطاب أبان عن إعجابه بها وما اشتملت عليه من حسن بسبب ما جرى فيها من مشاكلة، " ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها حدثنا العتبي قال: لم أر أقل منها في اللفظ، ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وأهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

أيها الناس، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه.ثم نزل. وإنما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار، بما عضده به من الفعل المشاكل له" [1] وبالتأمل في تعليق المبرد، نجد في هذا النص ما يعضد فهمه لمدلول التضاد في الألفاظ، بأن أطلق عليها المشاكلة وجعلها حسنا يرفع القول، فالمقصود بالمشاكلة هي ما يمكن أن يسمى بالألفاظ المتضادة والتي تكسو الكلام جمالا، وتزيده بهاء ورونقا، وهذا ما رأيناه يرد في خطبة عمر بن الخطاب من اختيار تلك الألفاظ المتضادة (أقوى، أضعف،الضعيف، القوي، له، منه). إذن ففهم المبرد يقترب من الطباق المعنوي، والذي يرى حسن أثره في الكلام بما يرفع من حسن القول.

٢. التجريد:

فطن المبرد للتجريد إما عن طريق الشاهد الذي يمثل به والذي أصبح فيما بعد نواة لشواهد البلاغيين في هذا الفن، وكان كثير من شواهده معالم لمن بعده من البلاغيين في الاستنارة والاهتداء بها، أو عن طريق تحليله للشاهد، فمن شواهده في التجريد:

قول القتّال الكلابي:

لا أرْضَع الدَّهرَ إلاَّ ثَدْيَ واضِحةٍ ... لواضح الخد يحْمي حَوْزة الجار

(١) الكامل: ١/١٨-١٩.

"وقوله:لا أرضع الدهر إلا ثدي واضحة ... يقول إنما ترضعني أمي، وليست غير كريمة، كما قال الأعشى:

يـا خيـر مـن يركـب المطـيّ ولا	يـشرب كأسـاً بكـف مـن بخـلا

يقول: إنما تشرب بكفك، ولست ببخيل، ومثل هذا قول التميمي لنجدة بن عامر الحنفي الخارجي:

متى تلق الحريش حريش سعد	وعبـاداً يقـود الـدارعينا
تبـين أن أمـك لـم تـورك	ولـم ترضـع أميـر المؤمنينـا"[1]

وقول أعشى باهلة:

أخُـو رغائـبَ يُعطيهَـا ويُـسألُهَا	يـأبَى الظُلامـةَ منـهُ النوفَـلُ الزُفَـرُ

قال المبرد: " وإنما يريده بعينه، كقولك: لئن لقيت فلاناً ليلقينك منه الأسد." [2]

٣. المبالغة:

أشار المبرد إلى أثر(كاد) و(كرب) في الكلام، ودلالتهما على المقاربة في جانب المبالغة وهو يتناول قول أبي زيد الأسلميّ:

سقاها ذوو الأرحام سجلاً على الظّما	وقـد كربـت أعناقهـا أن تقطّعـا"

يقول: سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشاً، وكرب في معنى المقاربة. يقال: كاد يفعل ذلك، وجعل يفعل ذلك، وكرب يفعل ذلك، أي: دنا من ذلك. ويقال: جاء زيد والخيل كاربته، أي: قد دنت منه وقربت. فأما أخذ يفعل، وجعل يفعل، فمعناهما أنه قد صار يفعل. ولا تقع بعد واحدة منهما: "أن" فأما(كاد)و(كرب)فـ(أن) لا تستعمل بعد واحدة منهما إلا أن يضطر شاعرٌ، قال الله ﷻ: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾

---

(١) الكامل: ١/٧٧-٧٨.

(٢) الكامل: ١/٨٠.

[النور: ٤٠] أي: لم يقرب من رؤيتها، وإيضاحه: لم يرها ولم يكد، وكذلك: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣] وكذلك: ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧] بغير "أن". ومن أمثال العرب: كاد النعام يطير، وكاد العروس يكون أميراً، وكاد المنتعل يكون راكباً وقد اضطر الشاعر فأدخل "أن" بعد "كاد"، كما أدخلها هذا بعد "كرب" فقال: "وقد كربت أعناقها أن تقطعها" وقال رؤبة: "قد كاد من طول البلى أن يمصحا" [1] وهو ما سماه البلاغيون بالغلو المقبول، إذا اقترن به ما يقربه إلى الصحة والإمكان كلفظ كاد ونحوها..[2]

كما فطن المبرد لبعض الأبيات المتجاوزة الحد في معناها، فسماها (الإفراط)، وكان استخدامه لمصطلح الإفراط للدلالة على الشيء المتجاوز فيه، فعد بيت:

فلو أنَّ ما أبقيتِ مني مُعَلَّقٌ ... بعودِ ثُمامٍ ما تأوَّدَ عُودُهَا

من الإفراط، علق عليه بقوله: " الثمام: نبت ضعيف، واحدته ثمامة، وهذا متجاوز كقول القائل:

ويمنعها من أن تطير زمامها..."[3] وسر الإفراط فيه: أنه بالغ في ذكر صفة النحول، لأن الثمام من أضعف النبت وأدقّه عوداً.

ومن شواهد الإفراط التي أوردها المبرد: " وقد أكثروا في هذا، فمن الإفراط في السرعة قول ذي الرمة:

كأنه كوكب في إثر عفرية ... مسوم في سواد الليل منقضب

ومن الإفراط قول الحطيئة:

وإن نظرت يوماً بمؤخر عينها ... إلى علم بالغور قالت له ابعد

ومن الإفراط قوله:

بأرض ترى فرخ الحبارى كأنه ... بها راكب موف على ظهر قردد

---

(١) الكامل: ١/٢٥٢-٢٥٣.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٤١٣.

(٣) الكامل: ١/٣٨٥.

ومن ذلك قوله:

وكادت على الأطواء أطواء ضارج   تساقطني والرحل من صوت هدهد

وقال آخر:

مروح برجليها إذا هي هجرت   ويمنعها من أن تطير زمامها

وقال الشماخ:

مروح تغتلي في البيد حرف   تكاد تطير من رأي القطيع

وكذلك الأعرابي الذي يقول:

لو ترسل الريح لجئنا قبلها...[1] فالعبرة في التشبيه ليست من حيث الكمية أو القوة أو الضعف، بل بما في الطرفين من وجه شبه بأي حال من الأحوال كثر أم ضعف، عظم أو صغر، فالإفراط في التشبيه ليس كذبا، وإنما هو قول صدق موشى بزينة المبالغة، تلك هي التي لاحظها المبرد وأعجب بها أيما إعجاب.[2]

وقد توارد مصطلح المبالغة عند المبرد بلفظه ومفهومه المرادف لمعنى الكثرة والإجادة والتكثير والتشديد في عمل الفعل " يقال: رجل ضارب للذي يضرب، كثيراً كان منه ذلك أو قليلاً، فإذا قلت: ضراب." [3] وقتال، فإنما يكثر الفعل، ولا يكون للقليل." وفي قول عمارة:

تنوخهم نمير كل يوم   كفعل أخي العزازة بالذليل

ذكر المبرد" والعزازة: العز، والمصادر تقع على" فعالة" للمبالغة، يقال عز عزا وعزازة، كما تقول: الشراسة والصرامة، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾ [الأعراف: ٦٧] وفي موضع آخر: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ ﴾ [الأعراف: ٦١]."[4]

---

(١) الكامل: ٢/١٠١٠-١٠١١.

(٢) أثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٣٢.

(٣) الكامل: ٢/١٠٢٥.

(٤) الكامل: ١/٢١٧-٢١٨.

وفي قول حسان:

أوْمن بني زهرةَ الأخيارِ قد علموا   أوْمن بني جمحَ البيضِ المناجيدِ

" وقوله: "المناجيد" مفاعيل، من النجدة، والواحد منجاد، وإنما يقال ذلك في تكثير الفعل، كما تقول: رجل مطعان بالرمح، ومطعام للطعام." [1]

وأشار المبرد إلى بعض صيغ المبالغة اللغوية، والتي لم يعرها البلاغيون اهتمامهم والتي تفيد الكثرة، ومنها: " وقوله: كيف "دليلاك" فهي كثرة الدلالة، و"الفعيلي" إنما تستعمل في الكثرة، ويقال: القتيتي لكثرة النميمة، ويقال: الهجيري لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل، يقال: ذكرك هجيراي، أي: هو الذي يجري على لساني، وفي الحديث: "كان هجيري أبي بكر الصديق رحمه الله بلا إله إلا الله" ويقال: كان بينهم رميا، لكثرة الرمي، وكذلك كل ما أشبه هذا." [2]

٤. السجع:

فطن المبرد للسجع، وسجل تعريفه، وربطه بالمعنى اللغوي" والسجع من الكلام: أن تأتلف أواخره على نسقٍ، كما تأتلف القوافي، وهو في البهائم: موالاة الصوتِ، قال ابن الدمينة:

أأن سجعتْ ورقاءُ في رونقِ الضحى   على فننٍ غض النباتِ من الرند." [3]

وأشار إلى شيء من سجع المختار بن أبي عبيد الثقفي الكهنية، والتي ذكرها ابن الرقيات:

والذي نغص ابن دومة ما تو   حي الشياطين والسيوف ظماء

فأباح العراق يضربهم بالسيف   صلتاً وفي الضراب غلاء

"فإنما يريد بابن دومة المختار بن أبي عبيد الثقفي، والذي نغصه مصعب بن الزبير...وقوله: "ما توحي الشياطين"، فإن المختار كان يدعي أنه يلهم ضرباً من السجاعة لأمور تكون، ثم يحتال فيوقعها، فيقول للناس: هذا من عند الله ﷻ. فمن ذلك قوله ذات

---

(١) الكامل: ٣٢٦/١.

(٢) الكامل: ٧١٤/٢.

(٣) الكامل: ٧٨٧/٢-٧٨٨.

يوم: لتنزلن من السماء نار دهماء، فلتحرقن دار أسماء. فذكر ذلك لأسماء بن خارجة، فقال: أقد سجع بي أبو إسحاق! هو والله محرق داري! فتركه والدار وهرب من الكوفة. وقال في بعض سجعه: أما والذي شرع الأديان، وجنب الأوثان، وكره العصيان، لأقتلن أزد عمان، وجل قيس عيلان، وتميماً أولياء الشيطان، حاشا النجيب ظبيان! فكان ظبيان النجيب يقول: لم أزل في عمر المختار أتقلب آمناً." [1] وبذلك يكون المبرد قد سجّل في تآليف البحث البلاغي ما يفيد فهمه الدقيق لمدلول السجع في البلاغة، مضيفا إلى ذلك معيبه في سياق الكلام.

* * *

---

(١) الكامل: ٣/ ١١٩١–١١٩٢.

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد انتهى بنا البحث عن المصطلح والشاهد البلاغي في كتاب الكامل للمبرد إلى مجموعة من النتائج التي أبرزت أثر هذا الكتاب في تراثنا اللغوي والبلاغي؛ ليكون رافدا من الروافد المتعددة التي استقى منها البحث البلاغي مشاربه دلالة المصطلحات وتحليل النصوص، ووضع المعايير المناسبة لقيمها الفنيّة والجمالية، فخرجت من ذلك بنتائج، أبرزها وأهمها:

- ملاحظة أن بيئة اللغويين والنحويين المتقدمين كانت التربة التي نمت فيها البذور الأولى للبحث البلاغي، وعلى الرغم من أنها كانت مجرد براعم متناثرة وردت كالتعليل والتفسير لمتجهاتهم، فقد أتيح للاحقين جمعها وصياغتها في قواعد علمية مقررة.
- التأكيد على وجود الصلة الوثيقة بين علوم اللغة العربية، ولا سيما تلك الصلة بين النحو والبلاغة، والتي تمثّلت في اعتماد البلاغة على مقاييس النحو ومعطياته، وكانت بوادر تلك العلاقة قد بدت واضحة فيما تضمّنه كتاب الكامل من لفتات وتفسيرات بلاغية وأسلوبية.
- تنبه المبرد لأبرز عيوب الفصاحة في جانب التركيب، والتي جعلت البلاغيين يضعونها في مقدمات كتبهم، وهم يدرسون مسائل البلاغة، كما تنبّه إلى ما تقوم عليه البلاغة من مراعاة مقتضى الحال في الكلام.
- فطن المبرد لشيء من أسرار الكلمة مذكرة كانت أو مؤنثة، مفردة كانت أو مجموعة.
- شارك المبرد في إبراز شيء من أسرار الإنشاء الطلبي، كما في الاستفهام والنداء والأمر.
- توغّل المبرد في تناوله لمبحث الحذف والإضمار، فوجد في تحليلاته رصدا لصور الحذف في الحرف والكلمة والجملة والجمل، إضافة إلى فطنته للوصول إلى صحة شرط الحذف.
- أدرك المبرد كثيرا من الصور التي يخرج إليها الكلام خروجا عن مقتضى الظاهر، فتناول القلب والتغليب وشيئا من صور الالتفات.
- كانت دراسة المبرد للتشبيه من أمتع الدراسات التي فاض بها هذا الكتاب، وكانت شواهدة وفيرة في هذا الجانب الذي استفاد منه البلاغيون فيما بعد.

- برز من خلال هذا البحث معرفة المبرد للمجاز بنوعيه العقلي واللغوي وبعض علاقات المجاز، كما سجّل هذا البحث إلمام المبرد بمصطلح الاستعارة وأركانها، ومعرفته بالاستعارة التمثيلية.
- كما كان للكناية مكان وافر من حيث الشاهد والتقسيم لأهدافها ودلالاتها.
- إضافة إلى ما سجله من تحليلات مميزة في بعض أبواب البديع.

وأخيرا فإن ما سجل في هذا البحث يشهد لصاحب الكتاب بسبقه إلى إدراك كثير من الفنون البلاغية، والشواهد الأدبيّة التي أفاد منها البلاغيّون في مؤلفاتهم البلاغيّة.

والحمد لله أولا و أخيرا والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

ثبت المصادر والمراجع:

- أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين، دار قطري بن الفجأة، الدوحة، قطر، ط٢، ١٩٨٦م.
- أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، اعتنى بنشره وتهذيبه فرتيس كرنكو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٦م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السرّاج البغدادي، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٧ه١٩٩٦م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٣ه١٩٩٢.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق ودراسة: د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وزملاؤه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف،القاهرة، ط ٥.
- بيان التشبيه: دراسة تاريخية فنيّة، د. عبد الحميد العيسوي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
- البيان العربي، د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، ط٧، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، القاضي أبو المحاسن المفضّل بن محمد التنوخي المعرّي، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ١٩٨١م.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ه١٩٨٩م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج معافى بن زكريا النهرواني الجريري، تحقيق: د. محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٢هـ.
- شروح التلخيص، دار السرور، بيروت، لبنان.
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. حسن بن محمد الحفظي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ١٩٩٣م.
- صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه،ابن رشيق القيرواني، تحقيق: د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.
- عيار الشعر، أبو الحسن محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: د. عبد العزيز المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.
- فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور الثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- في تاريخ البلاغة العربية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي)، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

- المبرد: أديب النحاة، أحمد حسنين القرني وعبد الحفيظ فرغلي علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م.
- مجاز القرآن، صنعه أبو عبيدة معمر بن المثنى، عارضه بأصله وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،ط٢، ١٤٠١هـ١٩٨١م.
- المختصر في تاريخ البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار الشروق بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ١٩٨٢م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة.
- معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- المقتضب، صنعة: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان،ط١١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- مناهج بلاغية، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدّين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط٣، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

* * *

المنهج الأسلوبي في الدراسة الأدبيّة الحديثة
مطبّقا على همزيّة فخر الدين بن مَكانِس (٧٤٥-٧٩٤هـ)

د. محمد بن إبراهيم الدوخي
قسم الأدب - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المنهج الأسلوبي في الدراسة الأدبيّة الحديثة مطبّقا على همزيّة فخر الدين بن مَكانِس (٧٤٥-٧٩٤هـ):

د. محمد بن إبراهيم الدوخي
قسم الأدب – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

النقد الأدبي مجال واسع تسبر من خلاله أغوار النص الأدبي، ومن أبرز مناهجه الحديثة الأسلوبية.
يهدف هذا البحث إلى التعامل مع المنهج الأسلوبي والبحث في مكوناته لتطبيقها على
نص من الشعر العربي القديم، نعته القدماء بالجودة والنفاسة وهو همزيّة فخر الدين بن مكانس (٧٤٥-٧٩٤هـ) التي مطلعها:

يَـا سَــرْحَةَ الـشَّاطِئِ المُنْـسَابِ كَـوثَرُهُ

عَلَـى اليَوَاقِيـتِ فِـي أشْـكَالِ حَـصْبَاءِ

والبحث بهذا الأمر يحاول تعميق صلة الشعر العربي القديم بالنقد الأدبي الحديث.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد...

فالنقد الأدبي مجال واسع تسبر من خلاله أغوار النص الأدبي، ومن أبرز مناهجه الحديثة الأسلوبية التي تعد منهجا علميا دقيقا في تعامله مع النصوص.

وقد عمدت إلى تطبيق هذا المنهج على قصيدة أُثني عليها في غير موضع، وهي همزيّة فخر الدين بن مكانس (٧٤٥-٧٩٤هـ) التي مطلعها:

يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ المُنْسَابِ كَوثَرُهُ

عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ[١]

فابن حجة يقول: "ومن التشابيه البديعة التي لم تُدرك في هذا الباب تشابيه الصاحب فخر الدين بن مكانس في قصيدته المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرح "[٢].

وورد في مقدمة ديوانه أنه قال قصيدته: "يصف شجرة سرح بشاطئ النيل المبارك بالروضة، وهي قصيدة بديعة،ومشهورة، كلها غرر ودرر"[٣].

ووقف د. محمود رزق سليم أمام القصيدة وقفة سريعة قال في آخرها: "فلعلنا وُفِّقنا إلى التنويه بهذه القصيدة، ولو بعض التوفيق، وظفرنا بلفت النظر إلى شيء من نفاستها ولو بعض التوفيق "[٤].

إذن فالبحث يقصد إلى التعامل مع المنهج الأسلوبي والبحث في مكوناته لتطبيقها على نص من الشعر العربي القديم، نعته القدماء بالجودة، وهو بهذا يحاول تعميق صلة الشعر العربي القديم بالنقد الأدبي الحديث.

يبتدئ البحث بتعريف المنهج الأسلوبي، فيعرض لذلك لغة واصطلاحا، ويبين اختلافه باختلاف زوايا النظر إليه.

---

(١) ديوان فخر)) الدين بن مكانس. مخطوط في دار الكتب المصرية تحت رقم: ١١٩٦. ووردت القصيدة كلها من الورقة (٢ب-٥أ).

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب. ابن حجّة الحموي. قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه د. صلاح الدين الهواري:١/٣٩٠. المكتبة العصرية.ط١. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م صيدا. بيروت.

(٣) ديوان فخر الدين بن مكانس: ق /٢/ب.

(٤) مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم. مجلة الرسالة والرواية. العدد ٧٨٤: ٧٨١-٧٨٢. رمضان. ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م. مصر.

ثم ينتقل البحث إلى أهم المصطلحات الإجرائية في المنهج الأسلوبي فيعرّف بها ويقترب منها أو يحاول الاقتراب منها.

ثم يأتي الفصل الثاني وهو القسم التطبيقي معنيا بالنظام اللغوي الشعري الذي يمثّل شكل القصيدة، فيبين خصوصية التشكيل الفني في النص، فينطلق البحث من النص الأدبي بصفته بناء لغويا قبل أن يكون حقيقة مرجعيّة،وهو معنى ملائم للمنهج الأسلوبي.

فيدرس البحث البناء العام للقصيدة عارضا أساليب الخطاب التي تنهض عليها القصيدة، ثم يقف البحث أمام اختيار الشاعر لنوع خاص يبني به نصّه، عارضا بعد ذلك لأمور وسمات تختص بها القصيدة مركزا على المفاصل التي مثّلت مميزات للنص.

وينتقل البحث بعد ذلك لعرض نسبة الفعل إلى الصفة في القصيدة كما يقف على الحقول الدلالية.

وبعد ذلك يستخلص البحث الأنساق كأنساق الصور ويستخلص منها نظام التمثيل، أي: كيف بنى الشاعر نظامه ؟ ثم ينتقل إلى النظام اللغوي الذي يمثّل شكل القصيدة (خصوصية التّشكّل الفني في النص من حيث التركيب العام للأبيات وللمقاطع واللوحات).

وفي هذا القسم سأعرض لنظام التمثيل مبينا أهميته للنص ومنطلقا من النص لتوضيح الصورة.

ولا أنسى تعالق النص مع غيره، واشتراكه مع سابقيه فخصصت ذلك بحديث طويل، مع الإشارة إلى إفادة المتأخر من المتقدم من عدمها.

وشمل الفصل مسائل متعددة عن الصورة كالعدول والتقييد ثم عرض للون البارز بين وسائل التصوير فركّز عليه لأنه يمثل سمة ظاهرة.

ثم درس البحث النظام الصوتي في القصيدة ممثلا في الإيقاع الذي يكوّن سمة صوتية في النص، سواء أكان في إيقاع الإطار أم إيقاع الحشو، فالشاعر يوزّع ـ بقدرته الشعرية. الكلام في النص على نظام يراه ملائما لمبتغاه، فيسعى البحث لبيان ذلك واستجلاء ما فيه.

وبعد ذلك تأتي الخاتمة التي كانت إجمالا لما عرضت له في البحث ويليها مسرد المصادر والمراجع.

وقد بذلت جهدي في الرجوع إلى مصادر البحث الأساسية وتطبيق معايير المنهج الأسلوبي بقدر ما أستطيع.

وبعد فأسأل الله أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

الفصل الأول:

القسم النظري:

الأسلوبية:

قبل الولوج في دراسة المنهج الأسلوبي يحسن العرض لتعريف الأسلوب لغة واصطلاحا، فالأسلوب لغة "السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء... والأسلوب الطريق تأخذ فيه والأسلوب الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي: في أفانين منه"[1].

ويقول الزمخشري في مادة (سلب):"سلبه ثوبه وهو سليب، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السلاب وهو الحداد وتسلّبت وسلّبت على ميّتها فهي مسلّب، والإحداد على الزوج والتسليب عام وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة، ومن المجاز: سلبه فؤاده وعقله واستلبه، وهو مستلب العقل، وشجرة سليب: أُخِذ ورقها وثمرها، وشجر سلب، وناقة سلوب: أُخِذ ولدها،ونوق سلائب. ويقال للمتكبر:أنفه في أسلوب إذا لم يلتفت يمنة ولا يسرة "[2].

وعند المحدثين الأسلوب متصل بنظرية الإبلاغ أو الإخبار، فلابد لأي عملية تخاطب من مخاطِب ومخاطَب وخطاب (مرسل ومرسل إليه ورسالة) [3]، مما جعل تعريف الأسلوب مختلفا عند النظر إليه من إحدى الزوايا السابقة:

١. الأسلوب باعتبار المخاطِب:

هو الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه إذ يعبّر تعبيرا كاملا عن شخصيته ويعكس أفكاره وصفاته الإنسانية، ويبيّن كيفية نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته وغير ذلك مما يؤكد الذاتية أساسا للأسلوب[4].

---

(١) لسان العرب:(سلب).

(٢) أساس البلاغة :٤٥٢.

(٣) انظر:الأسلوبية والأسلوب.عبد السلام المسدي:١٣٣.الدار العربية للكتاب.١٣٩٧هـ١٩٧٧م.ليبيا.تونس.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٦٤، والبلاغة والأسلوبية. هنريش بليث. ترجمة وتعليق محمد العمري: ٥٢. أفريقيا الشرق.١٩٩٩م. الدار البيضاء. المغرب. بيروت. لبنان، وانظر:اللغة والأسلوب. عدنان بن ذريل: ١٣٤. مراجعة وتقديم حسن حميد.مجدلاوي للنشر والتوزيع. ط٢. ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.عمّان. الأردن. والأسلوبية في النقد العربي الحديث. دراسة في تحليل الخطاب. فرحان الحربي: ١٧. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط١. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. بيروت. لبنان.

٢. الأسلوب باعتبار المخاطَب:

يدل على أن الأسلوب مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل عن طريقها إلى إقناع القارئ وإمتاعه وشد انتباهه وإثارة خياله[١]. فالحدث الأسلوبي كما أنه يكشف عن بواطن صاحبه يؤثر في حساسية متلقيّه[٢].

٣. الأسلوب باعتبار الخطاب:

يدل على: "العلاقة المميزة لنوعية مظهر الكلام داخل حدود الخطاب، وتلك السمة إنما هي شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات ومجموع علائق بعضها ببعض، ومن ذلك كله تتكون البنية النوعية للنص وهي ذاتها أسلوبه "[٣].

الأسلوبية:

علم لغوي حديث يبحث في تحديد / وصف الظواهر اللغوية المميزة للخطاب الأدبي.

وعرفها ريفاتير بقوله: "علم يعنى بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية وهي لذلك تعنى بالبحث عن الأسس القارة في إرساء علم الأسلوب وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصا"[٤].

مناهج الأسلوبية[٥]:

ترتبط الأسلوبية تاريخيا بالبلاغة فهي الوريث الشرعي لها[٦] بعد أن عجزت البلاغة عن مجاوزة دراسة الخصائص العامة للأدب إلى خصائص الجنس والنص والأثر، وبدا عقمها يظهر، فجاءت الأسلوبية لتكمل هذا النقص الذي عجزت البلاغة عن سداده.

مهما اختلفت مناهج الأسلوبية فإنها تسعى لكشف جوانب النص وسبر أغواره وكلها تعامل النص معاملة علمية صارمة.

---

(١) انظر: البلاغة والأسلوبية. هنريش بليث: ٥٢ واللغة والأسلوب: ١٣٤، ١٣٥. والأسلوبية في النقد العربي الحديث: ١٨.

(٢) انظر: الأسلوبية. عبد الله صولة: ١٦. بحث مكتوب على قرص مرن، صادر عن جامعة تونس الافتراضية. ٢٠٠٥م.

(٣) الأسلوبية والأسلوب: ٨٦. وانظر: اللغة والأسلوب: ١٣٥. والأسلوبية في النقد العربي الحديث: ١٩. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته د. صلاح فضل: ٢٢٢ وما بعدها. النادي الأدبي الثقافي بجدة. ط ٣. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٤) محاولات في الأسلوبية الهيكلية. مجلة الموقف الأدبي عبد السلام المسدي. العدد ٧١: ١١١. آذار. ١٩٧٧م.

(٥) للأسلوبية مناهج كثيرة ولكنني سأقف أمام أهمها.

(٦) راجع: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: ٢٠٢. مدخل إلى علم الأسلوب. د. شكري عياد: ٥. ط ٤. أصدقاء الكتب. ١٩٩٨م. الجيزة.

وتستمد الأسلوبية مقولاتها من آراء فردينان ديسوسير اللسانية بما هي أسس الدراسات اللغوية الحديثة، ويعدّ شارل بالي أول من قدّم للأسلوبية بمنهجية منظمة[1].

١. الأسلوبية البنيوية (أسلوبية اللغة، الأسلوبية الوظيفية):

بدأت هذه الأسلوبية مع جون كوهين ورومان جاكبسون، وهي تركز على الأسلوب بوصفه أمرا مترابطا أو صيغة أو مجموعا كليا أو بناء متناغما، وتعنى عناية خاصة بمصطلح البنية "كي تُظهر أن القيمة الأسلوبية تتعلق بمكانها ضمن النظام "[2].

فالمنابع الحقيقية للظاهرة الأسلوبية ليست في اللغة وجهازها الثابت في المعاجم وكتب النحو والصرف والمعاني فقط بل في وظيفتها وفي مختلف مظاهر تصرّفها في الخطابات والنصوص؛ لأن الأسلوبية منها الأسلوب بمعنى تفرّد داخل اللغة، فلا يمكن للأسلوبية أن تدرس اللغة إلا باعتبارها أسلوبا.

٢. الأسلوبية التعبيرية:

تعنى بعلاقة الشكل مع التفكير[3]، وترتكز على الحدث الكلامي، وفق التمييز الذي قدّمه ديسوسير بين اللغة والكلام[4]،وشارل بالي أحد اثنين جمعا محاضرات دي سوسير التي نُشرت إثر وفاته، وهو الذي أنشأ الأسلوبية التعبيرية.

فرّق شارل بالي بين أسلوبين أحدهما يروم التأثير في القارئ والآخر ينصب اهتمامه على إيصال الأفكار بدقة، وأسهم طلابه من بعده في تنمية هذا الاتجاه من خلال توسيع دائرة الدراسة للتعبير الأدبي، فالكاتب لا يفصح عن إحساسه الخاص إلا إذا أتيحت له أدوات ملائمة، وما على الأسلوبي إلا البحث عن هذه الأدوات[5]، وعن قيمها التعبيرية في النص.

يرى (شارل بالي) أن اللغة سواء نظرنا إليها من زاوية المتكلم أم من زاوية المخاطب حين تعبّر عن الفكرة فمن خلال (موقف وجداني) بمعنى أن الفكرة حين تصير بالوسائل اللغوية كلاما تمرّ لا محالة بموقف وجداني مثل الأمل والترجي ونحوه[6].

---

(١) انظر: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث. د. سامي عبابنة: ١٦١. عالم الكتب الحديث. ط٢. ٢٠١٠م إربد. الأردن.

(٢) الأسلوب والأسلوبية. بيير جيرو. ترجمة منذر عياشي: ١١٥. مركز الإنماء. الحضاري. حلب. ط٢. ١٩٩٤.

(٣) انظر: الأسلوب والأسلوبية: ٤٥.

(٤) انظر: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري: ١٦١.

(٥) انظر: اللغة والأسلوب: ١٣٥ وما بعدها وراجع: البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ١٧٥. مكتبة لبنان ناشرون. ط١. ١٩٩٤م. الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان. مصر.

(٦) انظر: اللغة والأسلوب: ١٣٥.

فالأسلوبية التعبيرية تدرس علاقات الشكل مع التفكير، وتنظر إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي فاهتمامها متصل بالأثر.

٣-أسلوبية الفرد (التكوينية، الحدسية):

تدرس علاقات التعبير مع الفرد أو المجتمع الذي أنشأها واستعملها. فهي تتناول الحدث اللساني إزاء المتكلمين وتحدد الأسباب، وبهذا تنسب إلى النقد الأدبي وتبتعد عن المعيارية أو التقريرية[١].

وعلمها (ليو سبتزير) وهي أسلوبية "مؤسسة على البحث عن الخاصية الملازمة لأسلوب كاتب ما"[٢] وتعقد هذه الأسلوبية الصلة بين المؤلف وعمله، وهي متأثرة بما قدمه (فرويد) من نظريات حول (اللاشعور)[٣].

٤-الأسلوبية الإحصائية:

تقوم على دراسة ذات طرفين. أولهما: هو التعبير بالحدث، و الثاني هو التعبير بالوصف، ويعني بالأول الكلمات أو الجمل التي تعبر عن حدث ومن ثم الكلمات التي تعبر عن صفة. ويتم احتساب عدد التراكيب و القيمة العددية الحاصلة تزيد أو تنقص تبعاً لزيادة أو نقص عدد الكلمات الموجودة في هذه التراكيب. وتستخدم هذه القيمة في الدلالة على أدبية الأسلوب و التفريق بين أسلوب كاتب و كاتب.

وتعتمد الإحصاء الكمي لتحديد الملامح المسيطرة على النص، ويبتعد هنا الحدس لصالح القيم العددية، ومن أهم مزاياها أنها توكل أمر تحديد الظاهرة إلى منهج موجّه، محاولة قدر الإمكان أن تكون قريبة من الموضوعية ومبتعدة عن الذاتية والانطباعية[٤] لتحقيق الانضباط المعرفي[٥].

وفي الأخير أقول:

إن الأسلوبية بمختلف أجيالها يجمعها مبدأ واحد هو أنها كلها تهدف لهدف واحد هو تفسير أنظمة الخطاب وبنائه وأنساقه تفسيرا ينزع إلى العلمية. والفرق بين الأسلوبيات من بدايتها إلى نهايتها أن اللاحقة تضيف إلى السابقة وتتفاعل وتنقح وتعطي رأيها وتختلف.

---

(١) انظر: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري: ١٦٣.

(٢) لسانيات الخطاب. صابر الحباشة: ١١٩.دار الحوار.ط١. ٢٠١٠م. اللاذقية. سوريا.

(٣) البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ١٧٦-١٧٧.

(٤) البلاغة والأسلوبية. هنريش بليت: ٥٨-٦٠.

(٥) راجع في الأسلوبية الإحصائية (الأسلوب دراسة لغوية إحصائية)د. سعد مصلوح. دار البحوث العلمية. الكويت. مطبعة حسان. القاهرة. ط١. ١٤٠٠هـ ١٩٨٢م.

الأسلوبية والمعارف الأخرى:

سبق للأسلوبية "أن تفاعلت مع اللسانيات باعتبارها الأصل الذي تفرّعت عليه، ومع البنيوية بصفتها تفرّعت على اللسانيات تماما كالأسلوبية ومع البلاغة وقد قامت الأسلوبية على أنقاضها ومع النقد الأدبي باعتبار الأسلوبية أهم رافد من روافده"[١] يجمع الأسلوبية بمختلف أجيالها واتجاهاتها مبدأ واحد هو أنها كلها تهدف لتفسير أنظمة الخطاب وبنائه وأنساقه تفسيرا ينزع إلى العلمية نظرا إلى اعتمادها علوما دقيقة كالإحصاء وعلم النفس وعلوم اللسان التطبيقية كعلم الأصوات وغيرها.

المصطلحات الإجرائية في الأسلوبية:

مبدأ الإفادة:

من أهم المبادئ في الدراسة الأسلوبية، وقد استخدم قبل ذلك في اللسانيات الوظيفية ضمن التمفصل الثاني[٢] للدلالة على وجود سمة مفيدة، فتقول مثلا:

صار وسار، تشتركان في الأصوات، الكمية الصوتية، مستوى المخارج والصفات، حتى تصل إلى ما يميز السين(سَ) عن الصاد(صَ) من الترقيق والتفخيم، فإذا وصلت إلى هذا الأمر تكون قد وصلت إلى السمة المفيدة في التمييز بين الكلمتين.(هطل، هتل) هنا الجهر والهمس.

الإفادة: السمة التي بها تتخذ الوحدة الصوتية خاصية مميزة لها مما يشبهها من الوحدات.

الأسلوبية تنظر إلى الكلمة في سياقاتها، فقد طوّرت الأسلوبية النظر إلى النص عنها في اللسانيات فصارت تنظر إلى الكلمة في سياقاتها، فاللسانيات البنيوية تقف عند الجملة وتدخل في سلم صوتي في حين أن الأسلوبية تُدْخِل مجالات أخرى، أنساق أخرى غير النسق اللساني أو النسق الصوتي،فتُدخل النسق الأدبي فاللسانيات لا تصلح مدخلا لتحليل الأدب وإنما هي مجرّد مدخل لتحليل السلسلة الكلامية فقط.

ممكن تدخل في سياق التناص سياق العلاقات الداخلية في المفردات، فقد يستخدم الأديب مفردتين مثل (سدّ، صدّ) فتصبح مدخلا لدراسة التطابق غير التام بين الوحدات اللغوية في سياق خطاب أدبي، وليس في سياق خطاب لساني، وإن كان الأدب خطابا لسانيا لكن يختلف هنا التوظيف، فممكن أن يصدر متكلّم أصواتا لكن لا تدلّ على

---

(١) أسلوبية الوصف والحوار. عامر الحلواني:١١. مطبعة التسفير الفني.ط١. ٢٠٠٣م.

(٢) وهو تأليف الكلام ويعني التمفصل الأول تأليف الأصوات.

معنى، أما في الأدب فالسياق الأدبي هو الذي تسعى الأسلوبية لإبرازه وليس فقط نظام الأصوات (نظامها، تعاقبها، وظائفها) تستعين بهذه الخواص حتى تتبين ما يميّز الخطاب الأدبي عن غير الأدبي[1].

تتميز اللغة الطبيعية بازدواجية التمفصل (التأليف) فحين تقول: كتب الولد الدرس.

هنا مستويان من التركيب.

١. تركيب الكلمات:

كتب الولدُ الدرسَ.

يمكن تغييره فتقول: الولد كتب الدرس.

وهذا يمكن تغييره فتقول:كتب الدرسَ الولدُ. هذا يسمى التمفصل الأول للغة، فاللغة تعطيك مرونة، فأنت تقدّم وتؤخر بحسب مقامات التكلم وبحسب الوظائف (وظائف اللغة) فـ(كتب الولدُ الدرسَ) تجيب عن سؤال: ماذا حدث؟

كتب الدرسَ الولدُ. تجيب عن سؤال:مَن كتب الدرس؟ وهكذا..

٢. داخل ما سبق ثم أمر آخر مثل:

درس الولد الكتب. أخذنا الحروف وغيرناها، فلم نزد شيئا من الخارج، التغيير هنا حدث على مستوى الحروف لا على مستوى الكلمات، نحّينا من الدرس حرفين وأضفناها إلى الكتب[2].

العدول:

من أهم المصطلحات الإجرائية في الدراسة الأسلوبية، وقبل الخوض فيه أعرض تعريفه،فالعدول لغة "عدل عنه يعدل عدلا وعدولا حاد وإليه عاد ورجع،والطريق مال، والفحل ترك الضراب والجمال الفحل نحاه وفلانا بفلان سوى بينهما، وماله معدل ولا معدول مصرف، وانعدل عنه، وعادل أعوَجّ، والعدال كتاب أن يعرض أمران فلا تدري لأيهما تصر فأنت تروي في ذلك "[3].

---

(١) راجع: معجم (تحليل الخطاب) باتريك شارودو – دومينيك منغنو. ترجمة عبد القادر المهيري وحمّادي صمود.مراجعة صلاح الدين الشريف: ٤١٩-٤٢٠. دار سيناترا. المركز الوطني للترجمة. ٢٠٠٨م. تونس.

(٢) راجع: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية. محمد الشاوش:٤٩٣/١ وما بعدها. المؤسسة العربية للتوزيع.ط١.١٤٢١هـ.٢٠٠١م.بيروت.جامعة منوبة. كلية الآداب.تونس.

(٣) القاموس المحيط:عدل.

وفي لسان العرب:" وعدل عن الشيء يعدل عدلا وعدولا حاد وعن الطريق جار وعدل إليه عدولا رجع، ولا معدول أي مصرف، وعدل عن الطريق مال، والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه، تقول عدلت فلانا عن طريقه وعدلت الدابة إلى موضع كذا، فإذا أراد الاعوجاج نفسه قيل: هو ينعدل أي: يعوج وانعدل عنه وعادل اعوج"[1].

فالكلام منه ما هو مألوف يسير صاحبه فيه على قواعد النحو لا يخرقها وهو النمط التعبيري المتعارف عليه، ونوع آخر يعتمد (العدول) عن الكلام الأول بغية تحقيق أمر ما وهو النمط الإبداعي، وهو ما يؤمّه الدارسون[2].

فالعدول من أبرز المباحث الأسلوبية أهمية، فبه تُدرك الظاهرة الأسلوبية في نص ما، وذاك أن اللغة قائمة على مستويين، مستوى مثالي وهو القواعد الذهنية والمحلات الإعرابية الموجودة في الذاكرة اللغوية الفردية، ومستوى إبداعي وهو فرعان أحدها داخل اللغة في المشتقات وفي البنى الإعرابية وفرع داخل الكلام يعتمد على خرق النسق العام[3]، لتحقيق اللغة في الأدب وخارج الأدب.

تعددت مصطلحات العدول[4] ومن أسبابه "تحطيم اللغة العادية وخلق لغة سامية شعرية"[5] ويأخذ القارئ مما سبق أن العدول مهتم بالحديث ومنحاز إليه، ومتعلق به.

لا بد أن يحمل العدول بين طيّاته ما يميّز الكلام عن الكلام العادي والمألوف:" وذلك أن المخالفة وحدها غير كافية لتوليد الشاعرية، ولابدّ إذن من أن تكون وراء المخالفة قيم فنية وجمالية إذ ليس بالضرورة أن تكون المخالفة حبّا للتميز أو تفرّد فحسب والغالب أن يكون وراءها غاية فنية تعبّر عن شيء في النفس "[6].

---

(١) لسان العرب: عدل.

(٢) البلاغة والأسلوبية.د.محمد عبد المطلب: ١٠٣-١٠٤.

(٣) راجع: المرجع السابق: ٢٦٨.

(٤) انظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. د. عبدالله صولة: ٢٥٠. دار الفارابي. ط٢. بيروت. لبنان ٢٠٠٧م. والانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية. د. أحمد محمد ويس: ٢٩ وما بعدها. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.ط١. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م. بيروت. الانزياح الشعري عند المتنبي، قراءة في التراث النقدي عند العرب. د. أحمد الخطيب: ٣٠ وما بعدها. دار الحوار. ط١. ٢٠٠٩م. اللاذقية. سورية.

(٥) في سيمياء الشعر القديم:د. محمد مفتاح: ٥٠-٥١. دار الثقافة الجديدة. الدار البيضاء. ١٩٨٢م. دط.

(٦) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١٢٥.

المصطلحات المستعملة بديلا عن العدول:

اختلف دارسو الأسلوبية في استعمال هذا المفهوم وقد استعرض د. أحمد محمد ويس ذلك في كتابه (الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية) كثيرا من المصطلحات وحلّلها وبيّن مصادرها واختار مصطلح الانزياح دون مسوغ موضوعي مقنع، ومن تلك المصطلحات:

١. الانحراف[١].

٢. الكسر (كسر المألوف، كسر البناء،التكسير، انكسار النمط)[٢].

٣. الانتهاك[٣].

٤. الخرق[٤].

٥. الغرابة (التغريب. الغريب. الإغراب)[٥].

وأنا أوثر العدول لأنه أولا مصطلح تراثي بنفس المعنى وأكثر دلالة على المعنى الأسلوبي لأن العدول (من جملة معانيه الخروج من شيء إلى شيء) وفيه معنى عقلي، عدل عن الشيء عدلا، أما المصطلحات الأخرى فليس فيها الخروج العقلي الدال على الخروج عن القاعدة إلى نسق آخر.

كيف يُدرَك العدول:

من الوسائل المعينة على إدراك العدول في النص النظرة الكلية الشاملة إلى النص، فمن شأنها أن تكشف عن ظواهر غير عادية من مثل توزيع بعض العناصر الأسلوبية توزيعا يختلف عن المعدل العادي لتوزيع الأصوات في اللغة مما يلفت النظر إليه وإلى دلالته.[٦] مثل أن يتكرّر الصفير في جزء وينعدم في آخر.يخرق الأسلوب العادي في استعمال الأصوات.

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٣٤ – ٤٤.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٥٩ – ٦٠.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٦٠ – ٦٢.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٦٢ – ٦٣.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٦٣ – ٦٤.

(٦) انظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: ١٩٩.

ويمكن أن تبدأ خطوات التحليل الأسلوبي بـ"مراقبة مثل هذه الانحرافات كتكرار صوت أو قلب نظام الكلمات أو بناء تسلسلات متشابكة من الجمل، وكل ذلك مما يخدم وظيفة جمالية كالتأكيد أو الوضوح أو عكس ذلك كالغموض أو الطمس المبرّر جماليا للفروق"[1].

من فوائده:

يؤدي إلى خرق ذلك المأنوس وكسر حاجز الألفة والتتابع اليومي، ورجّ وعي المتقبّل بما لم يألفه في رصيده الثقافي[2].

ولا يخفى أثر الجمال وعمقه في قلب المعايير بما يعزّز شحنة التخييل [3]. وهو بمنزلة منبّهات فنيّة يعمد إليها المبدع ليخلق صورة فنيّة متميّزة [4]. وفيه" إيقاظ للسامع وتطرية له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر لأن السامع ربما مل من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر تنشيطا له في الاستماع واستمالة له في الإصغاء"[5].

و"لا يعدّ كل انحراف أسلوبا، إذ لا بدّ أن يصاحبه وظيفة جمالية وتعبيريّة"[6] أو إقناعية أو نحوها من وظائف الكلام المتسم بمميزات أسلوبية مخصوصة.

العدول نوعان:

كمي كالتكرار(الحرف أو للفظ أو لجملة ونحوها) وبها يخرج الأديب عن المألوف والمعهود من الكلام إلى استعمال مكثّف لسمة ما.

---

(١) نظرية الأدب. رينيه ولك، أوستن وارين:٢٣١-٢٣٢.ترجمة محيي الدين صبحي ومراجعة د. حسام الخطيب. مطبعة خالد الطرابيشي .ط١٣٩٢،١هـ ١٩٧٢م. وراجع الظفيرة واللهب. إبراهيم خليل:٦٠ وما بعدها. ط١. أمانة عمان الكبرى. عمّان.

(٢) انظر: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي مقاربة أسلوبية في جمالية القبح. د. عامر الحلواني:٧٧. كلية الآداب والعلوم الإنسانية.ط١. ٢٠٠٢م. صفاقس.

(٣) انظر: المرجع السابق:٧٨.

(٤) انظر:البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ٢٧١-٢٧٢.

(٥) المرجع السابق: ٢٧٩.

(٦) الأسلوبية والصوفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج. أماني سليمان داود: ٢٩. مجدلاوي. ط١. ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م. عمان. الأردن.

ونوعي: يتصل بالخروج عن قاعدة لغوية إلى استعمال فردي خاص[1].

ويعمد الأديب إلى العدول النوعي لكي يكون له أسلوب داخل الأسلوب العام، وليكسر ما يهدّد الجنس الأدبي من مظاهر التشبّع الأسلوبي، وبه يتحقق مظهر مهم من مظاهر الأدبيّة في النص.

مجالات العدول: في مختلف أجزاء الكلام بدءا بالحرف. استعمال حرف جر مكان آخر، مرورا بالكلمة اسما أو حرفا ووصولا إلى التراكيب النحوية وإلى المجاز وغيره[2]، وهذا يدل على المخزون الدلالي لطرائق الأداء الأسلوبي والقدرة الكامنة لمستوياته التي تعجز عنها البنى اللفظية المألوفة[3].

هل توجد قاعدة يعدل الأديب عنها؟

ما الذي يقنعني أن الأديب عدل عن أمر راسخ في اللغة؟

هناك من يرى استحالة تحليل مفهوم العدول عن قرب، وهذا يكشف أنه مفهوم إشكالي، هناك صعوبة بل استحالة في تحديد قاعدة حيادية غير مرسومة[4].

إن العدول عن اللغة يبقى محل نظر لأن التعبير في اللغة اليومية مضبوط بقواعد وقوانين غير القواعد الفصيحة، فعندما تقول، إن هذا الشاعر عدل عن اللغة العادية، فما الدليل على أن اللغة العادية كانت القاعدة، لا ندري، لكن العدول ليس له قيمة إلا داخل الأدب، من صيغة أدبية لصيغة أدبية أخرى، فمثلا العدول من التشبيه العادي إلى التشبيه المقلوب، فلدينا في الأدب مثال عدل عنه، أما في اللغة فلا يمكن أن نتثبت في العدول فهي شيء مشاع ومتحول ومتغير فلا يمكن لنا أن نتثبت. ولذا فالعدول داخل اللغة لا معيار له قبل أن تتطور اللسانيات التداولية التي أثبتت أن اللغة نفسها عدول.

---

(1) انظر: الحجاج في القرآن: ٢٥٣ وما بعدها، ٣٨٧ وما بعدها، ٤٢٣ وما بعدها، والعدول، أسلوب تراثي في نقد الشعر، السعدني: ٨٤، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م، وراجع: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث: ١٦٤-١٦٥، وهو يرى للعدول ثلاثة أشكال هي:

١. الانحراف الكمي بتكرار حدوث الظاهرة.

٢. الانحراف النوعي من خلال الخروج عن قواعد اللغة.

٣. الانحراف عن نموذج موجود في النص.

والصواب أن رقم (٢، ٣) المذكورين آنفا داخلان في العدول النوعي، فيكون العدول نوعين كما ذكرت.

(2) انظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ٢٧٠-٢٨٨.

(3) راجع: جمالية العدول في التراث البلاغي، خيرة حمرة العين: ٢١٦، مجلة جذور، رجب، ١٤٢٤هـ، سبتمبر ٢٠٠٣م.

(4) للاستزادة: انظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو وجان ماري سشفاير، ترجمة د. منذر عياشي: ١٧١، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٧م الدار البيضاء، المغرب.

إن قَيْسَ العدول في حد ذاتها قضية خلافية منذ ريفاتير في كتابه محاولة في الأسلوبية البنيوية.

ما الذي يجعل القارئ لنص يصنف هذه الظاهرة على أنها عدول ؟

بالنسبة لجون كوهين الجواب واضح لأنه يقابل اللغة الأدبية بالغة العلمية يقول: كل ما من شأنه أن يخرج الكلام من اللغة العلمية فهو عدول ويقسم الكلام ثلاث مراتب:

١. الكلام العلمي (العادي)

٢. الكلام الأدبي أو الشعري القديم البياني.

٣. الشعر الحديث.

فالقضية خلافية.

ريفاتير يجيب عن السؤال قائلا كل عصر أدبي أو كل سياق أدبي يصنع القواعد يعرفها القارئ بحكم انتمائه إلى ذلك الفضاء الأدبي نسميه معاني المدح أو استعمال البديع أو..

فكل عصر أدبي يصنع مجموعة من القواعد يعرفها القارئ فالعدول ليس عدولا في المطلق.

بل عدول عن القواعد الأدبية الموجودة في ثقافة القارئ فالعدول هو ردّ فعل القارئ، استجابة القارئ، فعندما تقرأ نصا ينبغي لك أن تكون متشبعا بالثقافة التي ينتمي إليها النص وأنت حينئذ ستحس بالعدول لأنك تجد ما يصدمك داخل النص فأنت تقيسه بالنسبة لما تعرف. العدول بالنسبة للقارئ وليس بالنسبة للشاعر فالقارئ حين قرأ الصورة له في ذهنه سجل من الصور عليها هي بنيت قولك أن فيه عدولا[1].

الاختيار (الجدولية):

يجب أن تكون لغة النص الأدبي مميزة، وهذا التميز يبين للقارئ أن الأديب قد اختار من المعجم اللغوي الضخم مجموعة من الكلمات ليستطيع تبليغ الأثر المرجو منها، فلغة النص الأدبي لغة منتقاة، فنظام اللغة يقدم للمبدع إمكانات هائلة [2]. فالنص الأدبي يتكوّن عن طريق سلسلة من الاختيارات داخل الجمل.

---

(١) للاستزادة: انظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١٢٩–١٥١.

(٢) انظر: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق يوسف أبو العدوس: ١٦٧، دار المسيرة، ط١، عمان، ١٤٢٧هـ.

ومن الركائز المهمة التي تقوم عليها الدراسة الأسلوبية الاختيار، فالمحلّل الأسلوبي يعلل اختيار الأديب تعبيرا مكان آخر[1] أو تعويضه بعنصر آخر. فالمبدع يستبدل من بين مجموعة من الألفاظ المترادفة في الرصيد المعجمي[2]. ويتم ذلك "على أساس التعادل أو التشابه أو الاختلاف أي: على أساس الترادف أو التخالف"[3]

يمارس المبدع استبدال لفظ مكان لفظ آخر في مكان محدّد من الكلام، وتقع عملية الاستبدال ضمن محور الاختيار[4]. والأسلوب على ما سبق تقريره هو "اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية بعينها من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة"[5]

فعنصر الاختيار هو الذي يحدد ما يصلح وما لا يصلح من التعبيرات أو التراكيب، ليصل إلى نوع معين من التأثير في المتلقي[6].

يدخل الاختيار في مجال المعجم ضمن محور العلاقات الرأسية (محور الاختيار)[7] وهذه العلاقات هي مجال الاختيار أمام المبدع من بين أحد البدائل المتاحة حيث يختار كلمة بدلا من أخرى لأن هذه الكلمة تلائم التنظيم الذي يدور فيه الكلام [8].

وما سبق يسمّيه ديسوسير العلاقات الإيحائية، وبعض اللغويين يسمونه العلاقات الاستبدالية[9].

---

(1) انظر: البحث الأسلوبي معاصرة وتراث. د. رجاء عيد: ١١٥. منشأة المعارف. الإسكندرية. مطبعة أطلس القاهرة. ١٩٩٣م.

(2) انظر: شعر أبي ذؤيب الهذلي. دراسة بلاغية أسلوبية. محمد اللويمي: ٤٤. رسالة ماجستير مخطوطة مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٢٣-١٤٢٤هـ.

(3) علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة. د. صلاح فضل: ٥٦. مجلة فصول. مج ٥. ع١. أكتوبر. نوفمبر. ديسمبر. ١٩٨٤م.

(4) انظر: الأسلوبية والأسلوب: ١٣٤، ١٣٥. وانظر: لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. محمد خطابي: ١٩. المركز الثقافي العربي. ط٢. ٢٠٠٦م. الدار البيضاء. المغرب. وشعر أبي ذؤيب الهذلي: ٤٤.

(5) في النص الأدبي. دراسات أسلوبية إحصائية. د. سعد مصلوح: ٢٥. دار عالم الكتب. القاهرة. ط٣. ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

(6) المعجم الأدبي. جبور عبد النور: ٢٠ وما بعدها. دار العلم للملايين. بيروت. ط٢. ١٩٨٤م

(7) دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث. د. أحمد درويش. دار غريب. ٤٧. القاهرة. ١٩٩٨م.

(8) انظر: البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ٣٠٥.

(9) انظر: نظرية البنائية في النقد العربي. صلاح فضل: ٣٥. ٣٦. ط٢. ١٩٨٠م القاهرة.

فإذا أخذنا أي كلمة من أي سلسلة سياقية لوجدنا أنها تثير كلمات أخرى بالتداعي والإيحاء خارجة عن القول ولكنها تشترك معها في علاقة ما بالذاكرة ومن هنا تتكون مجموعة من الكلمات تقوم بينها علاقات متعددة [١].

مفردات الاختيار "مقرها الذهن حيث تمثّل جزءا من الكنز الداخلي الذي تتكوّن منه لغة أي فرد"[٢].

وتجب العناية باختيار العنصر الذي يسدّ الثغرة في النص[٣] فذاك يمكّن الأسلوب في النص.

ويوفر للنص التماسك والتناسق والترابط[٤]. فيكون اللفظ المختار أكثر تعبيرا عن تجربة الأديب وموقفه ورؤيته[٥]. مما يدل على أن الأديب انتخب بطريقة واعية الكلمة الأكثر تعبيرا عن تجربته.

والاختيار متصل بالتلقي فلكل مقام مقال، فمخاطبة العامة غير مخاطبة الخاصة.

وهو عملية أساسية في بناء الأسلوب سواء أكان ذلك على مستوى اللفظ أم الجملة أم البناء الكلي للنص [٦].

وهو عنصر محوري وجوهري في عملية الإبداع [٧]. ومما يدل على أهميته أن البلاغة عرّفت أنها تخيّر اللفظ في حسن إفهام[٨] ويقول أبو هلال العسكري:" وقال بعضهم: خير الشعر الحولي المنقح، وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزُها. وكان أبو نواس يعمل القصيدة ويتركها ليلةً، ثم ينظر فيها فيلقى أكثرها ويقتصر على العيون منها، فلهذا قصر أكثر قصائده. وكان البحتري يلقى من كل

---

(١) انظر: المرجع السابق ٣٥، ٣٦، بتصرف يسير.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٣٥، ٣٦.

(٣) انظر: لسانيات النص: ٢٠.

(٤) انظر: الأسلوبية. الرؤية والتطبيق: ١٦٤.

(٥) انظر: المرجع السابق: ١٦٣.

(٦) انظر المرجع السابق: ١٦٢.

(٧) انظر المرجع السابق: ١٦٢.

(٨) كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري. تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٤١. المكتبة العصرية. ١٤١٩هـ صيدا. بيروت.

قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذبا.وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل، وكان يرضى بأوّل خاطر فنعى عليه عيب كثير.وتخيّر الألفاظ، وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام، وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظما من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب إليه، وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه، وأحقّ بالمقام والحال كان جامعاً للحسن، بارعاً في الفضل، وإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره، وأوّله يكشف قناع آخره، كان قد جمع نهاية الحسن، وبلغ أعلى مراتب التمام."[1].

ومما سبق يبين أن الاختيار يشكل عنصرا أسلوبيا بارزا في الإبداع اللغوي والأدبي، وهي عنصر يمكن فحصه والتأكد من أهميته من خلال إبدال كلمة بأخرى.

تزاحم الكلمة غيرها من الكلمات اللائي هن من جدولها المعجمي، تنشأ بين الألفاظ منافسة وتدب في صفوفهن حركة من أجل أن تظفر إحداهن بمكان لها في الملفوظ عوضا عن سائر الكلمات الأخرى، ويساعدها على الاستعمال أن المقام يقتضيها أكثر من غيرها[2].

النسقية (محور التأليف):

إذا كان محور (الاختيار) يمثل محورا للعلاقات الرأسية فإن النسقية (محور التأليف) تمثل محورا للعلاقات الأفقية.

إن احتيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تركيبه لها تركيبا تقتضي بعضه قوانين النحو،وتسمح ببعضه الآخر سُبُل التصرّف عند الاستعمال أي:عرضه مبدأ التعادل في محور الاختيار على محور التركيب وبه تتحدّد أدبية النص أو وظيفته الشعرية[3].

إن محور (التأليف) الذي يتضمّن تعالق الكلمات والجمل في سياق الكلام كظواهر العطف والوصل والإضافة.... وتقوم بين الأدوات اللغوية التي تقع ضمن هذا المحور (علاقات ركنية) لأنها تخضع لقانون التجاور[4]، وتقوم هذه العلاقات الأخيرة على رصف

---

(١) انظر:الأسلوبية. الرؤية والتطبيق:١٦٢.

(٢) انظر:الحجاج في القرآن الكريم:١٦٩.

(٣) انظر: شعر أبي ذؤيب الهذلي:٧٢.

(٤) انظر:النقد والحداثة. عبد السلام مسدي: ٥٢. دار الطليعة.ط١. بيروت. ١٩٨٣م.

هذه الأدوات وتركيبها حسب قوانين النحو ومجالات التصرّف[1]، ويتعامد المحوران ليتشكّل منهما الكلام وقد عرّف جاكبسون الأسلوب بكونه:"إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع"[2]

فتأليف النص الإبداعي خاصة يلزم الأديب أن يتحرّى تأليفا جديدا في تركيب الجمل، من خلال إبداع تراكيب غير معتادة، وهذا أمر مهم جدا لأن النص الأدبي قائم على صدم القارئ جماليا بالشيء الجديد الذي يقدمه له، ولذا يقول جون إنه:"لا يتحقق الشعر إلا بقدر تأمل اللغة وإعادة خلقها مع كل خطوة. وهذا يفترض تكسير الهياكل الثابتة للغة وقواعد النحو"[3].

ويقول عبد القاهر الجرجاني:"الكلام لا يستقيم ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص، ومما سبق يبين أنه يمكن تعريف الأسلوب بأنه" تطابق لجدول الاختيار على جدول التأليف"[4].

* * *

---

(١) انظر: الأسلوبية والأسلوب: ١٣٥، ١٣٦.

(٢) المرجع السابق: ١٣٧.

(٣) بنية اللغة الشعرية. جون كوهن. ترجمة محمد الولي. ومحمد العمري:١٧٦.دار توبقال للنشر. ط١. ١٩٨٦م.

(٤) الأسلوبية والأسلوب:٩٢.

الفصل الثاني:

القسم التطبيقي:

البناء العام للقصيدة[1]:

سبقني إلى الاهتمام بهذا النص د. محمود رزق سليم إلى أهمية النص، ونبّه إلى مواضع من نفاسته[2]، ولكنه لم يهتم به من زاوية فنّية أسلوبية.

بنى ابن مكانس قصيدته على منوال همزيات سابقة تشبه همزيته، وأفاد من معجمها، فقد سار على منوال قصيدة الحسين بن الضحاك التي مطلعها:

بــدّلت مــن نفحــات الــورد بــالاء ومــن صــبوحك درّ الإبــل والــشاء[3]

وتوجد قصيدة أخرى عارضت همزية الحسين بن الضحاك هي لابن المعتز، وأفاد منها ابن مكانس، ومطلعها:

أمكنــت عــاذلتي مــن صــمت أبّــاء مــا زاده النهــي شــيئا غيــر إغــراء[4]

ومن العجيب ما ورد في إحدى نسخ ديوان ابن مكانس أن ناسخها كتب عن ابن مكانس أنه قال قصيدته: "يصف شجرة سرح بشاطئ النيل المبارك بالروضة، وهي قصيدة بديعة،ومشهورة، كلها غرر ودرر،**نسجها على منوال أبي الطيب المتنبي**"[5].

ولم يبن لي مراده بـ" نسجها على منوال أبي الطيب المتنبي "فإن كان مراد الناسخ أن ابن مكانس يعارض المتنبي فقد أخطأ؛إذ ليس لأبي الطيب قصيدة همزية على بحر

---

(١) قبل البدء في تحليل النص يجب أن أعرض تعريفا موجزا بالشاعر فهو عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطي،فخر الدين، أبو الفرج، وزير دمشق، ولي منصب ناظر الدولة بمصر، أديب فاضل شاعر فصيح بليغ، أحد فحول الشعراء، لا يعرف في أبناء جنسه الأقباط من يقاربه أو يدانيه، شعره في غاية الرقة، مات في ذي الحجة سنة (٧٩٤هـ).انظر:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي:١٣١/١٢، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، وانظر:حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر:٤٣/١ د، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٢) مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم، مجلة الرسالة والرواية، العدد ٧٨٤: ٧٧٩-٧٨٢.

(٣) ديوان الحسين بن الضحاك، تحقيق د. جليل العطية،٣١، منشورات الجمل،ط١، ٢٠٠٥م، كولونيا، ألمانيا.

(٤) شعر ابن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي، دراسة وتحقيق يونس السامرائي: ٢/ ٥، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م الجمهورية العراقية،وزعم محمد عزام أن القصيدتين معارضة لهمزية أبي نواس التي مطلعها:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي:١٤٦، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١م.

وكلامه ليس على إطلاقه، إذ بين النصوص اختلاف في حركة حرف الروي.

(٥) ديوان فخر الدين بن مكانس:ق ١/.

البسيط، والصواب أنه بناها على منوال الحسين بن الضحاك وابن المعتز، وفي قصيدته نقل لبعض الأبيات من النصين ولتراكيب عديدة منهما، وإن كان مراده الأسلوب الشعري عامة فكلامه يظل غامضا.

ويبين مما سبق أن موسيقا الإطار قديمة، وليست من ابتداع ابن مكانس، ولا غرابة في أن يكون ابن مكانس معارضا فقد كثرت المعارضات في الشعر المملوكي كثرة بيّنة[1].

تنهض القصيدة على ثلاثة أساليب خطاب كبرى هي:

١. الخطاب والحوار. يتمثل في النداء والمخاطبة، وفي الأفعال المسندة إلى مخاطب حاضر، وفي التلهف والتحسر، في الدعاء.

ويبرز في الأبيات التالية:

١ـ يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ المُنْسَابِ كَوثَرُهُ ... عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

٢ـ حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابُ إِذَا ... نَوْءُ الثُّرَيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ

٣ـ وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ ... سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ

٤ـ رُحْمَاكِ بِالوَارِفِ المَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ ... لَنَا بِظِلِّكِ مِنْ أَهْوَاً وَأَهْوَاءِ

٥ـ وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ (م) ـهَجِيرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْأَى لِحِرْبَاءِ

٦ـ نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ ... مِنَ الغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ

٧ـ يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ القَيْظِ عَالِمَةً ... أَنْتِ الشِّفَاءُ لَدَى الرَّمْضَا مِنَ الدَّاءِ

٨ـ لا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ ... عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الوَدْقِ سَوْدَاءِ

وهذه الأبيات تدل على حاضر الشاعر، فهو يتلفظ بهذا الكلام في الزمن الحاضر ثم يلتفت إلى الماضي فيكون لدينا سرد ووصف.

---

(١) راجع كتاب (تأهيل الغريب) للنواجي. وستجد فيه نصوصا كثيرة جدا قالها الشعراء المملوكيون معارضة لنصوص قديمة. فمنها مثلا: ٩٠٩، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، وغيرها كثير جدا.

٢ـ السرد: الجمل الفعلية التي ترسم ماضيها، وترسم ما في السرحة من عناصر كالطيور والزهور والمياه وغيرها.

ومنه قول ابن مكانس:

١٢ــ قَرِيْــرَةُ العَــيْنِ بِــالأَنْوَاءِ بَــارِدَةُ الْــ (م) ــقَلْبِ الــذِي لَـمْ تَنَلْـهُ غَيْـرُ سَــرَّاءِ

١٣ـ مَقِيْـلُ نَـدْمَانَ بَـلْ مَغْنَـى حَمَـائِمَ بَـلْ كِنَــاسُ آرَامَ بَــلْ أَفْنَــاءُ دَرْمَــاءِ

١٤ـ لَهَــا مَطَــارِفُ ظِـلٍّ سَجْـسَجٍ فَمَـصِيْـ (م) ـفُهَا يُعَــادِلُ فِيْـهِ طِيْـبَ مَـشْتَاءِ

١٥ـ قَدِيْمَــةُ العَهْــدِ هَزَّتْهَــا الــصَّبَا فَـصَبَتْ فَهْـيَ العَجُـوزُ تَهَـادَى هَـدْيَ مَرْهَـاءِ

١٦ـ لا يُـدْرِكُ الطَّـرْفُ أَقْـصَاهَا عَلَـى كَلَـلٍ حَتَّـى تَعُــوْدَ لَـهُ لَحْظَـاتُ حَــوْلاءِ

١٧ــ وَصَــوْتُ بُلْبُلِهَــا الرَّاقِــي ذُرَى غُــصُنٍ فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ

١٨ـ كَقَــرْعِ نَــاقُوْسِ دَيْـرِيٍّ عَلَـى شَـرَفٍ مُــسَبِّحٍ فِــي سَــوَادِ اللَّيْــلِ دَعَّــاءِ

٣ـ الوصف: يلتفت الشاعر هنا إلى الماضي فيكون كلامه سردا ووصفا ويغدو الشاعر كأنه في حلم اليقظة فهو يصف ويسرد أحوال السرحة في الماضي.

ومنه:

١١ـ فَاسْـتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْـضَلَّ وَافْتَرَشَـتْ زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشاً عَلَى المَاءِ

ومنه أيضا:

١٦ـ لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلٍ حَتَّــى تَعُــوْدَ لَــهُ لَحْظَــاتُ حَــوْلاءِ

وأيضا:

٢٠ـ تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا عَلَــى الهَــوَاءِ وَأَحْنَتْهَــا عَلَــى المَــاءِ

وأيضا:

٢٢ــ وَقَـامَ عَنْهَـا لِـسَانُ الزَّهْـرِ يُنْـشِدُنَا لِلَهْــوِكَمْ أَرَجٌ مَــا بَــيْنَ أَرْجَــائِي

٢٣ـ كَمْ صَفَّقَ المَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَباً　　فَنَقَّطَتْهُ بِبَيْضَاءٍ وَصَفْرَاءِ

يتناظر الأسلوبان(الوصف والسرد) فالشاعر يصف ويسرد في الماضي.

إن البناء العام للنص الشعري اختيار من اختيارات الشاعر، فليس بناؤه بناء نهائيا، فيمكن لابن مكانس مثلا في هذا النص الذي أدرسه أن يغيّر ترتيب الأبيات، فلا يوجد ما يلزمه بالبدء البيت الأول، الموجود أمامنا.

١ـ يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ المُنْسَابِ　　عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

إن الشاعر ليس مجبرا على أن يكون وصف النهر في هذا المكان من القصيدة، فيمكنه أن يقدم وأن يؤخر، يمكنه البدء بالبيت الخامس، العاشر، وهكذا... فمفهوم الوحدة العضوية في القصيدة كما يقرره نوري القيسي ليس معناه أن الشاعر ملزم بأن يرتب الأبيات بيتا بيتا، وليس معناها أن الأبيات ليست مستقلة استقلالا تاما[١]، فمثلا البيت:

٢١. بَدِيْعَةُ الحُسْنِ قَدْ فَازَ الجِنَاسُ لَهَا　　مِنَ المَعَانِي بِأَفْنَانٍ وَأَفْنَاءِ

يمكن أن يستقل بنفسه دون أن تتأثر القصيدة، ولا يتأثر المعنى، أو النظام، ويمكن أن نضعه في مكان آخر، فالوحدة العضوية لا تعني أن الأبيات مشدودة إلى بعضها البعض شدّا نحويا، صرفيا، تركيبيا، سرديا[٢]. بل يعني أن للشاعر قدرة على التقدّم في القصيدة في منطق تدرّجي، فالشاعر اختار خطّة قول لكي يرسم السرحة في مختلف مظاهرها، المظهر المائي، مظهر الظل، الأزهار، السفينة، مجلس الخمرة، أي أن يكون بين أجزاء القصيدة نظام /منطق تخضع له القصيدة، يأخذ فيها كل بيت بأخيه، لكن يمكن للأبيات أن تستقل من الداخل وأن تنقل من مكان لآخر، ويمكن أن تستقل في مقاطع على الأقل مثل البيتين(١٧-١٨) فهذه وحدة مستقلة، و(٢٦-٢٧-٢٨-٢٩) لا محالة كل بيت بلاغيا مستقل لكن نوعيا الأبيات تمثل وحدة، فالشاعر حين قال البيت الأول تداعى به البيت الثاني و البيت الثاني تداعى به البيت الثالث والبيت الثالث تداعى به الرابع.

---

(١) انظر:دراسات في الشعر الجاهلي. نوري القيسي: ١٩٧٢، ٤٥م. دمشق.

(٢) والوحدة العضوية مفهوم لا ينطبق دائما على الشعر لأنه مأخوذ من مجال علوم الأحياء.

ولك أن تمثل الأبيات الأربعة بهذه الطريقة:

٢٦	كأنها	١
٢٧	كأن	٢
٢٨	كأن	٢
٢٩	كأنها	١

وهي أبيات تمثل انتقالا من العام إلى الخاص:

٢٦. كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ   حُسناً وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَّاءِ

هذا البيت عام، ثم دخل الشاعر وخصص فقال:

٢٧. كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا   هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

ثم أمعن في التخصيص فقال:

٢٨. كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا (م)   دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

ثم عاد إلى العام فقال:

٢٩ـ كَأَنَّهَا فَوْقَ دِعْصِ المَوْجِ إِذْ   هِضَابُهُ سَفْحُ وَادٍ رَبُّ أَفْيَاءِ

ولك تمثيل الأبيات السابقة هكذا:

٢٦	عام.
٢٧	خاص.
٢٨	خاص.
٢٩	عام.

إذن فالوحدة العضوية في الآن نفسه تشابك مخطّط، مصمم من لدن الشاعر، ولكن في الوقت نفسه فللشاعر حريّة التصرف في الوحدات الداخلية للقصيدة، ولذلك فكل بناء هو اختيار وليس اضطرارا، فليس الشاعر مضطرا للاختيار.

ما سبق قيل لكي يبين أن لكل اختيار مسوغاته وغاياته في بناء القصيدة، فالقصيدة يمكن أن نفهم بناءها في ضوء فهمنا للاختيار، لماذا اختار الشاعر أن يرتب قصيدته بهذا النحو؟

ماذا نلاحظ على القصيدة ؟

١. تنزع القصيدة لأن تكون مطوّلة (٦١) بيتا، ليست مطوّلة، ولكنها تنزع لأن تكون. لماذا ؟

ارتبطت المطولات عادة بالشعر الاحتفالي، المراسمي مثل المدح والرثاء، الشعر الملحمي، شعر الفتوح، ونحوها.

لم نعتد في تقاليد الشعر العربي أن يكون وصف الطبيعة مطوّلا، فالعادة أن يكون في مقطوعات، أو أجزاء من قصائد.

قصيدة ابن مكانس تنزع لأن تكون مطولة في غرض واحد هو (وصف السرحة). لماذا ؟

لأن الشاعر ينزع فيها إلى أن يجعل داخل وصف الطبيعة أغراضا متعددة، ففي القصيدة أغراض متعددة.

الغرض ليس معنى فقط، ليس مضمونا فقط، بل الغرض هو البنية التي تحمل المضمون، فالشاعر حينما يصمّم القصيدة في ذهنه قبل قولها، أو القصيدة وهي تتمخض، تتخلق في ذهن الشاعر، فالشاعر هنا ينطلق من بنية أغراضية، من أنه سيصف، سيخاطب السرحة، سيصفها وصفا عاما، سيتحدث عن نزوله بها، سيصف الروض، سيصف الأصوات، سيصف الماء، الموج الأنهار، سيصف......

إن الشيء الذي يتبادر إلى مسوّدة الشاعر الشعرية، الشيء الذي يتبادر إليه في البداية هو الذي سيحمل بنية القصيدة،وهذا أمر يسمّيه جون كوهين (خطاطة القصيدة)[1]ومراده بـ (خطاطة القصيدة) الوعاء المعنوي، وعاء قائم على منازع معنوية هي التي ترفع البناء العام للقصيدة، وهي كالقالب الفارغ، هي بالنسبة للباس كالهيكل الذي يفصّل عليه الخيّاط اللباس، فهو حين يريد أن يبتكر لباسا، أو يصنع ثوبا يصنع له طرازا

---

(١) انظر: بنية اللغة الشعرية. جون كوهين.ترجمة محمد الولي ومحمد العمري: ٤٦. دار توبقال..ط١. ١٩٨٦م. الدار البيضاء.

يعدّله بحسب ذوقه، وبحسب الحاجة وبحسب ذوق الناس حتى يستوي ذلك الطراز على النحو الذي يريده، الشاعر كذلك في القصيدة، فالقصيدة لها طراز بنيوي، وهذا الطراز البنيوي فيه مدخل القصيدة (كيف يدخل الشاعر إلى القصيدة؟).

المدخل ليس بالضرورة البيت الأول الذي هبّ بخاطر الشاعر، فلسنا نعلم بالضبط من أي بيت بدأ الشاعر، فالذي نراه هو النظام النهائي الذي وصل إلينا، فقول ابن مكانس:

١. يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ المُنْسَابِ كَوْثَرُهُ   عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

ليس بالضرورة أن يكون أول بيت نظمه[1].

وهنا سؤال، لماذا وضع ابن مكانس البيت السابق في مطلع القصيدة؟

إن النداء الذي يستهل به الشاعر القصيدة يعدّ عنصر عقد صلة بالغرض، ويتميز البيت السابق بأنه وصف عام، وصف طائري، كأن الشاعر على طائرة، فقد بدأ من خارج القصيدة، ثم عرّف السرحة بـ (الشاطئ) عن طريق التعريف بالإضافة، وأمعن في التعريف فعرّف (الشاطئ) بأنه (المنساب كوثره) فوصف (الشاطئ) بالنعت السببي، والنعت من المعارف.

لقد أحدث النداء تباعدا بين المتكلم والمخاطب دالا على الشوق، كما أضفى على النص طابع الشفوية.

(يا سرحة....)= (بينها وبين الشاعر تباعد).

فهنا:متكلم حاضر

مخاطب غائب

---

(١) مما له صلة بما أتحدث عنه ما رآه الشيخ محمود شاكر في كتابه المتنبي حين قال عن قصيدة المتنبي في رثاء خولة أخت سيف الدولة "والرأي عندنا أن هذين البيتين (وهما)

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر   فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

حتى إذا لم يدع لي صدقه أملا   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

هما أول ما قاله أبو الطيب من القصيدة حين بلغه خبر موت خولة وهو بالكوفة، ففزع قلبه واضطرب أمره، وانتشرت عليه عواطفه...".

المتنبي.محمود شاكر:٣٤٠.نشر مطبعة المدني.المؤسسة السعودية بمصر. القاهرة. دار المدني. جدة.١٤٠٧هـ١٩٨٧م. د.ط.وساق المؤلف في الحاشية صفحات رأى فيها أن الشاعر لم يبدأ النص بالبيت الذي وضعه فيما بعد أولا.

لماذا نادى الشاعر السرحة؟

لأن بينهما تباعدا.

سعى الشاعر إلى تعريف (السرحة) بشاطئها وعرّف الشاطئ بكوثره، والنتيجة أن الشاعر عرّف السرحة بـ (كوثره) لماذا ؟

لأن أصل الحياة في هذه السرحة هو الماء، فالشاعر دخل إلى القصيدة من العنصر الذي يمثّل جوهر القصيدة، ولذلك سترى أن العنصر الغالب على القصيدة هو عنصر الماء[1].

تدور القصيدة حول الماء فأكثر العناصر التي صوّرها الشاعر إما أنها من أصل الماء مثل: (الكوثر، نوء،،نيل، الموج،،النهر، القطر، نهر الأبلة، عين، الندى) أو من معنى قريب من الماء، أو مجاور له، مثل (الغمام، الغيم، هتون الودق).

هذا الأمر فيما يتصل بمدخل القصيدة، فالشاعر لم يصف الشيء بذاته بل وصفه بمصدر حياته.

وتوجد علاقة قوية جدا بين حشو البيت الأول والقصيدة برمّتها، فقول الشاعر (سرحة الشاطئ) يمثل عاملا رئيسا في الإعلان عن الموصوف، ومدخلا أساسا لضبط علاقة الموصوف بالأبيات الواصفة[2]، "فلئن كان البيت الأول موسوما بميسم الجمع والتأليف فإن النشاط الوصفي قادر على التجزئة والتفصيل، وتلك وظيفة الأبيات التالية للمطلع"[3]، فقد أعلن الشاعر عن غرضه من البيت الأول.

وينتقل الشاعر إلى البيتين الثاني والثالث قائلا:

٢ـ حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابُ إِذَا   نَوْءُ الثُّرَيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ

٣ـ وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ   سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ

٤. رُحْمَاكِ بِالوَارِفِ المَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ   لَنَا بِظِلِّكِ مِنْ أَهْوَاً وَأَهْوَاءِ

هذه الأبيات تمثل وحدة أسلوبية سردية وتعبيرية وفيها وصف لأثر الماء في السرحة.

---

(١) انظر: الحديث عن معجم القصيدة في هذا البحث.

(٢) انظر: أسلوبية الوصف والحوار ٤٠.

(٣) المرجع السابق: ٤١.

لدينا وحدة أولى قبل أن يدخل الشاعر في الوصف، وهي وضع الإطار المكاني العام أو الإطار الجمالي العام لهذه السرحة، وهي السرحة التي سقاها الغيث.

يمكن أن تمثل الأبيات الأربعة الأولى وحدة أسلوبية معنوية متميزة وهي السرحة قبل ولوجها، قبل أن يدخلها الشاعر (سرحة سُقِيَت بالغمام).

ويصل الشاعر ما سبق بالبيتين الخامس والسادس قائلا:

٥- وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيْلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ (م) ـهَجِيْرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْآى لِحِرْبَاءِ

٦. نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ يَقِيْنَا كُلَّ ضَرَّاءِ

هذان البيتان يصلان ما سبق الذي هو الوصف العام بالوصف الخاص، أو يصفان ما قبل نزول الشاعر بالسرحة وما بعد نزوله بها، فابن مكانس يفعل كما يفعل ابن الرومي الذي يتخيّر أبيات الوصل بين الأبيات ليجعل منها مواقع استراتيجية تبشر بمشاهد وصفية منتظرة[1].وفي قول الشاعر:

٥. وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ (م) ـهَجِيْرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْآى لِحِرْبَاءِ

استعمال للتكثير للربط بين عناصر الوصف، ومهمته التمهيد للإقناع بأن الوصف وصف عارف بهذه السرحة، فهو لم ينزلها مرة أو مرّتين، ثم هو لا يتحدّث عن النزول، فالتكثير يفيد إجمال الخبر في الخطاب، فالشاعر لا يتحدث عن فعل بل عن حركة استمرّت في الزمن فأصبحت ظاهرة،فهو يقول مرة واحدة ما حدث مرات كثيرة، فالخطاب واحد والمضمون متعدد.

وفي البيت السادس:

٦. نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ يَقِيْنَا كُلَّ ضَرَّاءِ

يحوّل الشاعر الأحداث إلى أوصاف أحوال، فكأن الشاعر نفسه أصبح جزءا من جمال هذه الطبيعة، أو كأن جمال هذه الطبيعة يوصف لنا من خلال حركة الشاعر في هذه الطبيعة أو في هذه السرحة.

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٣٩.

فالبيتان يربطان بين المقدمة الأولى وهي السرحة التي سقاها الغيث فأينعت، وجاء الشاعر فأخذ يصفها، وبين الوصف الخاص.

إذن الأبيات السابقة ليست الوصف بل مقدمة للوصف وهذا التقديم الغاية منه جلب السامع إلى وصف هذه السرحة.

يقول بعد ذلك:

٧- يَـــا طَبَّـــةً بِـــدَوَاءِ القَـــيْظِ عَالِمَـــةً … أَنْتِ الشِّفَاءَ لَدَى الرَّمْضَا مِنَ الدَّاءِ

٨- لا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ … عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الوَدْقِ سَوْدَاءِ

٩- عِـصَابَةُ الشَّرْبِ أَمُّـوا رَوْضَ زَاهِـرَةٍ … تُعْـزَى لأَكْـرَمِ أَخْـوَالٍ وَآبَـاءِ

١٠- خَمَائِـلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِـعُهَا … ضَـرْعُ النَّمِيْـرَيْنِ مِـنْ نِيْـلٍ وَأَنْـوَاءِ

١١- فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْضَلَّ وَافْتَرَشَتْ … زَهْـرَ الرُّبَـا وَرَقَـتْ عَرْشَـاً عَلَـى المَاءِ

١٢- قَرِيْـرَةَ العَـيْنِ بِالأَنْوَاءِ بَـارِدَةَ الْـ (م) ـقَلْبِ الَّذِي لَمْ تَنَلْهُ غَيْرُ سَرَّاءِ

يعود الشاعر من جديد إلى نداء السرحة والدعاء لها، وفي الأبيات من(٩-١٢) تركيز من الشاعر على العشب وفي ذلك إشارة إلى خضرة دائمة.

الأمر الثاني من مميزات البناء العام:

٢. لازمة التكثير: وذلك في قول ابن مكانس:

٤- رَحْمَاكِ بِالوَارِفِ المَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ … لَنَـا بِظِلِّـكِ مِـنْ أَهْـوَاً وَأَهْـوَاءِ

٥- وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيْلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ (م) ـهَجِيْرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْآى لِحِرْبَاءِ

٢٣- كَمْ صَفَّقَ المَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَبَاً … فَنَقَّطَتْـهُ بِبَيْـضَاءٍ وَصَـفْرَاءِ

٢٤- وَكَمْ طَرِبْتُ لِمَا أَبْدَتْهُ مِنْ مُلَحٍ … يَصْبُو لَهَا كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَآرَاءِ

٣٦- وَكَمْ شَدَتْنَا حَمَامَاتُ الأَرَاكِ عَلَى … أَغْـصَانِهَا فَأَرَتْنَا رَقْـصَ هَيْفَـاءِ

٤٨- كَمْ قَدْ نَعِمْنَا بِهَا عَيْشَاً بِصَافِيَةٍ … شَمْطَاءَ تُجْلَى عَلَى الجُلاسِ عَذْرَاءِ

٥٠ـ حَمْـرَاءُ صِـرْفاً وَصَـفْرًا إِنْ مَزَجْـتَ لَهَـا   كَـمْ مِـنْ يَـدٍ فِـي سَـوَادِ اللَّيْـلِ بَيْـضَاءِ

٥٥ـ كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلُّ النَّسِيْمِ بِهَا   عَلَـــى اعْتِـــدَالٍ وَحَـــدْبَاءٍ وَزَوْرَاءِ

هـذه لازمـة أسـلوبية دالـة علـى أن منطـق التكثيـر، التفخـيم، الكـم، أداة مـن أدوات الإقناع بجمال الروضة وغيرها.

وهـذه لازمـة كبيـرة تتغيـر زوايـا النظـر إلـى هـذه الروضـة وتتغيـر المـشاهد ولكـن باستخدام الأداة نفسها.

٣. لازمة الصفة المشبهة في تركيب إضافي مسند إلى الروضة أو غيرها:

٨ـ لا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ   عَلَيْكِ كُلُّ هَتُوْنِ الوَدْقِ سَوْدَاءِ

١٢ــ قَرِيْــرَةُ العَــيْنِ بِــالأَنْوَاءِ بَــارِدَةُ الـْ (م)   ـقَلْبِ الـذِي لَـمْ تَنَلْـهُ غَيْـرُ سَـرَّاءِ

١٥ـ قَدِيْمَـةُ العَهْـدِ هَزَّتْهَـا الـصَّبَا فَـصَبَتْ   فَهْيَ العَجُوزُ تَهَادَى هَدْيَ مَرْهَاءِ

٢١ـ بَدِيْعَـةُ الحُـسْنِ قَـدْ فَـازَ الجِنَـاسُ لَهَـا   مِــنَ المَعَــانِي بِأَفْنَــانٍ وَأَفْنَــاءِ

٤٣ــ نُوْحِيَّــةُ الــصُّنْعِ وَالإِحْكَـامِ مُنْـشَأَةٌ   تَسِيْرُ مَا سُيِّرَتْ مِنْ غَيْرِ إِعْيَاءِ

٥٥ـ كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلُّ النَّسِيْمِ بِهَا   عَلَـى اعْتِـدَالٍ وَحَـدْبَاءٍ وَزَوْرَاءِ

٤. المراوحة بين الوصف والسرد:

أي بين الإطار وتوظيفه، أي الروضة بدون فعل ثم الروضة بفعل، مثل:

الروضة بدون فعل:

١٢ـ قَرِيْـرَةُ العَـيْنِ بِـالأَنْوَاءِ بَـارِدَةُ الـْ (م)   ـقَلْبِ الـذِي لَـمْ تَنَلْـهُ غَيْـرُ سَـرَّاءِ

والفعل يبين في قول الشاعر:

١٣. مَقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنَى حَمَائِمَ بَلْ   كِنَـــاسُ آرَامَ بَـــلْ أَفْنَـــاءُ دَرْمَـــاءِ

ومثل ما سبق (الروضة بدون فعل):

١٥. قَدِيْمَةُ العَهْدِ هَزَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَتْ   فَهْــيَ العَجُــوزُ تَهَــادَى هَــدْيَ مَرْهَــاءِ

والفعل يبين في قول الشاعر:

١٦ـ لا يُدرِكُ الطَّرْفُ أقْصَاهَا عَلَى كَلَلٍ   حَتَّـى تَعُـودَ لَـهُ لَحَظَـاتُ حَـوْلاءِ

وغير فعل الطبيعة فعل الخمرة وأثرها، كما في قول ابن مكانس:

٥٠ـ حَمْـرَاءُ صِـرْفاً وَصَفْرَا إنْ مَزَجْـتَ لَهَـا   كَمْ مِنْ يَدٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ

٥١ـ رَاحَـاً إذَا رَكَـعَ الإبْرِيْـقُ يَمْزُجُهَـا   سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيْحَ فَأفَاءِ

٥٢ـ أمِ الـسُّرُوْرِ الَتِـي أبْقَـى الزَّمَـانُ بِهَـا   جُـزْءَ الحَيَـاةِ وَقَـدْ ألْـوَى بِـأجْزَاءِ

٥٣ـ فَعَاطِنِيْهَـا عَلَـى طَـلِّ النَّـدَى سَـحَرَاً   فَـإنَّ تِرْشَـافَهَا مَـوْتِي وَإحْيَـائِي

فالأبيات الثلاثة الأولى تبني جانب الموصوف أما الأثر فيبين في الشطر الثاني من البيت الرابع.

ويتبع ما سبق: **السمة الأسلوبية في مستوى اختيار البنية الصرفية:**

. **أشاع الشاعر صيغة (فعلاء) في كثير من النص** ومنه: (حصباء، لمياء، حولاء، مرهاء، درماء، حمراء، صفراء، خضراء، دكناء، ورقاء، جرداء، سوداء، شمطاء، قوراء، حدباء).

١ـ يا سرحة الشاطئ المنساب كوثره   عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أشْكَالِ حَصْبَاءِ

٨ـ لا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ   عَلَيْكِ كُلُّ هَتُوْنِ الوَدْقِ سَوْدَاءِ

١٢ـ قَرِيْـرَةُ العَـيْنِ بِـالأنْوَاءِ بَـارِدَةُ الْـ (م)   ـقَلْبِ الذِي لَمْ تَنَلْهُ غَيْـرُ سَرَّاءِ

١٣ـ مَقِيْـلُ نَـدْمَانَ بَـلْ مَغْنَـى حَمَـائِمَ بَـلْ   كِنَـاسُ آرَامَ بَـلْ أفْنَـاءُ دَرْمَـاءِ

١٥ـ قَدِيْمَـةُ العَهْـدِ هَزَّتْهَـا الـصَّبَا فَـصَبَتْ   فَهْيَ العَجُوزُ تَهَادَى هَدْيَ مَرْهَاءِ

١٦ـ لا يُـدْرِكُ الطَّـرْفُ أقْـصَاهَا عَلَـى كَلَـلٍ   حَتَّـى تَعُـودَ لَـهُ لَحَظَـاتُ حَـوْلاءِ

١٧ـ وَصَـوْتُ بُلْبُلِهَـا الرَّاقِـي ذُرَى غُـصُنٍ   فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ

١٩ـ خَلِيَّـةٌ حِـيْنَ أحْنَيْـتُ الـضُّلُوْعَ عَلَـى   نَـارٍ بِـشَجْوِيْ بِهَـا لا حُـبَّ لَمْيَـاءِ

٢٣ـ كَمْ صَفَّقَ المَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَبَاً | فَنَقَّطَتْهُ بِبَيْضَاءٍ وَصَفْرَاءِ
٢٦ـ كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ | حُسْناً وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَّاءِ
٢٧ـ كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا | هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ
٢٨ـ كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) | دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ
٣١ـ كَأَنَّمَا النَّهْرُ مِرْآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ | عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلأْلاءِ
٣٤ـ كَأَنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ | أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيْلُ رَقْشَاءِ
٣٥ـ كَأَنَّهُ حِيْنَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا | رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الأَرْضِ شَهْلاءِ
٣٦ـ وَكَمْ شَدَتْنَا حَمَامَاتُ الأَرَاكِ عَلَى | أَغْصَانِهَا فَأَرَتْنَا رَقْصَ هَيْفَاءِ
٣٧ـ مِنْ كُلِّ وَرْقَاءَ فِي الأَفْنَانِ صَادِحَةٍ | بَيْنَ الحَدَائِقِ فِي فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ
٣٨ـ وُرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتٍ رَقَيْنَ عَلَى | عِيْدَانِهَا فَالُهُ فِي مَغْنَى وَغَنَّاءِ
٣٩ـ بَاكَرْتُهَا فِي سَرَاةٍ مِنْ أَصَاحِبِنَا | لا يَنْطَوُونَ عَلَى حِقْدٍ وَشَحْنَاءِ
٤٢ـ يَسْعَى إِلَيْهَا عَلَى جَرْدَاءَ جَارِيَةٍ | مِنْ أَيْكِهَا كَهِلالِ الأُفْقِ حَدْبَاءِ
٤٤ـ سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى المَاءِ المُصَنْدَلِ شَا (م) | مَةً عَلَى شَفَةٍ كَالشَّهْدِ لَعْسَاءِ
٤٥ـ سَاجِيَّةٌ أَلْبَسَتْهَا الصَّانِعُوْنَ لَهَا | مِنَ التَّدَابِيجِ مَا يُزْرِي بِصَنْعَاءِ
٤٦ـ غَرِيْبَةٌ ذَاتُ أَلْوَانٍ وَأَجْنِحَةٍ | لَمْ أَدْرِ تُعْزَى لِرَوْضٍ أَوْ لِعَنْقَاءِ
٤٨ـ كَمْ قَدْ نَعِمْنَا بِهَا عَيْشاً بِصَافِيَةٍ | شَمْطَاءَ تُجْلَى عَلَى الجُلاسِ
٤٩ـ مِمَّا تَخَيَّرَهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا | رَبُّ الخَوَرْنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوْفَاءِ
٥٠ـ حَمْرَاءَ صِرْفاً وَصَفْرَا إِنْ مَزَجْتَ لَهَا | كَمْ مِنْ يَدٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ

٥١ــ رَاحــاً إذَا رَكَــعَ الإبْرِيْــقُ يَمْزجُهَــا   سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيْحَ فَأْفَاءِ

٥٤ـ وَاسْتَجْلِهَا بِنْتَ مِصْرٍ تَستَطِيْلُ عَلَى   بَغْدَادَ وَالمَوْصِلِ الحَدْبَا وَسَوْرَاءِ

٥٥ـ كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلُّ النَّسِيْمِ بِهَا   عَلَــى اعْتِــدَالٍ وَحَـدْبَاءٍ وَزَوْرَاءِ

وعدد المرات التي وردت فيها (فعلاء) في نهاية البيت (٣٣) مرة ونسبة ذلك من النص (٥٤,٠٩ ٪) وهي نسبة كثيرة، تؤخذ في الاعتبار.

لقد أدرجت (فعلاء) في منازل لها أهمية عروضية، والمقطع مركز الثقل في البيت، وهنا تفاعل بين البنية الصرفية والإيقاعية[1]، وللبنية الدلالية الصرفية قيمة تمييزية أو مفيدة وهي اكتمال جمال الأنوثة فـ(فعلاء) صيغة أنثوية، وهي بحد ذاتها دال وفيها مدلول هو الأنوثة، وفي تواتر صيغة (فعلاء) في الأبيات إضفاء قيمة أنثوية على النص، وترسيخ لها فيه، وهي صفة تتردد في الشعر العربي[2].

. أشاع الشاعر في حشو الأبيات وآخر كثير منها تركيب (أفعال) ومنه:

٩ـ عِصَابَةُ الشَّرْبِ أَمُّوْا رَوْضَ زَاهِرَةٍ   تُعْــزَى لأَكْــرَمِ أَخْــوَالٍ وَآبَــاءِ

١٠. خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا   ضَــرْعُ النَّمِيْــرَيْنِ مِــنْ نِيْــلٍ وَأَنْــوَاءِ

وقوله:

٢١ــ بَدِيْعَــةُ الحُسْنِ قَــدْ فَــازَ الجِنَــاسُ لَهَــا   مِــنَ المَعَــانِي بِأَفْنَــانٍ وَأَفْنَــاءِ

٢٢ــ وَقَــامَ عَنْهَــا لِــسَانُ الزَّهْــرِ يُنْــشِدُنَا   لِلَهْــوِكُمْ أَرَجٌ مَــا بَــيْنَ أَرْجَــائِي

وعدد المرات التي وردت فيها (أفعال) في نهاية البيت (١٤) مرة ونسبة ذلك من النص (٢٢,٩٥٪).

---

(١) انظر: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: ٧١.

(٢) (فعلاء) محببة لدى الشعراء أكثر من (فعيلة) والسبب لأن فعيلة مؤنث فعيل أما فعلاء هي صيغة أنثوية وليست تأنيثا لصيغة ذكورية. فالصيغ ثلاثة أنواع:

١. صيغ مشتركة قائمة على التكامل: (فعيل) يقابله (فعيلة). جميل = جميلة.

٢. صيغ ذكورية محضة: (أفعل). (فعلان).

٣. صيغ أنثوية محضة: (فعلاء) (فعلى).

. أشاع الشاعر في حشو الأبيات وآخر كثير منها التركيب الإضافي ومنه:

١ـ يا سرحة الشاطئ المنساب كوثره ... عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

٢ـ حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابُ إِذَا ... نَوْءُ الثُّرَيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ

٣ـ وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ ... سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ

٦ـ نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ ... مِنَ الغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ

وقوله:

١٣ـ مَقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنَى حَمَائِمَ بَلْ ... كِنَاسُ آرَامَ بَلْ أَفْنَاءُ دَرْمَاءِ

١٤ـ لَهَا مَطَارِفُ ظِلٍّ سَجْسَجٍ فَمَصِيـ (م) ـفُهَا يُعَادِلُ فِيهِ طِيبَ مَشْتَاءِ

١٥ـ قَدِيمَةُ العَهْدِ هَزَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَتْ ... فَهْيَ العَجُوزُ تَهَادَى هَدْيَ مَرْهَاءِ

١٦ـ لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلٍ ... حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَحَظَاتُ حَوْلاءِ

١٩ـ خَلِيَّةٌ حِينَ أَحْنَيْتُ الضُّلُوعَ عَلَى ... نَارٍ بِشَجْوِي بِهَا لا حُبَّ لَمْيَاءِ

٢٢ـ وَقَامَ عَنْهَا لِسَانُ الزَّهْرِ يُنْشِدُنَا ... لِلَهْوِكُمْ أَرَجٌ مَا بَيْنَ أَرْجَائِي

٢٧ـ كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا ... هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

٢٨ـ كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

٢٩ـ كَأَنَّهَا فَوْقَ دِعْصِ المَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ ... هِضَابُهُ سَفْحُ وَادٍ رَبُّ أَفْيَاءِ

٣٢ـ ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ عَلَى ... نَهْرِ الأُبُلَّةِ يُزْرِي أَيَّ إِزْرَاءِ

٣٣ـ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ ... فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ

٣٤ـ كَأَنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ ... أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

وغير ذلك من الشواهد،وتبرز الإضافة في آخر البيت،ومن أسباب ذلك أن الروي مجرور.

وعدد المرات التي أتى فيها آخر البيت مكونا من تركيب الإضافة(٢٢) مرة ونسبة ذلك من النص (٣٦،٠٦٪).

ومن الأمور التي تشد النص بعضه إلى بعض:

أ. حقل الماء فهو متناثر في النص كله، أوله وهو يتحدث عن السرحة وأوسطه وهو يعرض للسفينة، وآخره وهو يتحدث عن الخمرة.

ب ـ الثنائيات:الطباق: تبسّم ـ بكّاء، سواد الليل ـ بيضاء أبقى ـ ألوى.

التكرار: مالت ــ مالت

الجناس:أرج ــ أرجاء

الإفراد والجمع: نوء ـ أنواء

التذكير والتأنيث: شاد ـ شادية

ـ**لوحات الصور**، وقد اختار الشاعر التشبيه التمثيلي في صوره، فأكثر القصيدة قائم على التشبيه التمثيلي، والقسم الأول منه هو:

١٠ــ خَمَائِــلُ الــرَّوْضِ مَنْـشَاهَا وَمُرْضِـعُهَا ... ضَـرْعُ النَّمِيْـرَيْنِ مِـنْ نِيْـلٍ وَأَنْـوَاءِ

١١. فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْضَلَّ وَافْتَرَشَتْ ... زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشَاً عَلَى المَاءِ

١٢ــ قَرِيْــرَةُ العَــيْنِ بِــالأَنْوَاءِ بَــارِدَةُ الْــ (م) ... ــقَلْبِ الــذِي لَـمْ تَنَلْـهُ غَيْـرُ سَـرَّاءِ

١٣ــ مَقِيْـلُ نَــدْمَانَ بَــلْ مَغْنَـى حَمَـائِمَ بَـلْ ... كِنَــاسُ آرَامَ بَــلْ أَفْنَــاءُ دَرْمَــاءِ

١٤ــ لَهَــا مَطَــارِفُ ظِـلٍّ سَجْـسَجٍ فَمَـصِيْـ (م) ... ـفُهَا يُعَــادِلُ فِيْـهِ طِيْـبَ مَـشْتَاءِ

١٥ــ قَدِيْمَــةُ العَهْــدِ هَزَّتْهَــا الــصَّبَا فَــصَبَتْ ... فَهْيَ العَجُـوزُ تَهَـادَى هَـدْيَ مَرْهَـاءِ

١٦ــ لا يُــدْرِكُ الطَّـرْفُ أَقْـصَاهَا عَلَـى كَلَـلٍ ... حَتَّـى تَعُــوْدَ لَــهُ لَحْظَـاتُ حَــوْلاءِ

١٧ــ وَصَــوْتُ بُلْبُلِهَــا الرَّاقِــي ذُرَى غُــصُنٍ ... فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ

١٨ــ كَقَــرْعِ نَــاقُوْسِ دَيْـرِيٍّ عَلَـى شَــرَفٍ ... مُــسَبِّحٍ فِــي سَــوَادِ اللَّيْــلِ دَعَّــاءِ

١٩ـ خَلِيَّـةٌ حِـيْنَ أحْنَيْـتُ الـضُّلُوْعَ عَلَـى ... نَـارٍ بِـشَجْوِيْ بِهَـا لا حُـبَّ لَمْيَـاءِ

٢٠ـ تَهَكَّمَـتْ بِـي فَلَـمْ تَحْنِـي أضَـالِعَهَا ... عَلَى الهَـوَاءِ وَأحْنَتْهَـا عَلَـى المَـاءِ

٢١ـ بَدِيْعَـةُ الحُـسْنِ قَـدْ فَـازَ الجِنَـاسُ لَهَـا ... مِـنَ المَعَـانِي بِأفْنَـانٍ وَأفْنَـاءِ

٢٢ـ وَقَـامَ عَنْهَـا لِـسَانُ الزَّهْـرِ يُنْـشِدُنَا ... لِلَهْـوِكُمْ أرَجٌ مَـا بَـيْنَ أرْجَـائِي

٢٣ـ كَـمْ صَـفَّقَ المَـوْجُ مِـنْ أزْهَارِهَـا طَرَبَـاً ... فَنَقَّطَتْـهُ بِبَيْـضَاءٍ وَصَـفْرَاءِ

٢٤ـ وَكَـمْ طَرِبْـتُ لِمَـا أبْدَتْـهُ مِـنْ مُلَـحٍ ... يَـصْبُو لَهَـا كُـلُّ ذِي عَقْـلٍ وَآرَاءِ

وهذه الأبيات فيها ما أتت فيه الصورة وقد غلب عليها:

١. المجاز العقلي، أي، تصوير عناصر الطبيعة وهي متحركة، وهي فاعلة.

٢. التشبيه التمثيلي. ويبدو في:

٢٦ـ كَأنَّهَـا مِـنْ جِنَـانِ الخُلْـدِ قَـدْ كَمُلَـتْ ... حُسْناً وَحَـسْبُكَ مِـنْ خَـضْرَاءَ لَفَّـاءِ

٢٧ـ كَـأنَّ أغْـصَانَهَا اللُّـدْنَ الرِّشَـاقَ إذَا ... هَـصَرْتَ أفْنَانَهَـا أعْطَـافُ وَطْفَـاءِ

٢٨ـ كَأنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) ... دَكْنَاءِ قُـرْصٌ عَلَـى أعْكَانِ سَـمْرَاءِ

٢٩. كَأنَّهَا فَوْقَ دِعْصِ المَوْجِ إذْ سَفَحَتْ ... هِـضَابُهُ سَـفْحُ وَادٍ رَبُّ أفْيَـاءِ

٣٠ـ مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إذْ جَاشَ الخَرِيْرُ بِهِ ... كَأنَّهَـا أُذُنٌ مَالَـتْ لإصْـغَاءِ

٣١ـ كَأنَّمَـا النَّهْـرُ مِـرْآةٌ وَقَـدْ عَكَفَـتْ ... عَلَيْـهِ تُـدْهِشُ فِـي حُـسْنٍ وَلألاءِ

٣٢. ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ عَلَى ... نَهْـرِ الأُبُلَّـةِ يُـزْرِي أيَّ إزْرَاءِ

٣٣ـ كَأنَّـهُ عِنْـدَ تَفْرِيْـكِ النَّـسِيْمِ لَـهُ ... فِرِنْـدُ سَـيْفٍ نَـضَتْهُ كَـفُّ جَـلاءِ

٣٤ـ كَأنَّـهُ شَـبَكٌ مِـنْ لُؤْلُـؤٍ نُظِمَـتْ ... أوْ جَـوْهَرُ السِّتِّ أوْ تَجْلِيْلُ رَقْشَاءِ

٣٥ـ كَأنَّـهُ حِـيْنَ يُهْـدِي زُرْقَـةً وَصَـفَا ... رَقْـرَاقُ عَـيْنٍ بِوَجْـهِ الأرْضِ شَـهْلاءِ

لقد بنى الشاعر قصيدته على المشهد، وهو مشهد طبيعي، يبنيه على مجموعة من وسائل الإدراك، لأنه لا يبني سرحة حقيقية بل يبني سرحة شعرية، يبني مثالا شعريا، نموذجا شعريا.وقد نظر إليه من خلال:

١ـ استعمال الجموع (اليواقيت، أشكال، السحاب، أنواء، ظلل، الغمام، الزهر، عصابة،أخوال، آباء، خمائل،حمائم، مطارف، لحظات، الريش،، الضلوع، أضالعها، المعاني،مُلح،، اللدن، الرشاق) وهي تغلب على المفردات بل ربّما اتخذ الشاعر من المفرد أداة للإتيان بالجمع كما في قوله:

٢. حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيْهَا السَّحَابُ إِذَا	نَــوْءُ الثُّرَيَّــا اسْــتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْــوَاءِ
٢٢ـ وَقَامَ عَنْهَا لِسَانُ الزَّهْرِ يُنْشِدُنَا	لِلَهْـــوِكُمْ أَرَجٌ مَـــا بَــيْنَ أَرْجَـــائِي
٥٢. أم السُّرُوْرِ الَتِي أَبْقَى الزَّمَانُ بِهَا	جُـــزْءَ الحَيَـــاةِ وَقَـــدْ أَلْـــوَى بِـــأَجْزَاءِ

ومما سبق يبين أن الجموع تتوالد من المفردات.

٢. يستعمل الشاعر مختلف أنواع الحواس .

. وسائل الإدراك:

١- وصف الأحجام (أحجام الشيء):(الوارف،الفضفاض، هيفاء،قرص[1]، فيحاء).

٢- الشكل (وطفاء، حدباء، قوراء، جوفاء)

٣ـ اللون(دكناء، سواد الليل، بيضاء، صفراء،خضراء، الحمرا، سمراء، لؤلؤ، جوهر الست، رقشاء،زرقة، شهلاء، سوداء، ألوان).

٤. الصوت:(صوت بلبلها، قرع ناقوس، ينشدنا، الخرير،لإصغاء، شدتنا، صادحة، تغنت، مغنى، وغناء، صوت العود والناء، تشدو).

٥. الشم:(المصندل، تنفحنا، نشر الخزاماء).

٦ـ الذوق:(الشهد، ترشافها).

٧. الحركة: (هزتها، أحنيت، صفق، هصرت، مالت (مرتين)، عكفت)[2].

---

(١) القرص: من الحلي المقرّص أي المستدير. القاموس المحيط(قرص).

(٢) تكون سريعة وبطيئة. راجع: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر: ٢٢٤-٢٢٦.علي علي صبح.المكتبة الأزهرية للتراث. ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

ومما يتصل بالبناء (شيوع الضمائر):

يغلب على القصيدة الربط بالضمائر،فقد شاعت الضمائر التي تحيل على السرحة في القصيدة وقد تصل إلى ثلاثة ضمائر محيلة على السرحة في البيت الواحد مثل:

٤ـ رُحْمَاكِ بِالوَارِفِ المَعْهُودِ مِنْكِ   لَنَـــا بِظِلِّـــكِ مِـــنْ أَهْـــوَاً وَأَهْـــوَاءِ

فتكرار الضمير هنا يدل على التعلّق وهو سمة مميزة، وعند آخر بيت متصل بالسرحة لم يرد إلا ضمير واحد يحيل عليها وكأن الشاعر يمهّد بذلك لنهاية الحديث عنها:

٣٩ـ بَاكَرْتُهَا فِي سَرَاةٍ مِنْ أَصَاحِبِنَا   لا يَنْطَـــوُونَ عَلَـــى حِقْـــدٍ وَشَـــحْنَاءِ

مانع الوصف:

ولعل الشاعر آثر ختام وصف السرحة بالبيت:

٣٩ـ بَاكَرْتُهَا فِي سَرَاةٍ مِنْ أَصَاحِبِنَا   لا يَنْطَـــوُونَ عَلَـــى حِقْـــدٍ وَشَـــحْنَاءِ

والمانع عن الإكمال هو أن الشاعر وصل إلى غاية يريدها هو ومن معه وهي اللهو في المغنى والغناء الذي سيساعد على اللهو الذي سيأتي في الأبيات القادمة[1].

التواصل بين الشاعر والسرحة:

يبدأ الشاعر قصيدته بالخطاب وهو أعلى درجات التواصل بين اثنين، فيخاطب شيئا أمامه قائلا:

١ـ يا سرحة الشاطئ المنساب كوثره   عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

٢ـ حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيْهَا السَّحَابُ إِذَا   نَـوْءُ الثُّرَيَّـا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْـوَاءِ

٣ـ وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ   سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ

٤ـ رُحْمَاكِ بِالوَارِفِ المَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ   لَنَـا بِظِلِّـكِ مِـنْ أَهْـوَاً وَأَهْـوَاءِ

٥ـ وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الـ (م)   ـهَجِيرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْأَى لِحِرْبَاءِ

---

(١) انظر: أسلوبية الوصف والحوار: ٥٢.

٦ـ نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ   مِنَ الغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ

٧ـ يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ القَيْظِ عَالِمَةً   أَنْتِ الشِّفَاءُ لَدَى الرَّمْضَا مِنَ الدَّاءِ

٨ـ لا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ   عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الوَدْقِ سَوْدَاءِ

ثم يلتفت إلى الغيبة فيتحدث الشاعر عن السرحة محيلا عليها بضمير الغيبة، بعد أن عقد العلاقة القوية معها من خلال الخطاب.

سار الشاعر في حديثه عن الخمرة بخطاب الغيبة حتى وصل إلى طلب المعاطاة فأتى بالخطاب قائلا:

٥٣. فَعَاطِنِيهَا عَلَى طَلِّ النَّدَى سَحَراً   فَإِنَّ تِرْشَافَهَا مَوْتِي وَإِحْيَائِي

ليفيد فرط تعلّقه بها، وأن كلامه عنها في الأبيات السابقة كان ينمّي شوقه إليها حتى نفد صبره.

ومن خلال ما سبق يبين أن ترابط مشاهد القصيدة الوصفية ومقاطعها السردية فيما بينها بما يناسب التجربة الشعورية المعبر عنها

العدول في البناء:

من مظاهر العدول في البناء أن الشاعر جعل الحديث عن الطلل وتفضيل البدء بالخمرة عليه في نهاية القصيدة، على عكس من شُهر بذلك وهو أبو نواس الذي يجعله في بداية القصيدة، وسبب ذلك أن الأمر لا يناسب الذوق الحضري وهو يشير إلى ذلك محتقرا حين قال:

٥٨ ـ أَمَّا أَنَا لَسْتُ نَوَّاحاً عَلَى طَلَلٍ   وَلا خَلِيطٍ وَلا نَدَّابَ أَحْيَاءِ

٥٩ ـ تَرَكْتُهُ لأُنَاسٍ كَالتِّيُوسِ غَنَوْا   عَنِ المُدَامِ بِدَرِّ الإِبْلِ وَالشَّاءِ

٦٠ ـ يُعْزَوْنَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالَتِهِمْ   لَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَ إِيْطَاءٍ وَإِقْوَاءِ

٦١ ـ مِنْ كُلِّ أَلْكَنَ عِنْدَ البَحْثِ مُنْقَطِعٌ   كَأَنَّهُ وَاصِلٌ وَالشِّعْرُ كَالزَّاءِ

ولا سيما البيت (٥٩) الذي يفيد كون ذلك الأمر من دلائل البادية حين ذكر الإبل والشاء.

واستعمال ابن مكانس صيغة المبالغة (فعّال) (نوّاح، ندّاب) الدالة في أصل وضعها على الحرفة بيان براءته من فعل يعيب على العرب صنعه.

وفي قول ابن مكانس:

٣٥ـ كَأَنَّـهُ حِـيْنَ يُهْـدِي زُرْقَـةً وَصَفَا   رَقْـرَاقُ عَـيْنٍ بِوَجْـهِ الأَرْضِ شَـهْلاءِ

هنا عدول فهو لا يهدي الزرقة والصفاء لكنّه عبّر بها للدلالة على راحة القوم الذين يجلسون.

أساليب الهيكل الداخلي للكلام:

من أبرز أساليب الهيكل الداخلي للكلام الأسلوب الخبري.وفي تكثيفه واستغناء الشاعر عن التأكيد في أغلب الموصوفات دليل على ثقته بمضمون خبره، وعدم توقع موقف مناف من المتقبّل لحكمه على موصوفه[1].

الجمل التي تسيطر على القصيدة:

تغلب على القصيدة الجمل الفعلية ويغلب على الجمل الفعلية الجمل الفعلية الدالة على الماضي وعددها (٤٥). أما الجمل الفعلية الدالة على المضارع[2] فهي (٣٥)، ونأخذ من ذلك أن الشاعر كان يكتب ذكرى ونوعا من الحلم، فهو يعيش بالكتابة ما عاشه واقعا فالشعر حياة جديدة لكن في الحلم.

الجموع:

وتقترب نسبة جمع القلة مع جمع الكثرة ففي الكثرة (٢٨) وفي القلة (٢٧)[3].

الاختيار:

سأعرض في هذه الأسطر اختيار ابن مكانس لبعض الألفاظ في نصه، هي:

١. (سرحة) و(المنساب) في قوله:

١ـ يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ المُنْسَابِ كَوثَرُهُ   عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

---

(١) راجع: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: ٦٩-٧١.

(٢) مما يدل على المضارع ولو أتى في صورة الماضي الجمل الشرطية كقول الشاعر:

وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ....لأن الشرط يمحضها للمستقبل.

(٣) لو تكّرر اللفظ بلفظه ومعناه فهو معدود.

(السرحة) صوت (س) مرقق صفيري و(ر) مائع ترددي تكراري و(ح) مهموس، هذه الأصوات الثلاثة تتناسب كدوال والمدلول الموصوف الذي هو مشهد الطبيعة الجميلة متناسب مع مادة فعل (سرح) الذي فيه جريّة وانطلاق واتساع وهي من نفس المادة لـ(سَحَرَ) التي تفيد الهدوء والتأمل، ومنها (السَّحر). ومادة (سرح) و(ساب) كلاهما يدل على الامتداد والانتشار.

٢. (حرباء) في قوله:

٥. وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيْلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ (م) ـهَجِيْرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْآى لِحِرْبَاءِ

كان يجري على سنن القدماء، فلأبي العلاء المعري:

جـدٌ مُقيمٌ وَخابَ ذو سَفَرٍ كَأَنَّهُ في الهَجيرِ حِرباءُ[1]

وله أيضا:

كَأَنّي عَلى العودِ الرَكوبِ مُهَجِّراً إِذا نَصَّ حِرباءُ الظَهيرَةِ عودُ[2]

وله أيضا:

يَزْهى إذا حِرْباؤها صَلِيَ الوَغَى حِرْباءُ كلّ هَجيرَةٍ مِهْيافِ[3]

ولحازم القرطاجني:

شُموسٌ ترى مِنْ دونها كلّ مُمْسِكٍ بِجِذْلِ القنا يرنو بمقلةِ حرباءِ[4]

واختيار ابن مكانس له ما يسوّغه وهو ما يفيد شدة الحرارة وفرط الظل الذي ينعم به الشاعر تحت السرحة.

إن اختيار ابن مكانس لفظة (حرباء) دون غيرها عائد لما تمثّله في هذا السياق من دلالة على فرط حرارة الشمس، فالحرباء ذكر أم حُبَيْن، دويبة نحو العظاية أو أكبر،

---

(١) اللزوميات. أبو العلاء المعري: ٥٦/١.دار صادر. بيروت.

(٢) سقط الزند.أبو العلاء المعري. شرح أحمد شمس الدين: ٢٥٣. دار الكتب العلمية.ط١. ١٤١٠هـ لبنان.

(٣) لو تكّرر اللفظ بلفظه ومعناه فهو معدود.

(٤) ديوان حازم القرطاجني. تحقيق عثمان الكعّاك: ٢. دار الثقافة. ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م. بيروت. لبنان.

تستقبل الشمس برأسها فتكون معها كيف دارت. وتتلون ألوانا بحرّ الشمس[1]. واستعمال غيرها لن تفيد ما تفيده لفظة (حرباء).

٣. (عصابة) للدلالة على الجماعة من الرجال والفتيان المعاقرين للخمرة، فالعصابة ترتبط في التراث الشعري الخمري عند بعض الشعراء كالأعشى وحسان بن ثابت رضي الله عنه بالمنادمة... ولفظ (عصابة) اسم لا جمع له من لفظه فكأن هذه العصابة لا تنقسم على نفسها فهي كيان واحد، وكل لا يتجزّأ إلى أعداد صغيرة[2].

كما أن لفظ العصابة جمع مؤنث والتأنيث هنا يضيء جانبا آخر من جوانب شخصية العصابة إذ يضفي عليهم مسحة من الأنوثة والرقة، أو بالأحرى يبرز ما فيهم من أنوثة [3]، هي من متممات المشهد.

الفصل والوصل:

تملي النظم على الشاعر الفصل في مواضع والوصل في أخرى[4]، ومن خلال النظر في نص ابن مكانس أجده وافق القواعد التي تمليها البلاغة العربية ومن ذلك ما ورد في قوله:

٥. وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ (م) ـهَجِيْرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْآى لِحِرْبَاءِ

فالفصل بين (وكم نزلنا... الهجير) وبين (إذ حيث)لأن الجملة الثاني تضم معنى الأولى.

وفي قوله:

٧ـ يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ القَيْظِ عَالِمَةً أَنْتِ الشِّفَاءُ لَدَى الرَّمْضَا مِنَ الدَّاءِ

فالفصل بين الشطرين آت من أن الثاني تأكيد للأول فهو يحمل معناه.

وفي قوله:

١٢ـ قَرِيْرَةُ العَيْنِ بِالأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الْـ (م) ـقَلْبِ الذِي لَمْ تَنَلْهُ غَيْرُ سَرَّاءِ

---

(١) انظر: لسان العرب (حرب).

(٢) انظر: تحليل لغوي أسلوبي لنصوص من الشعر القديم، عبد الرحمن الرحموني ومحمد بو حمدي: ٣٥-٣٦، دار الأمان، ط١، ١٩٩٠م، الرباط.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٣٧.

(٤) راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، قدّم له وبوّبه وشرحه د. علي بو ملحم: ١٤٥-١٦٤، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط٢، ١٩٩١م، بيروت، لبنان.

فالفصل بين (قريرة....) وبين (باردة...) لأن الجملة الثاني تضم معنى الأولى.

أما مواضع الوصل فكثيرة جدا في القصيدة فيغلب عليها الوصل بين المفردات ومنها قول ابن مكانس:

٢٤ـ وَكَمْ طَرِبْتُ لِمَا أَبْدَتْهُ مِنْ مُلَحٍ   يَصْبُو لَهَا كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَآرَاءِ

والشاهد (ذي عقل وآراء).

وقوله:

٥٣ـ فَعَاطِنِيهَا عَلَى طَلِّ النَّدَى سَحَراً   فَإِنَّ تِرْشَافَهَا مَوْتِي وَإِحْيَائِي

والشاهد (موتي وإحيائي).

وقوله:

٥٦ـ مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ وَشَادٍ أَوْ وَشَادِيَةٍ   تَشْدُو لَنَا بَيْنَ صَوْتِ العُوْدِ وَالنَّاءِ

والشاهد (العود والناء).

وقوله:

٦٠ـ يُعْزَوْنَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالَتِهِمْ   لَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَ إِيطَاءٍ وَإِقْوَاءِ

والشاهد (إيطاء وإقواء).

والسبب في الوصل في المواضع السابقة أن الأسماء المعطوفة تشارك ما قبلها في الحكم وتدخل معها في المعنى[1].

ملحوظات لغوية:

ومما يبدو فيه مخالفة للمألوف من قواعد اللغة قول ابن مكانس:

١. قول ابن مكانس:

٤٥ـ سَاجِيَةٌ أَلْبَسَتْهَا الصَّانِعُوْنَ لَهَا   مِنَ التَّدَابِيجِ مَا يُزْرِي بِصَنْعَاءِ

---

(١) راجع: لسانيات النص: ١١٠.

كان على الشاعر أن يقول (ألبسها) لأنه يسند الفعل إلى جمع مذكر سالما، ولا يجوز معه تأنيث الفعل، وهذا من الخطأ الذي وقع فيه ابن مكانس و"وقد يرق أسلوب الشاعر حتى يصير مبتذلا وتبدو فيه أخطاء قليلة لا ترضي النحو ولا اللغة"[1].

٢. وقوله الذي حذف فيه الفاء :

٥٨ـ أمَّا أنَا لَسْتُ نَوَّاحاً عَلَى طَلَلٍ وَلا خَلِيطٍ وَلا نَدَّابَ أحْيَاءِ

فالأصل: أما أنا فلست، ولكن الشاعر حذف الفاء، مع أن (أما) لم تدخل على قول قد طُرح استغناء عنه بالمقول[2].

٣. ومن الضرورات التي وقع فيها ما ورد في قوله:

٢٠. تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أضَالِعَهَا عَلَى الهَوَاءِ وَأحْنَتْهَا عَلَى المَاءِ

فقد أبقى الياء في (تحني) مع جزمها بـ(لم) والصواب حذفها، ولكنه أبقاها لئلا ينكسر البيت.

٤. استعمال لفظ (الست) في قوله:

٣٤ـ كَأنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ أوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

واللفظ عامي مصري، و(ستّي) للمرأة معناها: ستّ جهاتي، أو لحن، والصواب سيّدتي[3]، ولا عجب في استعمال ابن مكانس العامي، فهو متأثر بما سمع[4].

---

(١) مقال محمود رزق (في ظلال السرحة): ٧٨٢.

(٢) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشام الأنصاري: ٤ /٢١١. المكتبة العصرية. ١٤١٥هـ بيروت.

(٣) القاموس المحيط: (ستت).

(٤) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي. د. محمود رزق سليم: ٨ / ٤٦٨ وما بعدها. مكتبة الآداب ط١. ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م مصر.

نسبة الفعل إلى الصفة[1]:

١ـ يـا سـرحة الـشاطئ المنـساب كـوثره   عَلَـى اليَوَاقِيـتِ فِـي أَشْـكَالِ حَـصْبَاءِ

٢ـ حَلَّـتْ عَلَيْـكِ عَزَالِيهَـا الـسَّحَابُ إِذَا   نَـوْءُ الثُّرَيَّـا اسْـتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْـوَاءِ

٣ـ وَإِنْ تَبَـسَّمَ فِيْـكِ النَّـوْرُ مِـنْ جَـذَلٍ   سَـقَاكِ مِـنْ كُـلِّ غَـيْمٍ كُـلُّ بَكَّـاءِ

٤ـ رُحْمَـاكِ بِـالوَارِفِ المَعْهَـودِ مِنْـكِ فَكَـمْ   لَنَـا بِظِلِّـكِ مِـنْ أَهْـوًا وَأَهْـوَاءِ

٥ـ وَكَـمْ نَزَلْنَـا مَقِـيْلاً مِنْـكِ مَـا حَمِـيَ الـ (م) ـهَجِيْرُ إِذْ حَيْـثُ لا مَـرْأَى لِحِرْبَـاءِ

٦ـ نَظَـلُّ مِـنْ فَيْئِـكِ الفَـضْفَاضِ فِـي ظُلَـلٍ   مِـنَ الغَمَـامِ يَقِيْنَـا كُـلَّ ضَـرَّاءِ

٧ـ يَـا طَبَّـةً بِـدَوَاءِ القَـيْظِ عَالِمَـةً   أَنْـتِ الـشِّفَاءُ لَـدَى الرَّمْـضَا مِـنَ الـدَّاءِ

٨ـ لا صَـوَّحَ الـدَّهْرُ مِنْـكِ الزَّهْـرَ وَانْبَجَـسَتْ   عَلَيْـكِ كُـلُّ هَتُـوْنِ الـوَدْقِ سَـوْدَاءِ

٩ـ عِـصَابَةُ الـشَّرْبِ أَمُّـوْا رَوْضَ زَاهِـرَةٍ   تُعْـزَى لأَكْـرَمِ أَخْـوَالٍ وَآبَـاءِ

١٠ـ خَمَائِـلُ الـرَّوْضِ مَنْـشَاهَا وَمُرْضِـعُهَا   ضَـرْعُ النَّمِيْـرَيْنِ مِـنْ نِيْـلٍ وَأَنْـوَاءِ

١١ـ فَاسْـتَمْهَدَتْ دَوْحَهَـا المُخْـضَلَّ وَافْتَرَشَـتْ   زَهْـرَ الرُّبَـا وَرَقَـتْ عَرْشًـا عَلَـى المَـاءِ

١٢ـ قَرِيْـرَةُ العَـيْنِ بِـالأَنْوَاءِ بَـارِدَةَ الـ (م) ـقَلْبِ الـذِي لَـمْ تَنَلْـهُ غَيْـرُ سَـرَّاءِ

١٣ـ مَقِيْـلُ نَـدْمَانَ بَـلْ مَغْنَـى حَمَـائِمَ بَـلْ   كِنَـاسُ آرَامَ بَـلْ أَفْنَـاءُ دَرْمَـاءِ

١٤ـ لَهَـا مَطَـارِفُ ظِـلِّ سَجْـسَجٍ فَمَـصِيْ (م) ـفُهَا يُعَـادِلُ فِيْـهِ طِيْـبَ مَـشْتَاءِ

١٥ـ قَدِيْمَـةُ العَهْـدِ هَزَّتْهَـا الـصَّبَا فَـصَبَتْ   فَهْـيَ العَجُـوزُ تَهَـادَى هَـدْيَ مَرْهَـاءِ

١٦ـ لا يُـدْرِكُ الطَّـرْفُ أَقْـصَاهَا عَلَـى كَلَـلٍ   حَتَّـى تَعُـوْدَ لَـهُ لَحَظَـاتُ حَـوْلاءِ

---

(١) انظر في ذلك: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية: ٥٩-٦٨.

ملحوظة: سأكتب الصفة بخط أكثر سوادا، وسأضع خطا تحت كل فعل مع كتابته بخط مائل.

١٧- وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصُنٍ | فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ
١٨- كَقَرْعِ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ | مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ
١٩- خَلِيَّةٌ حِينَ أَحْنَيْتُ الضُّلُوعَ عَلَى | نَارٍ بِشَجْوِيْ بِهَا لا حُبَّ لَمْيَاءِ
٢٠- تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا | عَلَى الهَوَاءِ وَأَحْنَتْهَا عَلَى المَاءِ
٢١- بَدِيعَةُ الحُسْنِ قَدْ فَازَ الجِنَاسُ لَهَا | مِنَ المَعَانِي بِأَفْنَانٍ وَأَفْنَاءِ
٢٢- وَقَامَ عَنْهَا لِسَانُ الزَّهْرِ يُنْشِدُنَا | لِلَهْوِكُمْ أَرَجٌ مَا بَيْنَ أَرْجَائِي
٢٣ـ كَمْ صَفَّقَ المَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَبَاً | فَنَقَّطَتْهُ بِبَيْضَاءٍ وَصَفْرَاءِ
٢٤- وَكَمْ طَرِبْتُ لِمَا أَبْدَتْهُ مِنْ مُلَحٍ | يَصْبُو لَهَا كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَآرَاءِ
٢٥ـ وَجُدْتُ بِالتِّبْرِ مِنْ مَالِي وَمِنْ أَدَبِي | فَكُنْتُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْهُمَا الطَّائِي
٢٦- كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ | حُسْنَاً وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَّاءِ
٢٧- كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا | هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ
٢٨ـ كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ
٢٩ـ كَأَنَّهَا فَوْقَ دِعْصِ المَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ | هِضَابُهُ سَفْحُ وَادٍ رَبُّ أَفْيَاءِ
٣٠ـ مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الخَرِيرُ بِهِ | كَأَنَّهَا أُذُنٌ مَالَتْ لإِصْغَاءِ
٣١ـ كَأَنَّمَا النَّهْرُ مِرْآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ | عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلأْلاءِ
٣٢ـ ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ عَلَى | نَهْرِ الأُبُلَّةِ يَزْرِي أَيَّ إِزْرَاءِ
٣٣- كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ | فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ
٣٤- كَأَنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ | أَوْ جَوْهَرَ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلَ رَقْشَاءِ

٣٥- كَأَنَّـــهُ حِـــيْنَ يُهْـــدِي زُرْقَـــةً وَصَـــفَا رَقْــرَاقُ عَــيْنٍ بِوَجْــهِ الأَرْضِ شَــهْلاءِ

٣٦- وَكَــمْ شَــدَتْنَا حَمَامَــاتُ الأَرَاكِ عَلَــى أَغْــصَانِهَا فَأَرَتْنَــا رَقْــصَ هَيْفَــاءِ

٣٧- مِـنْ كُـلِّ وَرْقَـاءَ فِـي الأَفْنَـانِ صَادِحَةٍ بَـيْنَ الحَـدَائِقِ فِـي فَيْحَـاءَ زَهْـرَاءِ

٣٨- وُرْقٌ تَغَنَّـــتْ بِجَنَّـــاتٍ رَقَـــيْنَ عَلَـــى عِيْـدَانِهَا فَالَـهُ فِـي مَغْنَـى وَغَنَّـاءِ

٣٩- بَاكَرْتُهَـا فِـي سَـرَاةٍ مِـنْ أَصَـاحِبِنَا لا يَنْطَـوُونَ عَلَـى حِقْـدٍ وَشَـحْنَاءِ

٤٠- تَـدَاعَبُوا بِمَعَـانِي شِـعْرِهِمْ فَـأَرَوْا وُدَّ الأَحِبَّــةِ فِــي أَلْفَــاظِ أَعْــدَاءِ

٤١- مِنْ كُـلِّ شَـيْخٍ مُجُـوْنٍ فِـي شَـبَابِ فَتَـى يُقْـرِي المُجُـوْنَ بِقَلْـبٍ غَيْـرِ نَـسَّاءِ

٤٢- يَـسْعَى إِلَيْهَـا عَلَـى جَـرْدَاءَ جَارِيَـةٍ مِـنْ أَيْكِهَـا كَهِـلالِ الأُفْـقِ حَـدْبَاءِ

٤٣- نُوْحِيَّـةُ الـصُّنْعِ وَالإِحْكَـامِ مُنْـشَآةٌ تَـسِيْرُ مَـا سُـيِّرَتْ مِـنْ غَيْـرِ إِعْيَـاءِ

٤٤- سَـوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى المَاءِ المُصَنْدَلِ شَـا (م) مَـةً عَلَـى شَـفَةٍ كَالـشَّهْدِ لَعْـسَاءِ

٤٥- سَــاجِيَّةٌ أَلْبَــسَتْهَا الـصَّانِعُوْنَ لَهَــا مِـنَ التَّـدَابِيْجِ مَـا يُـزْرِي بِـصَنْعَاءِ

٤٦- غَرِيْبَــةٌ ذَاتُ أَلْــوَانٍ وَأَجْنِحَــةٍ لَـمْ أَدْرِ تَعْـزَى لِـرَوْضٍ أَوْ لِعَنْقَـاءِ

٤٧- لَـمْ يَـسْتَطِعْ شَـأْوَهَا إِذْ سَـيْرُهَا عَنَـقٌ غُـرُّ الجِيَـادِ عَلَـى كَـدٍّ وَإِنْـضَاءِ

٤٨- كَـمْ قَـدْ نَعِمْنَـا بِهَـا عَيْـشاً بِـصَافِيَةٍ شَـمْطَاءَ تُجْلَى عَلَى الجُلاسِ عَـذْرَاءِ

٤٩- مِمَّـا تَخَيَّرَهَـا كِـسْرَى وَأَوْدَعَهَـا رَبُّ الخَوَرْنَـقِ فِـي قَـوْرَاءَ جَوْفَـاءِ

٥٠- حَمْـرَاءُ صِـرْفاً وَصَـفْرَا إِنْ مَزَجْـتَ لَهَـا كَـمْ مِـنْ يَـدٍ فِـي سَـوَادِ اللَّيْـلِ بَيْـضَاءِ

٥١- رَاحَـاً إِذَا رَكَـعَ الإِبْرِيْـقُ يَمْزِجُهَـا سَـمِعْتَ مِـنْ صَـوْتِهِ تَـسْبِيْحَ فَأْفَـاءِ

٥٢- أمِ الـسُّرُوْرِ التِـي أَبْقَـى الزَّمَـانُ بِهَـا جُـزْءَ الحَيَـاةِ وَقَـدْ أَلْـوَى بِـأَجْزَاءِ

٥٣ـ فَعَاطِنِيهَا عَلَى طَلِّ النَّدَى سَحَرًا   فَإِنَّ تِرْشَافَهَا مَوْتِي وَإِحْيَائِي

٥٤ـ وَاسْتَجْلِهَا بِنْتَ مِصْرٍ تَسْتَطِيلُ عَلَى   بَغْدَادَ وَالمَوْصِلِ الحَدْبَا وَسَوْرَاءِ

٥٥ـ كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلَّ النَّسِيمِ بِهَا   عَلَى اعْتِدَالٍ وَحَدْبَاءٍ وَزَوْرَاءِ

٥٦ – مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ وَشَادٍ أَوْ وَشَادِيَةٍ   تَشْدُو لَنَا بَيْنَ صَوْتِ العُودِ وَالنَّاءِ

٥٧ – عَلَى الحَدَائِقِ لا الآكَامُ تَنْفَحُنَا   رِيحُ البَنَفْسَجِ لا نَشْرُ الخُزَامَاءِ

٥٨ – أَمَّا أَنَا لَسْتُ نَوَّاحًا عَلَى طَلَلٍ   وَلا خَلِيطٍ وَلا نَدَّابَ أَحْيَاءِ

٥٩ – تَرَكْتُهُ لأُنَاسٍ كَالتُّيُوسِ غَنَوْا   عَنِ المُدَامِ بِدَرِّ الإِبْلِ وَالشَّاءِ

٦٠ – يُعْزَوْنَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالَتِهِمْ   لَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَ إِيطَاءٍ وَإِقْوَاءِ

٦١ – مِنْ كُلِّ أَلْكَنَ عِنْدَ البَحْثِ مُنْقَطِعٌ   كَأَنَّهُ وَاصِلٌ وَالشِّعْرُ كَالزَّاءِ

الأفعال: ٨٤.

الصفات: ٣٩.

الناتج: (٨٤ فعلا و٤٠ صفة وبالقسمة تكون النتيجة (نسبة الصفات إلى الأفعال): ٤٧.٦١) ولا غرابة في ذلك فالنصوص الشعرية تتميز بارتفاع نسبة الفعل إلى الصفة[1].

الحقول الدلالية:

الحقول الدلالية:هي "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع تحت لفظ عام يجمعها"[2]. والهدف منها "جمع كل الكلمات التي تخص حقلا معينا، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام"[3].

وسأعرض للحقول الدلالية في القصيدة كثيرها وقليلها وهي كما يلي:

---

(١) راجع في طريقة التعامل مع مسألة (نسبة الفعل إلى الصفة): المرجع السابق: ٥٩–٦٨.

(٢) علم الدلالة. أحمد مختار عمر: ٧٩. منشورات عالم الكتب. ط٣. القاهرة. ١٩٩٢م.

(٣) المرجع السابق: ٨٠.

اسم الحقل	ألفاظه[1]
الماء	كوثره، حلّت، نوء، أنواء(ثلاث مرات)، الغمام، الغيم، هتون الودق، نيل، الموج (مرتين)، الماء (ثلاث مرات)،النهر (مرتين)، الخرير،القطر، نهر الأبلة، عين، الندى.
اللون	دكناء (مرتين منكرة مرة ومعرفة مرة)، سواد الليل (مرتين)، بيضاء (مرتين)، صفراء (مرتين)، خضراء، الحمرا(مرتين منكرة مرة ومعرفة مرة)، سمراء، لؤلؤ، جوهر الست، رقشاء،زرقة، شهلاء، سوداء، ألوان،
الأعضاء	الطرف، العين، القلب(مرتين: معرف مرة ومنكر مرة)، الضلوع، أضالعها، لسان، أعكان، أذن، كف(مرتين)،شامة، شفة، يد.
السمع	صوت بلبلها، قرع ناقوس، ينشدنا، الخرير، لإصغاء، شدتنا، صادحة، تغنت، مغنى، وغناء، صوت العود والناء، تشدو.
أدوات الحضارة	مرآة، فرند سيف، شبك، العود، الناء، الإبريق،عزاليها، مطارف، قرص.
الظل	بظلك، مقيلا، فيئك، الفضفاض، ظلل، مقيل، ظل.
الزمن	الدهر، مصيفها، مشتاء، الليل، حين، الزمان، سحرا.
الحركة	هزتها، أحنيت، صفق، هصرت، مالت (مرتين)، عكفت.
الحرّ	حمي، الهجير، القيظ، الرمضا، نار.
الطيور	حمائم، بلبلها، حمامات، ورقاء، ورق.
إجادة العمل	راق، طبة، عالمة، بديعة، الإحكام.
السير	عنق، تسير، سيرت، يسعى، سيرها.
العبادة	ديري، مسبح، دعّاء، ركع، تسبيح.
الحيوانات	آرام، الجياد. ظبي، الإبل، الشاء.
الزهر	النور، الزهر، زهر الربا، أزهارها.

(١) من ألفاظ الحقل ما تكون فيه الدلالة غير مباشرة مثل (اللؤلؤ) فهو في حقل اللون لأنه أبيض، فدلالته غير مباشرة.

اسم الحقل	ألفاظه[1]
الفرح	جذل، طربا، طربت، فاله.
القِدَم	قديمة العهد، العجوز، نوحية، شمطاء.
الجماعة	عصابة، الجلاس، سراة، أصاحبنا.
الأمصار	مصر، الموصل، بغداد، سوراء.
البساتين	جنان، الحدائق (مرتين)، جنات.
الشم	المصندل، تنفحنا، نشر الخزاماء.
الرياح	الصبا، النسيم، معتل النسيم.
السحاب	السحاب، الغيم، الغمام.
الإعطاء	فعاطنيها، يهدي.
العجز	كلل، كد.
الخلط	يمزجها، مزجت.
الذوق	الشهد، ترشافها.
الزواحف	حرباء، رقشاء.
الخمر	المدام، راحا.

يبرز للقارئ من الجدول شيوع حقل الماء والكلمات المشاركة له في الدلالة، ولذلك صلة وثقى بالبناء العام للقصيدة، ولأهمية الماء فقد ورد ثلاث مرات وفي كلها ورد معرّفا باللام.

نظام التمثيل[1]:

التمثيل هو المحاكاة: وقد عرّفها أرسطوطاليس بقوله: أن يروي الشاعر ما يمكن أن يكون أو ما ينشد أن يكون[2].

---

(١) التخييل هو نظام التمثيل، فالكلمتان بمعنى وهما مستعملتان في كتاب الشعر بنفس المعنى.

(٢) انظر: كتاب الشعر، أرسطوطاليس، حققه مع ترجمة حديثه د. شكري عياد: ٦٤. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٦هـ ١٩٧٦م القاهرة.

التخييل: أن يعقد المتكلم القول على أن صلة المسند بالمسند إليه ليست صلة اعتقاد على الحقيقة بل هي صلة اعتقاد على الإيهام والتخييل والمحاكاة.

فالتخييل يربط بين المسند والمسند إليه بصلة ليست صلة حقيقية، بل صلة اعتقاد أنك تتخيل أن تلك الحقيقة حقيقة، وهو (التخييل) لا يقدّم الحقيقة العلمية أو الحقيقة الفكرية وإنما يقدّم الحقيقة المتخيّلة من الشاعر، المتكلم.

من أين يأخذ الشاعر المعارف الشعرية؟

بما أن الحقيقة حقيقة تخييلية فلابد أن يتجه الشاعر إلى مواضع، مصادر، منازع ليست حقيقية بل تخييلية، وقد وضع أرسطوطاليس نظاما أو شبكة من المصادر التخييلية سمّاه (نظام التمثيل) وهو المواضع أو المخازن أو الجهات التي إليها يذهب الشاعر في كل ثقافة ليأخذ الصور فالصورة هي المادة / المنتوج النهائي الموجود في النص، أي: الأعمال القولية المنجزة المحقّقة في النص.

ولكن من أين جاءت، من أين جلبها الشاعر ؟

يقول أرسطوطاليس: الشاعر يتجه إلى مواضع مستقرة، مواضع معروفة، مواضع تواطأت عليها الثقافة الجماعية. إلى مواضع اتفق عليها المجتمع[1].

ومثال ذلك: الغزال في شعر الغزل والرئم في شعر الغزل.

هذان معنيان من معاني موضع حيوان الوحش في شعر الغزل تتفق عليها المجموعة المستخدمة للشعر.

إذا الصور الشعرية هي ما يظهر في النص / ما يتحقق في النص، ما يُجلب فيه من المواضع الموجودة في الثقافة التي لخّصها علماء الشعر في معاني الشعر[2].

ومما سبق أستطيع القول أن نظام التمثيل يدل على القواعد العامة المستخلصة من النص الشعري، المنجز والذي إليه ترد جميع التجارب الشعرية أو هو السنة الشعرية في قوانينها العامة.

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٦٤.

(٢) معاني الشعر: بدأها ثعلب النحوي الكوفي فهو الذي وضع هذه المعاني ثم تطورت مع علماء الشعر كالمرزباني وابن طباطبا وابن رشيق وقدامة بن جعفر، فمعاني الشعر ليست المعاني الموجودة في النص بل هي الكليات، الأشكال العامة الموجودة في ثقافة الشاعر.

إذا فنظام التمثيل هو جملة القوانين المتحكمة في استعمال المحاكاة داخل شعرية معينة[1].

يقول د. حمادي صمود وهو يدرس نصا للشابي عن أجزاء نظام التمثيل: "لابدّ أن ترتدّ أجزاؤها إلى بنية كلية وأن يشدّها نظام داخلي يحدّد أنساق المباني والمعاني ويردّ التنويع إلى الأصل أو الأصول العميقة الباطنة التي تغذّي هذه التجربة وتكفل لها الوحدة في التنوّع"[2].

مما سبق يبين أنه لابد أن يكون وراء الصور نوع من النحو، أرسطوطاليس حين وضع نظام التمثيل بين أن الصورة في حدّ ذاتها ليست مصدر ارتياح السامع، فهو لا يرتاح للصورة فقط لأنها صورة بل يرتاح لأن الصورة تخاطب فيه قوى نفسية تطلب الالتذاذ، وتعرف نظام التمثيل ومستعدة لتقبل نظام التمثيل،فالصورة لا تفعل شيئا إلا داخل نظام التمثيل، فالمخاطب يتلقى الصورة / نظام التمثيل فتؤثر في قواه النفسية التي تطلب الالتذاذ والتطهير.

نظام التصوير قائم على قراءة الطبيعة، الشاعر يقرأ الطبيعة ويقرّب بين مستعار ومستعار له، مشبّه ومشبّه به، ليعطي علاقة منطقية يقرؤها في الطبيعة، فهو يقرأ من الطبيعة (غير العاقلة) مثلا صورا يصنع منها بفضل نظام التمثيل صورة عاقلة، فتصبح المرئيات عنده مرئيات بآيات، بمعان، بأشكال ليست هي في الحقيقة بل الشاعر يضيف إليها، فالشاعر يلاحق تماسكا طبيعيا عاقلا، منطقيا، فيه تجاذب.

ولإدراك نظام التمثيل في صورة ما في قصيدة ما يجب إدراك جميع العلاقات بين الأبيات، فنظام التمثيل ليس الصورة معزولا بعضها عن بعض، بل هو ما وراء الصور من نظام يريد الشاعر أن يبني عليه جمالية القصيدة كلها أو جمالية النص.

إن القصيدة المدروسة لا تحكي الطبيعة الحقيقية بل تنشئ طبيعة أخرى فجمال الشعر هذا هو الطبيعة الحقيقية، الطبيعة هنا ليست طبيعة حقيقية بل طبيعة كما صنعها الشاعر، فهو يجعلنا نعيش طبيعة أخرى غير الطبيعة الحقيقية، فهنا تعجيب وتخييل وتجميل وتأنيق، والحلة هذه غير موجودة في الطبيعة الحقيقية، ولكن الشاعر هو الذي صنعها فالنسّاج الحقيقي هو الشاعر.

---

(١) الخطاب الأدبي وتحديات المنهج.د. صالح الهادي رمضان: ٣١٣.نادي أبها الأدبي.ط١.١٤٣١هـ ٢٠١٠م

(٢) دراسات في الشعرية. الشابي نموذجا. إعداد.حمادي صمّود وآخرين: ١٢. المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات.بيت الحكمة. قرطاج. ١٩٨٨م.

إذا فالقصيدة التي أمامنا وصف للطبيعة والوصف ليس غرضا من الأغراض "لأنه لا تكاد تخلو منه قصيدة مهما كان اتجاهها"[1]، بل هو أسلوب خِطابي ناظم للأغراض شأنه شأن السرد والحوار.

يبدأ الشاعر في استعمال الخيال من البيت الأول منطلقا من البداية في رؤية السرحة فيصفها وصفا عاما، فالشاعر يرسم صورة فوقية، كأنما التقطها من مكان عال، تبدو فيها السرحة بوجه عام.

إن الشاعر يرسم بالكلمات صورة عامة قبل أن يدخل إلى المشاهد الجزئية التي يفصّل فيها الوصف جزءا جزءا.

يقول ابن مكانس:

١ـ يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ المُنْسَابِ كَوثَرُهُ   عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

٢ـ حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابُ إِذَا   نَوْءُ الثُّرَيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ

يدعو للسرحة أن تمطر مطرا عظيما وهذا طبعي؛ لأن الاحتفال بالطبيعة لابد أن يبدأ بالمطر، فلا يمكن أن تزهر، تثمر، يغزر ماؤها، تنبت أزاهيرها، أن تكون قابلة أن توصف إلا بعد أن تُمْطَر.

والبيت الثاني موقعه من القصيدة موقع طبعي لأنه هو الذي سيثمر القصيدة:

فالنظام هكذا: تسقى السرحة والنتيجة هي تثمر والنتيجة هي توصف.

إن القصيدة سلسلة من الأقوال الوصفية (المدركات الحسية والمعنوية) المتتابعة المتداعية تلقائيا، وصورة السقي في نظام التمثيل في هذه القصيدة يعنى بالإغاثة أي:بالمعنى الإيجابي.

واستمر في ذكر المطر قائلا:

٣ـ وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ   سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ

هنا تواصل بين السماء والأرض، بين الأسفل والأعلى لأن الأعلى لم يجُد وحده، بل تبسّم هذا فجاد هذا، فالماء لم يأت من فوق فقط، بل أتى من فوق استجابة لما هو تحت تبسّم فأغدق عليه (تبسّم النور فأغدق عليه كل بكّاء) و(بكّاء) هنا في المعنى الإيجابي.

---

(١) خصائص الأسلوب في الشوقيات. محمد الهادي الطرابلسي: ١٦٠. منشورات الجامعة التونسية. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ١٩٨١م.

والأبيات الأولى ترسم الأجزاء المرئية من الصورة ويليها مجيء لمشهد مسموع في قول الشاعر:

١٧ـ وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصْنٍ   فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ

١٨ـ كَقَرْعِ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ   مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ

ويبرز نظام التمثيل في القصيدة في الشواهد التالية ومنها:

١. قول الشاعر واصفا النهر:

كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيْمِ لَهُ   فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ

فقد يقول قائل: ما صلة الصورة المائية بصورة السيف ؟

أقول: الشاعر يشبّه أمرا من الطبيعة بالسيف، جلب الشاعر المشبّه به وعقد بينه وبين المشبّه صلة، فحركة النسيم على صفحة الماء هي حركة السيف بيد جلاء، وهي منوال تصويري متكرر في الشعر العربي.

يقول المعتمد بن عباد:

نشر الريح على الماء زرد   أيّ درع لقتال لو جمد[1]

فالصورة هنا حربية ومقرونة بصورة الماء، وهي صورة حربية مولّدة ومقلوبة من صورة ثغر المرأة والسيف في بيتين ينسبان لعنترة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المبتسم[2]

---

(١) ديوان المعتمد بن عباد، جمع وتحقيق د. رضا الحبيب السويسي: ٧٦، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٥م.

(٢) هذان البيتان موجودان في ديوان عنترة، تحقيق فوزي عطوي: ١٦، دار المعرفة، ط١، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م بيروت. والصواب أن البيتين محمولان على شعر عنترة؛ فهما ليسا في روايات الديوان الموثوق بها. لكن محقق شرح التبريزي ذكرهما في الحاشية على أنهما في الجمهرة وليسا فيها، والبيتان في ديوان عنترة في طبعات غير موثوق بها. راجع: شعر عنترة دراسة تطبيقية على نظريات الشك في شعر الجاهلية، د. مصطفى الجوزو: ٨٢، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٢م، بيروت.

فهنا المشبه السيوف والمشبه به بارق الثغر (الرضاب)[1]، وفي قول ابن عباد تشبيه الماء بالسيف.

ولابن قلاقس:

وللنيـــل تحـــت ثيـــابِ الأصـــيل   لُجـــينٌ توشّـــح بالعـــسْجَدِ

كـــأنّ الـــشُعاعَ علـــى متنِـــه   فـرنْـــدٌ بـــصفحةِ ســـيفٍ صَـــدي[2]

إن علاقة الماء الذي يحرّكه النسيم أو تحركه الريح بالسيف ليست علاقة في هذه الصورة فقط، بل هي موجودة في الموروث ولها دلالات، فالماء في الضمير الجمعي بقدر ما هو ليّن ومغذّ ولطيف فهو قاطع، يقطع الجسم أو يهلك الجسم أو يصفعه مثلما يصفعه السيف[3].

ما في الضمير الجمعي من أن الماء ليس رخوا بل قوة طبيعية هائلة تناظر السيف، فالسيف والماء بينهما صلة في الضمير الجمعي، فالبيت في ذاته ليس هو نظام التمثيل، بل نتيجة نظام التمثيل، فنظام التمثيل هو العلاقات الرئيسة الكبرى الموجودة بين المشبهات والمشبه بها في الثقافة الشعرية التي يكتب بها الشاعر. ولأبي العلاء المعري:

بـــــــدلاص كأنهـــــــا   بعـــض مـــاء الثمـــادِ[4]

٢. يقول الشاعر واصفا السفينة:

٤٣ـ نُوْحِيَّـةُ الـصُّنْعِ وَالإحْكَـامِ مُنْشَأَةٌ   تَـسِيْرُ مَـا سُـيِّرَتْ مِـنْ غَيْـرِ إعْيَـاءِ

٤٤ـ سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى المَاءِ المُصَنْدَلِ (م   مَـةٌ عَلَـى شَـفَةٍ كَالـشَّهْدِ لَعْـسَاءِ

---

(١) يماثله قول كعب بن زهير:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت   كأنه منهل بالراح معلول

شرح ديوان كعب بن زهير. صنعة أبي سعيد السكري: ٧. نسخة مصورة من طبعة دار الكتب. نشر الدار القومية للطباعة والنشر. ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م. القاهرة.

(٢) ديوان ابن قلاقس. تحقيق د. سهام الفريح: ٢٤٠. مكتبة المعلا. ط١. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. الكويت.

(٣) في كثير من الصور تجد أن الماء له نفس الصفات التي للسيف كالجلاء، الشدة، الالتحام، الصفاء، الصلابة، والماء ليس شيئا رخوا بل هو صلب فعندما تحركه الريح تحس فيه صلابة فكأنه جسم متلاحم الأجزاء، والإنسان حينما يسقط في الماء على بطنه فإنه ينفلق.

(٤) سقط الزند: ٣٤٨.

شبه الشاعر السفينة بشامة على شفة، فشبه غير العاقل بعاقل، وشبه تشبيها نجده عادة مقلوبا فالعادة أن يقال: ريق عذب، ريق عسل، ريق ضرب....

شبه الشاعر السفينة بشامة على شفة، وقد ولّد شيئا من شيء، أي تشبيها من تشبيه، فالمشبه السفينة التي تشبه شامة على شفة، والشفة في حدّ ذاتها كأنها شهد، فالمراد سفينة كأنها شامة وشامَةٌ عَلَى شَفَةٍ كَالشَّهْدِ لَعْسَاءِ، فهو تشبيه يتوالد.

إن وجه الشبه بين السفينة هو السواد، والوجه الثاني أن الشاعر يتحدث عن النهر فجعل السفينة على النهر كأنها شامة على شفة وهذه الشفة في حدّ ذاتها حلوة كالشهد لعساء، وقال (لعساء) لأن الماء الذي عليه السفينة ماء عذب.

يقول ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حوّة لعس ... وفي اللثات وفي أنيابها شنب[1]

نظام التمثيل هنا أن المصدر هو هو، علاقة بالشفة وغزل بطبيعة، علاقة الشفة والريق بالماء العذب، ففي العادة الشعراء يشبهون الشفة بالماء الحلو، أما الشاعر هنا فقد شبه النهر بالشفة فقلب التشبيه فلا محالة من أن الصورة يلزمها

وقت لإدراكها وذاك لالتوائها، وهذا من خصائص التمثيل الشعري العربي.

٣- من مصادر التمثيل تشبيه الأشجار والغصون ونحوها بجسم المرأة وهذا خط عام ينتظم النص.فمنه قول الشاعر عن أغصان السرحة:

٢٧- كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا ... هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

وهنا سؤال يجب عرضه والإجابة عنه، إذ بذلك يبين للقارئ الصلة بين الصور المشبهة والمشبه بها.

ما الصور المتداعية في الخيال والخاطر حين يشبه الشاعر أجزاء السرحة بالمرأة ؟

---

(١) ديوان ذي الرمة. حققه وقدم له وعلّق عليه عبد القدوس أبو صالح:٣٢/١. مؤسسة الرسالة. ط٣. ١٤١٤هـ ١٩٩٣م بيروت.

١ـ أن المرأة تثمر كما تثمر الشجرة، والمرأة تسقى كما تسقى الشجرة، وهذا مظهر من مظاهر الإخصاب. فمن الجاهلية والعرب تشبه المرأة أو جزءا منها بجزء من الشجرة. يقول امرؤ القيس:

وَفَـرعٍ يَـزينُ المَـتنَ أَسـوَدَ فـاحِمٍ   أَثيـثٍ كَقِنـوِ النَخلَـةِ المُتَعَثكِـلِ[1]

وتقول العرب عن المرأة: غصن بان، ونحو ذلك، فهي تثمر، والفعل (أثمر) في العربية دال على العطاء المادي الزراعي، عُدل به عن معناه الأصلي واستعمل في المعاني الإيحائية والحافّة[2].

ويقول ابن مكانس مشبها أجزاء من السرحة:

١٠ـ خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا   ضَـرْعُ النَّمِيْـرَيْنِ مِـنْ نِيْـلٍ وَأَنْـوَاءِ

٢٧ـ كَـأَنَّ أَغْـصَانَهَا اللُّـدْنَ الرِّشَـاقَ إِذَا   هَـصَرْتَ أَفْنَانَهَـا أَعْطَـافُ وَطْفَـاءِ

٢٨. كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م)   دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

٣٤ـ كَأَنَّـهُ شَـبَكٌ مِـنْ لُؤْلُـؤٍ نُظِمَـتْ   أَوْ جَـوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيْـلُ رَقْشَاءِ

٣٦. وَكَمْ شَدَتْنَا حَمَامَاتُ الأَرَاكِ عَلَى   أَغْـصَانِهَا فَأَرَتْنَـا رَقْـصَ هَيْفَـاءِ

في الأبيات صورة هي نفس الصورة في البيت السابق من حيث تشبيه شيء من أجزاء الشجرة بالمرأة.

٤. وإذا انتقلت إلى بيت آخر وليكن قول ابن مكانس:

٣١ـ كَأَنَّمَا النَّهْرُ مِرْآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ   عَلَيْـهِ تُـدْهِشُ فِـي حُـسْنٍ وَلأْلاءِ

وجدت الشاعر يأخذ من زينة المرأة ما يكمل به الصورة، وهو يفيد من الصورة الجاهلية التي تشبه الماء بالمرآة[1] وهي دالة ـ فضلا على معاني الصفاء والنقاء ـ على نرجسية الجمال، الجمال الصافي والطاهر والعفيف. فصفاء الماء دليل على الحياة وعلى العذوبة.

---

(١) شرح ديوان امرئ القيس. حسن السندوبي: ١٥٠.المكتبة الثقافية. ط٧. ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. بيروت. لبنان.

(٢) فقيل الكلام المثمر، وهذا لا يثمر أيَّ نتيجة.

ويلحّ الشاعر على صفة الماء في أبيات عديدة، فمنها قوله:

٣٢ـ ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ عَلَى نَهْـرِ الأُبُلَّـةِ يُـزْرِي أيَّ إِزْرَاءِ

يولّد الشاعر صورة من النهر، فالشاطئ بعد أن نزلت عليه الأمطار صفا، ورشّح الشاعر صفة الصفاء فالنهر الموصوف: على نَهْرِ الأُبُلَّةِ يُزْرِي أيَّ إِزْرَاءِ .

ويستمر قائلا:

٣٣ـ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ

ولا يزال الشاعر يصف الماء وتلحظ أنه لا يزال يلح على صفة الصفاء، ثم يقول:

٣٤ـ كَأَنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

ولا يزال الصفاء مسيطرا على الصورة.

إن علاقة الماء بالجواهر جهة معنوية كبرى في الشعر العربي، حين يقرن الأديب الماء بالجواهر وباللمعان والبياض والياقوت، فهذا مصدر من المصادر الأساسية للصورة.

ومثل ما سبق قول ابن مكانس:

٣٥ـ كَأَنَّهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الأَرْضِ شَهْلاءِ

تلحظ عزيزي القارئ أن الصور وإن اختلفت من حيث الجزئيات المعنوية فكلها تسير نحو شيء واحد يُعاد وصفه، فالنهر هو النهر أي: شيء واحد، لماذا؟

لأن في ذهن الشاعر نموذجا مثاليا يرغب في الوصول إليه، يرغب في أن يوصل المشبه إليه، هذا الأنموذج هو المحاكاة (نظام التمثيل) أي: نظام التمثيل ليس الصورة ذاتها إنما سعي الشاعر من خلال الصورة إلى أن يرتقي بالمشبه إلى مرتبة المشبه به، ولذلك يكرّر.

---

(١) يقول طرفة بن العبد:

وعينان كالماويتين استكنتا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

ديوان طرفة بن العبد. شرح الأعلم الشنتمري. تحقيق درية الخطيب ولطفي الصّقال: ٢٢. مطبوعات مجمع اللغة العربية. د ١٣٩٥هـ د ١٩٧٥م. دمشق.

٥. تعقيل ما لا يعقل، ومنه قول ابن مكانس:

٣٠ـ مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الخَرِيْرُ بِهِ كَأَنَّهَا أُذُنٌ مَالَتْ لإِصْغَاءِ[١]

هنا تشبيه لغير العاقل بالعاقل

في الصور السابقة لون من تعقيل غير العاقل، فالصورة كلها تتجه نحو تجاوز غير العاقل، الشكل البهيمي الساكن للطبيعة، يتجاوزه إلى أن يقرأ في كل قسماتها وكل ملامحها أفعالا وأعمالا مثل قول ابن زيدون:

سرى ينافحه نيلوفر عبق وسنان نبّه منه الصبح أحداقا

والروض عن مائه الفضّي مبتسم كما شققت عن اللبات أطواقا[٢]

يسعى ابن مكانس إلى رسم توازنات بين الكلمات، في التشبيه: كأنه، كأنه، كأنه، كأنه، هذه توازنات جمالية يصنعها الشاعر ليُخرج بها ا لطبيعة كلها، ولبناء نظام تمثيلي يوازي النظام المرجعي[٣] ليروي بها الطبيعة كلها عبر المحاكاة، ولتصبح الطبيعة كلها كأنها عواقل، ولذا قال (يهدي زرقة) وقال (لؤلؤ) و(الزرقة) و(الصفاء) لا تهدى حقيقة ولكنها تهدى في العالم الذي يتحدث عنه الشاعر وهو عالم الطبيعة.

---

(١) قال ابن حجة عن هذا التشبيه: "ومن التشابيه البديعة التي لم تُدرك في هذا الباب تشابيه الصاحب فخر الدين بن مكانس في قصيدته المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرح "وأورد بعد ذلك البيت السابق والبيت رقم (٢٨) خزانة الأدب وغاية الأرب:١/٣٩٠.

(٢) ديوان ابن زيدون. شرح وضبط وتصنيف كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة: ٢٥٧، ٢٥٨.مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط١. ١٣٥١هـ ١٩٣٢م. مصر.

(٣) إن الشاعر حين يكرر التشبيه التمثيلي وفي كل مرة يكرره يأخذ جانبا من الصورة فغايته أن يقضي على المرجع الحقيقي ببناء مرجعية خياليى كما لو أنها هي الحقيقة.

ومثله:

٢٣. كَمْ صَفَّقَ المَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَبَاً ... فَنَقَّطَتْهُ بِبَيْضَاءٍ وَصَفْرَاءِ

هذا من تعقيل غير العاقل ومثله:

٢٢ـ وَقَامَ عَنْهَا لِسَانُ الزَّهْرِ يُنْشِدُنَا ... لِلَهْوِكُمْ أَرَجٌ مَا بَيْنَ أَرْجَائِي

إن إسناد اللسان إلى الزهر استعارة تخييلية ؛ إذ الزهر لا لسان له، لكنه من تعقيل غير العاقل.

ومثله:

٢١ـ بَدِيْعَةُ الحُسْنِ قَدْ فَازَ الجِنَاسُ لَهَا ... مِنَ المَعَانِي بِأَفْنَانٍ وَأَفْنَاءِ

ومثله:

١٧ـ وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصُنٍ ... فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ

في البيت مظهر من مظاهر تعقيل غير العاقل وذاك أن الحلة لا يلبسها إلا الإنسان.

ومثله:

١٨. كَقَرْعِ نَاقُوْسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ ... مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ

ينتقل الشاعر إلى طقوس النصارى (قرع) (ناقوس) (ديري)(على شرف) (مسبح).

ويتعلّق الشاعر بحب الطبيعة قائلا:

١٩ـ خَلِيَّةٌ حِيْنَ أَحْنَيْتُ الضُّلُوْعَ عَلَى ... نَارٍ بِشَجْوِيْ بِهَا لا حُبَّ لَمْيَاءِ

يفضّل الشاعر في البيت السابق حب الطبيعة على حب المرأة، فتعلّقه بحب الطبيعة أكثر من تعلّقه بحب المرأة. والقصيدة كلها متجهة نحو تفضيل الطبيعة على المرأة. ومن ثم تفضيل حبّ الطبيعة على الغزل. ووراء ذلك أن جميع الصور التي شبّه بها الطبيعة بالمرأة هي صور تُفْتَكّ من جمال المرأة لتعطيه جمال الطبيعة (تأخذ من المرأة لتعطي الطبيعة).

و هنا سؤال: لماذا يأخذ الشاعر من المرأة ويعطي الطبيعة؟

يجيب عن هذا السؤال الاتجاه التكويني عند (سبتزير) . المنهج الأسلوبي يوصلنا إلى نتائج مفيدة لدراسة نفسية الشاعر، أو ما يسمّى بالبنية النفسية من خلال البنية التمثيلية والدلالية، رفضُ المرأة يُخفي عقدة يعيشها الشاعر ويصرّح بها.

إن في البيت صورة أنثوية أمومية يصرّح فيها ابن مكانس بالتحول من مصدر جمال إلى مصدر جمال آخر.

الإفادة من القرآن الكريم والشعر:(الاقتباس والتضمين):

من المواضع المستفادة في الصور ما يلي:

١١. فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْضَلَّ وَافْتَرَشَتْ   زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشَاً عَلَى المَاءِ

فهو ينظر فيه لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. وعندما يجوّد الشاعر كلامه بالأخذ من المعين البلاغي الأسمى وهو القرآن الكريم فإن كلامه يزداد حسنا، وفي أخذ الشاعر من الآية ما يفيد علو شأن السرحة.

وينظر أيضا إلى قول الحسين بن الضحاك عن الخمرة:

ثم استحال لها درّ فعرّشه   حتى استقلّ لها عرش على الماء[1]

وينظر إلى قول شاعر سابق هو بدر الدين الذهبي يقول:

قديمة ذاتها في روض جنتها   كانت وكان لها عرش على الماء[2]

وعند الموازنة بين الأبيات أجد ما يلي:

١. الحسين بن الضحاك وبدر الدين الذهبي أسبق من ابن مكانس زمنا.

٢. يتفق الشعراء في قولهم (على الماء).

٣. متعلق (على الماء) عند كل شاعر مختلف عن الآخر.

٤. كل النصوص من بحر البسيط التام.

٥. كل النصوص همزية.

---

(١) ديوان الحسين بن الضحاك: ٣٥.

(٢) ديوان شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي . جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراح: ٤٠.ط١.

٦. الروي في جميع النصوص مجرور.

٧. كل النصوص داخلة في غرض الوصف.

٨- كل النصوص دالة على القدم فالحسين بن الضحاك وبدر الدين الذهبي على قدم الخمرة وابن مكانس على قدم السرحة. وإن كان قول بدر الدين الذهبي أكثر دلالة على القدم وذلك حين نوازن بين (كانت وكان) في قول بدر الدين الذهبي و(رقت) في قول ابن مكانس.

٩- لا أجد تعمّقا في ترشيح الصورة عند الشعراء.

١٠. يؤخذ على قول بدر الدين الذهبي تكرار (كان) في الشطر الثاني. وتوالي وقعها أذهب شيئا من جمال الإيقاع.

١١. يقترب الشاعران (ابن مكانس وبدر الدين) من التساوي في النظم إذ كلاهما يستفيد من قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) فكان آخر كلامهما في بيتيهما مأخوذ من القرآن غير أن بدر الدين الذهبي أتى به مرفوعا وابن مكانس أتى به منصوبا.

ومما أفاده قوله عن السرحة:

١٦- لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلٍ   حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَحْظَاتُ حَوْلَاءِ

هذا القول مستفاد من قوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[الملك: ٣-٤] وقد أخرجه الشاعر من الإنشاء إلى الخبر ومن الأمر إلى السرد. وتفيد الآية كمال صنع الله سبحانه وتعالى وإحسانه خلق السماء فلست ترى فيها عيبا. وأراد ابن مكانس أن يستفيد من الآية الكريمة وذلك لأنه يصف سرحة أُعجب بها فعمد إلى أخذ ما يناسب هذا المعنى من القرآن الكريم، فمهما أراد أي إنسان إدراك أقصى السرحة فلن يستطيع وسيرتد بصره كليلا وهو لم يجد عيبا يعيب به السرحة.

والشاعر يعوّل في الاقتباس على القوة الشاعرة وعلى قدرتها ومعرفتها بعلاقات التماثل والتناسب والتخالف بين صور الأشياء ويعتمد على القوة الحافظة والمتذكرة التي تختزن كلاما جرى أو نظما أو نثرا... ولكن هذه القوة لا تعيد ما اختزنت ولا تكرّر ما حفظت بل تورده بنوع من التصرّف وبضرب من التغيير[1].

---

(١) انظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجني. تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة: ٣٨-٣٩. دار الكتب المشرقية د.ط. د.ت.

وينظر ابن مكانس لبيت الحسين بن الضحاك القائل:

لا يـــستطيع ســـنا نـــور لهـــا نظـــر   حَتَّـى تَعُـوْدَ لَـهُ لَحْظَـاتُ حَـوْلاءِ[1]

وهذا النقل الحرفي للشطر الثاني يلقي بظلّه على صورة ابن مكانس الذي أغار على قول الحسين بن الضحاك، ولكن ابن مكانس نقل الصورة من مجال لآخر، فقد كانت في وصف الخمرة فنقلها لوصف ارتفاع السرحة، وهذا لا يقوى أن يكون تغييرا ذا بال.

وقول ابن مكانس:

٣٠ـ مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الخَرِيْرُ بِهِ   كَأَنَّهَـــا أُذُنٌ مَالَـــتْ لإِصْـــغَاءِ

متأثر بقول الأرجاني:

وتَحـــدّثا سِـــرّاً فحـــولَ قبابهـــا   سُـــمرُ الرّمـــاحِ يَمِلـــنَ للإصـــغاء[2]

وهو فيه سائر على منهج الأرجاني، الذي يفيد تعقيل غير العاقل.

وقول ابن مكانس:

١٧ـ وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصُنٍ   فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ

١٨ـ كَقَرْعِ نَاقُوْسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ   مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ

متأثر بقول ابن المعتز:

جرّت ذيول الثياب البيض حين مشت   كالـــشمس مـــسبلة أذيـــال لألاء

وقـــرع نـــاقوس ديـــري علـــى شـــرف   مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ[3]

فبيت ابن مكانس تضمين لبيت ابن المعتز، وفضله يكمن في تجميع الركن الأول من الصورة (المشبه) ومقابلته بالمشبه به الذي أورده ابن المعتز ولم يكن ابن المعتز

---

(١) ديوان الحسين بن الضحاك: ٣٥.

(٢) ديوان الأرجاني. تحقيق د. محمد قاسم مصطفى: ٣٢/١. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر. ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م العراق.

(٣) شعر ابن المعتز: ٦/٢.

يقصد بالبيت أن يكون في موقع المشبه به،فلابن مكانس فضل تجميع الصورة وإن كرّر بيت ابن المعتز.

وعند النظر إلى بيتي ابن مكانس تجده نقل بيتاً من نص وأدخله في نصّه، وأحسن التوظيف، فأضحى بيت ابن المعتزّ يمثّل جزءاً مهماً في الصورة، فالمعنى لا يتمّ دون بيت ابن المعتزّ. وبيان ذلك أن ابن مكانس قطع السياق وترك الإكمال من كلامه وأتى ببيت ابن المعتزّ؛ لأنه يرى فيه خير قيام بالغرض الذي يتحدّث عنه؛ إذ يشكّل الخبر الذي تتم به الفائدة [1].

إن المعنى وإن كان نصفه من كلام ابن المعتز فإن العرب تنظر إلى من تصرّف في المعنى ولم ينقله حرفيا، فيكون بذلك له نصيب منه، فالمعنى للسابك وليس للسابق، وابن مكانس في هذه الصورة يعدّ سابكا[2].

وقد أثر ابن المعتز وابن مكانس في ابن خطيب داريا فقال:

كأنما شحرورها راهب ... يردد الإنجيل في برنس[3]

وتأثر ابن خطيب داريا بقول ابن مكانس دليل على إعجاب به، ثم إن قول ابن مكانس وإن كان أسبق فهو أحسن لأنه بنى الصورة على التشبيه التمثيلي وهو أكثر تعقيدا وأفضل عند الأدباء من التشبيه البسيط كما في صورة ابن خطيب داريا.

وقوله:

٣ـ وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ ... سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ

فيه من قول الشاعر:

وكم تبسّم فيك النور من طرب ... فجاء يضحك عجبا من فم المطر[4]

---

(١) انظر: ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث. د. علوي الهاشمي. مؤسسة اليمامة الصحفية ١٩٩٨م. الرياض.العدد ٢د-٣د: ٣٢١.

(٢) انظر: المشاكلة والاختلاف. د. عبدالله الغذامي. الفصل الرابع (ما ترك الأول للآخر شيئا (١٠٧-١٤٧). المركز الثقافي العربي. ط١. ١٩٩٤م. بيروت.

(٣) ديوان ابن خطيب داريا. مخطوطة مصورة في مركز جمعة الماجد تحت رقم (٣٠٧٣): ق ١٦٨.ومصدرها الخزانة العامة بالرباط رقم (د٢٢٥ق). وتأهيل الغريب: ٤٩د.

(٤) تأهيل الغريب: ٤٧٢.

ولم يبن لي من المتقدم، وعلى كل حال فالنصان قريبان من بعضهما في الشطر الأول، والجهل بأسبقية أحدهما تمنع القطع لأحدهما بالفضل.

ويستمد ابن مكانس صورة من قصيدة الحسين بن الضحاك ففي قول ابن مكانس:

٤٩ـ مِمَّا تَخَيَّرَهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا ... رَبُّ الخَوَرْنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوْفَاءِ

يبين فيه أثر الحسين بن الضحاك القائل:

مما تخيرها أولاها وأودعها ... رب الخورنق في جرعاء ميثاء[1]

والأمر الذي يتحدث عنه الشاعران قوّى نقل ابن مكانس للبيت فالموضوع عن الخمرة، ولا يكاد ابن مكانس في بيته السابق يحدث تغييرا ذا بال في الصورة غير النصّ على أن من تخيّرها كسرى فقط.

ومن التشبيهات المستفادة قول ابن مكانس:

٤٢ـ يَسْعَى إِلَيْهَا عَلَى جَرْدَاءَ جَارِيَةٍ ... مِنْ أَيْكِهَا كَهِلَالِ الأُفْقِ حَدْبَاءِ

وهو متأثر بقول ابن المعتز:

انظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر[2]

غير أن ابن مكانس قلب الصورة فشبه السفينة بالهلال وابن المعتز شبه الهلال بالزورق، وعمل ابن مكانس محسوب له لأنه ابتعد عن التكرار، وقد ألح على بيان ميل السفية المشابه لانعطاف الهلال في قوله (حدباء).

ولابن نباتة مشبها الهلال بالسفينة:

كأن شكل هلال الأفق في يده ... قوس على مهج الأضداد موتور

وبعد أبيات يقول:

أو زورق جاء فيه العيد منحدرا ... حيث الدجى كعباب البحر مسجور[1]

---

(١) ديوان الحسين بن الضحاك: ٣٢.

(٢) ديوان أشعار الأمير أبي العباس: ٢/ ٢٦٦.

ومن نظام التمثيل لدى بعض الشعراء السابقين لابن مكانس تشبيه مرور النسيم على النهر بالتفريك يقول الصفدي:

النهــر مــولى والنــسيم خديمــه   هــذا كــلام لــست فيــه أُشــكّكُ

لــولـم يكـن فـي خدمـة النهـر انبـرى   مــا كــان يــصقل ثوبــه ويفــرّكُ[٢]

ولابن مكانس مفيدا من الصورة السابقة وأشباهها مما هو مركوز في الذهن العربي:

٣٣ـ كَأَنَّـهُ عِنْـدَ تَفْرِيْـكِ النَّـسِيْمِ لَـهُ   فِرِنْــدُ سَــيْفٍ نَــضَتْهُ كَــفُّ جَــلاءِ

والتفريـك مفيـد الملامـسة،وابن مكـانس يفيـد ممـا سـبق ويركـز علـى مـسألة الملامسة(التفريك) وهو قيد شديد الأهمية لأنه يفيد توالي ملامسته وصقله ليبدو جليا لامعا، فالشاهد في البيت السابق داخل في دخول الشاعر إلى تشبيه مركِّزا على شيء جديد. وفيه أهمية ذلك القيد في الصورة.

وخلاصة القول إن من يأتي بالخيال من عنده أفضل ممن يأتي به مسروقا ومن يُغير ويغيّر خير ممن ينقل الألفاظ دون تغيير[٣].

ومن الصورة الخمرية المستفادة قول ابن مكانس:

٥٢ـ أم السُّرُوْرِ التِي أَبْقَى الزَّمَانُ بِهَا   جُــزْءَ الحَيَــاةِ وَقَــدْ أَلْــوَى بِــأَجْزَاءِ

فيبدو فيه قول الحسين بن الضحاك:

حتــى إذا الــدهر أبقــى مــن ســلالتها   جُــزْءَ الحَيَــاةِ وَقَــدْ أَلْــوَى بِــأَجْزَاءِ[٤]

---

(١) ديوان ابن نباتة المصري: ١٨٦،ملتزم الطبع محمد القلقيلي،مطبعة التمدن،عابدين،ط١،١٣٢٣هـ ١٩٠٥م. مصر.

(٢) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه،صلاح الدين الصفدي. حققه وعلق عليه هلال ناجي ووليد الحسين: ٢٥٨ مجلة الحكمة،ط١. ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. بريطانيا.

(٣) انظر: منهاج البلغاء: ٢٠.

(٤) ديوان الحسين بن الضحاك: ٣٤.

وابن مكانس يحاول في غير موضع نظم أشطر له مع أشطر من غيره،وربما نقل بيتا، وجرى التوفيق معه في صوره فلا يشعر القارئ بأن الصورة مقحمة، بل ربّما أحس أن الصورة المجلوبة انتقلت لمكان لا تتزحزح عنه ولا تبرحه فليست قلقة فيه ولا مضطربة ولا غريبة عنه، وذلك كما في قول ابن مكانس:

١٧ـ وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصُنٍ ... فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ

١٨ـ كَقَرْعِ نَاقُوْسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ ... مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ

ومن التأثر اللفظي ما ورد في قول بن مكانس مبينا فيه تركه النوح على الطلل:

٥٩ . تَرَكْتُهُ لأُنَاسٍ كَالتِّيُوْسِ غَنَوْا ... عَنِ المُدَامِ بِدَرِّ الإِبْلِ وَالشَّاءِ

ففيه من قول أبي نواس:

حاشا لِدُرَّةَ أن تَبنى الخِيامُ لَها ... وَأن تَروحَ عَلَيها الإِبلُ وَالشاءُ[1]

ومن قول الحسين بن الضحاك:

بدّلت من نفحات الورد بالاء ... ومن صبوحك درّ الإبل والشاء[2]

وهذا مظهر من مظاهر تأثر المتأخر بالمتقدم وخصوصا إذا اتفقت الأغراض. " وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه"[3].

ومن الجمع بين المتضادات في الصور قول ابن مكانس:

١٥ـ قَدِيْمَةُ العَهْدِ هَزَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَتْ ... فَهْيَ العَجُوزُ تَهَادَى هَدْيَ مَرْهَاءِ

وقوله:

٤٨. كَمْ قَدْ نَعِمْنَا بِهَا عَيْشاً بِصَافِيَةٍ ... شَمْطَاءَ تُجْلَى عَلَى الجُلاسِ عَذْرَاءِ

---

(١) ديوان الخمريات. أبو نواس. ٣٢.

(٢) ديوان الحسين بن الضحاك: ٣١.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه. القاضي الجرجاني. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: ٢١٤. منشورات المكتبة العصرية. بيروت

٤٩ـ مِمَّا تَخَيَّرَهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا رَبُّ الخَوَرْنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوْفَاءِ

٥٠ـ حَمْرَاءُ صِرْفَاً وَصَفْرَا إِنْ مَزَجْتَ كَمْ مِنْ يَدٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ

٥١ـ رَاحَاً إِذَا رَكَعَ الإِبْرِيقُ يَمْزُجُهَا سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيحَ فَأْفَاءِ

٥٢ـ أَمِ السُّرُورِ الَّتِي أَبْقَى الزَّمَانُ بِهَا جُزْءَ الحَيَاةِ وَقَدْ أَلْوَى بِأَجْزَاءِ

٥٣ـ فَعَاطِنِيهَا عَلَى طَلِّ النَّدَى سَحَرَاً فَإِنَّ تِرْشَافَهَا مَوْتِي وَإِحْيَائِي

فقد جمع بين الشمطاء والعذراء لنفاستها وقدم عهدها، ولأنها مختومة لم تفضض وبكر لم تقترب[1].

أبرز وسائل التصوير:

ـ التشبيه: وهو أبرز ما في القصيدة من الوسائل،وهو القالب المولد للعلاقات الجديدة التي يحدثها الشاعر بين الأشياء، ولذا سيكون التركيز منصبا عليه والاهتمام مختصا به، ومن شواهده قول الشاعر:

١٧ـ وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصُنٍ فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ

١٨ـ كَقَرْعِ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ

٢٦ـ كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ حُسْنَاً وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ

٢٧ـ كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

٢٨ـ كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ

٢٩ـ كَأَنَّهَا فَوْقَ دِعْصِ المَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ هِضَابُهُ سَفْحُ وَادٍ رَبُّ أَفْيَاءِ

٣٠ـ مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الخَرِيرُ بِهِ كَأَنَّهَا أُذُنٌ مَالَتْ لِإِصْغَاءِ

٣١ـ كَأَنَّمَا النَّهْرُ مِرْآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلأْلاءِ

---

(١) مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم. ٧٨١.

٣٣ــ كَأَنَّــهُ عِنْــدَ تَفْرِيْــكِ النَّــسِيْمِ لَــهُ	فِرِنْـدُ سَـيْفٍ نَـضَتْهُ كَـفٌّ جَـلاءِ
٣٤ــ كَأَنَّــهُ شَــبَكٌ مِــنْ لُؤْلُــؤٍ نُظِمَــتْ	أَوْ جَــوْهَرُ الــسِّتِ أَوْ تَجْلِيْــلُ
٣٥ــ كَأَنَّــهُ حِــيْنَ يُهْــدِي زُرْقَــةً وَصَــفَا	رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الأَرْضِ شَهْلاءِ
٤٢ــ يَــسْعَى إِلَيْهَــا عَلَــى جَــرْدَاءَ جَارِيَــةٍ	مِنْ أَيْكِهَا كَهِلالِ الأُفْقِ حَدْبَاءِ
٤٤. سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى المَاءِ المُصَنْدَلِ شَا (م)	مَةً عَلَى شَفَةٍ كَالشَّهْدِ لَعْسَاءِ
٥٩ــ تَرَكْتُــهُ لأُنَــاسٍ كَــالتُّيُوْسِ غَنَــوْا	عَـنِ المُـدَامِ بِـدَرِّ الإِبْـلِ وَالـشَّاءِ
٦١ـ مِـنْ كُـلِّ أَلْكَـنَ عِنْـدَ البَحْـثِ مُنْقَطِـعٌ	كَـأَنَّهُ وَاصِـلٌ وَالـشِّعْرُ كَـالزَّاءِ

وإكثار الشاعر منه ليس لأنه من أشهر الطرائق التي شاعت عند العرب في التعبير عن المعاني فقط، بل إن القدرة على الوصف والتشبيه من أبرز الدلائل على القدرة على النظم [١]، بل إن "التشبيه بحر البلاغة وأبو عذرتها وسرها ولبابها وإنسان مقلتها"[٢].

. التشبيه بـ (كأن)[٣]:

وردت (كأن) أكثر من الكاف، ولعل ميل الشاعر إلى ذلك كون كثير من التشبيهات في القصيدة تشبيهات تمثيلية وتناسبها (كأن)، ولها من القوة ما يكفي ليجعل التشبيه بها أسمى درجة من التشبيه بالكاف، فمعها نخطو خطوة نحو التسوية بين العنصرين الأساسيين[٤]،لأننا نشبه عالَما بعالَم (نظام مشبهات بنظام مشبهات) ولسنا نشبه عنصرا بعنصر.

وحين يستعمل ابن مكانس التشبيه بـ (كأن) فإن الغالب في ترتيب الصورة الآتي:

١. أداة التشبيه ٢. المشبه ٣. المشبه به ٤. وجه الشبه.

(١) انظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي. جابر عصفور: ١١٢.دار المعارف. القاهرة. ١٩٨٠م.

(٢) الطراز. العلوي. ٣٢٦/١.دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٨٢م.

(٣) العناية بالتشبيه بـ (كأن) لبروزها في النص.

(٤) انظر:المرجع السابق:١٤٧.

وجه الشبه:

كثيرا ما حذف الشاعر وجه الشبه، ومن ذلك قوله:

٣٣_ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ   فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ

والوجه المحذوف دال على اللمعان وحذف لشهرته.

وأقلّ منه التشبيه المرسل وهو الذي توافرت فيه العناصر الأربعة،وهو"أحسن إطار يُنْتَظَر أن نجد فيه الصور في أوضح مظهر مشبعة بأبين دلالة وإن خلت من العمق أحيانا"[1]. ومنه قول ابن مكانس:

٤٢_ يَسْعَى إِلَيْهَا عَلَى جَرْدَاءَ جَارِيَةٍ   مِنْ أَيْكِهَا كَهِلالِ الأُفْقِ حَدْبَاءِ

وأجزاء الصورة (المشبه = السفينة) (الأداة= الكاف)(المشبه به =هلال الأفق) (الوجه= حدباء) وقليل ورود وجه الشبه مصرحا به.

ومثله:

٤٤– سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى المَاءِ المُصَنْدَلِ شَا (م) مَةً عَلَى شَفَةٍ كَالشَّهْدِ لَعْسَاءِ

نوع المشبه والمشبه به:

يميل الشاعر إلى تشبيه المحسوس بالمحسوس؛ لأنه يروم تسكين الصورة وترسيخها في ذهن المتلقي بالقدر الذي يثير في الحس ما يبعث على الإعجاب[2].

ومن ذلك قول الشاعر:

٢٧_ كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا   هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

٢٨_ كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

٣١_ كَأَنَّمَا النَّهْرُ مِرآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ   عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلَأْلاءِ

٣٣_ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ   فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ

٣٤_ كَأَنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ   أَوْ جَوْهَرَ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

---

(١) خصائص الأسلوب في الشوقيات: ١٤٣.

(٢) راجع في ذلك: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: ٤٥.

التشبيه التمثيلي:

يغلب على النص التشبيه التمثيلي، وهو النموذج الراقي الدال على نظام التمثيل لأنه يشبه مركبا بمركب، عالَم بعالم وتبين فيه المصادر والثقافة، ومنه قول ابن مكانس:

١٧ـ وَصَـوْتُ بُلْبُلِهَـا الرَّاقِـي ذُرَى غُـصُنٍ فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ

١٨ـ كَقَـرْعِ نَـاقُوْسِ دَيْـرِيٍّ عَلَـى شَـرَفٍ مُـسَبِّحٍ فِـي سَـوَادِ اللَّيْـلِ دَعَّـاءِ

إن تشبيه التمثيل هو تشبيه هيئة بهيئة، فيقابل الشاعر فيه مجموعة من الأجزاء مجتمعة بمجموعة أخرى، ولا يصح فيه تفكيك الصورة بمقابلة كل جزء بما يقابله في الجانب الآخر، لأن الصورة قائمة على تشبيه هيئة بهيئة.

وفي الصورة السابقة يشبه الشاعر صوت البلبل الراقى ذرى الغصن وهو لابس حلة من دمقس الريش دكناء بقرع ناقوس ديري على شرف مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ.

والصورة يقع فيها المشبه في البيت الأول كاملا والمشبه به في البيت الثاني كاملا .

إن صوت البلبل الراقي ذرى غصن وهو يلبس حلة من دمقس الريش دكناء تقابل تماما قرع ناقوس ديري (صاحب الدير) مرتفع لبس حلة غامقة اللون، حالة كونه مسبحا في سواد الليل .

إن في الصورة صوتا وارتفاع مكان ولباسا ولونا، ولا يمكن عزل كل عنصر لمقابلته بما يشاكله في المشبه به، فلا يصح أن يقال صوت البلبل كقرع الناقوس لأن ذلك غير مراد الشاعر، ولأنه لا يصح عقلا، فمراد الشاعر الاختلاط في أجزاء المشبه ويقابله الاختلاط في أجزاء المشبه به، فهو تشبيه علاقة بعلاقة أو تناظر بين العالمين، والتناظر أن يكون بين نظامين علاقة فلكل عنصر منهما علاقته بالعنصر الآخر من النظام الآخر.

وهذا التشبيه من التشبيهات الغريبة، لبعد ما بين الصورتين، ولما فيها من التفصيل، فلو كان التشبيه لصوت البلبل مقابلا بقرع الناقوس لكان التشبيه قريب المتناول أما جملة الصورة في الركن الأول (المشبه) فنادر أن تقع فكان من الصعب على الشاعر أن يأتي بالمشبه به الذي يقابله، إلا بعد مداومة النظر والتأمل القوي[1]، فالشاعر محتاج إلى النظر في أمور كثيرة وإلى الربط بين أجزائها وإلى الإتيان بما يقابلها.

---

(١) للاستزادة راجع: الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: ١٥٢.

وفي تخصيص الشاعر صوت البلبل ما يفيد جمال المسموع .

ووجه الشبه في البيتين السابقين منتزع من مجموعة من الأمور لا من أمر واحد.

لقد استطاع الشاعر أن ينقل المتلقي إلى جو القصيدة ويقرّب له ما يريد بيانه غير غافل عن أجزاء الصورة الدقيقة في المشبه أو المشبه به.

ومما ساعده على نقل الصورة أنه أخرجها من الأغمض إلى الأظهر فأتى بأمر من البيئة التي يعيشها الناس إذ ذاك. فقد كان النصارى موجودين في مصر وأديرتهم معروفة[1].

لقد ارتقى الشاعر بالنص ارتقاء فنيا حين وصف وصفا دقيقا جدا، ولم يغفل أي جزء من أجزاء المشبه في المشبه به، وقد ساعدت هذه الصورة على دفع الموقف التصويري في النص.

ومن تشبيه التمثيل قول الشاعر:

٢٨ـ كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ

يشبه ابن مكانس صمغ الشجرة ذي اللون الأحمر المختلط بالقشرة الدكناء بالقرص من الحلْي المقرّص وهو الشيء المستدير على أعكان (أطواء) في البطن من السمن.

وهذه صورة حاول الشاعر تقريبها بجلب المشبه به من البيئة، وأثمر ذلك قربها وإنارة لذهن القارئ الذي هو بعيد عن الصورة.

وتراكب أجزاء المشبه أمر يصعّب على الشاعر المجيء بصورة تقابلها ولهذا فتشبيه التمثيل من أبرز ميادين السباق بين الأدباء والبلغاء. وهو إلى ذلك تشبيه مفصح عن إعمال الذهن وكدّ الخاطر وتروٍّ في رسم شبكة العلاقات بين المشبه والمشبه به، إذ دون ذلك يزلّ الأديب ويكبو جواده في نوع من التشبيه يتنافس فيه الأدباء على الإجادة. ولجوء الشاعر إلى تشبيه التمثيل دال على أنه يفكّر في قصيدته تفكيراً منطقياً لأنه يحاول إقامة العلاقات وسوق الشواهد[2].

---

(١) مسالك الأبصار. ابن فضل الله العمري. تحقيق عبد الله السريحي:١/١د٤ و مابعدها. المجمع الثقافي. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. أبو ظبي. الإمارات.

(٢) انظر: استعادة الماضي. دراسات في شعر النهضة د. جابر عصفور: ٢٤٤.دار المدى للثقافة والنشر. ط٢. ٢٠٠٢م سورية.

مما تميزت به القصيدة جدّة بعض تشبيهاتها على ذوق القارئ الذي تربّى على بعض التشبيهات النمطيّة[1]، ومن ذلك قول ابن مكانس مشبها الصمغة التي تعلو قشرة السرحة بالقرص المستدير من الحلْي على أطواء بطن امرأة سمراء:

٢٨. كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

وهذا التشبيه فيه جدّة، وفيه جمع لأمور متباعدة في صورة واحدة.

مظاهر العدول في الصور:

الأصل في التشبيه عند العرب أن يشبّه الإنسان بالحيوان[2]، فيقال: يسرع كالحصان، وشجاع كالأسد ونحوها، ولكنّ ابن مكانس عدل عن بعض ما هو مركوز في الذهن لدى الأدباء، ومن ذلك ما يلي:

٢٧ـ كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

٢٨ـ كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

إن الأصل تشبيه الأعطاف بالأغصان اللدن، ولكن الشاعر عدل عن ذلك وقلب التشبيه فشبه الأغصان اللدن بأعطاف وطفاء، وفي ذلك خروج عن المألوف لدى العرب، والشاعر بذلك يصدم القارئ جماليا حين يخرجه عما ألف إلى ما لم يألف.

والأمر نفسه في البيت الذي يليه، وما ورد في البيتين من التشبيه المقلوب الذي يدّعي أن وجه الشبه أقوى وأظهر في المشبه من المشبه به[3].

ومن العدول في الصورة قول الشاعر:

٣٠ـ مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الخَرِيْرُ بِهِ كَأَنَّهَا أُذُنٌ مَالَتْ لإِصْغَاءِ

---

(١) انظر: دراسات في الشعرية: ٣٣٤.

(٢) وإن كان العكس موجودا، يقول امرئ القيس يشبه النعاج بالعذارى:

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيّل

(٣) انظر: أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. بعناية السيد محمد رشيد رضا: ١٩٤. دار الكتب العلمية. ط١. ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م. بيروت. لبنان.

وهو تشبيه الأكبر والأعظم بالأصغر، والعكس هو المألوف[1]. لكنّ الشاعر أراد السير في درب لم يسلكه كثيرون قبله، ليجعل للصورة بقاء وخلودا على مر الأزمان.

ومما يجعل التشبيه السابق مقبولا ومثيرا للانتباه[2] قدرة الشاعر على التأليف بين طرفي التشبيه مع بعد ما بين الصورتين .

إن العزوف عن المعهود ومحاولة كسر التتابع اليومي والمألوف لهو أمر يحسب للأديب الذي يبتعد عن الاجترار ويسعى للتجديد ساعيا لنحت اسمه بين المبدعين.

وربما كان من جميل الصورة قوله:

١٧ـ وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصُنٍ	فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ
١٨ـ كَقَرْعِ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ	مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ

فهي صورة مؤلفة من أجزاء متعددة في المشبه يقابلها أجزاء متعددة في المشبه به (تشبيه تمثيلي)، ووروده بهذه الصورة لم أجده إلا عند ابن مكانس ومع أن ابن المعتز سبقه لكن ابن مكانس ركّب هيئة كاملة في الركن الأول (المشبه).

التقييد في الصورة:

يعمد ابن مكانس إلى تقييد الصورة أحيانا ليفيد معنى في حالة محددة ومنه قوله:

٢٧ـ كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا	هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

فالصورة ليست متحققة إلا إذا (هصرت أفنانها). وفي حالة حذف هذا القيد فالصورة غير صحيحة إذ الحركة شرط أساس في بناء التشبيه.

ومنه قوله:

٣٣ـ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيْمِ لَهُ	فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ

فالصورة دون (عند تفريك النسيم له) ليست مقبولة؛ إذ الحركة شرط أساس في بناء التشبيه، وكأن الشاعر آثر المجيء بالصور المتحركة لأنها أدعى لجذب القارئ من الصور الثابتة.

---

(١) راجع: الكشف والتنبه:٧١.

(٢) انظر: البلاغة، المدخل لدراسة الصور البيانية. فرانسوا مورو. ترجمة محمد الولي وعائشة جرير: د٧ أفريقيا الشرق ط٢. المغرب. ٢٠٠٣م.

يتسم الوصف في البيت السابق ببناء نظام من العناصر الجزئية، التي تنتج صورة في حالة مخصوصة، فالسيف وفرند السيف من المعاني الأعيان المطروحة في الطريق[1]، لكن الشاعر وصل بين الأمرين في حالة مخصوصة ولحظة محدّدة فكأنه يقول: ياليت النسيم يفرك النهر دائما حتى أراه وأنتشي به وأصفه لكم.

الصورة الشعرية ليست التقاط شيء موجود بل هي البحث عن حال مخصوصة يُنظر منها إلى الشيء، وتدرك منها اللغة الوصف.

ومثله:

٣٥ـ كَأَنَّـهُ حِـيْنَ يُهْـدِي زُرْقَـةً وَصَـفَا　　　رَقْـرَاقُ عَـيْنٍ بِوَجْـهِ الأَرْضِ شَـهْلاءِ

التدرّج في الصور:

ربما عمد الشاعر إلى التدرج في الصورة ليكون بذلك مبرزا تنامي الأمر الموصوف ووصوله إلى درجة فوق ما يتصوّر المتلقي، وهو أسلوب أداء متميّز في التعبير عن الحركة مما يعزّز قوة المنطق في مباني الصورة ومعانيها ويسهم في تحديد الصورة التي يراها الشاعر مثالية في تتبع أبعاد الصورة وتفصيلها وتعليلها[2].

ومن ذلك قول ابن مكانس عن السرحة:

١٣. مَقِيْلُ نـدْمَانَ بَلْ مَغْنَى حَمَائِمَ بَلْ　　　كِنَــاسُ آرَامَ بَــلْ أَفْنَــاءُ دَرْمَــاءِ

فلم يكفه أن جعلها مقيل ندمان بل توسّع في وصفها منتقلا إلى الأوسع عن طريق استعمال (بل) المفيدة الإضراب، فهي تقطع ما قبلها عما بعدها، فكأن الشاعر أراد توسيع ظل السرحة منطلقا من الأضيق إلى الأوسع.

إن الشاعر يلاحق المعنى والصورة فيراكم الصور من أغراض مختلفة، وبيان ذلك هكذا:

مقيل ندمان	من غرض خمري
مغنى حمائم	من غرض الشكوى
كناس آرام	من وصف الأطلال
أفناء درماء	من وصف الأطلال مرة أخرى

(١) انظر: الخطاب الأدبي وتحديات المنهج: ١١٥.

(٢) انظر: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: ١٠٣.

أجزاء الصورة:

١. البصر:

٥٠ـ حَمْرَاءُ صِرْفاً وَصَفْرَا إِنْ مَزَجْتَ لَهَا		كَمْ مِنْ يَدٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ

٢- الشم:

٥٧ـ عَلَى الحَدَائِقِ لا الآكَامُ تَنْفَحُنَا		رِيحُ البَنَفْسَجِ لا نَشْرُ الخُزَامَاءِ

٣. الذوق:

٥٣. فَعَاطِنِيهَا عَلَى طَلِّ النَّدَى سَحَراً		فَإِنَّ تِرْشَافَهَا مَوْتِي وَإِحْيَائِي

٤. السمع:

٥١ـ رَاحاً إِذَا رَكَعَ الإِبْرِيقُ يَمْزجُهَا		سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيحَ فَأْفَاءِ

ومن أبرز شواهد السمع قول الشاعر:

٣٦. وَكَمْ شَدَتْنَا حَمَامَاتُ الأَرَاكِ عَلَى		أَغْصَانِهَا فَأَرَتْنَا رَقْصَ هَيْفَاءِ

٣٧. مِنْ كُلِّ وَرْقَاءَ فِي الأَفْنَانِ صَادِحَةٍ		بَيْنَ الحَدَائِقِ فِي فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ

٣٨ـ وُرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتٍ رَقَيْنَ عَلَى		عِيدَانِهَا فَالْهُ فِي مَغْنَى وَغَنَّاءِ

والأبيات تحوى صوتا من أجمل الأصوات وهو تغنّي الحمام،وله أثر في الإنسان من خلال إثارة حسّه.

د. اللمس: ويبرز في قول الشاعر:

٣٣ـ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ		فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ

والتفريك يفيد اللمس.

الصور المتحركة :

ومن خلال النظر في الصور التي عرضها الشاعر أجد غلبة للصور المتحركة ومنها قول الشاعر:

١١. فاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْضَلَّ وَافْتَرَشَتْ زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشَاً عَلَى

٣٠ـ مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الخَرِيرُ بِهِ كَأَنَّهَا أُذُنٌ مَالَتْ لإِصْغَاءِ

٣١ـ كَأَنَّمَا النَّهْرُ مِرآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلأْلاءِ

وقوله:

٣٢ـ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفٌّ جَلاءِ

وغير هذه الأبيات كثير، وقد وضعت خطا تحت الألفاظ المفصحة عن الحركة.

وتزداد الحركة بازدياد الأفعال في البيت، ولكن قد يلجأ الشاعر إلى رسم صورة ساكنة فيضع المتقبّل أمام لوحة فنيّة حسيّة ساكنة[1]. ومنه قوله:

٢٨. كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

وهذا الأمر قليل إذ الحركة روح الصورة ومن أعمدتها الهامة لأنها تنقلها من الجمود ومن أن تكون مصلوبة لا تتحرك على مرّ الأزمان، وهذا ما يفسّر شيوع الحركة في النص.

من أبرز ما يتصل بالتصوير في الأبيات:

١. أن علاقة الماء بالجواهر جهة معنوية كبرى في الشعر العربي، حين يقرن الأديب الماء بالجواهر وباللمعان والبياض والياقوت، فهذا مصدر من المصادر الأساسية للصورة.

٣٤ـ كَأَنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

٢. انهمار الماء وشدة انصبابه:

وهو أمر بيّن في النص ولعل إلحاح الشاعر عليه لأن الماء أصل الحياة، فلا حياة للسرحة دونه.

ومن ذلك قوله:

٢ـ حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابُ إِذَا نَوْءُ الثُّرَيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ

٣ـ وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٦٢.

حلّت: انهمرت بالمطر، والعزلاء مصب الماء من القربة ونحوها، والجمع عزالي، ويقال أرسلت السماء عز إليها أي: انهمرت بالمطر[1]، وفي قوله (كل بكّاء) ما يفيد كثرة الماء.

ويتبع ما سبق قول الشاعر:

٦. نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ   مِنَ الغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ

وقوله:

٨ـ لا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ   عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الوَدْقِ سَوْدَاءِ

وقوله:

١٠. خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا   ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نَيْلٍ وَأَنْوَاءِ

والنمير: الزاكي والكثير من الماء.

حتى إن الشاعر حين يذكر الزهر فإنه يذكر منه ما له صلة شديدة بالماء، وذلك في البيت السابق.

وقوله:

١١. فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْضَلَّ وَافْتَرَشَتْ   زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشَاً عَلَى المَاءِ

فـ (زهر الربا) ونبته أشد حاجة إلى ماء الغمام من غيره من النباتات،وقد قال المتنبي:

أين أزمعت أيهذا الهمام   نحن نبت الربا وأنت الغمام

فـ "نبت الربى لا بقاء له إلا بالغمام، إذ لا شرب له إلا من مائه، أما نبت غير الربى فيمكن أن يشرب من الماء الجاري"[2].

٣. شيوع الظل وامتداده:

ويبين في قول الشاعر:

٤. رُحْمَاكِ بِالوَارِفِ المَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ   لَنَا بِظِلِّكِ مِنْ أَهْوَاً وَأَهْوَاءِ

---

(١) المعجم الوسيط: عزل.

(٢) شرح ديوان المتنبي. عبد الرحمن البرقوقي: ٤/ ٦١. دار الكتاب العربي.١٤٠٧هـ ١٩٨٦م بيروت. لبنان.

٥ـ وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ   ـهَجِيرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْآى لِحِرْبَاءِ

٦ـ نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ   مِنَ الغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ

وقوله:

١٤ـ لَهَا مَطَارِفُ ظِلٍّ سَجْسَجٍ فَمَصِيْـ (م)   ـفُهَا يُعَادِلُ فِيْهِ طِيْبَ مَشْتَاءِ

٤. المبالغة:

وهو أمر متصل بالسرحة التي يصفها الشاعر، ومنه قوله:

٥ـ وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ (م)   ـهَجِيرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْآى لِحِرْبَاءِ

٦. نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ   مِنَ الغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ

١٦. لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلٍ   حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَحَظَاتُ حَوْلاءِ

وقوله:

٢٦. كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ   حُسْناً وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَّاءِ

والدلالة على الضخامة مأخوذ من سعة ظل الشجرة الذي أظل الشاعر وأصحابه جميعا من الشمس، ومأخوذ كذلك من عجز البصر عن الإحاطة بها حين يحاول ذلك، وكذا من التفاف بعضها على بعض لكبر حجمها.

٥. تشبيه السرحة بالمرأة، وسبق بيان شيء منه:

١٩ـ خَلِيَّةٌ حِيْنَ أَحْنَيْتُ الضُّلُوعَ عَلَى   نَارٍ بِشَجْوِي بِهَا لا حُبَّ لَمْيَاءِ

٢٠ـ تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا   عَلَى الهَوَاءِ وَأَحْنَتْهَا عَلَى المَاءِ

٢١ـ بَدِيْعَةُ الحُسْنِ قَدْ فَازَ الجِنَاسُ لَهَا   مِنَ المَعَانِي بِأَفْنَانٍ وَأَفْنَاءِ

٢٧ـ كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا   هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

٢٨ـ كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا (م)   دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

وفي الأبيات السابقة بيان لعلاقة الحب التي نشأت بين الشاعر والسرحة حتى فضّل السرحة على المرأة، وذلك إمعان منه في الادعاء بجمال السرحة الأسطوري الذي فاق جمال النساء.

وفيها كذلك تشبيه السرحة بالمرأة،والعرب تفعل ذلك من قديم، فتشبه المرأة بالشجرة.

٦. صفاء المنظر:

وهو خاص بالماء الذي سعى الشاعر لوصف لمعانه فقال:

٣١ـ كَأَنَّمَا النَّهْرُ مِرْآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ	عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلأْلاءِ
٣٢ـ ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ	نَهْرِ الأُبُلَّةِ يُزْرِي أَيَّ إِزْرَاءِ
٣٣ـ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ	فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ
٣٤ـ كَأَنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ	أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ
٣٥ـ كَأَنَّهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا	رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الأَرْضِ شَهْلاءِ

وهو خاص بالماء الذي سعى الشاعر لوصف لمعانه فقال:

ومما يسترعي الانتباه في الأبيات السابقة الخاصة بذكر صفاء الماء أن أكثرها مقرون بـ(كأن) وذاك أن الشاعر يريد أن يصنع من عناصر السرحة مشهدا مائيا،والتكرار في (كأن) يفيد ملاحقة المعنى ومعاناة إنتاجه،كما يشير إلى عجز الشاعر عن الإحاطة بالمشهد.

وقد برز الصفاء في قوله: (مرآة)، وهذا تشبيه متداول عند الشعراء ومنه قول الشاعر:

كأنّ وجه النهر إذ حفّت به	أشجاره فصافحته الأغصن
مرآة غيد قد وقفن حوله	ينظرن فيها أيهنّ أحسن[1]

وبرز الصفاء في إزراء الشاطئ بنهر الأبلّة، وفي تشبيه النهر بالسيف الذي نضته كف جلاء، وفي تشبيهه بالشبك المنظوم من لؤلؤ وبجوهر الست وبتجليل الرقشاء وبإهدائه الزرقة والصفاء...

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر.خليل الصفدي. تحقيق. د. علي أبي زيد وآخرين: ٣/ ٦٥٥. دار الفكر.ط١/ ١٤١٨هـ دمشق.

وإكثار الشاعر من الدخول إلى المعنى من جهات متعددة للدلالة على الصفاء مفيد فرط نقاء ماء النهر، ويصل الشاعر من ذلك إلى أن ما سبق مفيد طيب السرحة التي تشرب من هذا الماء الصافي.

وبعد فيبين من الدراسة السابقة أن الحضور المكثّف للسرحة مظهر من مظاهر تعلّق الشاعر بها، ولعل نموها على شاطئ النيل كان من أبرز أسباب الاحتفال بها فقد كان للمصريين ولوع شديد بحب نهر النيل[1].

لقد خلع الشاعر على السرحة إحساساته، فالقصيدة وصفية وكذلك عاطفية فلم يقف الشاعر على وصف الجانب الحسي فقط بل تجاوزه فخلع على السرحة جملة من الانفعالات والإحساسات العاطفية فنورها يبتسم، وظلها يطب ويداوي من القيظ ومن داء الهجير وقلبها لم تنله غير سرّاء.

لقد طفق الشاعر "ينعت قوامها من الأخمص إلى الرأس ومن القدم إلى الذؤابة كأنها وهي العجوز الشمطاء كاعب حسناء وخلع عليها من نفسه نفسا ومن روحه قبسا وصوّر ما أشاعته حولها من نشاط وما نشرته من جذل ومرح"[2]

في الأخير هل نجح ابن مكانس في نقل صوره إلينا؟

الصور التي ذكرها كانت قادرة على بناء فكرته وعاطفته من خلال صياغته الخاصة وهو بذلك الأمر يعد ناجحا من هذا المنظور [3].

ثم إن تمكّن ابن مكانس من نقل المتعة إلى العين ومقدرته على إلذاذ الذائقة، وهما أمران يتقوّى بهما انتساب الكلام المخيل إلى الشعر، إنه مقدرته على ذلك أسهم في نجاحه، فالشاعر لم ينقل المرئيات والمحسوسات نقلا حقيقيا بل أشربها التمويه إشرابا أضفى على صوره أبعادا لم تكن لها في الأصل[4].

---

(١) ومما يبين ذلك الولوع وشدته مراجعة كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر: ٢/ ٣١٨-٣٥١. ومراجعة مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم: ٧٧٩-٧٨٢.

(٢) مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم: ٧٧٩-٧٨٠.

(٣) راجع: النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني. دراسة مقارنة. د. أحمد الصاوي: ٢٥١. الهيئة المصرية العامة للكتاب. دار بور سعيد للطباعة. الإسكندرية. ١٩٧٩م.

(٤) راجع: بحوث في الشعريات: ١٦٣. أحمد الجوّة. مطبعة التسفير الفني. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس. ٢٠٠٤م.

وفي الأخير أنقل كلام د. محمود رزق سليم عن السرحة قائلا:

"تلك هي سرحة ابن مكانس التي أطلقت من حوله أرجا عبق بالأرجاء عطره، وضاع في الآفاق نشره، فجذبته إليها به اجتذابا واقتضبته اقتضابا وأثارت في نفسه وساوس الشياطين، وأهاجت في خاطره أبالسة الشعر فأتاها في بيتها ونادها من تحتها وناجاها بقصيدة فريدة، فخلدها بين اللدات، وجعلها في الخالدات"[1].

إن المنظر الذي يصفه ابن مكانس والحالة التي يراها لتستنطق الألسنة، ففيها استشعار للمنة الربانية من خلال التواصل بين السماء والأرض الماثل في المطر الغزير المنهمر. وهذا يعطي أي أديب فرصة للتأمل فيما أمامه من صنع الله سبحانه وتعالى.

إن التدّرج في وصف الخمرة أمر لا يخيّب أفق الانتظار لأن الشاعر يصف لحظة الانتشاء[2].

خرق التراتب:

وذاك أن ابن مكانس يصف ثم ينتقل لأمر آخر يصفه ثم يعود للأول ومنه قوله:

٤ـ رَحْمَاكِ بِالوَارِفِ المَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ	لَنَا بِظِلِّكِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَأَهْوَاءِ
٥ـ وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيْلاً مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ (م)	ـهَجِيرُ إِذْ حَيْثُ لا مَرْأَى لِحِرْبَاءِ
٦ـ نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ	مِنَ الغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ
٧ـ يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ القَيْظِ عَالِمَةً	أَنْتِ الشِّفَاءُ لَدَى الرَّمْضَا مِنَ الدَّاءِ
٨ـ لا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ	عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الوَدْقِ سَوْدَاءِ
٩ـ عِصَابَةُ الشَّرْبِ أَمُّوا رَوْضَ زَاهِرَةٍ	تُعْزَى لأَكْرَمِ أَخْوَالٍ وَآبَاءِ
١٠ـ خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا	ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَأَنْوَاءِ
١١ـ فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْضَلَّ وَافْتَرَشَتْ	زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشاً عَلَى المَاءِ

---

(١) مقال (في ظلال السرحة): ٧٧٩.

(٢) راجع: أسلوبية الوصف والحوار: ٥٩.

١٢ـــ قَرِيـــرَةَ العَـــيْنِ بِـــالأَنْوَاءِ بَـــارِدَةَ الْـــ (م) ـقَلْبِ الـذِي لَـمْ تَنَلْـهُ غَيْـرُ سَـرَّاءِ

١٣ــ مَقِيْـلُ نـــدْمَانَ بَـلْ مَغْنَـى حَمَـائِمَ بَـلْ كِنَـاسُ آرَامَ بَـلْ أَفْنَـاءُ دَرْمَـاءِ

١٤ــ لَهَـا مَطَـارِفَ ظِـلٍّ سَجْـسَجٍ فَمَـصِيْ (م) ـفُهَا يُعَادِلُ فِيْـهِ طِيْـبَ مَـشْتَاءِ

فقد وصف الظل في الأبيات (٤-٧) ثم انتقل إلى الدعاء للسرحة وذكر (عصابة الشرب) وعاد بعد ذلك إلى ذكر الظل.

بنية المشهد الوصفي للسفينة[1]

السفينة

الصفات	اللون	النوع	الوقت	المكان	الشكل
التحمل (تسير ما سيرت من غير إعياء) + السرعة + ساجية + الغرابة	سوداء+ ذات ألوان	نوحية الصنع	البكور الأفق	النهر حدباء	كهلال

(١) التقسيم هنا وفي (بنية المشهد الخمري) الذي سيأتي مستفاد من كتاب (أسلوبية الوصف والحوار) وقد نقل مؤلفه هذه الطريقة عن مؤلف غربي اسمه (جان ريكاردو) وسماها شجرة ريكاردو: أسلوبية الوصف والحوار: ٣٢. "وتنهض فكرة الشجرة على قاعدة جوهرية مفادها أن للوصف بنية أساسية خاصة تتكون من موضوع وتوسعة قد تشمل عناصر الموضوع وصفاته ومواقعه، وقد تقتصر على بعضها فقط كأن يكتفي الواصف بذكر الموضوع وخاصيّة من خاصّياته وعنصر من عناصره" المرجع السابق: ٣٣.

بنية المشهد الوصفي للخمرة

الخمرة

العناصر الصفات الموقع

الإبريق – الساقي الجدّة القِدم اللون الزمان، المكان

الساقية عذراء، مما تخيرها كسرى حمراء صرفا+ سواد

الليل+السفينة

كف شاد أو وأودعها رب الخورنق صفراء إن مزجت بها+ سحرا

وشادية في قوراء جوفاء + بيضاء (اللمعان)

(الصوت)سمعت شمطاء

من صوته تسبيح فأفاء

+

تشدو لنا بين صوت العود و الناء

ومن أجزاء الصورة الكلام عن الخمرة وهو صورة ثقافية وأنموذج في التعبير أكثر مما هي ذات قيمة مرجعيّة.

ولم يطل الشاعر الوقوف أمام الخمرة بل عدّها من متمّمات المشهد، وذاك أنه "كلما طال وقوف العين الواصفة على أجزاء الموصوف وهي الخمرة بلونها وقدمها ودنانها وعاصرها ونفاستها...امتدّ الوصف وتشعّبت طرقه وأصبح الواصف ينزع إلى الاستقصاء فيطول لذلك زمن الوصف في الخطاب"[1].

ومما سار فيه الشاعر على سنن من قبله في ذكر الخمرة ذكر نسبتها إلى بلد معين، وهو هنا مصر، ولعل ولع الشعراء بنسبة الخمرة إلى مكان بعينه له صلة بالطبيعة الأصلية في الشخصية العربية التي تميل منذ العصر الجاهلي إلى البحث عن أصالة النسب والتثبّت من الأعراق سواء أكان نسب أشخاص أم خيول أم خمور... فلم يكن غريبا والحالة هذه أن يعنى الشعراء في وصف الخمرة بذكر نسبها ومعتصرها والبلاد التي يجلبها منها التجار[2].

---

(١) المرجع السابق: ٧٢.

(٢) انظر: تحليل لغوي أسلوبي لنصوص من الشعر القديم.: ٣١.

ومن عناية الشاعر بقدم الخمرة قوله:

٤٨- كَمْ قَدْ نَعِمْنَا بِهَا عَيْشاً بِصَافِيَةٍ   شَمْطَاءَ تُجْلَى عَلَى الجُلاسِ عَذْرَاءِ

٤٩- مِمَّا تَخَيَّرَهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا   رَبُّ الخَوَرْنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوْفَاءِ

وهذا الأمر مما يشيع لدى الشعراء لأن في الإشارة إلى القدم ما يفيد فرط تأثيرها في الشارب.وتلحظ في حديث ابن مكانس عن الخمرة شيئا من الألفاظ الدينية، ومنه (ركع) و(تسبيح) ولعل ذلك عائد إلى الرغبة في جمع المتضادات في الصورة من خلال قرن المقدّس بالمدنّس، إضافة إلى أنه سير على سنن السابقين في ذلك الأمر[1].

وفي قول ابن مكانس:

٥٦- مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ وَشَادٍ أَوْ وَشَادِيَةٍ   تَشْدُو لَنَا بَيْنَ صَوْتِ العُودِ وَالنَّاءِ

يبين أن الخمرة والغلام عنصران متلازمان على الأقل في عرف الشاعر لا تكتمل متعة السمر إلا بهما، فالسياق هو الذي استدعى لفظ (ظبي، شاد، شادية) دون غيرها [2].

وأشار ابن مكانس إلى وقت الشرب وأنه في الليل (سواد الليل)و(سحرا) وذاك أن المتعة تزيد ليلا، والليل أخفى للويل.

ومما يتصل بالمشهد الخمري أن عين الشاعر تتتبّع جزءا من أجزاء الموصوف ومتعلق من متعلقاته، وهو اللون من تحوّله من أحمر إلى أصفر[3].

ويتصل به أيضا أن ابن مكانس وصف الخمرة باللفظ المفرد فقط (صافية، شمطاء، عذراء، حمراء، صفراء، راحا، المدام)[4]، وذاك أن المفرد هنا أغناه عن الجمع.

---

(١) انظر: ديوان الخمريات. أبو نواس. ٢٨-٢٩.تحقيق علي نجيب عطوي. دار مكتبة الهلال. ط١. ١٩٨٦م. بيروت. لبنان

(٢) انظر: تحليل لغوي أسلوبي لنصوص من الشعر القديم:٣٧.

(٣) انظر: أسلوبية الوصف والحوار: ٤٢.

(٤) للاستزادة: انظر: المرجع السابق: ٤٤-٤٥.

الإيقاع:

من أبرز شروط الإيقاع وهو يدل في قسم منه على الوزن أن "يطرب الطبع لإيقاعه، ويمازجه بصفائه عما يطرب الفهم لصواب تركيبه، واعتدال نظومه"[١].

ومن دلائل إطراب الإيقاع في القصيدة قصد الشاعر إلى الألفاظ السهلة في نطقها؛ من حيث الابتعاد عن الألفاظ صعبة النطق لقرب مخارجها مثلا، والأمر الثاني تجنّب الشاعر الزحافات والعلل القبيحة، التي تؤثر في نغم الوزن وهو هنا (البسيط) ومنها خبن (مستفعلن) الثانية في الشطر الأول أو الثاني، وهو وإن جاز فإن قلّة وروده في الشعر دال على أن الشعراء يستثقلونه[٢].

ثم إن التحام أجزاء القصيدة، والتئام ألفاظ كل بيت، وتوافقها وتشاكلها، وسلامتها امن الاضطراب الذي تقتضيه الضرورات، جعل اللسان ينطلق في إنشاد الأبيات دون أن ينحبس أو يتوقف أو يلحقه الكلال، كل ذلك يدل على أن القصيدة كالجملة الواحدة قد أُفرغت إفراغا في قالب واحد[٣]، فتشعر بالانسجام في النص.

إن المنشد لا يجد عسرا في إخراج الأصوات في اللفظ ولا الكلمات في الجملة، يقول الجاحظ: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[٤].

أتت القصيدة على بحر البسيط التام، وأتت العروض فيه مخبونة[٥]، والضرب مخبونا، مقطوعا[٦]. وهو من البحور التي ألفتها الأذن العربية لكثرة ما يؤمه الشعراء[٧].

---

(١) شرح ديوان الحماسة. المرزوقي. نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون:١/٩.١٠ د ١٩م القاهرة. وانظر: مدخل إلى الشعر العربي الحديث (أنشودة المطر). محمد الخبو:٥٢-٥٣.دار الجنوب للنشر.١٩٩٥م. تونس .

(٢) موسيقى الشعر: ٧٣.

(٣) انظر: شرح ديوان الحماسة:١/٩. ونصوص نقدية لأعلام النقد العربي. ٢٠٧-٢٠٨.اختيار وشرح د. محمد السعدي فرهود. القاهرة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

(٤) البيان والتبيين. الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون: ١/٨٧-٨٨. دار الفكر.

(٥) تصبح (فاعلن) (فعلن).

(٦) تصبح فيه (فاعلن) (فعْلن)انظر : أهدى سبيل إلى علمي الخليل. محمود مصطفى. شرحه وضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور:٣١. ٣٩. ٦٢. دار الكتب العلمية.ط٣. ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.بيروت. لبنان.

(٧) موسيقى الشعر. إبراهيم أنيس: ١٩٢. مكتبة الأنجلو المصرية. ط٧. ١٩٩٧م. القاهرة.

تشكلت القصيدة من (٢٧٣٩) حرفا منطوقة نطقا سليما، دون ما تمليه قواعد الخط الإملائي، في واحد وستين بيتا، وقد توزعت الحروف في القصيدة كما يلي:

شيوع الحروف في النص:

الحرف	مرات وروده
الهمزة	٢٩٤
النون	٢٦٥
ألف المد	٢٦٣
اللام	٢٢١
الياء الساكنة	١٥٣
الميم	١٤٥
الراء	١٣٠
التاء	١٢٢
الهاء	١٠١
الباء	٩٧
العين	٨٤
الدال	٨٣
الفاء	٨٢
الواو المتحركة	٧٦
الكاف	٧٦
الواو الساكنة	٦٠
السين	٦٠
الحاء	٥٨
القاف	٥٦
الشين	٤٧
الياء المتحركة	٤٣

الحرف	مرات وروده
الجيم	٣٨
الصاد	٣٨
الزاي	٣١
الطاء	٢٤
الضاد	٢٠
الغين	١٩
الذال	١٧
الخاء	١٢
الظاء	٩
الثاء	٤

نستخلص من الجدول السابق أن القصيدة يغلب عليها إيقاع الجهر بعدد (٢١٦٢). وأن الحروف المهموسة يبلغ عددها (٥٨٣). وقد تجاوزت الحروف المهموسة النسبة المعتادة في الاستعمال؛ إذ إن استعمالها لا يتجاوز في الكلام العادي (٢٠٪)[1]. أما في القصيدة فقد تجاوزته بنسبة ضئيلة جدا، فبلغ حظّ الحروف المهموسة(٢١.٢٪). ومما يوضح سبب قلة الحروف المهموسة في الكلام حاجة الإنسان عند النطق بها إلى قدر أكبر من هواء الرئتين مما تتطلبه نظائرها المجهورة[2].

ومما يعضد الحكم السابق (وهو شيوع الحروف المجهورة) أننا إذا نظرنا إلى الحرف الذي يسبق حرف المد في القافية سنجده هكذا:

(١) انظر: المرجع السابق: ٣٢. خصائص الأسلوب في الشوقيات: د د.

(٢) انظر: موسيقا الشعر: ٧٧.

الحرف	مرات وروده
الراء	١٠
النون	٥
الياء	٥
الفاء	٥
الباء	٤
الواو	٤
الميم	٤
اللام	٣
الدال	٣
العين	٢
السين	٢
الشين	٢
الزاي	٢
الضاد	٢
الكاف	١
التاء	١
الهاء	١
الجيم	١
الطاء	١
الغين	١
القاف	١

ومما سبق يبين للقارئ غلبة حروف الجهر على ذلك الموضع، فقد وردت في (٤٩) موضعا، أما حروف الهمس ففي (١٢) موضعا، وهذا يشير إلى سيطرة حروف الجهر حتى في موضع بعينه.

لقد صبغ الشاعر قصيدته بالأصوات المجهورة، وهذه سمة مميزة للقصيدة، وأعطى الأصوات المهموسة فرصة التلوين الإيقاعي[1]، ولا غرابة في شيوع الأصوات المجهورة فـ"تناوب الأصوات المجهورة في المقاطع، واستمرار طول الانفجار في الأصوات ينسّق التنغيم، ويساعد على تداخله مع الصيغ المجهورة،ويعطي بيت القصيدة وجوده الفعلي.... فاستمرار الجهر الحقيقي ما هو إلا استمرار للوظيفة الداخلية للمقاطع، وهو الجسر الذي يربط طول المقاطع، وهذا لا يعني أن الشعراء لا يهتمون بالأصوات المهموسة، ولكن الصيغ المجهورة تشكل القمم الحقيقية كما تشكل توقعات النغم"[2].

فبما أن الشعر إنشاد (جنس شفوي) والإنشاد يقتضي إيقاع الأجراس الداخلية، فذلك يقتضي التأليف في الأصوات المجهورة.

ومن نتائج الجدول شيوع حرف الهمزة، ولا غرابة في ذلك فهو روي القصيدة، فقد وردت الهمزة رويا (٦١) مرة، ووردت في الحشو (٢٣٢) مرة، **فشكلّت طبقة كثيفة من الإيقاع المناسب لمقام الإنشاد في القصيدة**، ومن أبرز الأبيات في ذلك قول ابن مكانس:

٥٢- أم السُّرُوْرِ التِي أبْقَى الزَّمَانُ بِهَا   جُـزْءَ الحَيَاةِ وَقَـدْ ٱلْـوَى بِـأَجْزَاءِ

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

فالهمزة في ستة مواضع متوزعة بين صدر البيت وعجزه، ويقرب منه قول الشاعر:

٣٢- ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ عَلَى   نَهْـرِ الأُبُلَّـةِ يُـزْرِي أيَّ إزْرَاءِ

١ ٢ ٣ ٤ ٥

ولا سيّما في الشطر الثاني حين تجتمع أربع همزات متنوعة الحركات فمنها المضموم والمفتوح والمكسور، ويماثله قول الشاعر:

٤٠- تَدَاعَبُوا بِمَعَانِي شِعْرِهِمْ فَأَرَوْا   وُدَّ الأَحِبَّـةِ فِـي ٱلْفَـاظِ أَعْـدَاءِ

---

(١) لامية المتنبي (ما لنا كلنا جو يا رسول) قراءة إيقاعية،مجلة آداب الرافدين، د. بشرى البستاني:١٦١، ع ٣١، كانون الأول، ١٩٩٨م.

(٢) التركيب الصوتي في قصيدة أنشودة المطر، د. قاسم البرسيم، مجلة آفاق عربية: ١١٥، ٥ /١٩٩٣م.

والهمزة حرف يخرج من أقصى الحلق، وهو حرف شديد، مجهور، مرقق، يمتنع معه النفس، وشيوعه صدى لحرف الروي، كما أن الشاعر أراد نثر الهمزة في الأبيات لما لها من بروز صوتي.

وشيوع حروف المد من ألف وواو وياء يعطي الشاعر قدرة على إطالة الصوت بالإنشاد، ويبطئ الإيقاع، مما يجعل مُدَّةَ إنشاد البيت ذي المدود أكثر من غيره، ومن ذلك قول الشاعر:

١.يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ المُنْسَابِ كَوثَرُهُ   عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

ففي البيت (١١) مدا، ما بين ألف وواو وياء، فالواو والياء مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما والألف يتسع مخرجه لهواء الصوت أشد من اتساع الياء والواو وهو بذلك محتاج إلى زمن أطول من بيت تقل فيه المدود[1] .

ومن نتائج الجدول بيان قلّة حظّ الحروف التالية من النص وهي (ص،ز،ط، ض،غ، ذ، خ، ظ، ث) وأكثر هذه الأحرف أصوات مطبقة، وهي أصوات مفخمة لها رنة قوية في الأذن، مما يلائم طبع البدو وخشونتهم[2]، ويبعد عنه ذوق الحضري الذي يمثّله ابن مكانس هنا، وكذلك الغرض الغنائي الذاتي، وهو وص الطبيعة:(تناسب الدال والمدلول).

التنوع والتكرار:

تبرز في البحر مسألة التنوع والتكرار فـ(مستفعلن) تتكرر مرتين في كل شطر، وكذا (فاعلن)، مما يخفف من رتابة الإيقاع وسيره على نمط واحد، زد على ذلك قبول التفعيلتين للخبن الذي يكوّن وجوده نسيجا من التباين والتشاكل بين التفاعيل.

(مستفعلن) وردت تامة: ١٨٦ مرة، ولا غرابة في ذلك لأن العرب تحبذ خبن (مستفعلن) الأولى في الشطرين دون الثانية.

(مستفعلن) وردت مخبونة: ٥٨ مرة =٣١ في بداية الشطر الأول، ٢٧ بداية الشطر الثاني وقد أتى خبن (مستفعلن) على النمط الأجود في المزاحفة فالعرب تحبذ خبن (مستفعلن) الأولى[3] في الشطرين، وعند مطالعة العدد المخبون من (مستفعلن) الأولى

---

(١) انظر: الكتاب. سيبويه.تحقيق عبد السلام هارون.٤/ ٤٣٥، ٤٣٦.مكتبة الخانجي.ط٢. ١٤٠٢هـ

(٢) انظر: فقه اللغة. د. كاصد الزيدي. ٤٥١. جامعة الموصل. ١٩٨٧م.

(٣) "خبن عروض البسيط إذا استعمل تامًا زحاف يجري مجرى العلة، فهو لازم لا يحق للشاعر أن يخرج عنه إلا في حالة التصريع. بينما يحق للشاعر في الضرب أن يختار إحدى تفعيلتين إما (فعلن) التي دخلها الخبن، وإما (فاعل) التي دخلها القطع، لكنه يلتزم بما يختار، ولا يصح له أن يستعمل النمط الآخر في=

في الشطرين أجد أن خبن (مستفعلن) الأولى في الشطر الأول أكثر من مجيئها تامة بفارق واحد، أما خبن (مستفعلن) الأولى في الشطر الثاني فأتت قريبة من السليمة عددا، فهي أقل بأربع مرات فقط، مما يدل على أن نزوع الشاعر إلى إكثار الخبن كان رغبة في التلوين، وتدل الأبيات:(٥، ١٣، ١٨، ٢١، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٣، ٥٣.) على رغبة الشاعر في حذف السواكن فعدد الأبيات (٩) وهي تمثل ما نسبته ١٤٪ تقريبا من النص. وتزداد رغبة الشاعر في حذف السواكن في موضعين هما (١٤، ٥٩).

وتأتي الأبيات سليمة من الخبن عندما يريد الشاعر التنفيس عن نفسه كما في الأبيات (٣٨، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ٥٦، ٦٠) ففيها:

٣٨ـ وُرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتٍ رَقَيْنَ عَلَى	عِيْدَانِهَا فَالْهُ فِي مَغْنَى وَغَنَّاءِ
٤٨ـ كَمْ قَدْ نَعِمْنَا بِهَا عَيْشاً بِصَافِيَةٍ	شَمْطَاءَ تُجْلَى عَلَى الجُلاسِ عَذْرَاءِ
٥٠. حَمْرَاءُ صِرْفاً وَصَفْرَا إِنْ مَزَجْتَ لَهَا	كَمْ مِنْ يَدٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ
٥٤. وَاسْتَجْلِهَا بِنْتَ مِصْرٍ تَسْتَطِيلُ عَلَى	بَغْدَادَ وَالمَوْصِلِ الحَدْبَا وَسَوْرَاءِ
٥٦ـ مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ وَشَادٍ أَوْ وَشَادِيَةٍ	تَشْدُو لَنَا بَيْنَ صَوْتِ العُوْدِ وَالنَّاءِ
٦٠ـ يُعْزَوْنَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالَتِهِمْ	لَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَ إِيْطَاءٍ وَإِقْوَاءِ

أما (فاعلن) فقد وردت تامة في الحشو: ٧٩ مرة، ووردت مخبونة في الحشو: ٤٣ مرة.

=القصيدة نفسها "(البنية اللغوية والإيقاعية في عينية لقيط بن يعمر) د. خالد الجديع، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ٣٨، ربيع الآخر، ١٤٢٣هـ، ٤١١. وتأتي (فاعلن) الأولى صحيحة أو مخبونة، أما (فاعلن) الثانية فلا تأتي إلا مخبونة (فعلن).

الصور التي أتت عليها القصيدة وزنا:

أولا[1]:

النمط	مستفعلن فاعلن مستفعلن فعِلن
المثال	يا سرحة شْ شَاطئ ل منساب كو ثره
الحركات والسكنات	ـ ـْ ـ ـْ ـ ـ ـْ ـ ـْ ـ ـْ ـ ـ ـْ ـ ـ ـْ
المقاطع الصوتية	– – ٧ – – ٧ – – – ٧ – ٧٧ –
العدد	٢٤ مرة
النسبة	١٩,٦٧٪

ثانيا:

النمط	متفعلن فاعلن مستفعلن فعِلن
المثال	وكم نزل نا مقيد لا منك ما حمي ل
الحركات والسكنات	ـ ـ ـْ ـ ـْ ـ ـ ـْ ـ ـْ ـ ـْ ـ ـ ـْ ـ ـ ـْ
المقاطع الصوتية	٧ – ٧ – – ٧ – – – ٧ – ٧٧ –
العدد	٢٣مرة
النسبة	١٨,٨٥٪

ثالثا:

النمط	مستفعلن فعلن مستفعلن فعْلن
المثال	أنت ششفا ء لذرْ رَمضامن دْ دَاءِ
الحركات والسكنات	ـ ـْ ـ ـْ ـ ـ ـ ـْ ـ ـْ ـ ـْ ـ ـ ـْ ـ ـْ
المقاطع الصوتية	– – ٧ – ٧٧ – – – ٧ – – –
العدد	١٨مرة
النسبة	١٤,٧٥٪

(١) استفدت هذه الطريقة من المرجع السابق: ٤١٢–٤١٥.

رابعا:

النمط	متفعلن فاعلن مستفعلن فعْلن
المثال	على اليوا قيت في أشكال حصـ باءِ
الحركات والسكنات	– – – – – – – – – – – – –
المقاطع الصوتية	– – – ٧ – – – ٧ – – ٧ – ٧
العدد	١٧مرة
النسبة	١٣,٩٣٪

خامسا:

النمط	مستفعلن فاعلن مستفعلن فعْلن
المثال	نـوء الثريْ يَا استهلْ لَت ذات أنـ واءِ
الحركات والسكنات	– – – – – – – – – – – – –
المقاطع الصوتية	– – – ٧ – – – ٧ – – ٧ – –
العدد	١٥مرة
النسبة	١٢,٢٩٪

سادسا:

النمط	متفعلن فعلن مستفعلن فعْلن
المثال	لنا بظلْ لك من أهوا وأهـ واءِ
الحركات والسكنات	– – – – – – – – – – – – –
المقاطع الصوتية	– – – ٧ – – – ٧ ٧ – ٧ – ٧
العدد	١١مرة
النسبة	٩,٠١٪

سابعا:

النمط	مستفعلن فعلن مستفعلن فعِلن
المثال	حلت علي ك عزا ليه سّحا ب إذا
الحركات والسكنات	ـْـ ـْـ ـ ـ ـ ـْـ ـْـ ـْـ ـ ـ ـ ـْـ ـ ـ ـ ـْ
المقاطع الصوتية	– – ٧ – ٧٧ – – – ٧ – ٧٧ –
العدد	٧ مرات
النسبة	٥,٧٪

ثامنا:

النمط	متفعلن فعلن مستفعلن فعِلن
المثال	تركته لأنا سِركَ تّيو س غنو
الحركات والسكنات	ـ ـ ـْـ ـ ـ ـ ـْ ـْـ ـْـ ـ ـ ـ ـْ
المقاطع الصوتية	٧ – ٧ – ٧٧ – – – ٧ – ٧٧ –
العدد	٧ مرات
النسبة	٥,٧٪

ومن النظر في الجدول أرى أن الغلبة كانت للصورة الأساسية (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعِلن)، وربما كان سبب ذلك المتصل بحال الشاعر هو رغبة الشاعر في التأمل والوقوف الطويل على جمال السرحة، مما جعله يكثر من نمط تكثر فيه المقاطع الطويلة.

التدوير:

بحر البسيط من البحور التي يقل فيها ورود التدوير،لأن عدد المقاطع في الصدر فيها ما يكفي لاستيعاب البنية النحوية، فلا تحتاج إلى تدوير. وقد جاء في ثلاثة أبيات، ومجيئه مرتبط بحرص الشاعر على ألا يفقد الوزن الشعري أهم أهدافه، وهو حلاوة المسموع وألا يفقد البيت ميزته باعتباره وحدة إيقاعية دنيا[1]، وربما دلّ على "توتر الشاعر ورغبته بالاستمرار وعدم التوقف للتعبير عن حالة وجدانية داهمته، يصبح معها القطع قطعا

---

(١) انظر : جمالية الموت: ١٥٣ وراجع الحاشية (٣).

للحالة قبل اكتمالها، وكأن الفجأة لا تمهله لالتقاط أنفاسه في نهاية كل شطر، فيواصل الكلام ولا يقف إلا عند آخر البيت"[1].

الروي:

أهم الحروف في القصيدة وإليه تنسب، فيقال قصيدة همزية ورائية وهكذا، والروي في القصيدة هو حرف الهمزة، وهو صوت شديد مجهور مرقق، يخرج من أقصى الحلق، ويمتنع معه النفس.

والحرف ليس من الحروف التي يكثر استعمالها رويا، فليس كالباء أو الدال أو النون أو الميم أو اللام؛ وذاك أن الصوت بقدر ما يكون مخرجه أقرب إلى الشفتين يكبر حظّه من الاستعمال رويا[2]، أما الهمزة فبعيد عن الشفتين.

وحرف الهمزة واضح في مخرجه،ومما زاده وضوحا الألف التي سبقته وحرف المد (الياء) الذي أتى وصلا له.

والهمزة قريبة من القوافي الذلل؛ لكثرة ما ورد فيها من الكلمات ذوات الألف الممدودة للتأنيث والإلحاق"[3].

وهذا الحرف لم يأت رويا فقط، بل زرعه الشاعر في مواطن كثيرة جدا من الأبيات، وقد تكرّر في حشو الأبيات (١٢٥) مرة عدا حرف الروي، ومما الشواهد الناطقة بذلك وسبق ذكره قول الشاعر:

٥٢ـ أم السُّرُوْرِ التِي أَبْقَى الزَّمَانُ بِهَا ... جُـزْءَ الحَيَاةِ وَقَدْ أَلْوَى بِأَجْزَاءِ

والروي مطلق بحركة الكسرة. ومعلوم أن الروي المطلق يمكن فيه ما لا يمكن في غيره من مدّ الصوت[4]، ومن تنشيط لنفس المتلقي في مقطع البيت، وتهيئة لطول نفس الشاعر في مطلعه[5].

---

(١) الأسلوبية والصوفية: ٤٥.

(٢) انظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٤٠.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب د. عبد الله الطيب المجذوب:١/٨٠-٨١.مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ط١. ١٣٧٤هـ مصر.

(٤) انظر:كتاب القوافي. أبو يعلى التنوخي. تحقيق عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان: ١١٢. دار الإرشاد. ط١ ١٣٨٩هـ بيروت.

(٥) انظر: جمالية الموت: ٣٠٥. وانظر: الفاصلة في القرآن. محمد الحسناوي. ٣٠١. المكتب الإسلامي. ط٢. ١٩٨٦م بيروت.وانظر:بنية اللغة الشعرية.جان كوهين:٧٣-٧٤.ترجمة محمد الولي ومحمد العمري.دار توبقال. ط١. ١٩٨٦م .

ومخرج الكسر أخرج في الجهاز، أي أقرب إلى الشفتين، ومن النقاد من يرى أن الكسر "يتلاءم في اللغة العربية مع ياء الاختيار (المتكلم) الدالة على الامتلاك والأحقيّة"[1].

وقد تناسب الروي المكسور مع إيقاع الحشو الذي تكرّر فيه الكسر مرارا، ومن أبرز شواهد ذلك قول ابن مكانس:

١٨- كَقَرْعِ نَاقُوْسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ   مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ

في البيت سمة مفيدة وهي مجيء كل الحروف مكسورة.وهو أثر من آثار الروي.البيت يتحدث عن صوت الناقوس والكسر يتلاءم مع صوت القرع، لأن الصورة صوتية والقرع يكون متجانسا لا يتغيّر فالتجانس الموجود في مادة الصورة ناسبه تجانس في توقيع الكسر في البيت (ضربات موقّعة، دلالة الشكل فالكسر تنغيم).

التنغيم الداخلي (الكسر) موازن لتنغيم الناقوس وموازن للتسبيح يسير على وتيرة واحدة لا يتغير ولا يتبدّل.

ومن خصائص التسبيح أنه يسير على وتيرة واحدة.

التسبيح في المسيحية: تسبيحهم جماعي كالمتصوفة، وتوجد الجوقة في الكنيسة، وتكون ترتيلاتهم وتنغيماتهم مع بعضهم وتكون موقعة حتى يتمكنوا من المتابعة.

ومن الشواهد أيضا قول الشاعر:

١. يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ المُنْسَابِ كَوثَرُهُ   عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

وقوله:

٦. نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ   مِنَ الغَمَامِ يَقِيْنَا كُلَّ ضَرَّاءِ

وقوله:

٤. رُحْمَاكِ بِالوَارِفِ المَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ   لَنَا بِظِلِّكِ مِنْ أَهْوَاً وَأَهْوَاءِ

---

(١) السبع معلقات. مقاربة سيميائية أنثربولوجية. عبد الملك مرتاض:٢٢٢. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ١٩٩٨م.

وقوله:

٢٥. وَجُدْتُ بِالتِّبْرِ مِنْ مَالِي وَمِنْ أَدَبِي فَكُنْتُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْهُمَا الطَّائِي

وقوله:

٣٧ـ مِنْ كُلِّ وَرْقَاءَ فِي الأَفْنَانِ بَيْنَ الحَدَائِقِ فِي فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ

إن انتشار الكسر الذي هو رخو ومرقّق يدل على تناسب الأصوات وغرض الوصف.

القافية:

قافية القصيدة من المتواتر وهو"كل قافية وقع فيه حرف متحرك بين ساكنين "[1] وهي من القوافي التي ترد كثيرا في الشعر.

ورد في آخر النص ما يشير ولو من وجه خفي إلى قدرة الشاعر العروضية حين قال:

٥٨ـ أَمَّا أَنَا لَسْتُ نَوَّاحاً عَلَى طَلَلٍ وَلا خَلِيطٍ وَلا نَدَّابَ أَحْيَاءِ

٥٩ . تَرَكْتُهُ لأُنَاسٍ كَالتِّيُوسِ غَنَوْا عَنِ المُدَامِ بِدَرِّ الإِبْلِ وَالشَّاءِ

٦٠ـ يُعْزَوْنَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالَتِهِمْ لَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَ إِيطَاءٍ وَإِقْوَاءِ

٦١ـ مِنْ كُلِّ أَلْكَنَ عِنْدَ البَحْثِ مُنْقَطِعٌ كَأَنَّهُ وَاصِلٌ وَالشِّعْرُ كَالزَّاءِ

فكأنه يقول أنا الشاعر وغيري لا، وفيه إلماح إلى رغبته في الخمريات التي يراها أولى من البدء بالوقوف على الطلل.

وقد عزّز الشاعر إيقاع القافية بضم أكثر من حرف في آخر بيتين متواليين كما في قوله:

٥٤. وَاسْتَجْلِهَا بِنْتَ مِصْرٍ تَسْتَطِيلُ عَلَى بَغْدَادَ وَالمَوْصِلِ الحَدْبَا وَسَوْرَاءِ

٥٥. كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلَّ النَّسِيمِ بِهَا عَلَى اعْتِدَالٍ وَحَدْبَاءٍ وَزَوْرَاءِ

---

(1) الوافي بمعرفة القوافي. أبو العباس الأندلسي. تحقيق د. نجاة نولي:٦٢. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط١. ١٤١٨هـ الرياض.

إن في مجيء الشاعر بحرف الراء في (سوراء) و(زوراء) تعزيز لإيقاع القافية، ومثله قوله:

٢٣. كَمْ صَفَّقَ المَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَباً فَتَقَطَّتْهُ بِبَيْضَاءٍ وَصَفْرَاءِ

٢٤ـ وَكَمْ طَرِبَتْ لِمَا أَبْدَتْهُ مِنْ مُلَحٍ يَصْبُو لَهَا كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَآرَاءِ

وازداد حرص الشاعر على جعل القوافي ذات إيقاع متنام، فليس إيقاعها محصورا في الروي فقط، بل جاوز ذلك ليشمل وزن اللفظ الذي في آخر البيت، وبيان ذلك كما يلي، انظر إلى قول ابن مكانس:

٣٣ـ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفٌّ جَلاءِ

٣٤ـ كَأَنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

٣٥ـ كَأَنَّهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الأَرْضِ شَهْلاءِ

٣٦. وَكَمْ شَدَتْنَا حَمَامَاتُ الأَرَاكِ عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَرَتْنَا رَقْصَ هَيْفَاءِ

٣٧. مِنْ كُلِّ وَرْقَاءَ فِي الأَفْنَانِ صَادِحَةٍ بَيْنَ الحَدَائِقِ فِي فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ

٣٨ـ وُرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتٍ رَقِينَ عَلَى عِيدَانِهَا فَالْهُ فِي مَغْنَى وَغَنَّاءِ

٣٩ـ بَاكَرْتُهَا فِي سَرَاةٍ مِنْ أَصَاحِبِنَا لا يَنْطَوُونَ عَلَى حِقْدٍ وَشَحْنَاءِ

إن ألفاظ (جلاء، رقشاء، شهلاء، هيفاء، زهراء، غنّاء، شحناء) كلها على وزن (فعلاء)، ومثله ولكنه أقل منه تتابع أبيات قول ابن مكانس:

٤٨. كَمْ قَدْ نَعِمْنَا بِهَا عَيْشاً بِصَافِيَةٍ شَمْطَاءَ تُجْلَى عَلَى الجُلاسِ عَذْرَاءِ

٤٩ـ مِمَّا تَخَيَّرَهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا رَبُّ الخَوَرْنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوْفَاءِ

٥٠ـ حَمْرَاءُ صِرْفاً وَصَفْرَا إِنْ مَزَجْتَ كَمْ مِنْ يَدٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ

٥١ـ رَاحاً إِذَا رَكَعَ الإِبْرِيقُ يَمْزُجُهَا سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيحَ فَأْفَاءِ

فـ (عذراء، جوفاء، بيضاء، فأفاء) على وزن (فعلاء)، وهذا يدل على أن الشاعرلم يقنع من النغم بما توفره القافية، بل رام شيئا أعلى منه[1].

وقد يعمد الشاعر إلى تناسق إيقاعي بين البيتين بذكر لفظين في كل بيت على وزن واحد، كل لفظ يقابل ما في البيت الثاني وزنا، ومنه قول ابن مكانس:

١٤. لَهَا مَطَارِفُ ظِلٍّ سَجْسَجٍ فَمَصِيْـ (م) ـفُهَا يُعَادِلُ فِيْهِ طِيْبَ مَشْتَاءِ

١٥. قَدِيْمَةُ العَهْدِ هَزَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَتْ فَهْيَ العَجُوزُ تَهَادَى هَدْيَ مَرْهَاءِ

إن قوله (طيب مشتاء) على وزن (هدي مرهاء).

وفي الثاني من البيتين السابقين يبرز توالد الدلالات من الأصوات، فليس للشاعر دلالة مسبّقة يريد وضعها، بل تتداعى الدلالات بتداعي الأصوات.

٢٧ـ كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

٢٨. كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

إن قوله (أعطاف وطفاء) على وزن (أعكان سمراء).

وقد حرص الشاعر على الابتعاد عن الزلات المتصلة بالقافية، ومن مظاهر حرصه أنه حين كرّر لفظة (الماء) في القافية مرتين فصل بين البيتين بثمانية أبيات، والبيتان هما:

١١ـ فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْضَلَّ زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشاً عَلَى المَاءِ

٢٠ـ تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا عَلَى الهَوَاءِ وَأَحْنَتْهَا عَلَى المَاءِ

ومن عيوب القافية التضمين وهو"تعليق قافية البيت بصدر البيت الذي بعده "[2] ومنه قول ابن مكانس:

١٧ـ وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصُنٍ فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيْشِ دَكْنَاءِ

١٨. كَقَرْعِ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ

---

(١) للاستزادة: راجع: شعريات عربية، توفيق بكار: ٢/ ٩٠ وما بعدها،المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٩م.

(٢) أهدى سبيل: ١٨٨.

فالصورة في البيت الأول لا يمكن أن تكتمل إلا بورود البيت الثاني، وهذا وإن عدّه العروضيون عيبا فإن عبد القاهر الجرجاني لا يرى في ذلك عيبا، بل يراه أمرا مقويًا على جعل البيتين كاللحمة الواحدة[1]، لأنه تفطّن إلى مفهوم انسجام النص وبلاغة الخطاب الذي يجاوز الجملة والبيت.

ومن الضرورات الجائزة قصر الممدود وقد جاء في النص في الأبيات التالية:

٧ـ يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ القَيْظِ عَالِمَةً ... أَنْتِ الشِّفَاءُ لَدَى الرَّمْضَا مِنَ الدَّاءِ

٢٨. كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا (م) ... دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

٣٥ـ كَأَنَّهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا ... رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الأَرْضِ شَهْلاءِ

٥٠ـ حَمْرَاءُ صِرْفاً وَصَفْرَا إِنْ مَزَجْتَ ... كَمْ مِنْ يَدٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ

٥٤ـ وَاسْتَجْلِهَا بِنْتَ مِصْرٍ تَسْتَطِيلُ ... بَغْدَادَ وَالمَوْصِلِ الحَدْبَا وَسَوْرَاءِ

وهذه من الضرورات التي أجازها العلماء، وهي كثيرة في الشعر، وما سبق شاهد على الألف التي تكون في آخر الكلمة أما في وسطها فشاهده قول الشاعر:

١٠. خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا ... ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَأَنْوَاءِ

ومن النادر في النص اضطرار الشاعر إلى إبقاء الياء في الفعل (تحني) وهو مجزوم فقال:

٢٠. تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا ... عَلَى الهَوَاءِ وَأَحْنَتْهَا عَلَى المَاءِ

والواجب حذف الياء من الفعل لأنه مجزوم بـ(لم) وعلامة جزمه حذف الياء، ولكنّ الشاعر أبقاها لأن مدّتها مسهمة في تجنيب البيت زحاف (الطي) وهو حذف الرابع الساكن فتغدو (مستفعلن) (مستعلن) وتحوّل إلى مفتعلن[2].

---

(١) انظر: التضمين العروضي وأثره في بناء النص الشعري. عوض الجميعي. مجلّة علامات. تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة. ١٤١٩هـ ١٩٩٨م المجلد الثامن. العدد الثلاثون.: ٢٤١ وما بعدها.

(٢) انظر: أهدى سبيل: ٢٧. وانظر مقال د. محمود رزق سليم (في ظلال السرحة):٧٨٢. فقد أشار إلى أن الشاعر لديه بعض الزلات اللغوية والنحوية.

ومن الضرورات النادرة في النص صرف الممنوع، وشاهده قول الشاعر:

٢٣ـ كَمْ صَفَّقَ المَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَباً   فَنَقَّطَتْــــهُ بِبَيْـــضَاءٍ وَصَـــفْرَاءِ

والقاعدة تقضي بجرّ (بيضاء) بالفتحة عوضا عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف، ولكن فعل الشاعر هنا مما أجازه العلماء، حفاظا على استقامة البيت. وصرف الممنوع جائز، لأنه معاملة للاسم على أصله وهو أنه مصروف[1].

موسيقا الصوت المعزول عن الإطار:

ومما ينظر إليه بعين الاعتبار موسيقا الصوت المعزول عن الإطار، وذلك يشير إلى اهتمام الشاعر بذلك الصوت الذي أشاعه التراكم الذي كوّن كثافة ملحوظة فوق المعيار الطبيعي من الأصوات الموجودة في الخطاب غير الشعري[2].

ويحاول الباحثون استنطاق جميع الأصوات المحتمل مشاركتها في أي تجميع للأصوات[3].

ومن ذلك قول ابن مكانس:

٨. لا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ   عَلَيْـكِ كُـلُّ هَتُـونِ الـوَدْقِ سَـوْدَاءِ

بين (الدهر) و(الزهر) اتحاد أغلب الأصوات:

ال ده ر

ال زه ر

إن الاختلاف بين اللفظين يقع في موضع واحد فقط. ولابن مكانس:

٦. نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ   مِـــنَ الغَمَـــامِ يَقِيْنَـــا كُـــلَّ ضَـــرَّاءِ

يشيع في البيت صوت (ظ)و(ض)، وهما حرفان فخمان مستعليان، ولعل في اجتماعهما دلالة على التفخيم، وهما حرفان "يشتركان في بعض النواحي الصوتية، أو بعبارة أخرى كأن وقعهما في الآذان متشابها"[4]، فبين الصوتين تجاوب وتشابه[5].

---

(١) انظر: ضرورة الشعر. أبو سعيد السيرافي. تحقيق د. رمضان عبد التواب: ٣٩-٤٠ . دار النهضة العربية. ط١. ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م بيروت.

(٢) انظر: تحليل الخطاب الشعري. د. محمد العمري: ٦٤. الدار العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع. ط١. ١٩٩٠م. الدار البيضاء.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٦٥.

(٤) الأصوات اللغوية. إبراهيم أنيس: ٥٥. دار الطباعة الحديثة. ١٩٧٦م.

(٥) انظر: تحليل الخطاب الشعري: ٧٦.

ومنه الصفير، ومن شواهده:

٤٣ـ نُوْحِيَّةُ الصُّنْعِ وَالإِحْكَامِ مُنْشَأَةٌ   تَسِيْرُ مَا سُيِّرَتْ مِنْ غَيْرِ إِعْيَاءِ

٤٤. سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى المَاءِ المُصَنْدَلِ شَا (م) مَةً عَلَى شَفَةٍ كَالشَّهْدِ لَعْسَاءِ

٤٥ـ سَاجِيَّةٌ أَلْبَسَتْهَا الصَّانِعُوْنَ لَهَا   مِنَ التَّدَابِيْجِ مَا يُزْرِي بِصَنْعَاءِ

ومن الأصوات الشائعة الراء:

١١ـ فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْضَلَّ وَافْتَرَشَتْ   زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشَاً عَلَى المَاءِ

١   ٢(+)٣ ٤،٥ ٦

١٢- قَرِيْرَةَ العَيْنِ بِالأَنْوَاءِ بَارِدَةَ الْـ (م) ـقَلْبِ الذِي لَمْ تَنَلْهُ غَيْرُ سَرَّاءِ

٢١   ٣   ٤   ٥(+)٦

٣٢ـ ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ عَلَى   نَهْرِ الأَبُلَّةِ يَزْرِي أَيَّ إِزْرَاءِ

١   ٢   ٣   ٤   ٥

٤٩ـ مِمَّا تَخَيَّرَهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا   رَبُّ الخَوَرْنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوْفَاءِ

١   ٢   ٣   ٤   ٥

وهذه الأبيات فيها ما وردت الراء فيه مضعّفة فتكون عن حرفين، وحرف الراء صوت تكراري، وقد تنوّع وروده في البيت (١٢) من حيث الحركات فورد مكسورا ومفتوحا ومضموما، كما تنوّع موقعه، ومن ذلك البيت (٣٢) فقد أتى في بداية الكلمة ووسطها وآخرها.

ومن تكرار المدود ما جاء في قول ابن مكانس:

١ـ يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ المُنْسَابِ كَوثَرُهُ   عَلَى اليَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

ففي البيت (١١) مدا ما بين ألف وواو وياء، وهذا يمثّل عدولا كميّا عن كميّة الأصوات المستعملة في كل بيت، وقد غلب المد بالألف، إذ جاء في ستة مواضع، ويفيد ذلك إعلاء

شأن السرحة، وكذا تفيد المدود ارتفاع السرحة الحسي، ولهذا ناداها الشاعر بحرف النداء (يا) المفيد ضخامة حجمها، وقد صرّح الشاعر بذلك في قوله:

١٦.لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلٍ   حَتَّــى تَعُــوْدَ لَــهُ لَحْظَــاتُ حَــوْلاءِ

المفيد فرط ارتفاعها.

والتاء، ومن شواهدها:

١١. فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا المُخْضَلَّ وَافْتَرَشَتْ   زَهْـرَ الرُّبَـا وَرَقَـتْ عَرْشَـاً عَلَـى

١ ٢   ٣ ٤   ٥

ومن تكرار الكاف وهو بيّن في الشطر الثاني:

٣ـ وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيْكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ   سَـقَاكِ مِـنْ كُـلِّ غَـيْمٍ كُـلُّ بَكَّـاءِ

ومما له صلة بالحديث شيوع صيغ محدّدة في النص، فالنص يضج بورود الجموع، ومنها:(اليواقيت، ظلل، الغمام، الزهر، عصابة، خمائل،حمائم، مطارف، لحظات، الريش،، الضلوع، أضالعها، المعاني،مُلح،، اللدن، الرشاق)

وتشيع فيه صيغة (أفعال) خصوصا، ممثلة بروزا يلحظه القارئ، ومن ذلك (أشكال، أنواء، أخوال، آباء، أهواء، آرام، أفياء، أفناء، أفنان، أرجاء، آراء، أعطاف، أعكان، أعداء، أجزاء).

إن تواتر أبنية الجموع يدل على الجمال في المخيال الشعري القائم على الكثرة وأن أفق الانتظار يتطلب الوصف بالكثرة، فذلك أكثر إقناعا بالفضل والتميّز.

إن وزن (أفعال) بنية صوتية قائمة على المدّ والفتح وهما يناسبان مشهد الطبيعة القائم على الانفتاح والامتداد، فالشاعر لا يصف مشهدا منغلقا بل يصف مشهدا منفتحا، ومن أدلته قوله:

١٦ـ لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلٍ   حَتَّـى تَعُـوْدَ لَـهُ لَحْظَـاتُ حَـوْلاءِ

وتظهر صيغة (فعلاء) بارزة، وذاك أن الشاعر يصف مؤنثا وهي (السرحة)، وقد ساعدت القافية على شيوع الصيغة (فعلاء) وسبق بيان ذلك، ولكن مما شاع في حشو

الأبيات منها (حمراء، صفراء، خضراء، دكناء، ورقاء، جرداء، سوداء، شمطاء، قوراء، حدباء) وتلحظ أن أغلب الألفاظ دالة على اللون.

ومما شاعت فيه حروف من مخرج واحد قول ابن مكانس:

٥٤ـ وَاسْتَجْلِهَا بِنْتَ مِصْرٍ تَسْتَطِيلُ عَلَى ... بَغْــدَادَ وَالمَوْصِــلِ الحَــدْبَا

إن شيوع حروف (ت، ط،د) آت من تجاوب صوتي، فهي حروف مشتركة في المخرج، إذ تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا، ومشتركة في الشدة، وحرفا (ط،د) يشتركان في صفة الجهر[1].

ومن التجاوب الصوتي ما ورد في قول الشاعر:

١٥ـ قَدِيْمَـةُ العَهْـدِ هَزَّتْهَـا الـصِّبَا فَـصَبَتْ ... فَهْـيَ العَجُـوزُ تَهَـادَى هَـدْيَ مَرْهَـاءِ

إن الهاء منتشرة في البيت سبع مرات وهذا يمثل (١٥،٩٪)، ولعل ذلك عائد إلى محاولة الشاعر تبطيء الصورة، خصوصا في الشطر الثاني الدال على حركة العجوز البطيئة، والهاء تقوم بذلك أي بعمل التبطئة، خصوصا أنها في آخر البيت مقرونة بحرف المد الألف. وقد تعزّز الإيقاع في الشطر الثاني بقرابة صرفيّة بين لفظين[2].

ومما يرز فيه مبدأ الإفادة قول الشاعر:

٦ـ نَظَلُّ مِـنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِـي ... مِـنَ الغَمَـامِ يَقِيْنَـا كُـلَّ ضَـرَّاءِ

عندما يبلغ الصوت مستوى التشبع يصبح سمة مفيدة، وفي البيت تكررت (ظ، ض، ف) فجلبت الانتباه إلى الظل والفيء ومتعة المكان.

وتمثيل الألفاظ للمعاني موجود ولكنه قليل وقد ورد في البيت التالي:

٥١ـ رَاحَاً إِذَا رَكَعَ الإِبْرِيْقُ يَمْزُجُهَا ... سَـمِعْتَ مِـنْ صَـوْتِهِ تَـسْبِيْحَ فَأْفَـاءِ

وفي قوله (فأفاء) تمثيل لصوت الخمرة، وبها أصبحت العلاقة مسوغة بين اللفظ وما يدل عليه، ويشبهه اختيار الشاعر أصواتا مضعّفة كما في قوله:

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٧٩.

(٢) انظر: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: ٦٠.

٦ـ نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الفَضْفَاضِ فِي ... مِنَ الغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ

١٤. لَهَا مَطَارِفُ ظِلٍّ سَجْسَجٍ فَمَصِيْـ (م) ... ـفُهَا يُعَادِلُ فِيهِ طِيبَ مَشْتَاءِ

٣٥ـ كَأَنَّهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا ... رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الأَرْضِ شَهْلاءِ

ولجوء ابن مكانس إلى اختيار أصوات مضعّفة كـ (الفضفاض، سجسج، رقراق) يفيد رغبته في مضاعفة الإيقاع على مستوى الوزن.

ومما يبرز فيه التنغيم الصوتي الأبيات التي حوت جناسا، وهو فن بديعي لفظي يعطف الذهن للألفاظ التي تصطبغ به، ومن مطالعة القصيدة بدا لي أن الشاعر مقل منه، وهذا غريب في عصر عرف شعراؤه بحشد البديع، ولا سيما الجناس منه بأقسامه المتعددة، ولم يأت الجناس في القصيدة إلا في المواضع التالية:

٢ـ حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابُ إِذَا ... نَوْءُ الثُّرَيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ

٤. رُحْمَاكِ بِالوَارِفِ المَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ ... لَنَا بِظِلِّكِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَأَهْوَاءِ

٨ـ لا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ ... عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الوَدْقِ سَوْدَاءِ

٢١ـ بَدِيعَةُ الحُسْنِ قَدْ فَازَ الجِنَاسُ لَهَا ... مِنَ المَعَانِي بِأَفْنَانٍ وَأَفْنَاءِ

٢٢ـ وَقَامَ عَنْهَا لِسَانُ الزَّهْرِ يُنْشِدُنَا ... لِلَهْوِكُمْ أَرَجٌ مَا بَيْنَ أَرْجَائِي

٢٩. كَأَنَّهَا فَوْقَ دِعْصِ المَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ ... هِضَابُهُ سَفْحُ وَادٍ رَبُّ أَفْيَاءِ

٣٢ـ ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ عَلَى ... نَهْرِ الأُبُلَّةِ يُزْرِي أَيَّ إِزْرَاءِ

٣٨ـ وُرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتٍ رَقَيْنَ عَلَى ... عِيدَانِهَا فَالَهُ فِي مَغْنَى وَغَنَّاءِ

٤٣ـ نُوحِيَّةُ الصُّنْعِ وَالإِحْكَامِ مُنْشَأَةٌ ... تَسِيرُ مَا سُيِّرَتْ مِنْ غَيْرِ إِعْيَاءِ

٥٢ـ أَمِ السُّرُورِ الَّتِي أَبْقَى الزَّمَانُ بِهَا ... جُزْءَ الحَيَاةِ وَقَدْ أَلْوَى بِأَجْزَاءِ

ومـع ورود البيـت الحـادي والعـشرين الـذي أشـار فيـه الـشاعر إلى فـنّ الجنـاس إلا أن انصرافه إلى قصيدته جعله يتخفف منه.

ومن النظر في الأبيات التي حـوت جناسـات أرى أن (٨٠%) منهـا الجنـاس فيهـا في الشطر الثاني، وأن (٧٠٪) منها اللفظ الثاني في آخر البيت، وهذا دال على رغبة الشاعر في إبراز المعنى في هذه الأبيات عن طريق الجناس الذي وضعه في آخر البيت، وهو موضع مهم جدا؛ لأنه متصل بالترنم بالروي، ويعضد هذا الحكم أن الجناس بين لفظين كليهما في الشطر الأول لم يرد إلا في بيت واحد، وحاول الشاعر تقويته بتقريب أحدهما من الآخر، وبجعلهما على وزن واحد (الدهر) و (الزهر)، أما الجناس بين لفظين أحدهما في الشطر الأول والثاني في الشطر الثاني فلم يمثل إلا (١٠٪) ولعل ذلك عائد إلى تلاشي النغم أو شبه تلاشيه بين الشطرين مقارنة بين كونهما في شطر واحد.

ومن نتائج الأبيات أن (٣٠٪) منها جاء الجناس فيها بين المفرد وجمعه، وقدّم الشاعر المفرد على جمعه، كما أن من نتائجه أن الجناس الموجود في النص كله من الجناس الناقص، وهو أقلّ إطرابا من الجناس التام.

وليس شرطا أن يظهر أثر الجناس ظهورا بارزا في جميع الأبيات فربما كان منه ما يجلب النظر إلى سياقها عن طريق إيقاعها دون أن يكون لها أثر خاص في الدلالة[1].

ومما يتصل بحركة الإيقاع التضاد، وقد ورد في تسعة أبيات فقط[2]، هي:

١٤ـ لَهَا مَطَارِفُ ظِلٌّ سَجْسَجٍ فَمَصِيْـ (م) ـفُهَا يُعَادِلُ فِيْهِ طِيْبَ مَشْتَاءِ

٢٠ـ تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا عَلَى الهَوَاءِ وَأَحْنَتْهَا عَلَى المَاءِ

٤٠ـ تَدَاعَبُوا بِمَعَانِي شِعْرِهِمْ فَأَرَوْا وُدَّ الأَحِبَّةِ فِي أَلْفَاظِ أَعْدَاءِ

٤١ـ مِنْ كُلِّ شَيْخٍ مُجُوْنٍ فِي شَبَابِ فَتَى يُقْرِي المُجُوْنَ بِقَلْبٍ غَيْرِ نَسَّاءِ

٤٦ـ غَرِيْبَةٌ ذَاتُ أَلْوَانٍ وَأَجْنِحَةٍ لَمْ أَدْرِ تُعْزَى لِرَوْضٍ أَوْ لِعَنْقَاءِ

---

(١) للاستزادة: راجع: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٥٩.

(٢) وعلى ذلك فالشاعر يرفض التشبّع الأسلوبي.

٥٠. حَمْرَاءُ صِرْفاً وَصَفْرَا إِنْ مَزَجْتَ لَهَا   كَمْ مِنْ يَدٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ

٥٢ـ أم السُّرُوْرِ التِي أَبْقَى الزَّمَانُ بِهَا   جُزْءَ الحَيَاةِ وَقَدْ أَلْوَى بِأَجْزَاءِ

٥٣ـ فَعَاطِنِيْهَا عَلَى طَلِّ النَّدَى سَحَرَاً   فَإِنَّ تِرْشَافَهَا مَوْتِي وَإِحْيَائِي

٥٦ـ مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ وَشَادٍ أَوْ وَشَادِيَةٍ   تَشْدُو لَنَا بَيْنَ صَوْتِ العُوْدِ وَالنَّاءِ

إن من نتائج عرض الأبيات بيان أن الشاعر استهواه المجيء بالتضاد في المقطع الخمري، وكأنه يشير بذلك إلى تغيّر أحواله حين يعاقر الخمرة، فمع قصر المقطع الخمري مقانة بمقطع وصف السرحة إلا أن الشاعر أبى إلا حشد المتضادات في هذا المقطع؛ ليبين تعلّقه بالخمرة.

أتى التضاد في الأبيات متنوعا فقد استقلّ الشطر الثاني بـ(٣٣,٣٪) من الشواهد، واستقل الأول بـ (٢٢,٢٪)، واشترك الشطران في (٤٤,٥٪) وهذا يجعل تفاعل الشطرين أكثر، وكما سبق أن جاءت شواهد الجناس وكان اللفظ الثاني منها في آخر البيت فشواهد التضاد مثلها ونسبة ذلك (٤٤,٥٪).

أتى التضاد بين مصدرين ميميين وهذا يزيد التضاد دلالة، وبين فعلين منفي ومثبت، وبين جمعين ليسا على وزن واحد (أحبّة، أعداء)، وبين مفردين ليسا متقابلين لغة (شيخ، فتى)، فالشيخ يقابله الشاب والطفل والفتى، وبين لفظين دالين على لونين وهما مجروران.

التكرار:

التكرار يحمل في طيّاته شحنة إيقاعية ومن شواهده:

٣٠. مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الخَرِيْرُ بِهِ   كَأَنَّهَا أُذُنٌ مَالَتْ لإِصْغَاءِ

٤١. مِنْ كُلِّ شَيْخٍ مُجُوْنٍ فِي شَبَابِ فَتَى   يُقْرِي المُجُوْنَ بِقَلْبٍ غَيْرِ نَسَّاءِ

ويظهر من البيتين سعي الشاعر لجعل أحد اللفظين المكررين في الشطر الأول والثاني في الشطر الثاني، وفي هذا تقوية في الربط بين الشطرين، وفي تكرار (مالت) دليل على انبناء الوصف على الميلان، الذي يشكل صفة أساسية في الصورة، أما تكرار

(المجون) فقد أتى ليبعد الوهم؛ لأنه في حال عدم التكرار فسيصير المعنى ملبسا، فأورد الظاهر مكان المضمر؛ دفعا للبس، فلو قال (يقريه) لعاد المعنى على (فتى) ولجاء المعنى مضطربا.

ومنه تكرار (بل) في قوله:

١٣. مَقِيلُ ندْمَانَ بَلْ مَغْنَى حَمَائِمَ بَلْ كِنَاسُ آرَامَ بَلْ أَفْنَاءُ دَرْمَاءِ

ومما جعل (بل) مكانا مميزا في الإيقاع في البيت السابق كونها في جميع مواضعها تمثل نهاية التفعيلة (فاعلن) بأن جاءت في موقع اللام والنون من (فاعلن) وإليك بيان ذلك:

مقيل نـد مان بـل مغنى حما ئم بـل كناس آ رام بـل أفناء درماء

مـ تفعلن فاعلـ ـن مـ ستفعلن فعلـ ـن متفعلـ ـن فاعلـ ـن

العدول عن التصريع:

التصريع محسن لفظي، ذو إيقاع يذكّر بالصوت الوارد في نهاية الشطر الأول، وقد جرت عادة الشعراء ببدء قصائدهم مصرعة، ولكن ابن مكانس عدل عن ذلك فما السبب الذي دعاه إلى ذلك ؟

لعل الابتعاد عن الصنعة والتصريع أحد مظاهرها أمر دعاه إلى نبذ الابتداء بالتصريع، فبدأ بالأمر الذي بهره وشدّه وهو منظر السرحة، ثم إن من الشعراء من تخفف من التصريع[1].

ما يشبه اللازمة الإيقاعية في بعض الأبيات:

ورد في بعض الأبيات ما يمكن أن يلحق بالدراسة الإيقاعية، وهو ما يشبه اللازمة الإيقاعية، ومنه قول الشاعر:

٢٧ـ كَأَنَّ أَغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ

٢٨. كَأَنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

---

(١) انظر: القوافي: أبو يعلى التنوخي (وزن الشعر وما يلحقه) وانظر: شعر أبي ذؤيب الهذلي: ٣٨٩.

وقوله:

٢٦ـ كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ ... حُسْناً وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَّاءِ

٢٩. كَأَنَّهَا فَوْقَ دِعْصِ المَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ ... هِضَابُهُ سَفْحُ وَادٍ رَبٌّ أَفْيَاءِ

وقوله:

٣٣ـ كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ ... فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفٌّ جَلاءِ

٣٤ـ كَأَنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ ... أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

٣٥ـ كَأَنَّهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا ... رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الأَرْضِ شَهْلاءِ

إن تصدير الأبيات السابقة بـ(كأن) و(كأنها) و(كأنه) يشكل سمة في تلك الأبيات، لا سيّما أن أكثرها أبيات متتابعة مما يعطيها سمة التطابق في بدايات المقاطع، ويعطي رباطا يشد عرى الأبيات بعضها ببعض، وفيه إيجاد إيقاع موسيقي متميز يمثل وقفة تأمل واستزادة لاستعادة النشاط قبل الاستمرار في القصيدة[1].

وبعد، فقد حاولت في الصفحات السابقة بيان ما تحمله القصيدة من طاقات إيقاعية، وظهر أيضا أن الشاعر لم يعمد إلى إيقاعات مفتعلة عن طريق الإلحاح على فن الجناس الذي شاع في النصوص في عصره، مما حفظ لقصيدته بريقا فقدته قصائد كثيرة لأنها آثرت التلطّخ بأوضار المحسنات البديعية، متعلّقة بها ومقدمة إيّاها على المعنى.

* * *

---

(١) يراجع: خصائص الأسلوب في الشوقيات:٧٦.

الخاتمة:

وبعد حمد الله يسّر الله لي الانتهاء من البحث وقد بان من خلال الدراسة نجاعة تطبيق المنهج الأسلوبي على الشعر العربي القديم

وقد ابتدئ البحث بتعريف الأسلوبية وبيّن اختلاف التعريف باختلاف الزاوية التي يُنْطَلق منها، ثم عرض البحث لمناهج الأسلوبية المشهورة وجذور الأسلوبية وصلتها بالمعارف الأخرى.

وبعد ذلك انتقل البحث لدراسة الجانب النظري فعرض لبعض المبادئ المهمة في الأسلوبية وهي (مبدأ الإفادة والعدول والاختيار(الجدولية) والنسقية (محور التأليف)).

وانتقل البحث بعد ذلك للجانب التطبيقي على القصيدة المدروسة فعرض للبناء العام، وبان فيه نهوض القصيدة على ثلاثة أساليب كبرى هي:

١. الخطاب والحوار.

٢. السرد.

٣. الوصف.

ثم عرض البحث لمسألة الوحدة العضوية وناقشها، مع ربط ذلك بالنص المدروس، وبيّن كيف اتصل بعض أبيات القصيدة أو بعض مقاطعها ببعض، إضافة إلى بيان ما تتميز به مقاطع عن أخرى أسلوبيا.

وعرض البحث بعد ذلك لمسائل كثيرة جدا لها ارتباط وثيق بالبناء العام في الدراسة الأسلوبية، مستعينا في دراستها بالإحصاء ليكون الكلام علميا وقائما على ركيزة أساسية.

وانتقل البحث بعد ما سبق لبيان نسبة الفعل إلى الصفة فبينتها وظهر من خلالها شيوع الفعل أكثر من الصفة في القصيدة، كما عالج البحث الحقول الدلالية التي شاعت في القصيدة فرتبها وفاقا لكثرتها واتضح منها غلبة حقل الماء وما يتصل به.

وانتقل البحث بعد ذلك لنظام التمثيل الذي عني بدراسة المحاكاة وبيّنت فيه أن الشاعر ينطلق في نظامه التصويري من مواضع اتفق عليها المجتمع، وعرضت لما شاع من وسائل التصوير وهو التشبيه الذي شكل وجوده بروزا أسلوبيا، وقد ربطت فيه النص بالنصوص التي قبله والتي أثّرت فيه، وبيّنت كيف أفاد منها.

ووصل البحث لدراسة العدول في الصورة الذي يجعل الصورة جديدة بعد أن كادت تهترئ، ثم انتقل البحث لدراسة التقييد في الصورة، والتشبيه التمثيلي الذي كان مسيطرا على القصيدة.

وأفاد البحث من شجرة (جان ريكاردو) فعرض رسما لبنية مشهدين هما (بنية المشهد الوصفي للسفينة) و(بنية المشهد الوصفي للخمرة).

كما لم يعزب عن البحث الإشارة بعض المباحث المتصلة بنظام التمثيل كالتدرّج في الصورة والصور المتحركة وغيرها من المسائل.

وانتقل البحث بعد ذلك إلى الإيقاع فدرسه منطلقا من الإحصاء، وربط الباحث شيوع حروف الجهر بجوّ القصيدة. وأورد الصور التي أتت عليها القصيدة وزنا في جداول، كما لم يُغفل البحث الإشارة إلى أمور أخرى تتصل بالإيقاع كالروي.والقافية والتدوير. كما درس موسيقا الصوت المعزول عن الإطار بكثير من مسائلها.

وتضمن البحث بين دفته تصويبا لأكثر من خطأ وقع فيها ناقد أو ناسخ لديوان ابن مكانس أو غيرهما، ومطالعة البحث كفيلة ببيان ذلك.

وبعد فلا أملك إلا أن أحمد الله سبحانه وتعالى الذي يسّر لي سبل البحث وأشكر كل من مدّ لي يد العون مساعدا ومعاونا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

لحق (همزية ابن مكانس):

١ـ يَـا سَـرْحَةَ الـشَّاطِئِ المُنْـسَابِ كَـوثَرُهُ   عَلَـى اليَوَاقِيـتِ فِـي أَشْـكَالِ حَـصْبَاءِ

٢ـ حَلَّـتْ عَلَيْـكِ عَزَالِيْهَـا الـسَّحَابُ إِذَا   نَـوْءُ الثُّرَيَّـا اسْـتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْـوَاءِ

٣ـ وَإِنْ تَبَـسَّمَ فِيْـكِ النَّـوْرُ مِـنْ جَـذَلٍ   سَـقَاكِ مِـنْ كُـلِّ غَـيْمٍ كُـلُّ بَكَّـاءِ

٤ـ رُحْمَـاكِ بِـالوَارِفِ المَعْهُـوْدِ مِنْـكِ فَكَـمْ   لَنَـا بِظِلِّـكِ مِـنْ أَهْـوَاً وَأَهْـوَاءِ

٥ـ وَكَـمْ نَزَلْنَـا مَقِـيْلاً مِنْـكِ مَـا حَمِـيَ الْـ   (م)   ـهَجِيْرُ إِذْ حَيْـثُ لا مَـرْآى لِحِرْبَـاءِ

٦ـ نَظَـلُّ مِـنْ فَيْئِـكِ الفَـضْفَاضِ فِـي ظُلَـلٍ   مِـنَ الغَمَـامِ يَقِيْنَـا كُـلَّ ضَـرَّاءِ

٧ـ يَـا طَبَّـةً بِـدَوَاءِ القَـيْظِ عَالِمَـةً   أَنْـتِ الـشِّفَاءُ لَـدَى الرَّمْـضَا مِـنَ الـدَّاءِ

٨ـ لا صَـوَّحَ الـدَّهْرُ مِنْـكِ الزَّهْـرَ وَانْبَجَـسَتْ   عَلَيْـكِ كُـلُّ هَتُـوْنِ الـوَدْقِ سَـوْدَاءِ

٩ـ عِـصَابَةُ الـشَّرْبِ أَمُّـوْا رَوْضَ زَاهِـرَةٍ   تُعْـزَى لأَكْـرَمِ أَخْـوَالٍ وَآبَـاءِ

١٠ـ خَمَائِـلُ الـرَّوْضِ مَنْـشَاهَا وَمُرْضِـعُهَا   ضَـرْعُ النَّمِيْـرَيْنِ مِـنْ نِيْـلٍ وَأَنْـوَاءِ

١١ـ فَاسْـتَمْهَدَتْ دَوْحَهَـا المُخْـضَلَّ وَافْتَرَشَـتْ   زَهْـرَ الرُّبَـا وَرَقَـتْ عَرْشَـاً عَلَـى المَـاءِ

١٢ـ قَرِيْـرَةُ العَـيْنِ بِـالأَنْوَاءِ بَـارِدَةُ الْـ   (م)   ـقَلْبِ الـذِي لَـمْ تَنَلْـهُ غَيْـرُ سَـرَّاءِ

١٣ـ مَقِيْـلُ نُـدْمَانَ بَـلْ مَغْنَـى حَمَـائِمَ بَـلْ   كِنَـاسُ آرَامَ بَـلْ أَفْنَـاءُ دَرْمَـاءِ

١٤ـ لَهَـا مَطَـارِفُ ظِـلٌّ سَجْـسَجٍ فَمَـصِيْـ   (م)   ـفُهَا يُعَـادِلُ فِيْـهِ طِيْـبَ مَـشْتَاءِ

١٥ـ قَدِيْمَـةُ العَهْـدِ هَزَّتْهَـا الـصَّبَا فَـصَبَتْ   فَهْـيَ العَجُـوزُ تَهَـادَى هَـدْيَ مَرْهَـاءِ

١٦ـ لا يُـدْرِكُ الطَّـرْفُ أَقْـصَاهَا عَلَـى كَلَـلٍ   حَتَّـى تَعُـوْدَ لَـهُ لَحَظَـاتُ حَـوْلاءِ

١٧ـ وَصَـوْتُ بُلْبُلِهَـا الرَّاقِـي ذُرَى غُـصُنٍ   فِـي حُلَّـةٍ مِـنْ دِمَقْـسِ الـرِّيْشِ دَكْنَـاءِ

١٨ـ كَقَرْعِ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ

١٩ـ خَلِيَّةٌ حِينَ أحْنَيْتُ الضُّلُوعَ عَلَى نَارٍ بِشَجْوِيْ بِهَا لا حُبَّ لَمْيَاءِ

٢٠ـ تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أضَالِعَهَا عَلَى الهَوَاءِ وَآحْتَنْهَا عَلَى المَاءِ

٢١ـ بَدِيْعَةُ الحُسْنِ قَدْ فَازَ الجِنَاسُ لَهَا مِنَ المَعَانِي بِأفْنَانٍ وَآفْنَاءِ

٢٢ـ وَقَامَ عَنْهَا لِسَانُ الزَّهْرِ يُنْشِدُنَا لِلَهْوِكُمْ أرَجٌ مَا بَيْنَ أرْجَائِي

٢٣ـ كَمْ صَفَّقَ المَوْجُ مِنْ أزْهَارِهَا طَرَباً فَنَقَّطَتْهُ بِبَيْضَاءٍ وَصَفْرَاءِ

٢٤ـ وَكَمْ طَرِبْتُ لِمَا أبْدَتْهُ مِنْ مُلَحٍ يَصْبُو لَهَا كُلٌّ ذِي عَقْلٍ وَآرَاءِ

٢٥ـ وَجُدْتُ بِالتِّبْرِ مِنْ مَالِي وَمِنْ أدَبِي فَكُنْتُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْهُمَا الطَّائِي

٢٦ـ كَأنَّهَا مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ حُسْناً وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَّاءِ

٢٧ـ كَأنَّ أغْصَانَهَا اللُّدْنَ الرِّشَاقَ إذَا هَصَرْتَ أفْنَانَهَا أعْطَافُ وَطْفَاءِ

٢٨ـ كَأنَّ صَمْغَتَهَا الحَمْرَا بِقِشْرَتِهَا الدْ (م) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أعْكَانِ سَمْرَاءِ

٢٩ـ كَأنَّهَا فَوْقَ دِعْصِ المَوْجِ إذْ سَفَحَتْ هِضَابُهُ سَفْحُ وَادٍ رَبُّ أفْيَاءِ

٣٠ـ مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إذْ جَاشَ الخَرِيْرُ بِهِ كَأنَّهَا أذُنٌ مَالَتْ لإصْغَاءِ

٣١ـ كَأنَّمَا النَّهْرُ مِرْآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلألاءِ

٣٢ـ ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ عَلَى نَهْرِ الأُبُلَّةِ يُزْرِي أيَّ إزْرَاءِ

٣٣ـ كَأنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيْكِ النَّسِيْمِ لَهُ فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلاءِ

٣٤ـ كَأنَّهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِمَتْ أوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أوْ تَجْلِيْلُ رَقْشَاءِ

٣٥ـ كَأنَّهُ حِيْنَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الأرْضِ شَهْلاءِ

٣٦ـ وَكَـمْ شَـدَتْنَا حَمَامَـاتُ الأَرَاكِ عَلَـى ... أَغْـصَانِهَا فَأَرَتْنَـا رَقْـصَ هَيْفَـاءِ

٣٧ـ مِـنْ كُـلِّ وَرْقَـاءَ فِـي الأَفْنَـانِ صَـادِحَةٍ ... بَـيْنَ الحَـدَائِقِ فِـي فَيْحَـاءَ زَهْـرَاءِ

٣٨ـ وُرْقٌ تَغَنَّـتْ بِجَنَّـاتٍ رَقَـيْنَ عَلَـى ... عِيْـدَانِهَا فَالْـهُ فِـي مَغْنَـى وَغَنَّـاءِ

٣٩ـ بَاكَرْتُهَـا فِـي سَـرَاةٍ مِـنْ أَصَـاحِبِنَا ... لا يَنْطَـوُونَ عَلَـى حِقْـدٍ وَشَـحْنَاءِ

٤٠ـ تَـدَاعَبُوا بِمَعَـانِي شِـعْرِهِمْ فَـأَرَوْا ... وُدَّ الأَحِبَّـةِ فِـي أَلْفَـاظِ أَعْـدَاءِ

٤١ـ مِـنْ كُـلِّ شَـيْخٍ مُجُـونٍ فِـي شَـبَابِ فَتَـى ... يُقْـرِي المُجُـونَ بِقَلْـبٍ غَيْـرِ نَـسَّاءِ

٤٢ـ يَـسْعَى إِلَيْهَـا عَلَـى جَـرْدَاءَ جَارِيَـةٍ ... مِـنْ أَيْكِهَـا كَهِـلالِ الأُفْـقِ حَـدْبَاءِ

٤٣ـ نُوحِيَّـةُ الـصُّنْعِ وَالإِحْكَـامِ مُنْـشَأَةٌ ... تَـسِيرُ مَـا سُـيِّرَتْ مِـنْ غَيْـرِ إِعْيَـاءِ

٤٤ـ سَـوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى المَاءِ المُـصَنْدَلِ شَا ... (م) مَـةً عَلَـى شَـفَةٍ كَالـشَّهْدِ لَعْـسَاءِ

٤٥ـ سَـاجِيَّةٌ أَلْبَـسَتْهَا الـصَّانِعُونَ لَهَـا ... مِـنَ التَّـدَابِيجِ مَـا يُـزْرِي بِـصَنْعَاءِ

٤٦ـ غَرِيبَـةٌ ذَاتُ أَلْـوَانٍ وَأَجْنِحَـةٍ ... لَـمْ أَدْرِ تُعْـزَى لِـرَوْضٍ أَوْ لِعَنْقَـاءِ

٤٧ـ لَـمْ يَـسْتَطِعْ شَـأْوَهَا إِذْ سَـيْرُهَا عَنَـقٌ ... غُـرُّ الجِيَـادِ عَلَـى كَـدٍّ وَإِنْـضَاءِ

٤٨ـ كَـمْ قَـدْ نَعِمْنَـا بِهَـا عَيْـشاً بِـصَافِيَةٍ ... شَـمْطَاءَ تُجْلَـى عَلَـى الجُـلاسِ عَـذْرَاءِ

٤٩ـ مِمَّـا تَخَيَّرَهَـا كِـسْرَى وَأَوْدَعَهَـا ... رَبُّ الخَوَرْنَـقِ فِـي قَـوْرَاءَ جَوْفَـاءِ

٥٠ـ حَمْـرَاءُ صِـرْفاً وَصَـفْرَا إِنْ مَزَجْـتَ لَهَـا ... كَـمْ مِـنْ يَـدٍ فِـي سَـوَادِ اللَّيْـلِ بَيْـضَاءِ

٥١ـ رَاحَـاً إِذَا رَكَـعَ الإِبْرِيْـقُ يَمْزِجُهَـا ... سَـمِعْتَ مِـنْ صَـوْتِهِ تَـسْبِيحَ فَأْفَـاءِ

٥٢ـ أُمِّ الـسُّرُورِ الَّتِـي أَبْقَـى الزَّمَـانُ بِهَـا ... جُـزْءَ الحَيَـاةِ وَقَـدْ أَلْـوَى بِـأَجْزَاءِ

٥٣ـ فَعَاطِنِيهَـا عَلَـى طَـلِّ النَّـدَى سَـحَراً ... فَـإِنَّ تِرْشَـافَهَا مَـوْتِي وَإِحْيَـائِي

٥٤ـ وَاسْتَجْلِهَا بِنْتَ مِصْرٍ تَسْتَطِيْلُ عَلَى ... بَغْدَادَ وَالمَوْصِلِ الحَدْبَا وَسَوْرَاءِ

٥٥ـ كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلٌّ النَّسِيْمِ بِهَا ... عَلَى اعْتِدَالٍ وَحَدْبَاءٍ وَزَوْرَاءِ

٥٦ـ مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ وَشَادٍ أَوْ وَشَادِيَةٍ ... تَشْدُو لَنَا بَيْنَ صَوْتِ العُوْدِ وَالنَّاءِ

٥٧ـ عَلَى الحَدَائِقِ لا الآكَامُ تَنْفَحُنَا ... رِيْحُ البَنَفْسَجِ لا نَشْرُ الخُزَامَاءِ

٥٨ـ أَمَّا أَنَا لَسْتُ نَوَّاحاً عَلَى طَلَلٍ ... وَلا خَلِيْطٍ وَلا نَدَّابَ أَحْيَاءِ

٥٩ـ تَرَكْتُهُ لأُنَاسٍ كَالتِّيُوْسِ غَنَوْا ... عَنِ المُدَامِ بِدَرِّ الإِبْلِ وَالشَّاءِ

٦٠ـ يُعْزَوْنَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالَتِهِمْ ... لَمْ يَفْرِقُوْا بَيْنَ إِيْطَاءٍ وَإِقْوَاءِ

٦١ـ مِنْ كُلِّ أَلْكَنَ عِنْدَ البَحْثِ مُنْقَطِعٌ ... كَأَنَّهُ وَاصِلٌ وَالشِّعْرُ كَالزَّاءِ

* * *

مسرد المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

المخطوطات:

١. ديوان ابن خطيب داريا. مخطوطة مصورة في مركز جمعة الماجد تحت رقم(٣٠٧٣). ومصدرها الخزانة العامة بالرباط رقم (٢٢٥ق).

٢. ديوان فخر الدين بن مكانس. مخطوط محفوظ في مكتبة دار الكتب المصرية. رقم ١١٩٦/أدب.

المطبوعات:

١ـ اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث. د. سامي عبابنة. عالم الكتب الحديث.ط٢. ٢٠١٠م إربد. الأردن.

٢. أساس البلاغة.الزمخشري.الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط٣. ١٩٨٥م مصر.

٣. أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي مقاربة أسلوبية في جمالية القبح. عامر الحلواني. كلية الآداب والعلوم الإنسانية.ط١. ٢٠٠٢م. صفاقس.

٤ـ استعادة الماضي،دراسات في شعر النهضة د.جابر عصفور.دار المدى للثقافة والنشر. ط٢. ٢٠٠٢م سورية.

٥ـ أسرار البلاغة.عبد القاهر الجرجاني.بعناية السيد محمد رشيد رضا.دار الكتب العلمية. ط١. ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م. بيروت. لبنان.

٦. الأسلوب دراسة لغوية إحصائية.د. سعد مصلوح. دار البحوث العلمية. الكويت. مطبعة حسان. القاهرة. ط١. ١٤٠٠هـ ١٩٨٢م.

٧ـ الأسلوب والأسلوبية. بيير جيرو. ترجمة منذر عياشي.مركز الإنماء. الحضاري. ط٢. ١٩٩٤م.حلب.

٨ـ الأسلوبية. عبد الله صولة. بحث مكتوب على قرص مرن، صادر عن جامعة تونس الافتراضية.٢٠٠٥م.

٩. الأسلوبية، الرؤية والتطبيق.يوسف أبو العدوس.دار المسيرة.ط١.عمان. ١٤٢٧هـ.

١٠. أسلوبية الوصف والحوار. عامر الحلواني. مطبعة التسفير الفني.ط١. ٢٠٠٣م.

١١. الأسلوبية في النقد العربي الحديث. دراسة في تحليل الخطاب. فرحان الحربي. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط١. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. بيروت. لبنان.

١٢. الأسلوبية والأسلوب.عبد السلام المسدي. الدار العربية للكتاب. ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م. ليبيا. تونس.

١٣ـ الأسلوبية والصوفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج. أماني سليمان داود. مجدلاوي. ط١. ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م. عمان. الأردن.

١٤. الأصوات اللغوية. إبراهيم أنيس. دار الطباعة الحديثة. ١٩٧٦م.

١٥ـ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية. محمد الشاوش. المؤسسة العربية للتوزيع.ط.١. ١٤٢١هـ.٢٠٠١م.بيروت.جامعة منوبة. كلية الآداب.تونس.

١٦ـ أعيان العصر وأعوان النصر.خليل الصفدي. تحقيق. د. علي أبي زيد وآخرين. دار الفكر.ط١. ١٤١٨هـ دمشق .

١٧ـ الانزياح الشعري عند المتنبي، قراءة في التراث النقدي عند العرب.د. أحمد الخطيب. دار الحوار. ط١. ٢٠٠٩م. اللاذقية. سورية .

١٨ـ الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية. د. أحمد محمد ويس. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.ط١. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م. بيروت.

١٩. أهدى سبيل إلى علمي الخليل. محمود مصطفى. شرحه وضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.بيروت. لبنان.ط ٣.

٢٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشام الأنصاري. المكتبة العصرية. ١٤١٥هـ بيروت.

٢١ـ الإيضاح في علوم البلاغة.جلال الدين القزويني. قدّم له وبوّبه د. علي بو ملحم. منشورات دار ومكتبة الهلال ط٢. ١٩٩١م. بيروت.

٢٢ـ البحث الأسلوبي معاصرة وتراث. د. رجاء عيد. منشأة المعارف. الإسكندرية. مطبعة أطلس.القاهرة. ١٩٩٣م.

٢٣ـ بحوث في الشعريات. أحمد الجوّة.مطبعة التسفير الفني. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ٢٠٠٤م. صفاقس.

٢٤. البلاغة، المدخل لدراسة الصور البيانية. فرانسوا مورو. ترجمة محمد الولي وعائشة جرير. أفريقيا الشرق ط٢. ٢٠٠٣م. المغرب.

٢٥ـ البلاغة والأسلوبية. هنريش بليث. ترجمة وتعليق محمد العمري. أفريقيا الشرق.١٩٩٩م. الدار البيضاء. المغرب. بيروت. لبنان.

٢٦ـ البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب. مكتبة لبنان ناشرون. ط١. ١٩٩٤م. الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان.مصر.

٢٧. البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر.علي علي صبح.المكتبة الأزهرية للتراث. ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٢٨.بنية اللغة الشعرية.جان كوهين.ترجمة محمد الولي ومحمد العمري.دار توبقال. ط١.١٩٨٦م .

٢٩. البيان والتبيين.الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٠. تأهيل الغريب. شمس الدين النواجي. تحقيق د. أحمد محمد عطا. مكتبة الآداب. ط١. ١٤٢٥هـ القاهرة.

٣١. تحاليل أسلوبية. محمد الهادي الطرابلسي. دار الجنوب للنشر. ١٩٩٢م.تونس.

٣٢. تحليل الخطاب الشعري. د. محمد العمري. الدار العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع. ط١. ١٩٩٠م. الدار البيضاء.

٣٣. تحليل لغوي أسلوبي لنصوص من الشعر القديم. عبد الرحمن الرحموني ومحمد بو حمدي. دار الأمان. ط١. ١٩٩٠م. الرباط.

٣٤ـ جمالية الموت في مراثي الشعراء المخضرمين (الخنساء – مالك بن الريب – أبو ذؤيب الهذلي) قراءة أسلوبية. د. عامر الحلواني. مطبعة التسفير الفني. ط١. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ٢٠٠٤م. صفاقس.

٣٥ـ الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. د. عبد الله صولة. ط١. دار الفارابي. بيروت. لبنان.

٣٦. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. السيوطي. تحقيق علي محمد عمر. نشر مكتبة الخانجي ط١. ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م. القاهرة.

٣٧. خزانة الأدب وغاية الأرب. ابن حجّة الحموي. قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه د. صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية. ط١. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م صيدا. بيروت.

٣٨. خصائص الأسلوب في الشوقيات. محمد الهادي الطرابلسي. منشورات الجامعة التونسية. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ١٩٨١م.

٣٩. الخطاب الأدبي وتحديات المنهج. د. صالح الهادي رمضان. نادي أبها الأدبي. ط١. ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٤٠. دراسات في الشعر الجاهلي. نوري القيسي. ١٩٧٢م. دمشق.

٤١ـ دراسات في الشعرية. الشابي نموذجا. إعداد. حمادي صمّود وآخرين. المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات. بيت الحكمة. ١٩٨٨م. قرطاج.

٤٢. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث. د. أحمد درويش. دار غريب. ١٩٩٨م. القاهرة.

٤٣. ديوان ابن زيدون. شرح وضبط وتصنيف كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط١. ١٣٥١هـ ١٩٣٢م. مصر.

٤٤. ديوان ابن قلاقس. تحقيق د. سهام الفريح: ٢٤٠. مكتبة المعلا. ط١. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م الكويت.

٤٥. ديوان ابن نباتة المصري. ملتزم الطبع محمد القلقيلي. مطبعة التمدن. عابدين. ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م. مصر.

٤٦. ديوان الأرجاني. تحقيق د. محمد قاسم مصطفى. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر. ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م العراق.

٤٧. ديوان أشعار الأمير أبي العباس. دراسة وتحقيق د. محمد بديع شريف. دار المعارف. القاهرة.

٤٨ـ ديوان الحسين بن الضحاك. تحقيق د. جليل العطية. منشورات الجمل.ط١. ٢٠٠٥م. كولونيا. ألمانيا.

٤٩ـ ديوان الخمريات. أبو نواس.تحقيق علي نجيب عطوي. دار مكتبة الهلال. ط١. ١٩٨٦م. بيروت.لبنان.

٥٠. ديوان حازم القرطاجني.تحقيق عثمان الكعّاك.دار الثقافة. ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م. بيروت. لبنان.

٥١. ديوان ذي الرمة.حققه وقدم له وعلّق عليه عبد القدوس أبو صالح.مؤسسة الرسالة. ط٣. ١٤١٤هـ ١٩٩٣م بيروت.

٥٢. ديوان شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي . جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراخ.ط١.دت.

٥٣ـ ديوان طرفة بن العبد. شرح الأعلم الشنتمري. تحقيق درية الخطيب ولطفي الصّقال. مطبوعات مجمع اللغة العربية. ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م. دمشق.

٥٤. ديوان المعتمد بن عباد.جمع وتحقيق د. رضا الحبيب السويسي. الدار التونسية للنشر. ١٩٧٥م.

٥٥ـ السبع معلقات. مقاربة سيميائية أنثربولوجية. عبد الملك مرتاض. اتحاد الكتاب العرب. ١٩٩٨م. دمشق.

٥٦ـ سقط الزند. أبو العلاء المعري. شرحه أحمد شمس الدين.دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١٠هـ ١٩٩٠م بيروت. لبنان.

٥٧. شرح ديوان امرئ القيس. حسن السندوبي.المكتبة الثقافية. ط٧. ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. بيروت. لبنان.

٥٨ـ شرح ديوان الحماسة لأبي تمام. المرزوقي. تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون. ١٩٥١م.القاهرة

٥٩. شرح ديوان كعب بن زهير. صنعة أبي سعيد السكري. نسخة مصورة من طبعة دار الكتب. نشر الدار القومية للطباعة والنشر. ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م. القاهرة.

٦٠. شرح ديوان المتنبي. عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي.١٤٠٧هـ ١٩٨٦م بيروت. لبنان.

٦١ـ شعر عنترة دراسة تطبيقية على نظريات الشك في شعر الجاهلية. د. مصطفى الجوزو. دار الطليعة. ط١. ٢٠٠٢م. بيروت.

٦٢. شعر ابن المعتز. صنعة أبي بكر الصولي. دراسة وتحقيق يونس السامرائي. منشورات وزارة الثقافة والفنون. ١٩٧٨م الجمهورية العراقية.

٦٣ـ شعريات عربية. توفيق بكار.المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار. دار الجنوب للنشر. ٢٠٠٩م. تونس.

٦٤ـ كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري. تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية.١٤١٩هـ صيدا. بيروت.

٦٥. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي. جابر عصفور. دار المعارف. ١٩٨٠م. القاهرة.
٦٦. ضرورة الشعر. أبو سعيد السيرافي. تحقيق د. رمضان عبد التواب. دار النهضة العربية. ط١. ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م بيروت.
٦٧. الطراز. العلوي. دار الكتب العلمية. ١٩٨٢م. بيروت.
٦٨ـ ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث. د. علوي الهاشمي. مؤسسة اليمامة الصحفية ١٩٩٨م. العدد ٥٢- ٥٣ . الرياض.
٦٩. الظفيرة واللهب. إبراهيم خليل. ط١. أمانة عمان الكبرى. عمّان.
٧٠. العدول، أسلوب تراثي في نقد الشعر. السعدني. منشأة المعارف. ١٩٩٠م. الإسكندرية.
٧١ـ عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي. د. محمود رزق سليم. مكتبة الآداب ط١. ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م. مصر.
٧٢. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته. د. صلاح فضل. النادي الأدبي الثقافي بجدة. ط٣. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٧٣. علم الدلالة. أحمد مختار عمر. منشورات عالم الكتب. ط٣. ١٩٩٢م. القاهرة.
٧٤. الفاصلة في القرآن. محمد الحسناوي. المكتب الإسلامي. ط٢. ١٩٨٦م. بيروت.
٧٥. فقه اللغة. د. كاصد الزيدي . جامعة الموصل. ١٩٨٧م.
٧٦ـ في النص الأدبي. دراسات أسلوبية إحصائية. د. سعد مصلوح. دار عالم الكتب. ط٣. ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م. القاهرة.
٧٧. في سيمياء الشعر القديم. د. محمد مفتاح. دار الثقافة الجديدة. ١٩٨٢م. دط. الدار البيضاء.
٧٨. القاموس المحيط. الفيروز آبادي. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع. دت. دط.
٧٩ـ القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. أوزوالد ديكرو وجان ماري سشفاير. ترجمة د. منذر عياشي. المركز الثقافي العربي. ط٢. ٢٠٠٧م الدار البيضاء. المغرب.
٨٠ . الكتاب. سيبويه. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. ط٢. ١٤٠٢هـ
٨١. كتاب الشعر. أرسطوطاليس. حققه مع ترجمة حديثه د. شكري عياد. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. ١٣٨٦هـ ١٩٧٦م. القاهرة.
٨٢ـ كتاب القوافي. أبو يعلى التنوخي. تحقيق عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان. دار الإرشاد. ط١ ١٣٨٩هـ بيروت .
٨٣. الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه. صلاح الدين الصفدي. حققه وعلق عليه هلال ناجي ووليد الحسين مجلة الحكمة. ط١. ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. بريطانيا.
٨٤. اللزوميات. أبو العلاء المعري. دار صادر. دط. دت. بيروت.
٨٥. لسان العرب. ابن منظور. دار صادر. دط. دت. بيروت.
٨٦. لسانيات الخطاب. صابر الحباشة. دار الحوار. ط١. ٢٠١٠م. اللاذقية. سوريا.

٨٧ـ لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب.محمد خطابي. المركز الثقافي العربي. ط٢. ٢٠٠٦م. الدار البيضاء. المغرب.
٨٨. اللغة والأسلوب. عدنان بن ذريل. مراجعة وتقديم حسن حميد. مجدلاوي للنشر والتوزيع. ط٢. ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م. عمان. الأردن.
٨٩ـ المتنبي.محمود شاكر.نشر مطبعة المدني. المؤسسة السعودية بمصر. القاهرة. دار المدني.دط. ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. جدة.
٩٠. مدخل إلى الشعر العربي الحديث (أنشودة المطر) محمد الخبو.دار الجنوب للنشر.١٩٩٥م. تونس.
٩١. مدخل إلى علم الأسلوب. د. شكري عياد. ط٤. أصدقاء الكتب. ١٩٩٨م. الجيزة.
٩٢. المرشد إلى فهم أشعار العرب د. عبد الله الطيب المجذوب.مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ط١. ١٣٧٤هـ مصر.
٩٣ـ مسالك الأبصار.ابن فضل الله العمري. (ج١). تحقيق عبد الله السريحي. المجمع الثقافي. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. أبو ظبي. الإمارات.
٩٤. المشاكلة والاختلاف.د. عبدالله الغذامي. المركز الثقافي العربي. ط١. ١٩٩٤م. بيروت.
٩٥. المعجم الأدبي. جبور عبد النور. دار العلم للملايين. بيروت. ط٢. ١٩٨٤م.
٩٦. معجم تحليل الخطاب. باتريك شارودو – دومينيك منغنو. ترجمة عبد القادر المهيري وحمّادي صمود.مراجعة صلاح الدين الشريف. دار سيناترا. المركز الوطني للترجمة. ٢٠٠٨م. تونس.
٩٧. المعجم الوسيط. إخراج إبراهيم مصطفى وآخرين. مجمع اللغة العربية المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع. ط٢. إستانبول.
٩٨ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجني. تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة. دار الكتب المشرقية دط. دت.
٩٩. موسيقا الشعر.إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية. ط٧. ١٩٩٧م. القاهرة.
١٠٠ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ابن تغري بردي. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
١٠١. النص الغائب. محمد عزام. تجليات التناص في الشعر العربي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق.٢٠٠١م
١٠٢. نصوص نقدية لأعلام النقد العربي.اختيار وشرح د. محمد السعدي فرهود. القاهرة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
١٠٣ـ نظرية الأدب. رينيه ولك. أوستن وارين.ترجمة محيي الدين صبحي ومراجعة د. حسام الخطيب. مطبعة خالد الطرابيشي .ط١٣٩٢،١هـ ١٩٧٢م.
١٠٤. نظرية البنائية في النقد العربي. صلاح فضل. ط٢. ١٩٨٠م القاهرة.

١٠٥ـ النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني. دراسة مقارنة. د. أحمد الصاوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. دار بور سعيد للطباعة. الإسكندرية. ١٩٧٩م.

١٠٦. النقد والحداثة. عبد السلام المسدي. دار الطليعة.ط١. بيروت. ١٩٨٣م.

١٠٧. الوافي بمعرفة القوافي. أبو العباس الأندلسي. تحقيق د. نجاة نولي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط١. ١٤١٨هـ الرياض .

١٠٨. الوساطة بين المتنبي وخصومه. القاضي الجرجاني. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. منشورات المكتبة العصرية. بيروت.

المجلات:

١ـ البنية اللغوية والإيقاعية في عينية لقيط بن يعمر. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ع ٣٨. ربيع الآخر. ١٤٢٣هـ ٤١١.

٢. التركيب الصوتي في قصيدة أنشودة المطر. د. قاسم البرسيم. مجلة آفاق عربية. ٥/ ١٩٩٣م.

٣. التضمين العروضي وأثره في بناء النص الشعري. عوض الجميعي. مجلّة علامات. تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة. ١٤١٩هـ ١٩٩٨م المجلد الثامن. ع ٣٠.

٤. جمالية العدول في التراث البلاغي.خيرة حمرة العين.مجلة جذور. رجب. ١٤٢٤هـ سبتمبر٢٠٠٣م.

٥. علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة.د. صلاح فضل.مجلة فصول.مج ٥. ع١.أكتوبر. نوفمبر. ديسمبر. ١٩٨٤م.

٦. لامية المتنبي (ما لنا كلنا جوٍ يا رسول) قراءة إيقاعية.مجلة آداب الرافدين. د. بشرى البستاني. ع ٣١. كانون الأول. ١٩٩٨م.

٧. محاولات في الأسلوبية الهيكلية.مجلة الموقف الأدبي عبد السلام المسدي. العدد ٧١. آذار.١٩٧٧م.

٨. مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم. مجلة الرسالة والرواية. العدد ٧٨٤. رمضان. ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م. مصر.

رسائل علمية غير منشورة:

١. شعر أبي ذؤيب الهذلي. دراسة بلاغية أسلوبية. محمد اللويمي. رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي. ١٤٢٣-١٤٢٤هـ.

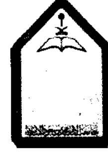
* * *

VOLUME 20 2011

JOURNAL OF ARABIC STUDIES

KINGDOM OF SAUDI ARABIA

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY



www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research